منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله

الهاشمي الخوئي قدس سره

من منشورات

المكتبة الإسلامية

طهران، شارع ١٥ خرداد شرقي

تلفون ٥٢٥٣٤٨-٥٢١٩٦٦

مِنهاجُ البَراعَةِ

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

عنى بتصحيحه و تهذيبه العالم الفاضل : السيد ابراهيم الميانجي

الجزء العاشر

الطبعة الرابعه

الناشر:

مكتبة الاسلامية بطهران

شارع البوذرجمهري تليفون (٥٢١٩٦٦)

حق چاپ و عكسبرداري از اين نسخه محفوظ است

طبع في المطبعة الاسلامية بطهران

شبكة الفكر
alfeker.net

بسم الله الرحمن الرحيم

و من كلام له عليه السلام و هو المأة و الواحد و الستون من المختار فى باب الخطب

وهو مرويّ في إرشاد المفيد وفي البحار من علل الشرايع وأمالي الصّدوق على اختلاف تعرفه ، قاله عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله عليه السلام كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟ فقال :

يا أخا بَني أَسَدٍ إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ تُرْسِلُ في غَيْرِ سَدَدٍ وَلَكَ بَعْدُ ذِمامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْئَلَةِ ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ أَمّا الْإِسْتِبْدادُ عَلَيْنا بِهذَا الْمَقامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً ، وَالْأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ صلّى الله عليه وآله نَوْطاً فَإِنَّها كانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْها نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْها نُفُوسُ آخَرِينَ ، وَالْحَكَمُ اللهُ وَالْمَعُودُ إِلَيْهِ الْقِيمَةُ وَدَعْ(١) عَنْكَ نَهْباً صِيحَ في حَجَراتِهِ

(١) فدع ، خ ل .

وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ وَلاَ غَرْوَ وَاللهِ فَيَالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ الأَوَدَ، حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً، فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى «فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ».

اللغة

(قلق) قلقاً من باب تعب اضطرب فهو قلق ككتف و (الوضين) كما عن النّهاية بطان منسوج بعضها على بعض يشدّ به الرّحل على البعير كالحزام للسّرج و (الارسال) الاطلاق واهمال التّوجيه و (السّدد) محرّكة كالسّداد الصّواب والاستقامة و (الذّمامة) بكسر الذّال المعجمة: الحرمة و (الصهر) القرابة قال ابن السكّيت: كلّ من كان من قبل الزّوج من أبيه أو أخيه أو أعمامه فهم الأحماء ومن كان من قبل المرئة فهم الأختان، وتجمع الصّنفين الأصهار.

و (استبدّ) في الامر انفرد به من غير مشارك له فيه ورجل (يستأثر) على أصحابه أي يختار لنفسه أشياء حسنة، والاسم الأثرة محرّكة والأثرة بالضمّ والكسر والأثرى كالحسنى و (المعود) إمّا اسم لمكان العود أو مصدر بمعناه. و في بعض النسخ يوم القيامة باضافة يوم و (الحجرات) النّواحي جمع حجرة كجمرة وجمرات و (هلمّ) اسم فعل يستعمل بمعنى هات و تعال، فعلى الأوّل متعدّ وعلى الثّاني لازم يستوى فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث في لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون هلمّا وهلمّوا.

و (الأود) محرّكة الاعوجاج و (فوّار) الينبوع بفتح الفاء وتشديد الواو

ثقب البئر والفوار بالضمّ والتّخفيف ما يفور من حرّ القدر وبهما قرء و الأوّل أظهر و (جدحه) يجدحه من باب منع خلطه ومزجه و (الشّرب) بالكسر الحظّ من الماء قال تعالى: «لها شرب و لكم شرب يوم معلوم» و (الوبيء) ذوالوباء والمرض.

الاعراب

قوله لقلق الوضين صفة حذف موصوفها للعلم به، وجملة ترسل، في محلّ الرّفع عطف بيان، و لك خبر مقدّم و ذمامة الصهر و حقّ المسألة مرفوعان على الابتداء، وبعد، ظرف لغو متعلّق بذمامة تقديمه عليه للتّوسّع، و جملة و نحن الأعلون في محلّ النّصب على الحال، ونسباً ونوطاً منصوبان على التميز، وتعدية سخت بعن لتضمين معنى الاعراض، والقيامة في بعض النّسخ بالرّفع وفي بعضها بالنصب، فالأوّل مبنيّ على أنّه خبر لمعود وجعله اسم مكان، والثّاني على كونه ظرفاً له وجعله مصدراً.

والبيت أعني قوله: ودع عنك نهباً صيح في حجراته، مطلع قصيدة لامرء القيس ابن حجر الكندي وتمامه: ولكن حديثاً ما حديث الرّواحل، وقد أثبت المصراع الثّاني أيضاً في بعض النّسخ، والظّاهر أنّه سهو من النسّاخ، وأنّه لم يتمثّل إلاّ بصدر البيت وأقام قوله: وهلمّ الخطب، مقام المصراع الثّاني كما نبّه عليه الشّارح المعتزلي وغيره.

و كيف كان فقوله: حديثاما اه ـ انتصب حديثاً باضمار فعل أي حدّثني أو أسمع أوهات، ويروى بالرّفع على أنّه خبر محذوف المبتداء أي غرضي حديث وماهيهنا تحتمل أن تكون ابهاميّة وهي التّي إذا اقترنت بنكرة زادته إبهاماً وشياعا كقولك: اعطنى كتابا ما تريد، أى أيّ كتاب كان، وتحتمل أن تكون صلة مؤكّدة كما في قوله تعالى «فبما نقضهم ميثاقهم»

و أمّا حديث الثّاني فقد ينصب على البدل من الأوّل، وقد يرفع على أن

يكون ما موصولة وصلتها الجملة أي الذي هو حديث الرّواحل ، ثمّ حذف صدر الصّلة كما في « اتماما على الذي أحسن » أو على أن تكون استفهامية بمعنى أيّ قوله : ولاغر و، لالنفي الجنس محذوف خبرها ، وقوله : فياله خطباً النّداء للتعجّب والتفخيم وخطبا منصوب على التميز من الضمير .

المعنى

اعلم أنّ المستفاد من روايتي العلل والأمالي الآتيتين أنّ هذا الكلام (قاله لبعض أصحابه) بصفّين (و)ذلك أنّه(قد سأله) وقال له(كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام) أي مقام الخلافة و الوصاية (و أنتم أحقّ به) منهم ومن غيرهم لعلوّ النسب وشرافة الحسب وماسّة الرّحم ومزيد التقرّب و غزارة العلم و وفور الحلم وملكة العصمة وفضيلة الطّهارة وثبوت الوصيّة وحقوق الوراثة وساير خصايص الولاية

(فقال عليه السلام) مجيبا للسّائل (يا أخا بني أسد انّك لـ)ـرجل (قلق الوضين) أي مضطرب البطان أراد به خفّته وقلّة ثباته كالحزام إذا كان رخواً ، لأنّه قد سأله في غير مقامه كما أبان عنه بقوله (ترسل في غير سدد) أى تطلق عنان دابّتك وتهملها و توجّهها في غير مواضعها ، أى تتكلّم في غير موضع الكلام ، وتسئل مثل هذا الأمر الذي لايمكن التصريح فيه بمخّ الحقّ بمجمع النّاس ، أو تسئل مثل هذا الأمر الذي يحتاج إلى تفصيل الجواب في مقام لايسع ذلك ، و الأخير أظهر بملاحظة ما يأتي في روايتي العلل و الأمالي من أنّه سأله بينا هو في أصعب موقف بصفّين .

و كيف كان فلمّا اعترض عليه السلام على السائل بكون سؤاله في غير موقعه المناسب ، ولما كان ذلك مظنّة لأن ينكسر منه قلب السائل استدرك عليه السلام ذلك بمقتضى سودده ومكارم خلقه فقال استعطافا وتلطّفا : (ولك بعد ذمامة الصّهر وحقّ المسئلة) أى حرمة القرابة وحقّ السؤال .

قال الشّارح المعتزلي : و إنّما قال: لك بعد ذمامة الصّهر لأنّ زينب بنت جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وآله كانت أسديّة ، و شنّع الشّارح على القطب الرّاوندي

حيث علّل ذلك بأنّ أمير المؤمنين قد تزوّج في بني أسد بأنّ عليّاً لم يتزوّج في بني أسد البتّة . ثمّ فصّل أولاده وأزواجه ، ثمّ قال: فهؤلاء أولاده وليس فيهم أحد من أسديّة ولا بلغنا أنّه تزوّج في بني أسد ولم يولد .

وردّه الشّارح البحراني بأنّ الانكار لا معنى له إذ ليس كلّ ما لم يبلغنا من حالهم لايكون حقّاً ويلزم أن لايصل إلى غيره .

أقول : الحقّ مع البحراني! إذ عدم نقل التزوّج إلينا لايكون دليلا على العدم! لكنّه يبعّده كما لايخفى هذا .

وأمّا حقّ المسئلة فلأنّ للرّعيّة من الامام حقّ السؤال وإن لم يفرض عليه الجواب لو لم يكن فيه المصلحة .

يدلّ على ذلك ما رواه في الكافي عن الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد عن الوشا قال : سألت الرّضا عليه السلام فقلت له جعلت فداك ـ

« فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ » ـ

فقال عليه السلام : نحن أهل الذكر و نحن المسؤلون ، قلت : أفأنتم المسؤلون و نحن السائلون ؟ قال : نعم فقلت : حقّاً علينا أن نسئلكم ؟ قال : نعم ، قلت : حقّاً عليكم أن تجيبونا ؟ قال : لا ، ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل أما تسمع قول الله تبارك وتعالى :

« هٰذا عَطآؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ » .

وما بمعناه أخبار كثيرة مرويّة في الكافي وغيره .

ثمّ تصدّى لجواب السّائل لماعلم المصلحة في الجواب فقال (وقد استعلمت فاعلم أمّا الاستبداد علينا بهذا المقـام) أي استقلال الغاصبين للخلافة و تفرّدهم بهذا المقام الّذي هو مقام الأولياء و الأوصياء (و نحن الأعلون نسبا و الأشدّون بالرّسول صلّى الله عليه وآله نوطا) أي مع كوننا أولى منهم بهذا المقام وأحقّ به بشرافة النّسب و شدّة التعلّق و اللّصوق برسول الله صلّى الله عليه وآله أمّا شرافـة النسب فقد مرّ في ديباجة

الشرح ، وأما شدّة العلاقة فيكفى في الدّلالة عليها جعل النبي صلى الله عليه وآله له منه بمنزلة هارون من موسى وتنزيله منزلة نفسه في آية أنفسنا مضافا إلى ساير ما تضمّنت ذلك المعنى ممّا عرفتها في تضاعيف الشرح وتعرفها بعد ذلك انشاء الله تعالى .

(فانها) أى الخلافة المعلومة من السياق (كانت اثرة) أى شيئا مرغوبا يتنافس فيه النفوس ويريده كلّ لنفسه وأن يخصّ به من دون مشاركة الغير (شحّت) أى بخلت (عليها نفوس قوم) أراد بهم أهل السقيفة (وسخت عنها) أى جادت بها وتركتها معرضة عنها (نفوس آخرين) أراد بهم أهل البيت عليهم السلام وإعراضهم عنها لعدم رغبتهم في الخلافة من حيث إنّها سلطنة ظاهرية و أمارة على الخلق .

كما يدلّ عليه قوله عليه السلام لابن عباس في عنوان الخطبة الثالثة والثلاثين : والله لهى أحبّ إليّ من امرتكم إلاّ أن اُقيم حقّا أو أدفع باطلا .

نعم لو كان متمكّنا من الخلافة وإقامة مراسمها على ماهو حقّها لرغب فيه البتّة لكنّه لم يتمكّن منها لعدم وجود النّاصر كما يؤمى إليه قوله عليه السلام في الخطبة الثّالثة المعروفة بالشقشقيّة : وطفقت أرتأى بين أن أصول بيدجذّاء أو أصبر على طخية عمياء ، وقوله في الخطبة السّادسة والعشرين : فنظرت فاذا ليس لي معين إلاّ أهل بيتي فضننت بهم عن الموت اه ، وغير ذلك ممّا تضمّن هذا المعنى .

(والحكم) الحقّ والحاكم العدل هو (الله) سبحانه (والمعود إليه القيامة) كما قال :

« ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »

و يقضى بين الخلق بالحقّ و يجعل لعنته على الظالمين ، و تمثّل عليه السلام بقول امرء القيس فقال :

(ودع عنك نهباً صيح في حجراته) ولكن حديثاً ما حديث الرّواحل

و كان من قصّة هذا الشّعر أنّ امرءالقيس لمّا انتقل في أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جذيلة طيّىء يقال له :طريف فأحسن جواره فمدحه فأقام

عنده ، ثمّ إنّه لم يولّه نصيباً في الجبلين : اجاء وسلمى ، فخاف أن لايكون له منعة فتحوّل فنزل على خالد بن سدوس بن اصمع النبهاني فأغارت بنوجذيلة على امرء القيس و هو في جوار خالد بن سدوس فذهبوا بابله و كان الذي أغار عليه منهم باعث بن حويص ، فلمّا أتى امرء القيس الخبر ذكر ذلك لجاره، فقال له : اعطني رواحلك ألحق عليها القوم فأردّ عليك ابلك ، ففعل فركب خالد في أثر القوم حتّى أدركهم فقال : يا بني جذيلة أغرتم على ابل جارى ؟ قالوا : ما هولك بجار ، قال : بلى والله وهذه رواحله ، قالوا : كذلك ، قال : نعم ، فرجعوا إليه فأنزلوه عنهنّ وذهبوا بهنّ وبالابل ، وقيل بل انطوى خالد على الابل فذهب بها ، فقال امرء القيس : دع عنك نهباً، القصيدة. أى اترك عنك منهوبا يعني غنيمة صيح في جوانبه و نواحيه صياح الغارة ، ولكن هات حديثاً الذي هوحديث الرّواحل أي النّوق الّتي تصلح لأن يشدّ الرّحل على ظهرها .

وغرضه عليه السلام بالتمثيل بالبيت الاشارة إلى أنّ المتخلّفين الثلاثة الماضين قد نهبوا تراثي وأغاروا على حقّي مع صياح عند النّهب والغارة يريد به الاحتجاجات والمناشدات الّتي كانت منه عليه السلام و من أتباعه بعد السقيفة وفي مجلس الشّورى حسبما عرفتها في شرح الخطبة الشقشقيّة وغيرها .

يقول عليه السلام : دع عنك ذكر تلك الغارة و حديثها و لا تسئل عنها فانّه نهب صيح في حجراته ومضى وانقضى (ولكن هلمّ الخطب في ابن أبي سفيان) أى لكن هات ذكر الحدث الجليل و الأمر العظيم الّذي نحن مبتلى به الآن في منازعة معاويــة بن أبي سفيان و طمعه في الخلافة ، فانّه حديث عجيب ينبغى أن يتحدّث ويذاكر ويستمع (فلقد أضحكنى الدّهر بعد إبكائه) أى صرت ضاحكا ضحك تعجّب من تصرّفات الدّهر وتقلّباته وتربيته لأراذل النّاس وجعله مثل ابن النّابغة الآكلة للأكباد والطّليق ابن الطّليق منازعالي في الخلافة ، ومعارضا علىّ في الرّياسة مع غاية بعده عنها وانحطاط رتبته عن الطمع فى مثلها بعد ما كانت بي من الكآبة والحزن لتقدّم من سلف .

و محصّل المراد أنّ الدّهر أضحكني من فرط التعجّب بعد ما أحزنني لأنّه(١) أنزلني ثمّ أنزلني حتّى قيل معاوية وعليّ (ولا غرو والله) أي لا عجب والله من تقلّبات الدّهر و أحواله وقوّة الباطل و غلبة أهله فيه ممّا بي نزل وإضحاكه بي بعد إبكائه ، لأنّ عادته قد جرت دائماً على وضع الأشراف ورفع الأراذل حتّى صار سجيّة له ومجبولا عليها ، وإليه ينظر قول مولانا الحسين عليه السلام ليلة العاشور :

يا دهر اُفّ لك من خليل كم لك بالاشراق والأصيل

(فياله خطبا يستفرغ العجب) كلام مستأنف لاستعظام هذا الأمر ، و على هذا فالوقف على الله ، ويجوز أن لا يكون استينافا بل وصلا على سابقه و تفسيراً له فانّه عليه السلام لمّا أشار إلى أنّ الدّهر أعجبه أتبعه بقوله: و لا غرو، أي ليس ذلك بعجب وفسّر هذا بقوله : فياله خطبا يستفرغ العجب ، أى يستنفده ويفنيه أى قد صار العجب لا عجب لأنّ هذا الخطب قد استغرق المتعجّب فلم يبق منه ما يطلق عليه لفظ التعجّب، وهذا من باب الاغراق والمبالغة في المبالغة أى هذا أمر يجلّ عن التعجّب كقوله ابن هاني :

قد صرت في الميدان يوم طرادهم فعجبت حتّى كدت لا أتعجّب

هذا (و) وصف الخطب أيضاً بأنّه (يكثر الأود) لأنّ كلّ امرء بعد عن الشريعة ازداد الأمر به اعوجاجاً (حاول القوم) أراد بـه معاوية و اتباعه (إطفاء نور الله عن مصباحه) أراد بنور الله الولاية والخلافة وبمصباحه نفسه الشّريف الحامل لذلك النّور ، يعني أنّ معاوية ومن تبعه أرادوا إطفاء نور الولاية وإزالة الأمر عن الأحق به كما أنّ من تقدّم عليهم من المتخلّفين الثلاث وأشياعهم وطلحة والزّبير وأتباعهما كان غرضهم إطفاء النّور هذا .

(وسدّ فوّاره من ينبوعه) أى سدّ مجراه و منبعه (وجدحوا) أى مزجوا و خلطوا (بيني وبينهم شرباً و بيئاً) أراد بالشرب الوبيء الفتنة الحاصلة من عدم انقيادهم له كالشّرب المخلوط بالسمّ .

---

(١) علّة الضحك والتعجب «منه»

و قال الشارح البحراني : استعار لفظ الشرب لذلك الأمر و لفظ الجدح للكدر الواقع بينهم والمجاذبة لهذا الأمر ، واستعار وصف الوبيء له باعتبار كونه سببا للهلاك و القتل بينهم (فان ترتفع عنّا و عنهم محن البلوى) و يجتمعوا على رأيي و يتّبعوا أمري (أحملهم من الحقّ على محضه) أى خالصه الذي لا يشو به شبهة وريب (و إن تكن الاُخرى) أى وإن لم يكشف الله هذه الغمّة وكانت الدّولة والغلبة لأهل الضلال (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إنّ الله عليم بما يصنعون) اقتباس من الآية الشريفة في سورة الفاطر قال :

« أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ فَرَاٰهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَآءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَآءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ » الآية .

أى لاتهلك نفسك عليهم للحسرات على غيّهم و ضلالهم و إصرارهم على التكذيب « إنّ الله عليم بمايصنعون » فيجازيهم عليه .

وفي الصافي عن القمّي مرفوعا قال : نزلت في زريق وحبتر ، وعليه فالاقتباس بها غيرخال من اللّطف والمناسبة .

لطيفة

قال الشارح المعتزلي بعدالفراغ من شرح هذاالكلام : وسألت أباجعفريحيى ابن محمّدالعلوي نقيب البصرةوقت قراءتي عليه عن هذاالكلام وكان على مايذهب عليه من مذهب العلويّة منصفاوافر العقل فقلت له:من يعني عليه السلام بقوله: كانت أثرةشحّت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرين ؟ و من القوم الّذين عناهم الأسدى بقوله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به ؟ هل المراد يوم السقيفة أويوم الشورى ؟ فقال : يوم السقيفة فقلت : إنّ نفسي لاتسامحني أن أنسب إلى الصحابة عصيان الرسول و دفع النصّ ، فقال : وأنا فلاتسامحني نفسي أن أنسب الرّسول إلى إهمال أمر الامامة وأن يترك النّاس سدى مهملين ، وقد كان لايغيب عن المدينة إلاّ ويؤمّر عليها أميراً وهوحيّ ليس بالبعيد عنها ، فكيف لايؤمّر وهوميّت لايقدر على استدراك مايحدث ؟

ثمّ قال : ليس يشكّ أحد من الناس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان عاقلا كامل العقل أمّا المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم ، وأمّا اليهود والنصارى والفلاسفة فيزعمون أنه حكيم تامّ الحكمة سديد الرّأي أقام ملّة و شرع شريعة فاستجد ملكاً عظيما بعقله وتدبيره ، وهذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب و غرايزهم و طلبهم بالثارات والذّحول (١) ولو بعد الأزمان المتطاولة ، وكان يقتل الرّجل من القبيلة رجلا من بيت آخر ، فلا يزال أهل ذلك المقتول و أقاربه يتطلّبون القاتل ليقتلوه حتى يدركوا ثارهم منه ، فان لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه و أهله فان لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة و إن لم يكونوا رهطه الأدنين ، والاسلام لم يحل طبايعهم و لاغيّر هذه السجيّة المركوزة في أخلاقهم والغرايز بحالها .

فكيف يتوهّم لبيب أنّ هذا العاقل وتر العرب وعلى الخصوص قريشاً وساعده على سفك الدّماء وإزهاق الأنفس وتقلّد الضغاين ابن عمّه الأدنى وصهره و هو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس و يتركه بعده و عنده ابنته و له منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره حنواً عليهما ومحبّة لهما ، ويعدل عنه في الأمر بعده ولا ينصّ عليه ولا يستخلفه ، فيحقن دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه .

ألا يعلم هذا العاقل الكامل أنّه إذا تركه و ترك بنيه وأهله سوقة رعيّة فقد عرض دماءهم للاراقة بعده ، بل يكون هو الّذي قتله وأشاط بدمائهم ، لأنّهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم ، و إنّما يكونون مضغة للآكل و فريسة للمفترس يتخطّفهم النّاس ويبلغ فيهم الأغراض .

فأمّا إذا جعل السّلطان فيهم و الأمر اليهم فانّه يكون قد عصمهم و حقن دماءهم بالرّياسة الّتي يصولون بها ، و يرتدع النّاس عنهم لأجلها ، و مثل هذا معلوم بالتّجربة .

ألا ترى أنّ ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل النّاس ووترهم وأبقى في

---

(١) الذحل : الثار أو طلب مكافاة بجناية جنيت عليك أو عداوة اتيت اليك ، أو هو العداوة والحقد ، جمعه اذحال وذحول . ن .

نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه ثمّ أهمل أمر ولده وذرّيّته من بعده ، و فسح للنّاس أن يقيموا ملكا من عرضهم وواحداً منهم ، وجعل بنيه سوقة كبعض العامّة ، لكان بنوه بعده قليلا بقاؤهم سريعاً هلاكهم ، ولوثب عليهم النّاس ذووالاحقاد و الترات من كلّ جهة يقتلونهم ويشردونهم كلّ شرد .

ولوأنّه عيّن ولداً من أولاده للملك ، وقام خواصّه وخدمه، وخوّله (١) بامرة بعده ، لحقنت دماء أهل بيته ولم تطل يد أحد من النّاس إليهم لناموس الملك وابهة السلطنة وقوّة الرّياسة وحرمة الامارة .

أفترى ذهب عن رسول الله هذا المعنى أم أحبّ أن يستأصل أهله وذريّته من بعده وأين موضع الشّفقة على فاطمة العزيزة عنده الحبيبة إلى قلبه ؟! أتقول : إنّه أحبّ أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة تتكفّف النّاس ؟! وأن يجعل عليّاً المكرّم المعظّم عنده الّذي كانت حاله معه معلومة كأبي هريرة الدّوسي وأنس بن مالك الأنصاري يحكم الأمراء في دمه وعرضه ونفسه وولده فلايستطيع الامتناع وعلى رأسه مأة ألف سيف مسلول يتلظّى أكباد أصحابها عليه و يودّون أن يشربوا دمه بأفواههم ويأكلوا لحمه بأسيافهم قد قتل أبنائهم واخوانهم وآبائهم وأعمامهم ، والعهد لم يطل ، والقروح لم تنفرق ، والجروح لم تندمل ؟!

فقلت : لقد أحسنت فيما قلت : إلاّ أنّ لفظه عليه السلام يدلّ على أنّه لم يكن نصّ عليه ، ألاتراه يقول : زنحن الأعلون نسباًوالأشدّون بالرّسول نوطاً ، فجعل الاحتجاج بالنّسب وشدّة القرب ، فلو كان عليه نصّ لقال عوض ذلك : وأناالمنصوص عليّ المخطوب باسمي .

فقال: إنّما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل ، ألا ترى أنّه سأله فقال: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به ، فهو إنّما سأل عن دفعهم عنه وهم أحقّ به من جهة اللّحمة والعترة ، ولم يكن الأسدي يتصوّر النصّ ولايعتقد ولا يخطر بباله ، لأنه لو كان هذا في نفسه لقال له : لم دفعك الناس عن هذا المقام

(١) خوله المال اعطاه اياه متفضلا .

وقد نص عليك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يقل له هذا ، وإنما قال كلاما عاماً لبني هاشم كافة : كيف دفعكم قومكم عن هذا وأنتم أحق به أي باعتبار الهاشمية و القربى ، فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذي تعلّق به الأسدي بعينه تمهيداً للجواب ، فقال: إنما فعلوا ذلك مع أنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من غيرنا لأنهم استأثروا علينا ولوقال له : أنا المنصوص علي المخطوب باسمي في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لما كان قد أجابه ، لأنه ماسأله هل أنت منصوص عليك أم لا ، ولاهل نص رسول الله بالخلافة على أحد أم لا ، و إنما قال : لم دفعكم قومكم عن الأمر و أنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم ، فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلايمه .

وأيضاً فلوأخذ يصرح له بالنص ويعرفه تفاصيل باطن الأمر لنفرعنه واتهمه ولم يقبل قوله ولم يتجذب الى تصديقه فكان أولى الأمور في حكم السياسة و تدبير الناس أن يجيب بما لانفرة منه ولا مطعن عليه فيه انتهى .

أقول : و لله در النقيب العلوي فلقد أجاد فيما أفاد ، ونهج منهج الرشاد ، وراقب العدل والانصاف ، وجانب العصبيّة والاعتساف ، وكشف الظلام عن وجه المرام وأوضح المقام بكلام ليس فوقه كلام ، أودعه من البيان والبرهان مايجلي الغشاوة عن أبصار متأمّليه ، والعمى عن عيون متناوليه ، و بعد ذلك فان كان إذعانه على طبق بيانه فأجزل الله له الجزاء في دارخلده وجنانه ، وإلاّ فليضاعف عليه العذاب في يوم الحساب ، ولكن يبعد جداً مع هذا التحقيق أن يكون معتقده خلاف المذهب الحقّ ، بل الظاهر من الشارح المعتزلي أيضاً حيث نقل هذا التفصيل عن النقيب وسكت مضافاً إلى نظايره الكثيرة في تضاعيف الشرح أنّ معتقده أيضاً ذلك ، و لولا تصريحه في غيرموضع من شرحه بعدم النص في الخلافة لحكمنا بكونه من الفرقة الناجية ، وهو الذي ظنّه بعض أصحابنا في حقّه وقال: إنّ الشارح شيعي المذهب إلاّ أنه سلك في الشرح مسلك أهل السنة من باب الالجاء والتقيّة ، والله العالم بسرائر العباد والمجازي كلاّ ما يستحقّه يوم التناد، نسئل الله العصمة والسداد ، ونعوذ به من الزلل والفساد في المذهب والاعتقاد .

تكملة

قد أشرنا إلى أنّ هذا الكلام مرويّ عنه عليه السلام بطرق عديدة مختلفة أحببت أن أُوردها جرياً على عادتنا المستمرّة فأقول :

قال المفيد (ره) في الارشاد : روي نقلة الآثار أنّ رجلا من بني أسد وقف على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : يا أمير المؤمنين العجب فيكم يا بني هاشم كيف غدل بهذا الأمر عنكم و أنتم الأعلون نسباً وسبباً و نوطاً بالرّسول صلّى الله عليه وآله و فهماً للكتاب ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام · يا ابن دودان إنّك لقلق الوضين ، ضيّق المخرم ترسل غير ذي مسد لك ذمامة الصهر وحقّ المسئلة ، و قد استعلمت فاعلم : كانت اثرة سخت بها نفوس قوم وشحّت عليها نفوس آخرين فدع عنك نهباً صيح في حجراته وهلمّ الخطب في أمر ابن أبي سفيان ، فلقد أضحكني الدّهر بعد إبكائه و لا غرو ، بئس القوم والله من خفضني وهيّنني وحاولوا الادّهان في ذات الله ، و هيهات ذلك منّي و قد جدحوا بيني و بينهم شربا و بيئا ، فان تتحسّر عنّا محن البلوى أحملهم من الحقّ على محضه ، وإن تكن الأخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فلا تأس على القوم الفاسقين .

وفي البحار من علل الشّرايع والأمالي عن الحسين بن عبيدالله العسكري عن إبراهيم بن رعد العبشمي ، عن ثبيت بن محمّد ، عن أبي الأجوص المصري عمّن حدّثه عن آبائه عن أبي محمّد الحسن بن علي عليهما السلام عن جماعة من أهل العلم ، عن الصّادق جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال :

بينا أمير المؤمنين عليه السلام في أصعب موقف بصفين اذ قام إليه رجل من بني دودان فقال : ما بال قومكم دفعوكم عن هذا الأمر و أنتم الأعلون نسباً و اشدّ نوطاً بالرّسول صلّى الله عليه وآله وفهما بالكتاب والسنّة ؟ فقال عليه السلام : سئلت يا أخا بني دودان ولك حقّ المسئلة وذمام الصّهر وإنّك لقلق الوضين ترسل عن ذي مسد انّها إمرة شحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين ، و نعم الحكم الله فدع عنك نهبا صيح في حجراته .

وهلمّ الخطب في ابن أبي سفيان فلقد أضحكني الدّهر بعد إبكائه و لاغزو إلاّ جارتي وسؤالها الاهل لنا أهل سألت كذلك بئس القوم من خفضني وحاولوا الادهان في دين الله ، فان ترفع عنّا محن البلوى أحملهم من الحقّ على محضه ، وإن تكن الأخرى فلا تأس على « عن خل » القوم الفاسقين ، إليك عنّي يا أخا بني سيدان .

بيان

لما في هاتين الرّوايتين من الألفاظ الغريبة التّي لم تكن في رواية السّيد (ره) فأقول :

« دودان » بن أسد بن خزيمة بالضمّ أبو قبيلة فلا ينافي ما في رواية السيّد أنّه كان من بني أسد و « المحزم » بالحاء المهملة وزان منبر والمحزمة كمكنسة و الحزام ككتاب ما حزم به قيل : و يقال للرّجل المضطرب في أمره أنّه قلق الوضين أى مضطرب شاكّ فيه ولعلّ ضيق المحزم كناية عن عدم طرفيتّه(١).

و « المسد » حبل مفتول من ليف محكم الفتل و يقال على نفس اللّيف قال سبحانه : في جيدها حبل من مسد ، فقوله في رواية الارشاد : « ترسل غير ذي مسد » أراد به أنك تطلق عنان كلامك من غير تأمّل ، وقوله في رواية البحار « ترسل عن ذي مسد » أراد به أنّك تطلق حيوانا له مسد ربط به ، فيكون كناية عن التكلّم بماله مانع عن التكلّم به .

و « هينني » أي أهانني واستهان و « حسر » الشيء فانحسر كشفه فانكشف و « امرأة » في رواية الأمالي لعلّه تصحيف امرة بالكسر أي أمارة و قوم « جارة » وجورة أى جائرون و « الادهان » كالمداهنة إظهار خلاف ما تضمر والغشّ .

الترجمة

ازجمله كلام آن امام انامست ببعض أصحاب خود درحالتي كه سؤال كرد ازآن بزرگوارچگونه دفع كردند شمارا قوم شما ازمقام خلافت وحال آنكه شما سزاوار تريدبآن؟ .

پس فرمود أى برادر بني اسد بدرستي كه تو مردى هستي كه پاردم تو

---

(١) بل الصحيح ماقدّمناه وهو المخرم بالخاء المعجمة والراء موضع القلادة من الانف والمعنى واضح .

مضطرب ومتحر كست ، رها ميكني أفسار گفتار خودرا درغيرصواب ، يعني در غير موقع مناسب سؤال مي‌نمائي وباوجود اينكه مرتوراست حرمت‌قرابت‌وحق مسألت وبتحقيق كه توطلب آگاهي نمودي پس بدان وآگاه باش .

أمّا استقلال ايشان برضرر ما بمقام خلافت وحال آنكه مابلندتريم از ايشان از حيثيّت نسب و محكم‌تريم بحضرت رسالت از حيثيّت علاقه و قرب منزلت ، پس جهتش اينست كه بود خلافت چيز مرغوبي بخيلي كرد بآن نفوس خسيسهٔ طائفهٔ ، وسخاوت كرد واعراض نمود ازآن نفوس نفيسهٔ طائفهٔ ديكر ، وحاكم بحق خداى متعالست وبازگشت بسوى او در قيامت است ، وترك بكن از خودت غارتي را كه در أطراف آن صدا بلند شد يعني غارت خلافت را كه پيش از اين ابوبكر و عمر وعثمان غارت كردند .

وبيار امر عظيم را يااينكه بيا بأمرعظيم درخصوص پسر أبوسفيان ملعون ، پس بدرستى كه خندانيد مرا روزگار بد رفتار بعداز گريانذن او ، و هيچ تعجّب نيست قسم بخدا خندانيدن بعداز گريانيدن ، پس بيائيد تعجّب كنيد باين أمر عظيم وعجيب كه فاني كند تعجّب را ، وبسيار مي كند كجروي را ، طلب كردند مخالفان قريش خاموش كردن نور خداوند را ازچراغ او ، و بستن فوارهٔ آن از چشمهٔ آن ، و آميختند ميان من وميان ايشان شربت وبا آورده ، پس اگربرداشته شود از ما واز ايشان محنتهاى بلاها حمل مي كنم ايشأن را از دين حق برخالص آن ، واگر باشد آن حالت ديگرٌ يعني غلبهٔ أهل ضلالت وسلطنت ايشان پس بايد كه هلاك نشود نفس تو بركار ايشان ازجهة حسرتها برضلال ايشان ، بدرستي كه خداوند عالمست بآنچه كهمي كنند والبته جزا خواهد داد برقبايح أعمال ايشان .

و من خطبة له عليه السلام و هى المأة و الثانية و الستون من المختار فى باب الخطب

أَلْحَمْدُ لِلّهِ خالِقِ الْعِبادِ ، وَ ساطِحِ الْمِهادِ ، وَ مُسيلِ الْوِهـادِ ، وَ

مُخَصِّبِ النِّجادِ ، لَيسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِداءٌ ، وَلا لِأَزَلِيَّتِها نقضاءٌ ، هُوَ الأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ ، وَالباقي بِلا أَجَلٍ ، خَرَّتْ لَهُ الجِباهُ ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفاهُ ، حَدَّ الأَشياءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَها إِبانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِها ، لا تُقَدِّرُهُ الأَوْهامُ بِالحُدُودِ وَالحَرَكاتِ ، وَلا بِالجَوارِحِ وَالأَدَواتِ ، لا يُقالُ لَهُ مَتى ، وَلا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتّى ، أَلظّاهِرُ لا يُقالُ مِمّا ، وَالباطِنُ لا يُقالُ فيما ، لا شَبَحٌ فَيَتَقَضّى ، وَلا مَحْجُوبٌ فَيُحْوى ، لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الأَشياءِ بِالْتِصاقٍ ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْها بِافْتِراقٍ ، لا يَخْفى عَلَيْهِ مِنْ عِبادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ ، وَلا كُرُورُ لَفْظَةٍ ، وَلا ازْدِلافُ رَبْوَةٍ ، وَلا انْبِساطُ خَطْوَةٍ ، في لَيْلٍ داجٍ ، وَلا غَسَقٍ ساجٍ ، يَتَفَيَّؤُ عَلَيْهِ القَمَرُ المُنيرُ ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذاتُ النُّورِ ، في الأُفُولِ وَالكُرُورِ ، وَتَقْليبِ الأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ ، مِنْ إِقْبالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَإِدْبارِ نَهارٍ مُدْبِرٍ ، قَبْلَ كُلِّ غايَةٍ وَمُدَّةٍ ، وَكُلِّ إِحْصاءٍ وَعِدَّةٍ ، تَعالى عَمّا يَنْحِلُهُ المُحَدِّدُونَ مِنْ صِفاتِ الأَقْدارِ ، وَنِهاياتِ الأَقْطارِ ، وَتَأَثُّلِ المَساكِنِ ، وَتَمَكُّنِ الأَماكِنِ ، فَالحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ ، لَمْ يَخْلُقِ الأَشياءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ ، وَلا مِنْ أَوائِلَ أَبَدِيَّةٍ ، خَلَقَ ما خَلَقَ فَأَقامَ حَدَّهُ ، وَصَوَّرَ ما صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ ، لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِناعٌ ،

وَلاَ لَهُ بِطاعَةِ شَيْءٍ انْتِفاعٌ ، عِلْمُهُ بِالأَمْواتِ الماضِينَ ، كَعِلْمِهِ بِالأَحْياءِ الباقِينَ ، وَعِلْمُهُ بِما فِي السَّمٰواتِ العُلىٰ ، كَعِلْمِهِ بِما فِي الأَرَضِينَ السُّفْلىٰ .

منها

أَيُّها المَخْلُوقُ السَّوِيُّ ، وَالمُنْشَاءُ المَرْعِيُّ فِي ظُلُماتِ الأَرْحامِ ، وَمُضاعَفاتِ الأَسْتارِ ، بُدِئْتَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ، وَوُضِعْتَ فِي قَرارٍ مَكِينٍ ، إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ ، تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً ، لا تُحِيرُ دُعاءً ، وَلاَ تَسْمَعُ نِداءً ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلىٰ دارٍ لَمْ تَشْهَدْها وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنافِعِها ، فَمَنْ هَداكَ لاجْتِرارِ الغِذاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ ، وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الحاجَةِ مَواضِعَ طَلَبِكَ وَإِرادَتِكَ ، هَيْهاتَ إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفاتِ ذِي الهَيْئَةِ وَالأَدَواتِ ، فَهُوَ مِنْ صِفاتِ خالِقِهِ أَعْجَزُ ، وَمِنْ تَناوُلِهِ بِحُدُودِ المَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ .

اللغة

(المهاد) بالكسر الفراش و الجمع مهد ككتاب و كتب و (سال) الماء سيلا و سيلاناً إذا طغا و جرى وأسلته اسالة أجريته و (الوهاد) جمع و هدة و هي الأرض المنخفضة و (النجد) الأرض المرتفعة والجمع أنجاد ونجاد ونجود و (شخص) الرّجل ببصره إذا فتح عينيه لايطرف و (ازدلف) وتزلف أى تقدّم واقترب والمزدلفة موضع بين عرفات و منى سمّى بها لأنّه يتقرّب فيها إلى الله أو لاقتراب النّاس إلى منى بعد الافاضة أو لمجيء النّاس إليها في زلف من اللّيل .

و (الرّبوة) بضمّ الرّاء و كسرها و الفتح لغة بنى تميم المكان المرتفع

و (الغسق) محركة الظلام أو ظلمة أوّل الليل و (تفيّاء) الظلّ تقلّب ورجع من جانب إلى جانب قال سبحانه : « يتفيّؤ ظلاله » و (عقبت) زيداً عقبا من باب قتل و عقوباً و عقّبته بالتشديد جئت بعده ، و منه سمّي رسول الله صلى الله عليه وآله العاقب لأنّه عقب من كان قبله من الأنبياء أي جاء بعدهم ، وتعقبه الشّمس مضارع عقب بالتخفيف ويروى يعقّبه مضارع عقّب بالتضعيف وفي نسخة الشارح المعتزلي تعقّبه قال الشارح أي تتعقّبه فحذف إحدى التائين كما قال سبحانه : « الّذين توفّاهم الملائكة » و (تأثّل) المال اكتسبه و (أحار) جوابا يحيره ردّه .

الاعراب

من في قوله : من عباده ، ابتدائية ، و قوله : في ليل، متعلّق بقوله: يخفى ، أو بالشخوص ، والكرور والازدلاف والانبساط على سبيل التنازع والثاني أظهر وأولى كما لا يخفى ، وقوله : في الافول والكرور ، ظرف لغو متعلّق بتعقب ، وقال الشارح المعتزلي : ظرف مستقرّ في موضع نصب على الحال ، أي و تعقبه كارّا وآفلا ومن في قوله : من اقبال ، بيان التّقليب .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة مسوقة للثناء على الله سبحانه وتعظيمه وتمجيده بجملة من نعوت جماله وصفات جلاله .

قال الشارح المعتزلي : اعلم أنّ هذا الفنّ هو الّذي بان به أمير المؤمنين عليه السلام عن العرب في زمانه قاطبة ، واستحقّ به الفضل والتقدّم عليهم أجمعين ، وذلك لأنّ الخاصّة التي يتميّز بها الانسان عن البهايم هى العقل و العلم ، ألا ترى أنّه يشاركه غيره من الحيوانات في اللّحميّة و الدّمويّة و القوّة و القدرة و الحركة الكاينة على سبيل الارادة و الاختيار ، فليس الامتياز إلاّ بالقوّة الناطقة أى العاقلة العالمة ، فكلّما كان الانسان أكثر حظّاً منها كانت انسانيّته أتمّ .

و معلوم أنّ هذا الرّجل انفرد بهذا الفنّ وهو أشرف العلوم ، لأنّ معلومه أشرف المعلومات ، و لم ينقل عن أحد من العرب غيره في هذا الفنّ حرف واحد

و لا كانت أذهانهم يصل إلى هذا ولايفهمونه ، فهو بهذا الفنّ منفرد و بغيره من الفنون و هى العلوم الشرعية مشارك لهم و أرجح عليهم ، فكان أكمل منهم ، لأنا قد بيّنا أنّ الأعلم أدخل في صورة الانسانية ، وهذا هو معنى الأفضليّة انتهى .

أقول : قد مرّ غير مرّة أنه بعد الاعتراف والاذعان بكونه عليه السلام أفضل وأكمل من غيره كيف يجوز تقديم غيره عليه ؟ و بعد الاقرار باختصاص العلم الالهي به عليه السلام وباشتراكه مع غيره ورجحانه عليهم في ساير العلوم كيف يسوّغ القول بحقية امامة غيره ؟ والحال أنّ ترجيح المرجوح على الرّاجح قبيح عقلا على أصول العدليّة فضلا عن النقل قال تعالى :

« قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ » وقال أيضاً : « أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدَى » .

فياعجباً عجباً يقوم بالخلافة من لايعرف معنى عنبا و أبّاً ، ويعتزل في جنح بيته من عنده علم الكتاب وله الفضل على غيره من كلّ باب و إلى الله الشكوى من دهر يربي الجهل و الضلال ، و يمحق الفضل و الكمال فلنرجع إلى شرح كلامه فأقول :

إنّه حمد الله سبحانه وأثنى عليه بأوصاف كمالية فقال (الحمد لله خالق العباد) أى الملائكة والانس والجنّ وتخصيصهم من ساير المخلوقات بالذكر مع أنه خالق كلّ شيء تشرّفهم بشرف التكليف (وساطح المهاد) أى جعل الأرض فراشاً وبساطاً للناس وسطحها على الماء بقدرته الكاملة ورحمته السابغة ، وفي ذلك من دلائل القدرة وآثار الكبرياء والعظمة ما لايحصى ، ومن الفوائد التامة والعوائد العامة التي للناس مالايستقصى حسبما مرّت الاشارة إليها في شرح الفصل السادس من الخطبة التسعين المعروفه بالأشباح .

(ومسيل الوهاد و مخصب النّجاد) أى مجرى للسّيل في الأراضي المنخفضة وجاعل المرتفعة ذوات خصب ورفاه ليكمل معاش الانسان والدوابّ بما أنبت فيها

من الحبّ والنّبات والفواكه والجنات.

(ليس لأوّليّته ابتداء ولا لأزليّته انقضاء) لأنّه تعالى واجب الوجود لذاته فلو كان لكونه أوّلا للأشياء حدّ تقف عنده أوّليته وتنتهي به لكان محدثاً ولا شيء من المحدث بواجب الوجود، لأنّ المحدث ماكان مسبوقاً بالعدم وواجب الوجود يستحيل عليه العدم أي ذاته لا يقبل العدم، ومن ذلك علم أيضاً أنّه ليس لأزليّته انقضاء إذ كلّ ماثبت قدمه امتنع عدمه، والأزليّة عبارة عن القدم، وربّما يفسّر بأنّها المصاحبة لجميع الثّابتات المستمرّة الوجود في الزّمان.

(هو الأوّل لم يزل والباقي بلا أجل) وغاية وهاتان الجملتان مؤكّدتان لسابقتيهما يعني أنّه سبحانه لم يزل ولايزال إذ وجوده أصل الحقيقة وذاته عين البقاء، وهو الأوّل والآخر لأنّه مبدء كلّ شيء وغايته لاأوّل لأوّليّته ولاغاية لبقائه

(خرّت له الجباه ووحّدته الشّفاه) أي سقطت الجباه ساجدة له، ونطقت الشّفاه بتوحيده لكمال الوهيّته وعظمته واستحقاقه للعبوديّة واختصاصه بالفردانيّة (حدّ الأشياء عند خلقه لها إبانة له من شبهها) وإبانة لها من شبهه وقد تقدّم توضيح ذلك وتحقيقه في شرح الخطبة المأة والثانية والخمسين فليراجع ثمّة.

(لاتقدّره الأوهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والأدوات) لمّا كان شأن الوهم بالنّسبة إلى مدركاته أن يدركها بحدّ أو حركة أو جارحة أو أداة، وكان الله سبحانه منزّها عنها كلّها، لكونها من عوارض الأجسام، صحّ بذلك سلب إدراك الأوهام وتقديرها أي تعيينها وتشخيصها له تعالى، وقد قال الباقر عليه السلام كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مصنوع مثلكم مردود إليكم، وقد مرّ في شرح الفصل الثّاني من الخطبة الأولى توضيح هذا المعنى.

(ولا يقال له متى ولا يضرب له أمد بحتّى) وقد تقدّم تحقيق ذلك أيضاً هنالك، فليراجع إليه.

(الظّاهر لا يقال ممّا والباطن لا يقال فيما) يعني أنّ اتّصافه بالظهور والبطون ليس بالمعنى المتبادر منهما في غيره، فانّ المتبادر من ظهور الأجسام

كونها ظاهرة بارزة من مادّة وأصل، ومن بطونها اختفائها في حيّز و مكان، والله سبحانه منزّه عن ذلك، بل اطلاق الظّاهر والباطن عليه واتّصافه تعالى بهما باعتبار آخر عرفته تفصيلا في شرح الخطبة الرّابعة والستّين.

(لا شبح فيتقضّى و لا محجوب فيحوى) أي ليس بجسم و شخص فيتطرّق إليه الفناء و الانقضاء، و لا مستور بحجاب جسمانيّ حتّى يكون الحجاب حاويا له و ساتراً.

(لم يقرب من الأشياء بالتصاق و لم يبعد عنها بافتراق) إشارة إلى أنّ قربه وبعده بالنسبة إلى الأشياء ليس على نحو الالتصاق والافتراق كما هو المتصوّر في الأجسام، بل على وجه آخر تقدّم تحقيقه في شرح الفصل الخامس و السادس من الخطبة الأولى، وفي شرح الخطبة التاسعة والأربعين.

(لا يخفى عليه) سبحانه شيء من مخلوقاته، بل هو عالم بها كليّاتها و جزئيّاتها، ذواتها و ماهيّاتها، عوارضها و كيفيّاتها، و صفاتها وحالاتها، فلا يعزب عنه (من عباده شخوص لحظة) أي مدّ البصر من دون حركة جفن (ولا كرور لفظة) أي رجوعها واعادتها (ولا ازدلاف ربوة) الظّاهر أنّ المراد مجيء انسان إليها في زلف من اللّيل أو تقدّمهم أي صعودهم إليها.

قال الشّارح البحراني: ازدلاف الرّبوة تقدّمها وأراد الرّبوة المتقدّمة أي في النّظر والبادية عند مدّ العين، فانّ الرّبى أوّل ما يقع في العين من الارض انتهى وهو تفسير بارد سخيف، والمتبادر ماقلناه مضافاً إلى أنّ سوق كلام المفيد لكون الشّخوص و الكرور و الانبساط في قوله (ولا انبساط خطوة) صفة للعباد كون الازدلاف أيضاً من صفاتهم لا من صفات نفس الرّبوة كما هو مقتضى تفسير الشّارح على أنّ غرض أميرالمؤمنين عليه السلام من تعداد هذه الصّفات الاشارة إلى خفايا أوصاف العباد وحالاتهم، وتقدّم الرّبوة في النظر ليس شيئا مخفيّا فافهم(١)

(١) اشارة الى أنّ عدم خفاء تقدّم الربوة فى الناظر بالنسبة الى نفس الناظر، وأما ادراك غير الناظر لذلك التقدم فلا، بل هو أخفى شىء بالنسبة اليه كما لايخفى. منه ره.

وبالجملة فالمقصود بذلك كلّه تمجيدالله باعتبار إحاطة علمه وعدم خفاء شيء من هذه الأمور عليه سبحانه (في ليل داج) ظلماني (ولا غسق ساج) ساكن كما يخفى فيهما على غيره تعالى ، وذلك لأنّ معرفة غيره تعالى بهذه الأشياء من العباد و إدراكه لها إنّما هو بواسطة آلات جسمانيّة كالباصرة (١) والسامعة و نحوها ، وأقويها الباصرة ، والظلمة مانعة عن ادراكها البتّة ، وأمّاالله الحيّ القيّوم فلايتفاوت علمه بالنسبة إلى نهار وليل ، وشهادة وغيب بل يعلم السرّ وأخفى

«وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاّ هُوَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّ يَعْلَمُها وَ لا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاّ في كِتابٍ مُبِينٍ» .

(يتفيّاء عليه القمر المنير) أي يتقلّب على الغسق القمر المنير ذاهباً و جائياً في حالتي أخذه في الضوء إلى التبدّر و أخذه في النقص إلى المحاق (وتعقبه) أي القمر (الشمس ذات النور) أي تعاقبه (في الأفول والكرور) يعني أنّها تطلع عند أفوله و يطلع عند أفولها (وتقليب الأزمنة و الدهور من إقبال ليل مقبل وإدبار نهار مدبر) أي أنّهما يتعاقبان ويجيء أحدهما بعد الآخر و يقلّبان الأزمان ويجعلان اللّيل نهاراً والنّهار ليلا .

ثمّ عاد إلى وصفه سبحانه أيضاً بقوله (قبل كلّ غاية و مدّة و كلّ إحصاء وعدّة) لأنّه سبحانه خالق الكلّ وموجده ومبدئه فوجب تقدّمه وقبليّته عليه جميعا (تعالى) و تقدّس (عمّا ينحله) ويعطيه (المحدّدون) الجاعلون له حدوداً من المشبّهة والمجسّمة (من صفات الأقدار) أي المقادير (ونهايات الأقطار) طولا وعرضاً وصغراً للجسم و كبراً (وتأثّل المساكن وتمكّن الأماكن) أي اكتساب

(١) ادراك الباصرة بالنسبة الى شخوص اللحظة وازدلاف الربوة وانبساط الخطوة ، وادراك السامعة بالنسبة الى كرور اللفظة ، و يمكن ادراك بعضها باللاّمسة أيضا في الجملة كما لا يخفى واليه أشرنا بقولنا ونحوها ، منه رحمه الله .

المساكن واستقرار الأحياز و نحوها ممّا هومن صفات المخلوقات المنزّه المتعالى عنها خالق الأرض والسماوات تنزّهاً ذاتياً وعلوّاً كبيراً .

(فالحدّ لخلقه مضروب وإلى غيره منسوب) يعني أنه سبحانه جاعل الحدود والنهايات ومبدئها وموجدها فأبدئها وضربها لمخلوقاته و أضافها إلى مبدعاته وجعل لكلّ منها حداً معيّناً و قدراً معلوماً ، فهي أوصاف للممكنات و حضرة القدس مبرّأة عنها.

روى في الكافي عن سهل بن زياد عن بشر بن بشّار النيشابوري قال : كتبت إلى الرّجل أنّ من قبلنا قد اختلفوا في التّوحيد فمنهم من يقول إنّه جسم ومنهم من يقول إنّه صورة ، فكتب عليه السلام سبحان من لا يحدّ و لا يوصف و لا يشبهه شيء وليس كمثله شيء وهوالسّميع البصير .

(لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة ولامن أوائل أبديّة) قال العلاّمة المجلسيّ ردّ على الفلاسفة القائلين بالعقول والهيولى القديمة .

وقال الشّارح المعتزلي : الردّ في هذا على أصحاب الهيولى والطّينة الّتي يزعمون قدمها وقيل : إنّ معناه ليس لماخلق أصل أزليّ أبديّ خلق منه من مادّة وصورة كما زعمت الفلاسفة .

وقال الشّارح البحراني : إنّه لم يخلق ما خلق على مثال سبق يكون أصلا.

ومحصّل ما ذكروه أنّ خلقه للأشياء على محض الابداع و الاختراع و أن لامبدء لصنعه إلاّ ذاته ، إذ لو كان خلقه لها مسبوقا بمادّة أو مثال فان كانا قديمين لزم تعدّد القدماء ، وإلاّ لزم التسلسل في الأمثلة والموادّ .

وأوضح هذا المعنى بقوله (بل خلق ماخلق فأقام حدّه وصوّر ماصوّر فأحسن صورته) يعني أنّه المخترع لاقامة حدود الأشياء على ما هي عليها من المقادير والاشكال والنهايات والآجال و الغايات على أبلغ نظام . ومصوّرها على أحسن اتقان وإحكام (ليس لشيء منه امتناع) لعموم قدرته و غاية قهره وقوّته (و لا له بطاعة شيء انتفاع) إذ هو الغنيّ المطلق عمّا عداه و المتعالى عن الافتقار إلى ماسواه ،

فلو كان منتفعا بطاعة مخلوقاته لزم أن يكون مستكملا بغيره فاقداً للكمال بذاته.

وهو أيضاً (علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين) لأنّه لايتفاوت علمه بالنّسبة إلى الحاضرين الموجودين والغائبين المعدومين كمايتفاوت في حقّنا وذلك لأنّ علمنا بالأشياء من الأشياء كما أنا نعلم قبل وجود زيد أنّ زيداً معدوم، فاذا وجد نعلم أنّه موجود ثمّ إذا عدم بعد وجوده نعلم أنّه كان موجوداً فقد تغيّر علمنا بتغيّر المعلوم وحصل التّفاوت بين الحالين ومنشأ ذلك أنّ علمنا زماني لأنه مستفاد من الموجودات و أحوالها وأمّا الله الحيّ القيّوم فهو إنّما يعلم كلّ شيء جزئيّ أو كلّي من ذاته ولايجوز أن يكون يعلم الأشياء من الأشياء، وإلاّ يلزم أن يستفيد علمه من غيره ويكون لولا امور من خارج لم يكن عالما فيكون لغيره تأثير في ذاته، والاُصول الالهيّة تبطل ذلك مضافا إلى استلزامه التّغيّر في ذاته بتغيّر معلوماته.

(و) من ذلك علم أيضا أنّ (علمه بما في السّماوات العلى كعلمه بما في الأرضين السّفلى) من دون تفاوت بينهما و أمّا غيره تعالى من أهل الأرض فعلمهم بما في الأرضين أقوى من علمهم بما في السّماوات، كما أنّ أهل السّماوات أعلم بها من أهل الأرض، ومنشأ ذلك التّفاوت تفاوت الأمكنة كما أنّ منشأ التفاوت فيما سبق تفاوت الأزمنة قربا وبعداً.

و بالجملة لما كان نسبة ذات الباري إلى جميع أجزاء الزّمان و الزّمانيّات وجميع أصقاع المكان والمكانيّات على حدّ سواء ،كان علمه بالنسبة إلى الجميع كذلك

ثمّ خاطب الانسان بمافيه من بدايع الصّنع وعجايب الابداع ليتخلّص منه إلى عظمة المبدع سبحانه وكمال قدرته وجلاله فقال (أيّها المخلوق السّوى) أى مستقيم القامة معتدل الخلقة (والمنشاء المرعى) المحفوظ (في ظلمات الأرحام ومضاعفات الأستار) العطف كالتفسير والمراد بها ما اشير إليه في قوله: «يخلقكم في بطون اُمّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلث» أى ظلمة البطن و الرّحم، والمشيمة أو الصّلب والرّحم والبطن والأوّل مرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.

(بدئت من سلالة من طين و وضعت في قرار مكين) قال الشّارح المعتزلي

الكلام الأوّل لآدم الّذي هو أصل البشر ، والثاني لذرّيته .

أقول : بل كلاهما لذرّيته كما عرفته في شرح الفصل السّابع من فصول الخطبة الثّانية و الثّمانين ، والمراد بالقرار المكين الرّحم متمكّنة في موضعها برباطاتها ، لأنّها لو كانت متحرّكة لتعذّر العلوق أي وضعت في الرّحم منتهيا (إلى قدر معلوم وأجل مقسوم) قال الشّارح المعتزلي : أى مقدار معلوم طوله وشكله إلى أجل مقسوم مدّة حياته .

أقول : بل الظّاهر أنّ المراد بالأجل المقسوم هو المدّة المضروبة لبقائه في الرّحم من سبعة أشهر أو تسعة و نحوهما ، و بالقدر المعلوم هو صغر حجمه و كبره ومقدار قطره طولا وعرضا إذ كان جنينا في بطن أمّه ، لا الحياة المقسوم له في الدّنيا و مقداره المعلوم فيها كما زعمه الشّارح لأنّه ﷺ لم ينتقل بعد إلى بيان نشائته الدّنياويّة كما يؤمى إليه قوله (تمور في بطن أمّك جنينا) أى تضطرب وتتحرّك فيه (لاتحير دعاء و لاتسمع نداء) أى لاتقدر على أن تردّ جوابا لدعوة من دعاك ، وعلى محاورته كما لا تقدر على سماع ندائه .

(ثمّ أخرجت من مقرّك) أى القرار المكين (إلى دار لم تشهدها) أى الدّار الّتي لم تكن شاهدتها قبل خروجك إليها (و لم تعرف سبل منافعها) ثمّ اهتديت إليها.

(فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدى أمّك) ولالتقام حلمة الثدي وامتصاصها (وعرّفك عند الحاجة مواضع طلبك و إرادتك) ومعلوم أنّ الهادي للاجترار والمعرّف لمحالّ الطلب ليس إلاّ الله سبحانه ، فالغرض من الاستفهام التّنبيه على وجود الخالق الهادي إلى المطالب ، والمرشد إلى المآرب ، وهذا القدر من العلم بالصّانع ضروريّ في النّفوس وإن احتاج إلى أدنى تنبيه وما وراء ذلك بمعنى صفات الكمال و نعوت الجلال أمور لاتطّلع عليها العقول البشريّة بالكنه .

وإليه أشار بقوله (هيهات)أي بعد الوصول إلى كنه معرفة الخالق والغور في تيّار بحار جلاله و كبريائه ف(انّ من يعجز عن) معرفة (صفات) نفسه في حال

تخليقه والاطّلاع على منافع أجزائه و أعضائه ومعرفة من هو مثله من ساير (ذي الهيئة والادوات) و الجوارح و الآلات مع كونها محسوسة مشاهدة له (فهو عن) معرفة (صفات خالقه) التّي هي أبعد الأشياء مناسبة له (أعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين) وإدراكه له سبحانه بالمقايسة إليهم والتشبيه بهم (أبعد) كماهوظاهر بالعيان ، غنيّ عن البيّنة والبرهان .

الترجمة

از جمله خطب شريفهٔ آن حضرتست درحمد وثناى خداوند ذوالجلال ووصف او با صفات عز و كمال‌مى‌فرمايد:

حمد و ستايش معبود بحقّى را سزاست كه خالق بندگانست و گسترانندهٔ زمين ، و روان كنندهٔ زمينهاى نشيب است بباران ، و فراخ سالى دهندهٔ زمينهاى بلند است برويانيدن گياهان ، نيست أوّليت اورا ابتدائى ، ونه ازليّت اورا نهايت و انتهائي ، او است أوّل بى زوال ، و باقى بى غايت ، افتادند از براى سجدهٔ او پيشانيهاى مكلّفان ، و بتوحيد اومشغول شد لبهاى پيران وجوانان ، حدّ معيّني قرارداد همه‌أشياء را هنگام آفريدن آنهابجهة ابداء مباينة وجدائى خوداز‌مشابهت آنها ، تقديروتشخيص نميتواند بكند اورا وهمها بنهايتها وحركتها ، ونه بعضوها وآلتها ، گفته نمى‌شود كه اوازكيست بجهة تنزّه او ازاحاطهٔ زمان ، وزده نميشود ازبراى او مدّتي بكلمه حتّى كه افادهٔ انقضاء وانتها مى‌نمايد ، ظاهر است گفته نميشود ازچه ظاهرشد بجهت‌اينكه منزّه‌هست از مادّه و امكان ، و پنهانست گفته نميشود كه درچه پنهانست بجهة اينكه مبرّا است از مكان ، نه جثّه و جسمى است كه فانى ومنقضى بشود ، ونه مستور است ومحجوب كه چيزى براو احاطه نمايد نزديك نيست بأشياء بچسبيدن ، ودورنيست ازآنهابجدا شدن ، پنهان‌نمى‌ماند براو ازبندگان مدّ بصرى ، و نــه مكرّر كردن لفظى و خبرى ، ونه بلند شدن ايشان به پشتهٔ كوهى ، و نه گستردن گامى در شب تاريك ، و نه در ظلمت برقرار كه برمى گردد بآن ظلمت وتاريكى‌ماه نوربخش ودرعقب ماه مى‌آيدآفتاب صاحب نور

درغروب ورجوع ، ودر بر گردانیدن آن زمانها و روزگارها که عبارتست از اقبال کردن شب اقبال کننده ، وازادبار نمودن روزادبارنماینده ، موجود است پروردگار عالم پیش از هر نهایتی و مدّتی ، وقبل ازهرشمردني وتعدادی ، منزّه‌ست از آنچه که بخش می کنند باو تحدید کنندگان او ازصفتهای مقدارها ، وازجوانب قطرها واز کسب نمودن مسکنها ، و تمکّن یافتن وطنها ، پس حدّ ونهایت مرخلق او را زده شده و بسوی غیر اونسبت داده شده ، نیافرید چیزها را از أصلهائی که ازلی باشد ، و نـه از اوّلهائی که ابدی باشد ، بلکه آفرید آنچه که آفرید پس برپا داشت حدّ آنرا ، وتصویر نمود آنچه که تصویر فرمود پس نیکو گردانید صورت آنرا ، نیست هیچ چیزرا از امر اوامتناعی ، ونیست مراورا بطاعت چیزی انتفاعی علم او برمردگان گذشتگان مثل علم اواست برزندگان باقی ماندگان ، واحاطه او بآن چیزی که درآسمانهای بلندها است مثل احاطهٔ او است بچیزهائی که در زمینهای پستهاست .

ازجملهٔ فقرات این خطبه است می‌فرماید :

أی مخلوقی که مستوی الأعضا است و ایجاد شدهٔ که محفوظ بوده است درظلمتهای رحمها ودرپردهای متضاعفه ، ابتدا کرده شدی ازخلاصهٔ گل ، و نهاده شدی درقرار محکم تااندازهٔ معلوم ومدّت قسمت کرده شده درحالتی که مضطرب بودی درشکم مادرخود درحالت بچگی که نمی‌توانستي جواب بدهی دعوت کننده را ، ونمی‌توانستی‌بشنوی طلب نماینده را ، پس ازآن بیرون آورده شدی ازقرارگاه خودت بسوی خانهٔ که ندیده بودی آن را ، ونه شناخته بودی راههای منافع آنرا پس که هدایت نمود ترا به کشیدن‌غذا ازپستان‌مادرت ؟ و شناساند تو را هنگام احتیاج‌تو مواضع‌طلب تو واراده تورا؟ خیلی دوراست معرفت‌ذات او ازجهت اینکه کسی که عاجز بشود ازمعرفت صفات صاحب صورت وأعضا ، پس ازمعرفت صفات آفرینندهٔ خود عاجزتراست ، وازادراك ذات او بحدود ونهایاتي که مخلوقات راست دورتر ومهجورتر .

ومن كلام له عليه السلام وهو المأة والثالث والستون من المختار في باب الخطب

وقد رواه في شرح المعتزلي عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري مثل ما أورده السيد هنا مع إضافات تطلع عليه، وقد تكلم بذلك الكلام لما اجتمع الناس عليه وشكوا مما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل عليه السلام عليه فقال:

إِنَّ النَّاسَ وَرائي وَقَدِ اسْتَسْفَرُوني بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللهِ ما أَدْري ما أَقُولُ لَكَ، ما أَعرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلا أَدُلُّكَ عَلى أَمْرٍ لا تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نَعْلَمُ، ما سَبَقْناكَ إِلى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلا خَلَوْنا فَنُبَلِّغَكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَما رَأَيْنا، وَسَمِعْتَ كَما سَمِعْنا وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كَما صَحِبْنا، وَما ابْنُ أَبي قُحافَةَ وَلا ابْنُ الْخَطّابِ أَوْلى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَشيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُما، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ ما لَمْ يَنالا، فَاللهَ اللهَ في نَفْسِكَ فَإِنَّكَ وَاللهِ ما تُبَصَّرُ مِنْ عَمًى، وَلا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإِنَّ الطُّرُقَ لَواضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلامَ الدّينِ لَقائِمَةٌ، فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ إِمامٌ عادِلٌ هُدِيَ وَهَدى، فَأَقامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَماتَ بِدْعَةً

مَجْهُولَةٌ، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً وَأَحْيَى بِدْعَةً مَتْرُوكَةً.

وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا.

وَإِنِّي أَنْشُدُكَ أَنْ تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً، فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ.

فقال له عثمان: كلّم النّاس في أن يؤجلوني حتّى أخرج إليهم من مظالمهم، فقال عليه السلام:

ما كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ.

اللغة

(نقمت) عليه أمره و نقمت منه نقماً من باب ضرب و نقوماً ومن باب تعب لغة إذا عتبته و كرهته أشدّ الكراهة لسوء فعله و (الاستعتاب) طلب العتبى و هو الرّضا والرّجوع و (الوشيجة) عرق الشّجرة و الواشجة الرّحم المشتبكة و قد وشجت بك قرابة فلان ، والاسم الوشيج كما عن الصّحاح و (يرتبط) أى يشدّ وعن بعض النسخ يرتبك بدلها أى ينشب و (يلبّس) اُمورها من التلبيس وفي بعض النّسخ تلبس اُمورها من اللّبس بالضمّ وهو الاشكال و (مرج) أمره اختلط واضطرب ومنه الهرج و المرج و (السيّقة) بتشديد الياء المكسورة ما استاقه العدوّ من الدّواب و (جلّ) يجلّ جلالة و جلالا أسنّ .

الاعراب

الواو في قوله : و أنت أقرب ، للحال و تحتمل العطف ، و الجملة في معنى التّعليل لسابقه كما هو ظاهر ، ووشيجة رحم منسوب على التّميز ، والله الله منصوبان على التحذير ، وجملة يموجون فيها اه تأكيد معنوىّ لسابقتها ولذلك ترك العاطف والفاء في قوله : فلا تكوننّ ، فصيحة .

المعنى

اعلم أنّه قد تقدّم في شرح الفصل الرّابع من الخطبة الثالثة والتّذييل الثّاني من شرح الكلام الثّالث و الأربعين أنّ عثمان أحدث في الدّين أحداثا ، و أبدع بدعاء، واستعمل الفسّاق وأرباب الظلم على الأمصار ، وتقدّم في شرح الكلام الثّلاثين أنّه لمّا شاع الظلم والفساد منه ومن عمّاله في المدينة وساير البلاد أوجب ذلك إجلاب النّاس عليه وتحريض بعضهم بعضا على خلعه من الخلافة وقتله

و أقول هنا : إنّه لمّا تكاثرت أحداثه و تكاثر طمع الناس فيه كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة و غيرهم إلى من بالآفاق إنكم كنتم تريدون الجهاد فهلمّوا إلينا فانّ دين محمّد قد أفسده خليفتكم فاخلعوه ، فاختلف إليه القلوب وجاء المصريّون وغيرهم إلى المدينة فاجتمعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام و كلّموه وسألوه أن يكلّم عثمان .

و(لما اجتمع الناس اليه وشكوا ممّا نقموه)و كرهوه (على عثمان وسألوا) منه عليه السلام (مخاطبته عنهم واستعتابه لهم) أى أن يطلب لهم منه الرّجوع إلى الحقّ و الارتداع عن أحداثه والاقلاع عن بدعه ، استجاب عليه السلام مسئلتهم (فدخل عليه)و كلّمه بما أورده السيد (ره) في الكتاب .

و قد رواه عنه عليه السلام أيضاً محمّد بن جرير الطبري في تاريخه الكبير كما في شرح المعتزلي قال : إنّ نفراً من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله تكاتبوا فكتب بعضهم إلى بعض أن اقدموا فانّ الجهاد بالمدينة لا بالرّوم ، فاستطال الناس على عثمان ونالوا منه في سنة أربع وثلاثين ولم يكن أحد من الصحابة يذبّ عنه ولا ينهى إلاّ نفر منهم زيد بن ثابت وأبو أسيد الساعدي و كعب بن مالك وحسّان بن ثابت ، فاجتمع الناس فكلّموا عليّ بن أبي طالب وسألوه أن يكلّم عثمان فدخل عليه (فقال عليه السلام) له:

(إنّ الناس ورائى وقد استسفروني) أى اتّخذوني سفيراً (بينك وبينهم ووالله ما أدرى ما أقول لك) و بأىّ لسان أتكلّم معك يؤثّر فيك (ما أعرف شيئا تجهله ولا أدلّك على أمر لا تعرفه) يعني أنّ قبايح هذه الأعمال وفضايح تلك البدعات ليست بحيث تختفي على أحد ، بل هى واضحة للصبيان غنيّة عن التنبيه والبيان .

و هذا هو مراده أيضاً بقوله (إنك لتعلم ما نعلم) أى تعلم من شناعة تلك الأحداث خاصّة ما نعلمه ، وليس المراد بيان وفور علمه وأنه يعلم كلّما يعلمه عليه السلام كما توهّمه البحراني حيث قال : و حاصل الكلام استعتابه باللّين من القول فأثبت له منزلته من العلم أى بأحكام الشريعة و السنن المتداولة بينهم في زمان الرّسول صلّى الله عليه وآله والظهور على كلّ ماظهر عليه من مرئيّ ومسموع .

(وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلّغكه) يعني أنك قد أدركت من صحبة الرّسول ما أدركناه ، وعرفت من سيره وسلوكه وسياساته المدنيّة ماعرفناه ، لم نكن منفردين بذلك ، و لم تكن غايباً عن شيء منه حتى نبلّغكه وندلّك عليه .

وأكّد ذلك بقوله (وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله صلّى الله عليه وآله كما صحبنا) ثمّ خرج إلى ذكر الشيخين تهييجاً له والهاباً فقال (وما) أبو بكر (ابن أبي قحافة و لا) عمر (ابن الخطاب بأولى بعمل الخير) و في بعض النسخ بعمل الحقّ (منك و) ذلك لأنك (أنت أقرب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وشيجة رحم منهما) أي من حيث النسب فأنت أولى بالتأسّي به من غيره والأخذ بسنّته صلّى الله عليه وآله و سيرته .

وإنّما جعله أقرب نسباً لاشتراكه مع رسول الله صلّى الله عليه وآله في الجدّ الأدنى أعني عبد مناف ، فانّ رسول الله صلّى الله عليه وآله هو ابن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وعثمان هو ابن عفّان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف .

وأمّا هما فيشتركان معه صلّى الله عليه وآله في الجدّ الأعلى أعني كعب بن لوى ، فانّ عبد مناف هو ابن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب ، وأبابكر بن أبي قحافة: عثمان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب، وعمر بن الخطّاب: ابن نفيل ابن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن زراح بن عديّ بن كعب ، هذا .

ولا يخفى عليك أنّ تشريك الثلاثة مع النبيّ صلّى الله عليه وآله في النسب إنّما هو بحسب الظاهر و من باب المماشاة و جريا بما هو المعروف عند الناس ، و إلاّ فقد علمت في شرح الفصل الثاني من الخطبة الثّالثة الطعن في نسب عمر ، وفي شرح الكلام السادس والسبعين الطّعن في نسب عثمان وسَاير بني أُميّة فتذكّر .

ثمّ أثبت له القرب بالمصاهرة فقال (وقد نلت من صهره صلّى الله عليه وآله ما لم ينالا) لأنّه قد تزوّج رقيّة بنت النبيّ صلّى الله عليه وآله وبعد موتها عقد على بنته الأُخرى أمّ كلثوم ، ولذلك لقّب عند العامة بذى النورين، وأما عند أصحابنا فظلمه في حقهما مشهور والأخبار بذلك عن طريق أهل البيت مأثور .

قال المحدّث الجزائري : إنّ طوايف العامّة والخاصّة رووا أنّ عثمان قد ضرب رقية زوجته ضرباً مبرحاً أي مؤلماً حتى أثرت السياط في بدنها على غير جناية تستحقّها ولما أتت النبيّ صلّى الله عليه وآله شاكية تكلّم عليها ، وقال صلّى الله عليه وآله : لايليق بالمرئة أن تشكو

من زوجها وأمرها بالرّجوع إلى منزله ، ثمّ كرّر عليه الضرب فأتت النبي صلى الله عليه وآله ثم ردّها ، ثمّ ضربها الضرب الذي كان السبب في موتها فأمر النبي صلى الله عليه وآله علياً رضي الله عنه أن يخرجها من منزل عثمان فأتى بها إلى بيت النبي صلى الله عليه وآله وماتت فيه .

ثمّ حذّره عليه السلام من الله سبحانه وخوّفه من عقابه فقال (فالله الله في) شأن (نفسك فانك والله ماتبصّر من عمى و لا تعلّم من جهل) أى لا تحتاج إلى التبصرة والتعليم (و) الحال (أنّ الطرق) أى طرق الشرع المبين (لواضحة و أنّ أعلام الدّين لقائمة) والاتيان بالجملات مؤكّدة بانّ واللاّم وغيرهما لعدم جرى المخاطب بمقتضى علمه .

ولذلك شدّد التأكيد بالتنبيه على فضل الامام العادل على الامام الجائر تنفيراً له عن الجور وترغيبا إلى العدل فقال (فاعلم أنّ أفضل عباد الله إمام عادل هدي) بنور الحقّ (و هدى) غيره كما قال سبحانه : «وممن خلقنا أُمّة يهدون بالحقّ وبه يعدلون » قال أبوعبدالله عليه السلام في رواية عبدالله بن سنان : هم الأئمة صلوات الله عليهم (فأقام سنّة معلومة) بالتصديق على حقّيتها والقيام بوظايفها (و أمات بدعة مجهولة) بالتنبيه على بطلانها و الارتداع عنها (و أنّ السنن) النبويّة و الشرايع المصطفويّة (لنيّرة لها أعلام) ومنار (وأنّ البدع) المستحدثة (لظاهرة لها أعلام) وآثار لايخفى ما في حسن التعبير والخطابة بالنيّرة في السنن وبالظاهرة في البدع .

(وان شرّ الناس عندالله إمام جائر ضلّ) في نفسه (وضلّ) غيره (به) كما قال تعالى : « ومن أضلّ ممّن اتبع هويه بغير هدى من الله » قال الصادق عليه السلام في روايـة معلّى بن خنيس : هو من يتّخذ دينه برأيه بغير هدى إمام من أئمة الهدى (فأمات سنّة ماخوذة) وسعى في إطفاء نور الحقّ (وأحيا بدعة متروكة) وجدّ في ترويج الباطل ، هذا .

و تقسيم الامام على القسمين أعني الامام العادل و الامام الجائر قد ورد في الكتاب العزيز وغير واحد من الأخبار .

مثل ما رواه في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم باسناده عن جعفر بن محمّد

عن أبيه عليه السلام قال : الأئمة في كتاب الله إمامان : إمام عدل و إمام جور ، قال الله : وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا ، لا بأمر الناس يقدّمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم ، و قال و جعلناهم أئمّة يدعون إلى النار يقدّمون أمرهم قبل أمر الله وحكمهم قبل حكم الله ويأخذون بأهوائهم خلافا لما في كتاب الله .

وفيه من بصاير الدّرجات مسنداً عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لا يصلح الناس إلا إمام عادل و إمام فاجر إنّ الله عزّ وجلّ قال : و جعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا ، وقال : وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار .

ثمّ إنّه شدّد التنفير عن الجور بالتّنبيه على عقوبة الامام الجائر بما رواه عن النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال (و إنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير) ينجيه من نار الجحيم (ولا عاذر) يدفع عنه العذاب الأليم (فيلقى في نار جهنّم فيدور فيها كما تدور الرّحى ثمّ يرتبط) ويشدّ (في قعرها) فلا يكون له مخلص ولا منجاة عنها .

ثمّ حذّره عن القتل بما لاح له عليه السلام من الأسباب المؤدّية إليه فقال : (و انّي انشدك الله) أي أسئلك وأقسم عليك (أن تكون إمام هذه الأمّة المقتول) أراد الامام الدّاعي إلى النّار (فانّه كان يقال) الظّاهر أنّ القائل هو النبيّ صلّى الله عليه وآله وأبهم لاقتضاء المصلحة (يقتل في هذه الأمّة إمام يفتح عليها) أي على هذه الامّة (باب القتل والقتال إلى يوم القيامة) بقتله (ويلبّس امورها عليها) أي يدلّس ذلك الامام ويلبّس امور الأمة عليهم ويوقعهم في اللّبس والاشكال (ويبثّ الفتن) وينشرها (فيها فلا يبصرون الحقّ من الباطل يموجون فيها) أي في تلك الفتن (موجا ويمرجون) أي يختلطون ويضطربون (فيها مرجا) .

أقول : وقد وقع مصداق هذا الخبر الذي رواه أمير المؤمنين عن النبيّ صلّى الله عليه وآله على طبق ما رواه ، فان عثمان لما ولّي وأوطأ رقاب الناس بني أبي معيط وبني امية وولّاهم على البلاد انتشر الهرج و المرج والفساد ، وتظاهر الفتن ، و انجذم حبل الدّين ، و تزعزع سواري اليقين ، وخمل الهدى ، وشمل العمى ، و ضاق المصدر

وعمي المخرج ، حتّى اشتدّ الظلم و المحن والبلوى ، وبلغ الغاية القصوى كما قال عزّ من قائل « فهل (١) عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض و تقطّعوا أرحامكم».

إلى أن انتكث على عثمان فتله ، واجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته ، وقتل شرّ قتلة ، فكان قتله عنوانا للناكثين والقاسطين و المارقين ، وانفتح على الأمة باب القتل والقتال والتخاصم والجدال إلى أن قام ابن أبي سفيان و آل حرب حزب الشيطان بالخلافة ، واستقلّ بالامارة ، فمنحه الدّنيا درّها ، وأوردته صفوها ، فتمادى في الظلم والطغيان ، ولم يدع لله محرّما إلاّ استحله ، ولا عقداً إلا حلّه ، حتّى لم يبق بيت مدر و لا وبر إلاّ دخله ظلمه ، و نبا به سوء رعيه ، فقتل من المهاجر و الأنصار و ساير المسلمين مأة ألف أويزيدون ، وحذا حذوه ابنه اللعين ، فقتل بالطفّ سبط سيد المرسلين وأنصاره المظلومين ، وتبعهم ساير بني امية وبني مروان « الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا (٢) قومهم دار البوار جهنّم يصلونها وبئس القرار » .

ثمّ إنه لما محض النصح لعثمان وأراه وجه الصواب و السداد ودلّه على نهج الحقّ و الرّشاد و حذّره من القتل ، و كان مروان بن الحكم اللّعين طريد رسول ربّ العالمين أقوى الأسباب الباعثة لنكبه عن طريق الحقّ إلى الباطل و الضلال ، ولا يقاعه في المعاطب و المهالك . لاجرم نهاه عن اتّباعه والرّجوع إليه و الأخذ برأيه وقال (فلا تكوننّ سيّقة لمروان يسوقك حيث شاء بعد جلال السنّ) و كبره (وتقضّي العمر) وفنائه .

(فقال له عثمان كلّم الناس في أن يؤجّلوني) أي يمهلوني (حتّى أخرج اليهم من مظالمهم)وأردّ ظلامتهم (فقال عليه السلام ماكان بالمدينة فلا أجل فيه و ماغاب

---

(١) في البحار عن الثعلبي في قوله : « فهل عسيتم ان توليتم » الآية نزلت في بني امية وبني هاشم .
أقول : يعني من بني هاشم بني العباس خاصة كما هو ظاهر . منه .

(٢) في البحار عن العياشي عن مسلم المنشوف عن عليّ بن أبيطالب (ع) في قوله تعالى وأحلّوا قومهم دار البوار قال هما الأفجران من قريش بنو امية وبنو المغيرة . منه .

فأجله وصول أمرك اليه) قال الشارح المعتزلي:هذا كلام فصيح لأنّ الحاضر أيّ معنى لتأجيله و الغايب فلا عذر بعد وصول الأمر في تأخيره ، لأنّ السلطان لا يؤخّر أمره .

تكملة

في الشرح بعد روايته عن محمّدبن جرير الطبري في تاريخه تمام هذه المخاطبة بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين عثمان حسبما أشرت إليه وأنهاها إلى آخرها قال :

فقال عثمان : وقد علمت أنك لتقولنّ ما قلت أما والله لو كنت مكاني ما عنّفتك ولاعبت عليك ولم آت منكراً إنّما وصلت رحماً وسددت خلّة وأويت ضايعاً وولّيت شبيهاً بمن كان عمر يولّيه ، انشدك الله يا عليّ ألا تعلم أنّ مغيرة بن شعبة ليس هناك ؟ قال : بلى ، قال : أفلا تعلم أنّ عمر ولاّه ؟ قال : بلى ، قال : فلم تلومني إن ولّيت ابن عامر في رحمه وقرابته ؟ .

فقال عليّ عليه السلام إنّ عمر كان يطاء على صماخ من يولّيه ثمّ يبلغ منه إن أنكر منه أمراً أقصى العقوبة وأنت فلا تفعل ضعفت ورققت على أقربائك .

قال عثمان : أفلاتعلم أنّ عمر ولّى معاوية فقد ولّيته.

قال عليّ عليه السلام انشدك الله ألاتعلم أنّ معاوية كان أخوف لعمر من يرفاء غلامه له ؟ قال : بلى ، قال فانّ معاوية يقطع الاُمور دونك ويقول للنّاس هذا بأمر عثمان وأنت تعلم ذلك فلا تغيّر عليه.

ثمّ قام عليّ عليه السلام فخرج عثمان على اثره فجلس على المنبر فخطب النّاس وقال : أمّا بعد فانّ لكلّ شيء آفة ولكلّ أمر عاهة، وإنّ آفة هذه الاُمّة وعاهة هذه النّعمة عيّابون طعّانون يرونكم ما تحبّون ويسرّون عنكم ما تكرهون ، يقولون لكم وتقولون أمثال النّعام يتبع أوّل ناعق احبّ مواردها اليها البعيد لايشربون إلاّ نغصا ولا يردون. الاّ عكراً أما والله لقد عبتم على ما أقررتم لابن الخطاب بمثله ، ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ماأحببتم و كرهتم ولنت لكم و أوطاتكم كتفي و كففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم عليّ ، أم والله

لأنا أقرب ناصراً وأعزّ نفراً وأكثر عدداً و أحرى إن قلت هلمّ أن يجاب صوتي ، ولقد أعددت لكم أقراناً ، و كثرت لكم عن نابي ، و اخرجتم مني خُلقا لم اكن احسنه ومنطقالم اكن انطق ، فكفّوا عنّي ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على و لاتكم ، فماالذي تفقدون من حقكم ؟ والله ماقصرت شيئاً عن بلوغ من كان قبلي ، وماوجدتكم تختلفون عليه ، فما بالكم .

فقام مروان بن الحكم فقال : وإن شئتم حكّمنا بيننا وبينكم السيف .

فقال عثمان : اسكت دعني وأصحابي ما منطقك في هذا ، ألم أتقدّم اليك أن لاتنطق ؟ فسكت ونزل عثمان ، هذا .

وفي الشرح أيضاً عن الطبري في شرح الكلام الثلاثين قال :

و كان عثمان قد استشار نصحائه في أمره فأشاروا أن يرسل إلى عليّ عليه السلام يطلب إليه أن يردّ الناس ويعطيهم مايرضيهم ليطاولهم حتّى يأتيه الأمداد فقال إنهم لايقبلون التعليل وقدكان منّي في المرّة الأولى ماكان ، فقال مروان: أعطهم ماسألوك وطاولهم ماطاولوك فانّهم قوم قد بغوا عليك ولا عهد لهم.

فدعا علياً وقال له قد ترى ماكان من الناس ولست آمنهم على دمي فارددهم فاني أعطيتهم مايريدون من الحقّ من نفسي ومن غيرى .

فقال عليّ عليه السلام : إنّ الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك وانهم لايرضون إلاّ بالرّضا و قد كنت أعطيتهم من قبل عهداً فلم تف به فلا تغرر في هذه المرّة فانّي معطيهم عنك الحقّ .

قال : أعطهم فوالله لأفينّ لهم .

فخرج عليّ عليه السلام إلى الناس فقال: انكم إنّما تطلبون الحقّ وقد اُعطيتموه وانّه منصفكم من نفسه .

فسأله الناس أن يستوثق لهم وقالوا : إنا لانرضى بقول دون فعل .

فدخل عليه السلام إليه فأعلمه .

فقال : اضرب بيني وبين الناس أجلا فاني لا أقدر على تبديل ما كرهوا في يوم واحد .

فقال علي عليه السلام أمّا ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وَ أماماغاب فأجله وصول أمرك إليه .

قال : نعم فأجّلني فيما بالمدينة ثلاثة أيّام .

فأجابه إلى ذلك و كتب بينه وبين الناس كتاباً على ردّ كلّ مظلمة و عزل كلّ عامل كرهوه فكفّ الناس عنه .

و جعل يتأهّب سرّاً للقتال ويستند بالسلاح والجند جدّاً ، فلمّا مضت الأيام الثلاثةولم يغيّر شيئاًثار بهالناس وخرج قوم إلى من بذي خشب من المصريّين فأعلموهم الحال فقدموا المدينة وتكاثر الناس عليه وطلبوا منه عزل عمالهوردّ مظالمهم ، فكان جوابه لهم : إني إن كنت أستعمل من تريدون لا من اُريدفلست إذاً في شيء من الخلافة والأمر أمركم فقالوا لتفعلنّ أو لتخلعنّ أو لنقتلنك ، فأبى عليهم وقال : لا أنزع سربالا سربلنيهالله ، فحصروه وضيّقوا الحصار وأدّى الأمر إلى قتله ، على مامرّ منّا في شرح الكلام الثلاثين .

الترجمة

از جمله كلام بلاغت نظام و نصيحت انجام آن حضرتست درحينى كه جمع شدند مردمان بسوى او وشكايت كردند ازچيزى كه ناخوش مي گرفتند برعثمان ابن‌عفّان وخواهش كردند ازآن حضرت كه ازجانب ايشان سؤال وجواب نمايد ، وطلب كند ازعثمان كه رجوع بحق نمايد وايشان را خوشنود سازد ، پس داخل شد آن بزرگوار برعثمان پس فرمود :

بدرستى كه مردمان درعقب منند وبدرستى كه ايلچى أخذ نموده‌اند مرا در ميان تووميان‌خودشان ، وبخداسوگندنميدانم‌چه گويم‌تورا ، ونميدانم چيزيرا كه‌تو ندانى آن را ، ونمى‌توانم دلالت كنم تورا برچيزي كه نشناسى آن را ، بدرستيكه تو ميداني آنچه كه ماميدانيم ، سبقت نيافته‌ايم ازتو بچيزى تا خبر بدهيم بتو از

آن ، وتنها نشده‌ایم بچیزی تا ابلاغ بکنیم بتو آن را ، وبتحقیق که تو دیدهٔ چنانچه ما دیده‌ایم ، و شنیدهٔ چنانچه ما شنیده‌ایم ، وصحبت کردهٔ با رسول خدا صلى الله عليه وآله وسلم چنانچه ماصحبت داشته ایم و نه بود پسر ابوقحافه و نه پسر خطاب سزاوار تر بعمل خیر از تو وحال آنکه تو أقرب هستی برسولخدا صلى الله عليه وآله از حیثیّت رگهای خویشی از ایشان ، پس بترس از خدای قهّار در نفس خود ، پس بدرستی که تو قسم بخدا بصیرت داده نمیشوی از کوری ، وتعلیم یافته نمیشوی از جهالت ، و بدرستی که راههای شریعت هر آینه واضح وهویداست ، و بدرستی که علامتهای دین هر آینه ثابت وبرپاست ، بدرستی أفضل بندگان‌خدا درنزد خدا امام عادلیست که هدایت شده‌باشد وهدایت نماید ، پس برپا دارد سنّت وطریقهٔ معلومه را ، وبمیراند وبرطرف سازد بدعت مجهوله را ، وبدرستی که سنّتهاهر آینه تابانند ودرخشان مر آنها را است علامتها ، وبدرستی که بدعتها ظاهراست و هویدا مر آنها راست علامتها ، و بدرستی که شریرترین مردمان در نزد خدا امام جائریست که گمراه‌باشد و گمراه شوند بسبب او ، پس‌بمیراند سنّت مأخوذه را ، وزنده گرداند بدعت متروکه را .

و بدرستیکه من شنیدم از حضرت ختمی مآب صلى الله عليه وآله وسلم که می‌فرمود : آورده می‌شود درروزقیامت امام جور کننده. درحالتی که نباشد با او یاری دهنده ونه عذر آورنده پس انداخته شود در آتش دوزخ پس دور می کند درآن آتش چنانچه دور میکند آسیا پس از آن بسته شود درقعرجهنم .

وبدرستی که من قسم میدهم تورا بخدا که باشی امام این امّت که کشته شوی بواسطهٔ ظلم و ستم ، پس بدرستیکه بود گفته می‌شد که کشته خواهد شد در این‌امّت امامی که فتح می‌شود براین امت قتل وقتال تا روز قیامت ، وتلبیس‌نماید کارهای ایشان را برایشان ، ومنتشروپراکنده میکند فتنها را درمیان ایشان ، پس نمی‌بینند حق را ازباطل ، ومضطرب می‌شوند درآن فتنها مضطرب شدنی ، وآمیخته بهم می‌شوند در آن فتن آمیختنی ، پس البته مباش ای عثمان از برای مروان‌بن

حکم مثل چارپائی که میرانند آن را دشمنان هنگام غارت که براند تورا مروان هرجا که بخواهد بعداز بزرگی سن وسال وبسر آمدن عمر .

پس گفت مر آن حضرت را عثمان که : تکلّم کن بامردمان دراین خصوص که مرا مهلت بدهند تا خارج بشوم بسوی ایشان از عهدهٔ مظلمه های ایشان پس آن حضرت فرمود :

آنچه که درمدینه است پس مهلت نیست دراو ، وآنچه که غایبست پس مهلت او رسیدن حکم تو است بسوی او .

و من خطبة له ﷺ یذکر فیها خلقة الطاووس وهی المأة والرابعة والستون من المختار فی باب الخطب

وشرحها فی ضمن فصلین :

الفصل الاول

إِبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوانٍ وَمَوات، وَساكِنٍ وَذي حَرَكاتٍ، وَأقامَ مِنْ شَواهِدِ الْبَيِّناتِ عَلىٰ لَطيفِ صَنْعَتِه وَعَظيمِ قُدْرَتِه ما انْقادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِه، وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أسْماعِنا دَلائِلُهُ عَلىٰ وَحْدانِيَّتِه، وَما ذَرَءَ مِنْ مُخْتَلِفِ (إِخْتِلافِ) صُوَرِ الْأَطْيارِ الَّتي أسْكَنَها أخاديدَ الْأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجاجِها، وَرَواسِيَ أعْلامِها، مِنْ ذَواتِ أجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئاتٍ مُتَبايِنَةٍ، مُصَرَّفَةً في زِمامِ التَّسْخيرِ، وَمُرَفْرِفَةً بِأَجْنِحَتِها في مَخارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ، وَالْفَضاءِ الْمُنْفَرِجِ، كَوَّنَها بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ في عَجائِبِ صُوَرٍ ظاهِرَةٍ، وَرَكَّبَها في حِقاقِ مَفاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ

وَمَنَعَ بَعْضَها بِعَبالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ في السَّماء (الهَواء) خُفُوفاً، وَجَعَلَهُ يَدُفُّ دَفيفاً، وَنَسَقَها عَلىٰ اخْتِلافِها في الأَصابيغ، بِلَطيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقيقِ صَنْعَتِهِ، فَمِنها مَغْمُوسٌ في قالِبِ لَوْنٍ لا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ ما غُمِسَ فيهِ، وَمِنْها مَغْمُوسٌ في لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلافِ ما صُبِغَ بِهِ.

وَمِنْ أَعْجَبِها خَلْقاً أَلطّاوُسُ أَلّذي أَقامَهُ في أَحْكَمِ تَعْديلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوانَهُ في أَحْسَنِ تَنْضيدٍ، بِجَناحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطالَ مَسْحَبَهُ، وَإِذا دَرَجَ إِلَى الأُنْثىٰ نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَما بِهِ مُطِلّاً عَلىٰ رَأْسِهِ، كَأَنَّهُ قِلْعُ دارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ، يَخْتالُ بِأَلْوانِهِ، وَيَميسُ بِزَيَفانِهِ، يُفْضي كَإِفْضاءِ الدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ بِمَلاقِحَةٍ أَرَّ الفُحُولِ المُغْتَلِمَةِ لِلضِّراب، أُحيلُكَ مِنْ ذٰلِكَ عَلىٰ مُعايَنَةٍ لا كَمَنْ يُحيلُ عَلىٰ ضَعيفٍ إِسْنادِهِ، وَلَوْ كانَ كَزُعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُها (تُنْشِجُها) مَدامِعُهُ فَتَقِفُ في ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ وَأَنَّ أُنْثاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ ثُمَّ تَبيضُ لا مِنْ لِقاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ المُتَبَجِّسِ (المنبجس) لَما كانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطاعَمَةِ الغُرابِ، تَخالُ قَصَبَهُ مَدارِيَ مِنْ فِضَّةٍ، وَما أُنْبِتَتْ عَلَيْها مِنْ عَجيبِ داراتِهِ وَشُمُوسِهِ خالِصَ العِقْيانِ وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ.

فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِما أَنْبَتَتِ الأَرْضُ قُلْتَ جَنِيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ

رَبِيعٍ، وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ أَوْ مَوْنِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ، وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ، يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَهُ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ، وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ، فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ، وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ.

وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ (مُوشَاة)، وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ، وَمَغْرِزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنِهِ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ، وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأُقْحُوَانِ أَبْيَضُ يَقَقٌ فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ.

وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ، وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ، وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِنْ رِيشِهِ وَيَعْرَى مِنْ

لِباسِهِ فَيسقُطُ تترى وَ يَنبُتُ تِباعاً فَينحتُّ مِنْ قَصَبِهِ إنحِتات أوراقِ الأغصانِ، ثُمَّ يَتَلاحقُ نامياً حتّى يعودَ كَهيئتِه قبلَ سُقوطِه، لا يُخالِفُ سالِفَ ألوانِهِ، ولا يَقعُ لَونٌ في غيرِ مَكانِه، وَإذا تَصفّحتَ شَعرَةً مِنْ شَعراتِ قصبهِ أرتكَ حُمرَةً ورديّةً، وَتارةً خُضرَةً زَبرجديّةً، وأحياناً صُفرَةً عَسجديّةً.

فَكَيفَ تَصِلُ إلىٰ صِفَةِ هٰذا عَمائِقُ الفِطَنِ، أوْ تَبلُغُهُ قرائِحُ العُقولِ، أوْ تَستنظِمُ وَصفَهُ أقوالُ الواصِفينَ، وَأقلُّ أجزائِه قَدْ أعجَزَ الأوْهامَ أنْ تُدرِكَهُ، وَالألسِنَةَ أنْ تَصِفَهُ.

فَسُبحانَ الّذي بَهَرَ العُقولَ عَنْ وَصفِ خَلقٍ جلاهُ لِلعُيونِ فَأدرَكَتْهُ مَحدُوداً مُكَوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً، وَأعجَزَ الألسُنَ عَنْ تَلخيصِ صِفَتِه، وَقعَدَ بِها عَنْ تَأدِيَةِ نَعتِه، وَسُبحانَ مَنْ أدمَجَ قَوائِمَ الذَّرَّةِ وَالهَمَجَةِ إلىٰ ما فَوقَهُما مِنْ خَلقِ الحيتانِ وَالفِيَلَةِ، وَوَأىٰ عَلىٰ نَفسِه ألّا يَضطَرِبَ شَبَحٌ مِمّا أولَجَ فيهِ الرّوحَ إلّا وَجَعلَ الحِمامَ مَوعِدَهُ، وَالفَناءَ غايَتَهُ.

قال السيد (ره) بعد إيراد الخطبة بتمامها: تفسير ما جاء فيها من الغريب «ويؤرّ بملاقحة» الأرّ كناية عن النّكاح يقال أرّ المرئة يؤرّها إذا نكحها، وقوله: «كأنّه قلع داري عنجه نوتيّة» القلع شراع السفينة، وداريّ منسوب إلى دارين وهي بلدة على البحر يجلب منها الطّيب، وعنجه أي عطفه يقال: عنجت النّاقة

أعنجها عنجاً إذا عطفتها ، و النوتيّ الملاّح و قوله: «ضفّتي جفونه » أراد جانبي جفونه ، والضفّتان الجانبان وقوله : « وفلذ الزبرجد » الفلذ جمع فلذة وهي القطعة وقوله : « كبائس اللّؤلؤ الرطب » الكباسة العذق« والعساليج » الغصون واحدها عسلوج .

اللغة

(الحيوان) محرّكة جنس الحيّ أصله حييان وقد تكون بمعنى الحياة والمراد هنا الأوّل و (نعق) بغنمه من بابي ضرب و منع نعقا و نعيقا ونعاقا صاح بها و زجرها هكذا في القاموس ، و في مصباح اللّغة للفيومي من باب ضرب إلاّ أنّ الموجود فيما رأيته من نسخ النهج نعقت بكسر العين .

و (رفرف) الطاير بسط جناحيه عند السقوط على الشيء يحوم عليه لتقع فوقه و (حقاق المفاصل) بكسر الحاء جمع حقّ بالضمّ رأس الورك الّذي فيه عظم الفخذ ورأس العضد الذي فيه الوابلة قال الشّارح المعتزلي : هو مجمع المفصلين من الأعضاء فيكون أعمّ و (سحبه) على الأرض سحباً من باب منع جرّه عليها فانسحب و (طوى) الصّحيفة يطويها طيّاً قال سبحانه « نطوى السّماء كطيّ السّجلّ للكتب »وانّه لحسن الطيّة بالكسر وفي بعض النسخ من طيه بالكسر .

و (قلع داريّ) قال الفيومي : القلاع شراع السفينة ، والجمع قلع ، مثل كتاب و كتب ، والقلع مثله ، والجمع قلوع مثل حمل وحمول ، وفي القاموس القلع بالكسر الشراع كالقلاعة ككتابة ، و الداري المنسوب إلى دارين قال البحراني : وهي جزيرة من سواحل القطيف من بلاد البحرين يقال إنّ الطيب كان يجلب اليها من الهند وهي الآن خراب لاعمارة بها ولا سكنى ، وفيها آثار قديمة وفي القاموس الدّارين موضع بالشام .

و (ماس) في مشيه تبختر و (الزّيفان) التبختر في المشي و (الملاقحة) مفاعلة من ألقح الفحل الناقة أي أحبلها ، و في بعض النسخ (بملاقحه) بصيغة الجمع

مضافاً إلى الضمير أي بآلات التناسل والأعضاء و(غلم) كفرح غَلماً وغُلمة بالضمّ واغتلم غلب شهوة ، وغلم البعير واغتلم أي هاج من شهوة الضرّاب ، فهو غَلِم وغلّيم والانثى غلّمة و غلّيمة ومغتلمة .

و (سفحت) الدّم أي أرقته والدّمع أسلته و في بعض النّسخ تنشجها بدل تسفحها مضارع نشج من باب ضرب يقال نشج القدر أي غلا مافيه حتّى سمع له صوت قال العلاّمة المجلسي : ولعلّ الأوّل أوضح ، فانّ الفعل ليس متعدّيا بنفسه على مافي كتب اللّغة و (تطعّم) على صيغة التفعّل بحذف إحدى التّائين و (بجّس) الماء تبجيساً فجره فتبجّس وانبجس ، وفي بعض النّسخ المنبجس من باب الانفعال.

و (المدارى) بالدال المهملة جمع المدرى قال ابن الأثير : المدرى والمدراة شيء من حديد أوخشب على شكل سنّ من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر الملبّد ويستعمله من لامشط له ، وفي نسخ الشّارح البحراني بالذّال المعجمة قال: وهي خشبة ذات أطراف كأصابع الكفّ ينقى بها الطّعام .

و (دارات) جمع الدّارة دارة القمر وغيره سمّيت بذلك لاستدارتها و (العقيان) بالكسر كمافي القاموس وقال العلاّمة المجلسيّ بالضمّ : الذّهب الخالص أوالذّهب النّابت من الأرض و (جنيت) الثّمرة و الزّهرة و اجتنيتها و الجنيّ فعيل منه ، وفي بعض النّسخ جنى كحصى و هو ما يجنى من الشّجر مادام غضا بمعنى فعيل ولفظة الفعل المجهول ليست في بعض النّسخ .

و (زهر) النّبات بالفتح نوره ، والواحدة زهرة كتمر وتمرة قالوا ولايسمّي زهراً حتى تفتح و (وشيت) الثوب وشياً من باب رمى نقشته فهو موشيّ وزان مرمى أى منقّش، والأصل على مفعول و (الحلل) كصرد جمع حلة بالضمّ و هي إزار ورداء من برد أوغيره فلا تكون حلّة إلاّ من ثوبين أو ثوب له بطانة .

و (العصب) وزان فلس قال الفيومى برد يصنع غزله ثمّ ينسج، ولايثنى ولا يجمع وإنما يثنى ويجمع ما يضاف إليه فيقال : برد عصب وبرود عصب ، و الاضافة للتخصيص ، ويجوزأن يجعل وصفاً فيقال : شريت ثوباً عصبا ، وقال السهلي : العصب

صبغ لاينبت إلاّ باليمن .

و (الفصوص) جمع فصّ كفلس و فلوس قال ابن السكيت : كسر الفاء ردىّ ، و كذا قال الفارابي ، و في القاموس الفص الخاتم مثلثة و الكسر غير لحن و (كلل) فلانا أى ألبس الاكليل وهو بالكسر التاج و شبه عصابة زين بالجوهر و (الوشاح) ككتاب شيء ينسج من أديم ويرصّع شبه القلادة تلبسه النساء .

و رجل (أحمش) الساقين أى أدقّهما و (الخلاسى) بكسر الخاء المعجمة الديك بين دجاجتين هندية وفارسية ، والولد بين أبوين أبيض وأسود و (الظنبوب) حرف العظم اليابس من قدم الساق و (الوسمة) بكسر السين كما في بعض النسخ وهي لغة الحجاز وأفصح من السكون ، وأنكر الأزهرى السكون ، وبالسكون كما في بعضها و (اللفاع) ككتاب الملحفة أو الكساء او كلما تتلفّع بـه المرئـة ، وتلفع الرّجل بالثوب إذا اشتمل به و تغطى ، وفي بعض النسخ متقنّع من القناع و (أبيض يقق) بالتحريك وبالكسر أيضاً وزان كتف شديد البياض .

و (يتحسّر) في بعض النسخ مضارع تفعل يقال : تحسّر البعير أى سقط من الاعياء ، وفي بعض النّسخ تنحسر على صيغة الانفعال تقول : حسره كضربه فانحسر أى كشفه فانكشف و (سالف ألوانه) في بعض النسخ بدلها ساير ألوانه و الأوّل أظهر و (العسجد) كجعفر الذّهب و (العمق) بالضمّ والفتح قعر البئر و نحوها و (الفطن) كعنب جمع فطنة بالكسر وهي الحذق والعلم بوجوه الأمور و (جلاّه) بالتّشديد والتخفيف على اختلاف النّسخ أى كشفه و (الهمجة) محرّكة واحدة الهمج بالتّحريك أيضاً وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم و الحمير والنعاج الهرمة .

الاعراب

قوله : ونعقت جملة مستأنفة ، وتحتمل أن تكون معطوفة على جملة انقادت و على الأوّل فالضمير في دلائله راجع إلى الله ، و على الثّاني فهو راجع إلي ما ، وقوله : وماذرأ ، عطف على قوله : ما انقادت ، أو على الضّمير في دلائله كماقاله

الشّارح البحراني وقوله : من ذوات، بيان للأطيار، و مصرّفة ، ومرفرفة منصوبان على الحال ، وفي بعض النّسخ با لجرّ على أنّهما صفتان لذوات أجنحة .

وجملة كونّها في المعنى تأكيد لجملة ذرأ ، ولكمال الاتصال ترك العاطف بينهما ، و تحتمل الاستيناف البياني ، و قوله : في لون صبغ، بجرّ لون مضافاً إلى صبغ على الاضافة البيانيّة ، و في بعض النّسخ بالجرّ و التّنوين وصبغ على صيغة الماضي المجهول ، أى صبغ ذلك المغموس ، والواو في قوله : ومن أعجبها ، استينافيّة وقوله : بجناح ، إمّا بدل من أحكم تعديل أو عطف بيان ، و يحتمل تعلّقه بقوله أحسن تنضيد.

و جملة عنجه ، مرفوعة المحل صفة لقلع ، و مغرزها ، مبتدء خبره كصبغ الوسمة ، و بطنه بالرّفع مبتدء محذوف الخبر أى مغرزها إلى حيث بطنه موجوداً وممتدّاً ومنتهى إليه كصبغ .

وحيث تضاف إلى الجملة غالباً وإضافتها إلى المفرد تشذّ في الشّعر ، و هو في المعنى مضافة إلى المصدر الّذي تضمّنته الجملة قالوا: حيث وإن كانت مضافة الى الجملة في الظّاهر ، لكن لمّا كانت في المعنى مضافة إلى المصدر فاضافتها إليها كلا إضافة ، و لذا بنيت على الضمّ كالغايات على الأعرف قال نجم الأئمة : قد حذف خبر المبتدء الّذي بعد حيث غير قليل ، والتّنوين في قوله: بقسط ، للتّفخيم ، وجملة : علاه عطف على جملة أخذ .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشّريفة على غاية بلاغتها و بديع اسلوبها و عجيب نظمها مسوقة لشرح أوصاف الطّير لا سيّما الطّاؤوس ، والغرض منه التّنبيه على عظيم قدرته سبحانه و لطيف صنعته والاشارة إلى عجايب ما أبدعهَ سبحانه في الملك والملكوت ، لتنبّه من رقدة الغفلة ، ويتحصّل لك كمال المعرفة .

و افتتح عليه السلام بمطلق دلائل القدرة ثمّ تخلّص إلى ذكر الطّاؤوس فقال (ابتدعهم) أى أبدع الموجودات لا عن مادّة أوعلى غير مثال سابق (خلقاعجيباً)

على أصناف مختلفة و أنواع متكثرة و هيئآت عجيبة و أوصاف بديعة (من حيوان وموات و ساكن و ذى حركات) أى بعضها ذوحيات كأصناف الملائكة و الحيوان والجنّ والانس ، و بعضها ذوممات كالشّجر و الجماد و النّبات وغيرها ممّا ليس لها حياة ، و بعضها متّصفة بالسكون كالأرض و الجبال ، و بعضها متّصفة بالحركة الاراديّة كالانسان والحيوان ونحوهما، أوطبيعيّة كالماء والنّار والكواكب والأفلاك .

(وأقام من شواهد البيّنات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما) أي شاهد صدق وبرهان حتّى (انقادت له) أى لذلك الشّاهد (العقول معترفة به) أى بهذا الشّاهد أو بالله سبحانه (ومسلّمة له) غير جاحدة لحقيّته (ونعقت) أى صاحت (في أسماعنا دلائله) سبحانه (على وحدانيّته) قال الشّارح البحراني استعار لفظ النّعيق في الأسماع لظهور تلك الدّلائل في صماخ العقل (وماذرأ) أى أقام من شواهد البيّنات أو نعقت دلائل ما ذرئه و خلقه (من اختلاف صور الأطيار الّتي أسكنها أخاديد الأرض) كالقطا ونحوه ممّا يسكن الشّقوق في الأرض (وخروق فجاجها) كالقبج و شبهه ممّا يسكن الفجاج أى الطرق الواسعة بين الجبلين (و رواسي أعلامها) كالعقبان و الصّقور تأوى في الجبال الرّاسيات أى الثّابتات المستقرّات (من ذوات أجنحة مختلفة و هيئآت متباينة) فهذا غراب ، و هذا عقاب ، و هذا حمام ، وهذا نعام خلقها الله سبحانه على أشكال مختلفة وطبايع متضادّة .

و لكنّها كلّها على تباين طبايعها و تضادّ أجناسها مقهورة تحت ذلّ القدرة مشدودة بربق الطّاعة (مصرّفة) ومتقلّبة (في زمام التسخير) كما قال عزّ من قائل:

« أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

قال الرّازي : هذا دليل على كمال قدرة الله وحكمته : فانّه لولا أنّه تعالى خلق الطّير خلقة معها يمكنه الطّيران فيها لماأمكن ذلك ، فانّه أعطى الطّير جناحاً ..طه مرّة و يكسره أخرى ، مثل مايعمل السّابح في الماء ، و خلق الهواء خلقة

لطيفة رقيقة يسهل خرقه و النّفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطّيران ممكنا ، و جسد الطّير جسم ثقيل و الجرم الثّقيل يمتنع بقاؤه في الجوّ معلّقاً من غير دعامة و لا علاقة فوقه ، فوجب أن يكون الممسك له في ذلك الجوّ هوالله سبحانه .

(و مرفرفة بأجنحتها في مخارق الجوّ المنفسح و الفضاء المنفرج) أى باسطة جناجيهافي أمكنتها الّتي تخرق الهواء الواسع فتدخلها قال تعالى :

« أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَ يَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ » .

قيل في تفسيره : أى باسطات أجنحتهنّ في الجوّ عند طيرانها ' فانّهنّ إذا بسطنها صففن قوادمها ـ ويقبضن ـ أى ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وقتاً بعد وقت للاستظهار به على التّحرّك ، ولذلك عدل به إلى صيغة الفعل للتّفرقة بين الأصيل في الطيران والطّارى عليه ـ ما يمسكهنّ ـ في الجوّ على خلاف طبعهنّ ـ إلاّ الرّحمن ـ الشّامل رحمته كلّ شيء بأن خلقهنّ على اشكال وخصايص هيئآتهنّ للحركة في الهواء ـ إنّه بكلّ شيء بصير ـ يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبّر العجائب .

(كوّنها) كساير المكوّنات و المخلوقات (بعد اذ لم تكن في عجائب صور ظاهرة) و هيئآت بديعة غير مستورة (و ركّبها في حقاق مفاصل محتجبة) مستترة باللّحم والجلد ونحوهما (ومنع بعضها بعبالة خلقه) وضخامة جثّته كالنّعامة و اللّقلق و نحوهما (أن يسمو في السّماء خفوفا) أى يعلو في جهة العلوّ بسرعة (وجعله يدفّ دفيفا) أى يحرّك جناحيه للطّيران قال الفيومى : معناه ضرب بهما دفّيه وهما جنباه ، يقال ذلك إذا أسرع مشياً ورجلاه على وجه الأرض ثمّ يستقلّ طيراناً (و نسقها) أى نظمها (على اختلافها في الاصابيغ) و الألوان (بلطيف قدرته ودقيق صنعته) أى جعل كلاّ منها على لون خاصّ على وفق حكمته البالغة

(فمنهامغموس في قالب لون لايشوبه غير لون ما غمس فيه) أى بعضهاذولون واحد كالأسود و الأبيض و الأحمر ، فعبر عنه بالغمس في قالب اللّون إشارة إلى

إحاطة اللّون الواحد به بجميع أجزائه كما يحيط القالب بالأشياء المصنوعة بالصبّ فيه من نحاس ونحوه .

(ومنها مغموس في لون صبغ قد طوّق بخلاف ماصبّغ به) أي بعضها ذولونين فمازاد كالقبج والفاختة والبلبل ونحوها ممّا يخالف لون عنقه لون ساير جسده ، والغرض بذلك كلّه حسبما عرفت التّنبيه على عظمة الله سبحانه و كمال قدرته ولطيف صنعته وبديع حكمته .

وقد شرحه الصّادق عليه السلام وأفصح عنه في حديث المفضّل .

قال عليه السلام : تأمّل يا مفضّل جسم الطّاير وخلقته فانّه حين قدر أن يكون طايراً في الجوّ خفّف جسمه وادمج خلقه فاقتصر به من القوايم الأربع على اثنتين ، ومن الأصابع الخمس على أربع ، و من منفذين للزّبل والبول على واحد يجمعهما ، ثمّ خلق ذا جوء جوء محدّد يسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه كما جعل السّفينة بهذه الهيئة لتشقّ الماء وتنفذ فيه ، وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطّيران ، و كسى كلّه الرّيش ليداخله « ليتداخله خل » الهواء فيقلّه .

ولما قدّر أن يكون طعمه الحبّ واللّحم يبلعه بلعاً بلا مضغ نقص من خلقة الأسنان وخلق له منقار صلب (١) جاس يتناول به طعمه فلا ينسحج من لقط الحبّ و لا يتقصّف (٢) من نهش اللّحم ، و لما عدم الأسنان و صار يزدرد الحبّ صحيحاً و اللّحم غريضاً أُعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحناً يستغنى به عن المضغ .

واعتبر بأنّ عجم العنب وغيره يخرج من أجواف الانس صحيحاً و يطحن في أجواف الطير لايرى له أثر .

ثمّ جعل ممايبيض بيضاً ولايلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران ، فانه لوكانت الفرخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لأثقلته وعاقته عن النهوض والطيران فجعل

---

(١) اى صلب يابس (م) (ط) التقصّف التكسّر (م)

كلّ شيء من خلقه شاكلا للأمر الذي قدّر أن يكون عليه .

ثمّ صار الطاير السابح في هذا الجوّ يقعد على بيضه فيحضنه أسبوعا وبعضها أسبوعين وبعضها ثلاثة أسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة ، ثمّ يقبل عليه فيزقّه لتتّسع حوصلته للغذاء ، ثم يربّيه و يغذيه بما يعيش به ' فمن كلّفه أن يلقط الطعم ويستخرجه بعد أن يستقرّ في حوصلته ويغذوبه فراخه ؟ ولأيّ معنى يحتمل هذه المشقة و ليس بذى رويّة ولا تفكّر ؟ ولا يأمل في فراخه ما يأمل الانسان في ولده من العزّ والرّفد وبقاء الذكروهذا من فعل هويشهد بأنه معطوف على فراخه لعلّة لا يعرفها ولا يفكّر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفا من الله تعالى ذكره .

انظر إلى الدّجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولاوكر موطىء بل تنبعث وتنتفخ وتقوقى وتمتنع من الطعم حتّي يجمع لها البيض فتحضنه و تفرخ ، فلم كان ذلك منها إلاّ لاقامة النّسل ، ومن أخذها باقامة النسل ؟ ولا رويّة ولا فكر لولا أنها مجبولة على ذلك .

و اعتبر بخلق البيضة و ما فيها من المخّ الأصفر الخاثر ، و الماء الأبيض الرّقيق فبعضه لينتشر منه الفرخ ، وبعضه ليغذي به إلى أن تنقاب عنه البيضة ، وما في ذلك من التدبير، فانه لوكان نشوء ذلك الفرخ في تلك القشرة المستحصنة التي لا مساغ لشيء اليها لجعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفى إلى وقت خروجه منها كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل النفقة إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه .

فكّر في حوصلة الطاير وما قدّر له، فانّ مسلك الطعم إلى القانصة ضيّق لا ينفذ فيه الطعام إلاّ قليلا قليلاً ، فلو كان الطاير لا يلقط حبة ثانية حتى تصل الأولى القانصة لطال عليه ومتى كان يستوفي طعمه ، فانما يختلسه اختلاساً لشدّة الحذر ، فجعلت الحوصلة كالمخلاة المعلقة أمامه ليوعى فيها ما أدرك من الطعم بسرعة ثمّ تنفذه إلى القانصة على مهل ، وفي الحوصلة أيضاً خلّة أُخرى فانّ من الطاير مايحتاج إلى أن يزقّ فراخه فيكون ردّه للطعم من قرب أسهل عليه .

قال المفضل : فقلت إنّ قوماً من المعطلة يزعمون أنّ اختلاف الألوان والأشكال في الطير إنما يكون من قبيل امتزاج الأخلاط و اختلاف مقاديرها بالمزج والاهمال .

فقال عليه السلام : يامفضّل هذا الوشي الّذي تراه في الطواويس والدّراج والتدارج على استواء ومقابلة كنحو ما يخطّ بالأقلام كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لايختلف ، لو كان بالاهمال لعدم الاستواء ولكان مختلفاً .

تأمّل ريش الطير كيف هو ؟ فانّك تراه منسوجاً كنسج الثّوب من سلوك دقاق قد ألّف بعضه إلى بعض كتأليف الخيط إلى الخيط والشّعرة إلى الشّعرة ، ثمّ ترى ذلك النّسج إذا مددته ينفتح قليلا ولاينشق لتداخله الرّيح فيقلّ الطّائر إذا طار ، وترى في وسط الرّيشة عموداً غليظاً متيناً قد نسج عليه الذي هو مثل الشّعر ليمسكه بصلابته ، و هو القصبة التي في وسط الرّيشة ، و هو مع ذلك أجوف ليخف على الطّائر ولا يعوقه عن الطيران .

هل رأيت يا مفضّل هذا الطّاير الطّويل السّاقين و عرفت ماله من المنفعة في طول ساقيه ؟ فانّه أكثر ذلك في صحضاح (١) من الماء ، فتراه لساقين طويلين كانه ربيئة (٢) فوق يرقب وهو يتأمّل ما يدبّ في الماء ، فاذا رأى ممّا يتقوّت به خطا خطوات رفيقاً حتّى يتناوله ، و لو كان قصير السّاقين و كان يخطو نحو الصّيد ليأخذه تصيب بطنه الماء فيثور و يذعر منه فيتفرّق عنه ، فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه .

تأمّل ضروب التّدبير في خلق الطّاير فانّك تجد كلّ طاير طويل السّاقين طويل العنق ، و ذلك ليتمكّن من تناول طعمه من الأرض ، ولوكان طويل السّاقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض ، و ربما أعين مع تطول العنق بطول المناقير ليزداد الأمر عليه سهولة له و إمكاناً ، أفلا ترى أنّك لاتفتّش شيئاً

(١) ماء ضحضاح قريب القعر (منه) (٢) الربيئة العين الذى ينظر للقوم لئلا يدهاهمهم عدوّ .

من الخلقة إلاّ وجدته في « على » غاية الصّواب والحكمة ؟

و إذا عرفت وجه التدبير و الحكمة في مطلق الطير فلنعد إلى شرح عجائب خلقة الطاووس على ما فصّله الامام عليه السلام بقوله (ومن أعجبها خلقا الطاؤوس الذي أقامه) الله سبحانه (في أحكم تعديل) أى أعطى كلّ شيء منه في الخلق مايستحقّه وخلقه على وجه الكمال خاليامن نقص (و نضّد) أى رتّب (ألوانه في أحسن تنضيد) وترتيب كما قال الشّاعر :

سبحان من من خلقه الطاووس ... طير على أشكاله رئيس

كأنّه في نقشه عروس ... في الرّيش منه ركّبت فلوس

تشرق في داراتـــه شموس ... في الرّأس منه شجر مغروس

كأنّـه بنفسج يميـــس ... أو هو زهو (١) حرّم يبيس

فقد رتّب تعالى ألوانه (بجناح أشرج قصبه) أى ركّب عروق جناحه وأصولها بعضها في بعض كما يشرج العيبة أى يداخل بين أشراجها (و ذنب أطال مسحبه) على وجه الأرض (و إذا) أراد السفاد و (درج إلى الأنثى نشره) أى نشر ذنبه (من طيّه و سمابه مطلاّ) أى رفعه مشرفا (على رأسه كأنه قلع داري) شبّه عليه السلام ذنبه بشراع السفينة من باب تشبيه المحسوس بالمحسوس ، لأنه عند ارادة السفاد يبسط ذنبه وينشره ثمّ يرفعه وينصبه فيسير كهيئة الشراع المرفوع .

وأوضح وجه الشبه بقوله (عنجه نوتيّه) وذلك لأنّ الملاّح الذي يدّبر أمر السفينة يعطف الشراع ويصرفه تارة بالجذب و تارة بالارخاء و تارة بتحويله يمينا و شمالا بحسب انصرافه من بعض الجهات إلى بعض (يختال) أى يتكبّر و يعجب (بألوانه ويميس) أى يتبختر (بزيفانه) والتبختر بمشيته .

ثمّ وصف عليه السلام هيئة جماعه بقوله (يفضى) ويسفد (كافضاء الدّيكة ويأرّ) أى يجامع (بملاقحة) مثل (أرّ الفحول المغتلمة) وذات الغلم والشبق .

ثمّ أكّد كون سفاده مثلى سفاد الدّيك والفحل بآلات التناسل كساير أصناف

---

(١) بالفارسى شكوفه .

الحيوان تنبيها به على ردّ من زعم أنّ سفاده بتطعم الدّمع فقال (احيلك من ذلك على معاينة) أى مشاهدة برأى العين (لا كمن يحيل على ضعيف اسناده) ويزعم أن لقاحه بالتطعم اعتماداً على سند ضعيف وإحالة عليه .

ثمّ دفع الاستبعاد عن ذلك الزعم الفاسد بقوله (و لو كان) الأمر (كزعم من يزعم أنّه يلقح) أى يحيل (بدمعة تسفحها) و تسكبها (مدامعه فتقف في ضفّتي جفونه) وجانبيها (و أنّ أُنثاه تطعم ذلك ثمّ تبيض لا من لقاح فحل سوى الدّمع المتبجّس) المنفجر (لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب)

قال الشّارح المعتزلي : واعلم أنّ قوماً زعموا أنّ الطاووس الذّكر يدمع عينه فتقف الدّمعة بين أجفانه فتأتي الأنثى فتطعمها فتلقح من تلك الدّمعة ، وأميرالمؤمنين عليه السلام لم يحل ذلك ولكنّه قال : ليس بأعجب من مطاعمة الغراب ، والعرب تزعم أنّ الغراب لايسفد ، ومن أمثالهم : أخفى من سفاد الغراب ، فيزعمون أنّ اللّقاح من مطاعمة الذّكر والأُنثى وانتقال جزء من الماء الذي في قانصته إليها من منقاره ، و أمّا الحكماء فقلّ أن يصدقوا بذلك ، على أنّهم قد قالوا في كتبهم ما يقرب من هذا ؟ قال ابن سينا : و القبجة تحبلها ريح تهبّ من ناحية الحجل الذّكر ومن سماع صوته ، انتهى .

أقول : أمّا كلام أميرالمؤمنين عليه السلام فلا يخفى أنّ ظهوره في كون سفاد الطاووس باللّقاح ، حيث شبّهه بافضاء الدّيكة وبأرّ الفحول ، وعبّر عن القول الآخر بالزّعم كظهوره في كون سفاد الغراب بالمطاعمة ، و أمّا المثل فلا يدلّ على أنّ الغراب لا يسفد بل الظّاهر منه خلافه ، على أنّي قد شاهدت عياناً غير مرّة سفاد الغراب الأبقع ، فلابدّ من حمل كلام أميرالمؤمنين عليه السلام على ساير أصناف الغراب وإن كان ظاهره الاطلاق والله العالم بحقايق الخبيئات وأولياؤه عليهم السلام .

ثمّ أخذ عليه السلام في وصف اجنحة الطاووس فقال (تخال قصبه) أي عظام أجنحته (مداري من فضّة) في الصّفاء والبياض (وما أنبتت عليها من عجيب داراته وشموسه) التي في الرّيش (خالص العقيان) أى الذّهب في الصّفرة الفاقعة والزّونق والبريق

والجلا (وفلذ الزبرجد) في الخضرة والنّضارة .

(فان شبّهته بما أنبتت الأرض) من الأزهار والأنوار (قلت جنيٌّ جنى من زهرة كلّ ربيع) و نوره في اختلاف ألوانه و أصباغه (وإن ضاهيته) أى شاكلته و شبّهته بالملابس (فهو كموشيّ الحلل) المنقّشة بكلّ نقش في البهجة والنضارة (أو) كـ(مونق عصب اليمن) أى كبرد يمانيّ مصبوغ معجب (وان شاكلته بالحليّ فهو كفصوص ذات ألوان) مختلفة (قد نطّقت باللّجين المكلّل) أى جعلت الفضّة كالنّطاق لها .

قال الشارح البحراني : شبّهه بالفصوص المختلفة الألوان المنطّقة في الفضة أى المرصّعة في صفايح الفضّة والمكلّل الذي جعل كالاكليل بذلك الترصيع ، فيكون حاصل كلامه عليه السلام تشبيهه قصب ريشه بصفايح من فضّة رصّعت بالفصوص المختلفة الألوان ، فهى كالاكليل بذلك الترصيع ، ولكنّ الأظهر أنّ المكلّل وصف للّجين فافهم .

ثمّ أخذ في وصف مشيه وضحكه فقال عليه السلام (يمشى مشى المرح المختال) أى كمشى الفرحان المعجب بنفسه (و يتصفّح) أى يقلب جناحه وذنبه (فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله) أى حسن قميصه (وأصابيغ وشاحه) أى ألوان لباسه (فاذا رمى ببصره نحو قوائمه) ورأى سماجتها (زقا) وصاح (معولا بصوت) أى رافعاً صوته بالبكاء و النّياح (يكاد يبين) أى يظعن و يرتحل وهو كناية عن الموت (عن استغاثته و يشهد) عويله (بصادق توجّعه) ويفصح عن شدّة تفجّعه وذلك (لأنّ قوائمه حمش) دقاق (كقوائم الدّيكة الخلاسيّة) التي عرفت معناها (وقد نجمت) أى طلعت (من ظنبوب ساقه صيصية) وهي في الأصل شوكة الحائك التي يسوّى بها السّداة واللّحمة، فاستعيرت لصيصية الطاير التي في رجله (خفيّة) ليست بجليّة كما للدّيك .

ثمّ أخذ في وصف قنزعته بقوله : (وله في موضع العرف) مستعار عن عرف الدّابة وهو شعر عنقه (قنزعة) و هى ريشات يسيرة طوال في مؤخّر رأسه بارزة

عن ريش رأسه استعارة عن قنزعة الصبي و هي الخصلة من الشعر يترك على رأسه (خضراء موشاة) .

ثمّ أخذ في وصف عنقه بقوله : (و مخرج عنقه كالابريق) أي محلّ خروج عنقه كمحلّ خروج عنق الابريق فيشعر بأنّ عنقه كالابريق أو أنّ خروجه كخروج عنق الابريق على أنه مصدر فيكون الاشعار أقوى (و مغرزها) أي مثبت عنقه ، وتأنيث الضمير على لغة أهل الحجاز (إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانيّة) في الخضرة الشديدة الضاربة إلى السواد (أو كحريرة سوداء ملبسة مرآتا ذات صقال) في لونها المخصوص ومخالفة بصيص المرآة لها (وكأنه متلفّع) أي مكتس (بمعجر أسحم) أي بثوب كالعصابة ذي سحم وسواد (إلاّ أنّه يخيّل لكثرة مائه وشدّة بريقه أنّ الخضرة النّاضرة ممتزجة به) .

ثمّ وصف الخطّ الأبيض عند محلّ سمعه فقال : (و مع فتق سمعه خطّ) دقيق (كمستدقّ القلم في) لون مثل (لون الاقحوان) أي البابونج (أبيض يقق فهو) أي ذلك الخطّ (ببياضه في سواد ماهنالك يأتلق) ويلمع .

ثمّ أجمل في تعديد ألوانه فقال : (وقلّ صبغ إلاّ وقد أخذ منه بقسط) وافر (وعلاه) أي زاد على الصبغ وغلب عليه (بكثرة صقاله وبريقه) أي جلائه ولمعانه (و بصيص ديباجه و رونقه) أي حسنه وبهائه (فهو كالأزاهير المبثوثة) المتفرّقة (لم تربّها أمطار ربيع ولا شموس قيظ) لما كان من شأن الأزاهير أنّ تربيتها و كمالها بالشّمس والمطر ، و شبّه عليه السلام ألوان هذا الطاير بالأزاهير المبثوثة أتى بهذه الجملة تنبيها على أن تربيتها ليست بالشّموس والأمطار وإنّما هي بتدبير الفاعل المختار ففيه من الدّلالة على عظمة الصانع تعالى وقدرته ما لا يخفى .

و الظاهر أنّ الجمع في الأمطار باعتبار الدّفعات ، و في الشّموس بتعدّد الاشراق في الأيام ، أو باعتبار أنّ الشّمس الطالع في كلّ يوم فرد على حدة لاختلاف التّأثير في تربية الأزهار والنباتات باختلاف الحرّ والبرد وغير ذلك .

ثمّ بيّن له حالة اخرى هي محل الاعتبار في حكمة الصّانع وقدرته فقال : (و قد يتحسّر) و يتعرّى (من ريشه و يعرى من لباسه) وذلك في الخريف عند

سقوط أوراق الأشجار (فيسقط تترى) أى شيئاً بعد شيء (و ينبت تباعا) بدون فترة بينهما(فينحت) أى يسقط (من قصبه انحتات أوراق الأغصان ثمّ يتلاحق نامياً) وذلك في الرّبيع إذا بدء طلوع الأوراق (حتّى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف) لون ريشه الثّانى (سالف ألوانه ولا يقع لون في غير مكانه) .

ثمّ أشار إلى ماهو ألطف وأدقّ مما مضى وأعظم في الدّلالة على قدرة الصّانع المتعال فقال: (و إذا تصفّحت شعرة واحدة من شعرات قصبه أرتك) تلك الشعرة من شدّة بصيصها ألواناً مختلفة فتارة (حمرة ورديّة وتارة) أخرى (خضرة زبرجديّة واحيانا صفرة عسجديّة) .

ثمّ عقّب ذلك باستبعاد وصول الأذهان الثاقبة إلى وصفه وقال : (فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن) أى الفطن العميقة التي من شأنها إدراك دقايق الأشياء و العلم بوجوه الأمور على ما ينبغي (أو تبلغه قرائح العقول) أى تناله العقول بجودة الطّبيعة من قولهم لفلان قريحة جيّدة يراد استنباط العلم بجودة الطبع (أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين و) الحال أنّ (أقلّ أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه و الألسنة أن تصفه) و لا ريب أنّ الشّعرة أقلّ الأجزاء الّتي بها قوام الحيوان .

و المراد بيان عجزها عن ادراك علل هذه الألوان على اختلافها و اختصاص كلّ من مواضعها بلون غير الآخر و علل هيئآتها وساير ما أشار إليه، أو إظهار عجزها عن إدراك جزئيّات الأوصاف المذكورة و تشريح الهيئآت الظاهرة و الخصوصيات الخفيّة في خلق ذلك الحيوان ، فانّ ما ذكره عليه السلام في هذه الخطبة تشريحه وإن كان على غاية البلاغة وفوق كلّ بيان فى وصف حاله إلاّ أنّ فيه وراء ذلك جزئيّات لم يستثبتها الوصف .

وهذا هو الأقرب والأنسب بما عقّبه به من تنزيهه تعالى أعني قوله : (فسبحان الذّي بهر العقول) وغلبها (عن وصف خلق جلاه للعيون فأدركته محدوداً مكوّنا) أى موصوفاً بالحدود والتكوين و (مؤلّفاً) من الأجزاء (ملوّنا) بالألوان المختلفة

(و أعجز الألسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تأدية نعته) والغرض الدّلالة على عجز العقول عن إدراك ذاته سبحانه ، فانّها إذا عجزت عن إدراك مخلوق ظاهر للعيون على الأوصاف المذكورة فهي بالعجز عن إدراكه سبحانه و وصفه أحرى ، وكذلك الألسن عن تلخيص صفته وتأدية نعته أعجز .

(وسبحان من أدمج) أى أحكم (قوائم الذّرة) وهي صغار النّمل (والهمجة) وهو صغير الذّباب (إلى مافوقهما من خلق) البرّ والبحر من (الحيتان و الفيلة) ونحوها (ووأى) أى وعد وألزم (على نفسه ألاّ يضطرب شبح) ولا يتحرّك شخص (مما أولج)أى أدخل (فيه الرّوح إلاّ وجعل الحمام) والموت (موعده والفناء غايته).

تتميم في نوادر وصف الطاوس

روى في الكافي عن سليمان الجعفري عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال : الطاووس مسخ،كان رجلا جميلا فكابر امرئة رجل مؤمن تحبّه فوقع بها ، ثمّ راسلته بعد ، فمسخهما الله عزّ وجلّ طاووسين أنثى وذكراً فلاتأكل لحمه ولا بيضه .

وفي البحار من الخرايج عن محمّد بن إبراهيم الحرث التّميمي ، عن الحسين عليه السلام أنّه قال : إذا صاح الطاووس يقول : مولاى ظلمت نفسي واغتررت بزينتي فاغفرلي .

قال الدّميري في حياة الحيوان : الطاووس طاير معروف وتصغيره طويس بعد حذف الزّوايد ، و كنيته أبو الحسن وأبو الوشى ، وهو في الطير كالفرس في الدّواب عزّاً وحسناً وفي طبعه العفّة وحبّ الزّهو بنفسه والخيلاء والاعجاب بريشه ، وعقده لذنبه كالطّاق لا سيّما إذا كانت الأنثى ناظرة إليه ، والأنثى تبيض بعد أن يمضي لها من العمر ثلاث سنين ، و في ذلك الأوان يكمل ريش الذّكر ويتمّ لونه ، و تبيض الانثى مرّة واحدة في السنة اثنتى عشرة بيضة و أقلّ و أكثر ، لا تبيض متتابعاً ، ويسفد في أيّام الرّبيع، ويلقى ريشه في الخريف كما يلقى الشّجر ورقه ، فاذا بدأ طلوع الأوراق في الشّجر طلع ريشه ، وهو كثير العبث بالأنثى إذا حضنت ، وربّما كسر البيض ولهذه العلّة يحضن بيضه تحت الدّجاج ولا تقوى الدّجاجة على

حضن أكثرمن بيضتين منه ، و ينبغي أن تتعاهد الدّجاجة بجميع ما تحتاج إليه من الأكل و الشّرب مخافة أن تقوم عنه فيفسده الهواء ، و الفرخ الذي يخرج من حضن الدّجاجة يكون قليل الحسن و ناقص الجثّة ، و مدّة حضنه ثلاثون يوماً ، و فرخه يخرج من البيضة كالفروخ كاسياً كاسياً ، و أعجب الأمور أنّه مع حسنه يتشأّم به ، وكان هذا والله أعلم إنّه لما كان سبباً لدخول إبليس الجنّة وخروج آدم عليه السلام منها وسبباً لخلوّ تلك الدّار من آدم مدّة دوام الدّنيا كرهت إقامته في الدّور ولذلك

الترجمة

ازجمله خطب بلاغت نظام آن امام است که ذکر می‌فرماید در آن عجایب وغرایب خلقت طاووس را باین مضامين .

اختراع کرد وآفرید خدای تعالی مخلوقات را آفریدني عجيب از ذي‌روح واز غير ذي روح ، واز ساکن و از صاحب حرکت ، وبرپا داشت ازعلامات باهرات برلطيف صنعت و عظيم قدرت خود شاهد صادقي را که انقياد نمود مر اورا عقلها در حالتیکه اعتراف کننده بودند باو ، و گردن نهنده بودند براو ، و صدا کرد در گوشهای ما دلیلهای او بروحدانيّت و يگانگی او سبحانه ، و دلیلهای آنچه که آفریده ازصورتهای مختلفهٔ مرغهائی که ساکن گردانید آنهارا درشکافهای زمين ، ودرفرجه‌های واقعه درميان کوههای آن‌ودرسرهای کوههای بلندازصاحبان بالهای گوناگون،وهيئتهای‌متباين درحالتی که متقلبند در افسار تسخير ، وگسترانند‌ه‌اند بالهای خودرا درشکافهای هوای فسيح وفضای وسيع .

ايجاد فرمود آنهارا بعداز اینکه موجود نبودند درعجايب صورتهای آشکار وترکیب داد آنهارا در مجامع مفصلهائی که پوشيده‌اند در تحت پردها ، و منع فرمود بعض از مرغان را بجهة سنگيني و ضخامت جثّهٔ آن ازآنکه بلند شود بهوا بسرعت و خفّت ، و گردانيد آن را که می‌پرد برروی زمين پريدني که نزديك باشد بزمين تابلند شود ، ومنظّم نمود مرغان را بااختلاف ايشان در رنگهاباقدرت

لطيفهٔ خود وصنعت دقيقهٔ خود .

پس بعضي از آنها غوطه و رشده در قالب يكرنگى كه أصلا مخلوط نيست بآن غير رنگى كه غوطه ورشده در آن ، وبعضى ازآنها فرو برده شده در رنگى كه طوق گردن آن بخلاف رنگى است كه رنگ داده شده بآن .

و از عجب‌ترين مرغان از حيثيّت خلقت طاووس است كه برپا داشته او را حقتعالى‌درمحكم‌ترين تعديل أجزاء ، وترتيب داده رنگهاى آن را درأحسن‌ترتيب بابالى كه درهم كرده قصبها وأصلهاى آن را ، وبا دمى كه دراز كرده جاى كشيدن آن‌را،وقتي كه بگذرد طاووس‌نر برطاووس‌ماده پرا كنده سازدآن دم را ازپيچيدگي آن ، و بلند ميكند آن را در حالتيكه مشرف باشد بر سر آن گويا كه آن دم بادبان كشتى است كه منسوبست بشهردارين كه ميل داده است آنرا كشتيبان آن

مى‌نازد برنگهاى مختلفهٔ‌خود ، ومى‌خرامد بنازشهاى‌خود ، مباشرت ميكند همچو مباشرت خروسان ، و مجامعت ميكند با آلات تناسل مثل مجامعت نرهاى شديد الجماع ، حواله ميكنم تورا از اين أمرمذكور بر ديدن رأى العين نه مانند كسى كه حواله مى كند برسندهاى ضعيف خود ، و اگر باشد اين امر مثل گمان كسيكه گمان ميكند كه طاووس آبستن ميسازد مادهٔ خودرا با أشكى كه مى‌ريزد آن‌را كنجهاى چشم آن پس مى‌ايستد آن أشك درپلكهاى چشم اووآنكه ماده او مى‌ليسد آن را پس ازآن تخم مى‌نهد نه از جماع طاووس نرغير از اشك بيرون‌آمدهٔ ازچشم هرآينه نميباشد اين گمان عجبتر از مطاعمه زاغها كه نرو‌ماده منقار بمنقار ميگذارند ، و جزئى ازآب كه درسنگدان نر است بدهن ماده ميرسد و از آن آبستن ميشود چنانچه اعتقاد عربها اينست ، خيال ميكني أصل پردهاى طاووس را شانه‌ها ازنقره بيضا وآنچه رسته برآن از دايره هاى عجيبه وشمسه‌هاى غريبهٔ آن طلاى خالص وپارهاى زبرجد .

پس اگر تشبيه كنى طاووس را بچيزيكه رويانيده است آنرا زمين گوئى كه گلهائيست چيده شده از شكوفه هربهارى ، و اگر تشبيه كنى آن را بلباسها

پس آن همچو حلّهای زینت داده شده‌است باطلا ، یاهمچو جامهای برد خوش آیندهٔ یمن است ، واگر تمثیل کني آنرا بزیورها پس اومانند نگینهائیست صاحب رنگها که کشیده درأطراف آن ، یعنی مدور شده مانند نطاق بنقره مزیّـن بجواهر .

راه میرود طاووس مثل راه رفتن شادی کنندهٔ متکبّر خرامان ، و می‌نگرد بنظر دقّت بدم و بال خود پس قهقهه می‌زند در حالتی که خندانست از جهة حسن پیراهن رنگین خود و رنگهای لباس خود ، پس چون أندازد نظر خودرا بسوی پایهای سیاه باریك خود بانگ کند درحالتیکه گریه کننده باشد بآوازبلند که نزدیك باشد روح ازبدنش مفارقت نماید از شدّت فریاد خود ، زیرا که پاهاي او زشت است وباریك همچو پاهای خروسان خلاسی که متولّد می‌شوند میان مرغ هندی وفارسی در حالتیکه بر آمده است ازطرف ساق اوخاری که پنهانست چنانچه در پای خروسان میروید .

و مراوراست درموضع پس گردن کاکلی سبز مزیّن بانقش و نگار و موضع بیرون آمدن گردن او مانند ابریق است وجای فرو رفتن گردن آن تا که منتهی شود بشکم اومثل رنگ وسمهٔ یمانياست یاهمچوحریر پوشیده شده بر آینه صاحب صیقل و جلا وگویا که طاووس پیچیده است بمقنعهٔ سیاه لکن خیال کرده میشود از جهة کثرت تر و تازگی او وشدت برّاقی او اینکه سبزی با طراوت آمیخته است بآن .

و با شکاف گوش او است خطّی مثل باریکی سر قلم در رنگ گل بابونج که سفید است در غایت روشنی ، پس آن خط بسفیدی خود در میان سیاهی آنچه که آنجاست می‌درخشد ، و کم رنگی است از رنگها مگر اینکه اخذ نموده‌است از آن بنصیب کامل ، و بلند برآمده و تفوّق پیدا کرده آن رنگ براو به بسیاری روشنی ودرخشیدن آن وبرّاقي زیبای آن وخوبی آن .

پس طاووس مانندشکوفهائیست گسترانیده که‌تربیت‌نداده آنرا بارانهای بهاری ونه آفتابهای تابستاني ، و گاهي هست که عاری میشود ازپرخود وبرهنه میشود

ازلباس خود پس می‌افتد آن پرهاپیاپی ، ومیروید روئیدنی ، پس میریزد آن پرها ازقلم پراو همچو ریختن برگهای شاخهای درخت ، بعداز آن متلاحق می‌شود در عقب یکدیگر درحالتیکه نمو کننده است تا آنکه بر میگردد بهیئت وصورتی که پیش ازریختن داشت ، مخالف نمیباشد رنگهای لاحق برنگهای‌سابق ، وواقع‌نمیشود هیچ رنگی درغیرجای خود

وچون نظر کنی بتأمّل درهرموئی ازموهای قلم أومی‌نمایاند آن موی تورا سرخی که بلون گل سرخست و بار دیگر سبزی که برنگ زبرجد است وگاهی زردی برنگ طلای خالص .

پس‌چگونه می‌رسد بصفت این مرغ خوش رنگ فکرهای عمیقه ، یاچگونه میرسد بکنه معرفت او عقلهای با ذکاوت ، یا چگونه بنظم می‌آورد وصف آن را أقوال وصف کنندگان وحال آنکه کمترین جزئهای او عجز آورده است وهمهارا ازادراك آن وزبانهارا ازوصف آن .

پس پاکاپروردگاری که غالبشد بعقلها از وصف کردن مخلوقی که روشن وآشکار گردانید آن را به چشمها ، پس ادراك کردند آن چشمها آن مخلوق را در حالتی که صاحب حدّ معینی بود آفریده شده وصاحب ترکیبی بود برنگهای گوناگون .

پس منزّه پروردگاری که محکم ساخت پاهای مورچه و پشهٔ کوچك را باآنچه فوق‌آنها است از خلق ماهیهاوفیلها ، ووعده‌کرده ولازم نموده برنفس‌خود که نجنبد هیچ جنبندهٔ از موجوداتی که داخل فرموده روحرا در آن مگر اینکه گردانیده مرگ راوعده‌گاه او ، وفنارا پایان کار او .

الفصل الثاني منها في صفة الجنة

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ ما يُوصَفُ لَكَ مِنْها، لَعزَفَتْ نَفْسُكَ مِنْ بَدايِعِ ماأُخْرِجَ إِلَى الدُّنيا مِنْ شَهَواتِها وَ لَذّاتِها، وَزخارِفِ مَناظِرِها وَ لَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ في إِصْطِفاقِ أَشْجارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُها في كُثْبانِ الْمِسْكِ عَلىٰ سَواحِلِ أَنْهارِها، في تَعْليقِ كَبائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ في عَساليجِها وَأَفنانِها، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمارِ مُخْتَلِفَةً في غُلُفِ أَكْمامِها، تُجْنىٰ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتأْتي عَلىٰ مُنْيَةِ مُجْتَنيها، وَيُطافُ عَلىٰ نُزّالِها في أَفْنِيَةِ قُصُورِها بِالأَعْسالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ، قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرامَةُ تَتَمادىٰ بِهِمْ حَتّىٰ حَلُّوا دارَ الْقَرارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الأَسْفارِ، فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّها الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلىٰ ما يَهْجِمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَناظِرِ الْمُونِقَةِ، لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْها، وَ لَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسي هٰذا إِلىٰ مُجاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجالاً بِها، جَعَلَنا اللهُ وَإِيّاكُمْ مِمَّنْ سَعىٰ بِقَلْبِهِ إِلىٰ مَنازِلِ الأَبْرارِ بِرَحْمَتِهِ.

قال السيد (ره) : قوله «كبائس اللؤلؤ الرطب» الكباسة العذق «والعساليج» الغصون واحدها عسلوج.

اللغة

(عزفت) بالعين المهملة والزّاء المعجمة أى زهدت وانصرفت و (اصطفاق) الأشجار اضطرابها من الصّفق و هو الضّرب يسمع له صوت يقال : صفق يده على يده صفقة أى ضربها عليها ، و ذلك عند وجوب البيع ، و في بعض النسخ اصطفاف أشجار أى انتظامها صفّاً ، وفي بعضها اصطفاف أغصان بدل أشجار .

و (الكباسة) العذق التام بشماريخه ورطبه و (الاكمام) كالأكمة والكمام جمع كم و كمامة بالكسر فيهما وهو وعاء الطّلع وغطاء النّور و (فناء) البيت ما اتّسع من أمامه و الجمع أفنية و (التّصفيق) تحويل الشّراب من إناء إلى إناء ممزوجاً ليصفو و (الرّواق) الصّافي من الماء و غيره و المعجب و (النّقلة) بالضمّ الانتقال .

الاعراب

قوله : رميت ببصر قلبك ، الباء زايدة ، وفي تعليق ، عطف على قوله في اصطفاق أشجار ، وجملة تجنى منصوبة المحلّ حال من الثّمار ، وقوم ، خبر محذوف المبتدا وجملة جعلنا الله ، دعائيّة لا محلّ لها من الاعراب ، وقوله : برحمته ، متعلّق بقوله جعلنا أو بقوله : سعى .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبة حسبما ذكره الرضيّ وارد في صفة الجنّة دار النّعيم و الرّحمة قال عليه السلام (فلو رميت ببصر قلبك) أى نظرت بعين بصيرتك (نحوما يوصف لك منها) أى إلى جهة ماوصف الله لك ورسوله في الكتاب والسنّة من نعيم الجنّة و ما أعدّ الله فيها لأوليائـه المؤمنين (لعزفت نفسك) و اعرضت (عن بدايع ما أخرج إلى الدّنيا من شهواتها ولذّاتها وزخارف مناظرها) ولم تجد لشيء منها وقعاً عندها (ولذهلت) مغمورة (بالفكر في) عظيم ما اعدّ في دار الخلد من (اصطفاق أشجار) و اهتزازها بريح (غيّبت عروقها في كثبان المسك) أى في تلال من المسك بدل الرّمل (على سواحل أنهارها) و لذهلت بالفكر (في تعليق

كبائس اللّؤلؤ الرّطب في عساليجها وأفنانها) أى فروعها واغصانها .

(و)في(طلوع تلك الثمار) و ظهورها (مختلفة في غلف أكمامها)يجوز أن يراد باختلاف الثمار اختلافها باعتبار اختلاف الأشجار بأن يحمل كلّ نوع من الشّجر نوعاً من الثمر كما في أشجار الدّنيا فيكون ذكر الاختلاف اشارة إلي عدم انحصار ثمرالجنّة بنوع أونوعين ، وأن يراد به اختلافها مع وحدة الشّجرة ، فذكر الاختلاف للدّلالة على عظيم قدرة المبدء سبحانه .

ويدلّ علي الاحتمال الأوّل ما في البحار من تفسير الامام عليه السلام في قوله تعالى « ولاتقربوا هذه الشّجرة » قال عليه السلام : هي شجرة تميّزت بين ساير أشجار الجنّة إنّ ساير أشجارالجنّة كان كلّ نوع منها يحمل نوعاً من الثمار والمأكول وكانت هذه الشّجرة و جنسها تحمل البرّ والعنب والتين والعنّاب وساير أنواع الفواكه والثمار والأطعمة ، فلذلك اختلف الحاكون بذكر الشجرة فقال بعضهم : هى برّة وقال آخرون : هي عنبة ، وقال آخرون : هى عنّابة .

وعلى الثاني مافي الصّافي من العيون باسناده إلى عبدالسّلام بن صالح الهروي قال : قلت للرّضا عليه السلام ياابن رسول الله أخبرني عن الشّجرة الّتى نهي منها آدم و حوّاء ما كانت ؟ فقد اختلف النّاس فيها ، فمنهم من يروي أنّها الحنطة ، ومنهم من يروى أنّها العنب ، ومنهم من يروى أنّها شجرة الحسد ، فقال عليه السلام : كلّ ذلك حقّ ، قلت : فما معنى هذه الوجوه على اختلافها ؟ فقال عليه السلام : يا أباالصلت إنّ شجرة الجنّة تحمل أنواعاً ، و كانت شجرة الحنطة، و فيها عنب ليست كشجرة الدّنيا فافهم .

(تجنى من غير تكلّف فتأتى على منية مجتنيها) حسبما تشتهيه نفسه لا يترك لـه منية أصلا كما قال سبحانه « وذلّلت قطوفها تذليلا » قال عليّ بن إبراهيم القمّي : قال : دليت عليهم ثمارها ينالها القائم والقاعد .

و في الصافي من الكافي عن النبيّ « وذلّلت قطوفها تذليلا » من قربها منهم يتناول المؤمن من النوع الذي يشتهيه من الثمار وهومتّكىء .

وقال تعالى أيضاً « وجنا الجنّتين دان » قال في مجمع البيان : الجنى الثمر المجنى أى تدنو الثمرة حتّى يجنيها وليّ الله إن شاء قائما وإن شاء قاعداً عن ابن عباس ، و قيل أثمار الجنّتين دانية إلى أفواه أربابها ، فيتنا ولونها متّكئين ، فاذا اضطجعوا نزلت بازاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين ، لا يردّ أيديهم عنها بعد ولا شوك عن مجاهد .

(ويطاف على نزّالها في أفنية قصورها بالأعسال المصفقة) المصفاة (والخمور المروّقة) المتصفة بالصفاء .

كما أخبر به سبحانه في كتابه العزيز بقوله « و يطاف عليهم بآنية من فضّة وأكواب كانت قوارير قوارير من فضّة قدّروها تقديراً ، ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمّى سلسبيلاً ».

وقوله « يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذّة للشاربين لا فيها غول ولاهم عنها ينزفون » أى يطوف عليهم ولدان مخلّدون بكأس من خمر معين ظاهر للعيون جارية في أنهار ظاهرة ، وقيل شديدة الجرى ، ووصفها بكونها بيضاء لأنها في نهاية الرقّة و الصفاء و اللّطافة النورية التي بها لذيذة للشاربين ليس فيها مايعترى خمر الدّنيا من المرارة والكراهة ، لافيها غول أى لايغتال عقولهم فيذهب بها ، ولايصيبهم منها وجع في البطن ولافي الرّأس ويقال للوجع غول لأنه يؤدّى إلى الهلاك ، ولاهم عنها ينزفون من نزف الرّجل فهو منزوف ونزيف إذا ذهب عقله بالسكر.

ولما وصف نعيم الجنة و مامنّ الله بها على نازليها أشار إلى نزّالها فقال عليه السلام (قوم) أى هم قوم (لم تزل الكرامة تتمادى بهم) أى متمادية بهم ممتدّة لهم متوسّعة في حقّهم (حتّى حلّوا) و نزلوا (دار القرار وأمنوا نقلة الأسفار) أى من انتقالها .

وهو كناية عن خلاصهم عن مكاره عوالم الموت والبرزخ والقيامة وشدايدها وأهوالها روى في البحار من معاني الأخبار عن ابن عباس أنه قال: دار السلام الجنّة وأهلها. لهم السلامة من جميع الآفات والعاهات و الأمراض والأسقام ، ولهم السلامة من الهرم والموت وتغيّر الأحوال عليهم ، وهم المكرّمون الّذين لايهانون أبداً ، وهم

الأعزّاء الّذين لا يذلّون أبداً ، و هم الأغنياء الّذين لايفقرون أبداً ، وهم السعداء الّذين لايشقون أبداً ، وهم الفرحون المسرورون الّذين لايغتمّون ولايهتمون أبداً ، وهم الاحياء الّذين لايموتون أبداً فمنهم من في قصور الدرّ والمرجان أبوابها مشرعة إلى عرش الرّحمان ، والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار .

ثمّ أخذ في تحضيض المخاطبين وتشويقهم إلى طلب الجنّة والقصد اليها بقوله (فلو شغلت قلبك أيّها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك) أي يدخل عليك على غفلة منك (من تلك المناظر المونقة) المعجبة (لزهقت نفسك) أي بطلت و هو كناية عن الموت (شوقاً إليها) وحرصا عليها (و لتحملت) وارتحلت (من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالا بها) أي بتلك المناظر المونقة .

ومحصّل المراد أنك لوتفكّرت في درجات الجنان وما أعدّ الله سبحانه فيها لأوليائه المقرّبين ، و عباده الصالحين من جميع ما تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين لمتّ من فرط الشوق و الشعف و لازعجت بكلّيتك عن الدّنيا ، و ساكنت المقابر وجاورت أهل القبور انتظاراً للموت الممدّ اليها .

ثمّ دعا عليه السلام له ولهم بقوله (جعلنا الله وإيّاكم ممن سعى إلى منازل الأبرار) ومساكن الأخيار (برحمته) ومنّته إنّه وليّ الاحسان والكرم والامتنان .

تبصرة

آيات الكتاب العزيز والاخبار المتضمّنتان لوصف الجنة والتشويق إليها فوق حدّ الاحصاء و لنورد بعض الاخبار المتضمّنة له والمشتملة على مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وبعض فضايل شيعته لعدم خلوّه عن مناسبة المقام فأقول :

روى الشارح المعتزلي عن الزمخشري في ربيع الأبرار قال : و مذهبه في الاعتزال و نصرة أصحابنا معلوم و كذا في انحرافه عن الشيعة و تسخيفه لمقالاتهم إنّ رسول الله قال : لما اُسري بي أخذني جبرئيل فأقعدني على درنوك من درانيك الجنة ثمّ ناولني سفرجلة فبينما أنا أقلبها انفلقت فخرجت منها جارية لم أر أحسن

منها فسلّمت فقلت من أنت؟ قال أنا الرّاضية المرضيّة خلقني الجبّار من ثلاثة أصناف أعلاي من عنبر وأوسطي من كافور وأسفلي من مسك ثمّ عجنني بماء الحيوان وقال لي كوني فكنت خلقني لأخيك وابن عمّك عليّ بن أبيطالب.

أقول ورواه في غاية المرام من كتاب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لموفق بن أحمد أخطب خوارزم مثله، وعن عيون الأخبار للصّدوق نحوه ومن أمالي الصّدوق بتفاوت يسير وزيادة قليلة.

وروى في البحار من كشف الغمّة عن موفّق بن أحمد الخوارزمي أيضا بسنده عن بكر بن أحمد عن محمّد بن عليّ عن فاطمة بنت الحسين عليهما السلام عن أبيها وعمّها الحسن بن عليّ عليهما السلام قالا أخبرنا أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما أدخلت الجنّة رأيت الشجرة تحمل الحليّ والحلل أسفلها خيل بلق، وأوسطها حور العين، وفي أعلاها الرّضوان قلت يا جبرئيل لمن هذه الشجرة قال هذه لابن عمّك أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب إذا أمر الله الخليقة بالدّخول إلى الجنة يؤتى بشيعة عليّ عليه السلام حتّى ينتهى بهم إلى هذه الشجرة، فيلبسون الحليّ والحلل، ويركبون الخيل البلق وينادى مناد: هؤلاء شيعة عليّ صبروا في الدّنيا على الأذى فحبوا هذا اليوم.

و في البحار من تفسير فرات بن إبراهيم عن الحسين بن سعيد معنعنا عن ابن عبّاس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ في الجنّة لشجرة يقال لها طوبى ما في الجنّة دار إلاّ فيها غصن من أغصانها أحلى من الشّهد و ألين من الزّبد أصلها في داري وفرعها في دار عليّ بن أبيطالب.

وفيه منه أيضاً عن إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم الفارسي معنعنا عن أبيجعفر محمّد بن عليّ عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما أُسرى بي إلى السّماء فصرت في سماء الدّنيا حتّى صرت في السماء السّادسة فاذا أنا بشجرة لم أر شجرة أحسن منها فقلت لجبرئيل ياحبيبي ما هذه الشجرة؟ قال هذه طوبى ياحبيبي، قال: قلت:

ما هذا الصوت العالي الجهوري ؟ قال : هذا صوت طوبى قلت : أيّ شيء يقول؟قال : يقول واشوقاه إليك يا علي بن أبي طالب

و فيه منه أيضاً عن الحسين بن القاسم والحسين بن محمد بن مصعب و عليّ بن حمدون و زاد بعضهم الحرف و الحرفين ونقص بعضهم الحرف و الحرفين و المعنى واحد إنشاءالله.

قالوا حدّثنا عيسى بن مهران معنعناً عن أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال لمّا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله « طوبى لهم وحسن مآب » قام مقداد بن الأسود الكندي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله وما طوبى ؟ قال يامقداد شجرة في الجنّة لو يسير الرّاكب الجواد لسار في ظلّها مأة عام قبل أن يقطعها، ورقها و قشورها برد خضر وزهرها رياش صفر ، وأفنانها سندس و استبرق وثمرها حلل خضر ، وطعمها زنجبيل وعسل وبطحائها ياقوت أحمر وزمرّد أخضر وترابها مسك وعنبر وحشيشها منيع والنجوج(١) يتأجّج من غير و قود ، و يتفجّر من أصلها السلسبيل والرّحيق والمعين وظلّها مجلس من مجالس شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام يألفونه ويتحدّثون بجمعهم و بيناهم في ظلّها يتحدّثون إذ جائتهم الملائكة يقودون نجباء جبلت من الياقوت ثمّ نفخ الروح فيها مزمومة بسلاسل من ذهب كأنّ وجوهها المصابيح نضارة وحسنا وبزّها خزّ أحمر و مزعزى (٢) أبيض مختلطتان لم ينظر الناظرون إلى مثله حسناً وبهاء وذلّل من غير مهلة نجباء من غير رياضة عليها رحال ألواحها من الدّر والياقوت المفضّضة باللّؤلؤ والمرجان صفايحها من الذهب الأحمر ملبّسة بالعبقريّ والأرجوان فأناخوا تلك النجائب إليهم .

ثمّ قالوا لهم: ربّكم يقرئكم السلام ويريكم وينظر إليكم ويحبّكم وتحبّونه ويزيدكم من فضله و رحمته فانّه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم فيتحوّل كلّ رجل منهم على راحلته فينطلقون صفاً واحداً معتدلاً ولايمرّون بشجرة من أشجار الجنّة إلاّ أتحفتهم بثمارها ورحلت لهم عن طريقهم كراهية أن يثلم بطريقتهم وأن يفرّق

(١) المنيع لم أرله معنى يناسب المقام والنجوج عود البخور (بحار)
(٢) المزعزى ويمدّ اذا خفف وقد تفتح الميم في الكلّ الزغب الذى تحت شعر العنز (بحار).

بين الرّجل ورفيقه .

فلما وقعوا إلى الجبّار جلّ جلاله قالوا ربّنا أنت السلام ولك يحقّ الجلال والاكرام فيقول الله تعالى مرحبا بعبادي الّذين حفظوا وصيّتي في أهل بيت نبيّي و رعوا حقّي و خافوني بالغيب وكانوا منّي على كلّ حال مشفقين قالوا و عزّتك و جلالك ما قدرناك حق قدرك ، و ما أدّينا لك كلّ حقك فأذن لنا بالسجود قال لهم ربهم إنى وضعت عنكم مؤنة العبادة و أرحت عليكم أبدانكم و طال ما نصبتم لي الأبدان، وعنتّم الوجوه فالآن أفضيتم إلى روحي ورحمتي فاسئلوني ما شئتم ، وتمنّوا عليّ اُعطكم أمانيكم فاني لن اُجزيكم اليوم بأعمالكم ولكن برحمتي و كرامتي وطولي وارتفاع مكاني وعظيم شأني ولحبكم بأهل بيت نبيّي.

فلا يزال يرفع أقدار محبّي عليّ بن أبيطالب في العطايا والمواهب حتى انّ المقصر من شيعته ليتمنّى في اُمنيته مثل جميع الدّنيا منذ خلقها الله إلى يوم فنائها فيقول لهم ربّهم لقد قصرتم في أمانيكم ورضيتم بدون ما يحقّ لكم فانظروا إلى مواهب ربّكم .

فاذا بقباب وقصور في أعلا علّيّين من الياقوت الأحمر و الأخضر و الأصفر والأبيض يزهر نورها فلولا أنها مسخّرة إذا للمعت(١) الأبصار منها فما من تلك القصور من الياقوت الأحمر فهو مفروش بالعبقري الأحمر وماكان منها من الياقوت الأخضر فهو مفروش بالسندس الأخضر وماكان منها من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحرير الأبيض و ما كان فيها من الياقوت الأصفر فهو مفروش بالرياش الأصفر (٢) مبثوثة مطرّزة بالزمرّد الأخضر ، والفضّة البيضا ، والذّهب الأحمر ، قواعدها و أركانها من الجوهر يثور من أبوابها وأعراصها نور، شعاع الشمس عندها مثل الكوكب الدّري في النهار المضيء .

و إذاً على باب كل قصر من تلك القصور جنّتان مدها مّتان ، فيهما عينان نضّاختان ، وفيهما من كلّ فاكهة زوجان .

---

(١) لمع بالشيء ذهب به (بحار) . (٢) الرياش اللباس الفاخر (بحار) .

فلمّا أرادوا أن ينصرفوا إلى منازلهم ركبوا على برازين من نور بأيدي ولدان مخلّدين ، بيد كلّ واحد منهم حكمة (١) برزون من تلك البرازين ، لجمها وأعنّتها من الفضّة البيضاء ، وأثفارها من الجوهر .

فلمّا دخلوا منازلهم وجدوا الملائكة يهنّؤنهم بكرامة ربّهم ، حتّى إذا استقرّوا قرارهم ، قيل لهم هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّا قالوا نعم ربّنا رضينا فارض عنّا قال برضاي عنكم و بحبّكم أهل بيت نبيّي أحللتم داري، و صافحتم الملائكة فهنيئاً هنيئاً غير محذور و ليس فيه تنغيص فعند ها قالوا الحمدلله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور .

قال أبوموسى فحدّثت به أصحاب الحديث عن هؤلاء الثمانية فقلت لهم أنا أبرأ اليكم من عهدة هذا الحديث لأنّ فيه قوماً مجهولين و لعلّهم لم يكونوا صادقين فرأيت ليلتي أوبعده كأنّه أتاني آت ومعه كتاب فيه من مخول بن إبراهيم والحسن بن الحسين، ويحيى بن الحسن بن فرات وعليّ بن القاسم الكندي، ولم ألق عليّ بن القاسم، وعدّة بعد لم أحفظ أساميهم كتبنا إليك من تحت شجرة طوبى و قد انجز لنا ربّنا ما وعدنا فاستمسك بما عند الكتب ، فانك لن تقرء منها كتابا إلاّ أشرقت له الجنّة .

الترجمة

فصل ثاني از اين خطبه درفضل بهشت عنبرسرشت است ميفرمايد :

پس اگر بيندازي تو ديدهٔ قلب خودرا بجانب چيزي كه وصف كرده ميشود ازبراى تو ازبهشت هراينه اعراض كند نفس تو ازعجايب آنچه كه بيرون آورده بسوى دنيا از پردهٔ غيب از شهوات ولذات آن وزينتهاى منظره هاى آن و هراينه غفلت كنى بسبب فكر كردن درآواز كردن وبهم خوردن درختاني كه غايب شده‌اند ريشه‌هاى آنها درتلّهاى مشك براطراف نهرهاى آن ودرآويختن خوشه‌هاى مرواريدتر

(١) الحكمة محركة ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه و فيها العذاران و الثفر بالتحريك وقد يسكن السير فى مؤخر السرج (بحار) .

و تازه درشاخهای بزرك آنها و شاخهای كوچك آنها و در ظاهر شدن آن میوها درحالتی كه مختلفند درلون وطعم درغلافها وغنچه‌های آن میوها درحالتی كه چیده میشوند بي زحمت ومشقت پس میآیند آن میوها برخواهش چینندهای خود وطواف كرده می‌شوند برنازلان آن پیرامن قصرهای آن باعسلهای صاف كرده شده از كدورات وخمرهای صافیه، ایشان جماعتی هستند كه همیشه كرامت كشیده میشود بایشان تا فرود آیند بسرای برقراری، وایمن شوند از انتقال جائی بجائی پس اگرمشغول گردانی قلب خودرا ای گوش دهنده برسیدن بسوی آنچه هجوم آور می شود از آن منظرهای تعجب آورندهٔ خوش آینده هر آینه برآید جان تو بجهة اشتیاق بسوی آن و هر آینه متوجه می‌شوی از این مجلس من بهمسایگی أهل قبرستان از جهة شتافتن بآن نعیم بي‌پایان، بگرداند خدای تعالی ما را و شما را از كسانی كه سعی می كند بمنزلهای نیكوكاران برحمة بي‌نهایت وبخشش بي‌غایت خود.

ومن خطبة له عليه السلام و هی المأة و الخامسة و الستون من المختار فی باب الخطب

والظاهر أنها ملتقطة من خطبة طويلة قدّمنا روايتها في شرح الخطبة السابعة والثمانين من الكافي فليراجع هناك وهذه متضمّن لفصلين :

الفصل الاول

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلْيَرْؤُفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ، وَلاَ تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ، لاَ فِي الدِّينِ تَتَفَقَّهُونَ، وَلاَ عَنِ اللهِ تَعْقِلُونَ، كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً.

الفصل الثاني منها

إِفتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ، فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَما مالَ مالَ مَعَهُ، عَلى أَنَّ اللهَ تَعالىٰ سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَما تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ، يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكاماً كَرُكامِ السَّحابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْواباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ لَهُ أَكَمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ وَلاَ حِدابُ أَرْضٍ، يُذَعْذِعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنابِيعَ فِي الأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيارِ قَوْمٍ.

وَأَيْمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ ما فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ، كَما تَذُوبُ الأَلْيَةُ عَلَى النّارِ.

يا أَيُّهَا النّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْباطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ، تُهْتُمْ مَتاهَ بَنِي إِسْرائِيلَ، وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ، مِنْ بَعْدِي أَضْعافاً خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الأَدْنىٰ وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدّاعِيَ لَكُمْ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهاجَ الرَّسُولِ ﷺ،

وَكُفِيتُمْ مَؤُنَةَ الإِعْتِسافِ ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفادِحَ عَنِ الأَعْناقِ .

اللغة

(تتفقّهون) و (تعقلون) في بعض النسخ بصيغة الخطاب وفي بعضها بصيغة الغيبة و (قيض البيض) بالفتح قشرة البيض العليا اليابسة وقيل الّتي خرج مافيها من فرخ .

و قال الشارح البحراني تبعاً للشارح المعتزلي : قيض البيض « كسره تقول قضت البيضة كسرتها و (انقاضت) تصدّعت من غير كسر ، و (تقيّضت) تكسّرت فلقا فعلى قولهما يكون القيض مصدراوعلى ماذكرناه اسما وهذا أظهر وأولى بقرينة قوله عليه السلام يكون كسرها وزراً فافهم .

و(الأُداح) مخفّف أداحي جمع اُداحى بالضمّ مثل خرطوم وخراطيم، وعرفوب وعرافيب ، وقديكسر وهوالموضع الّذي تبيض فيه النّعامة وتفرخ ، و هو اُفعول من دحوت لانّها تدحوه برجلها أى تبسطه ثمّ تبيض فيه وليس للنعام عش و (حضن) الطاير بيضه حضناً و حضانا بكسرهما ضمّه تحت جناحه فهى حاضن لأنّه وصف مختصّ وحكي (حاضنة) على الأصل و (القزع) القطع من السحاب المتفرّقة والواحدة قزعة مثل قصب وقصبة و (الركام) بالضمّ ما تراكم من السحاب و كثف منها وبالفتح جمع شيء فوق آخروالموجود في النسخ بالضمّ و (المستثار) موضع الثوران و الهيجان و (القارة) بالقاف الجبل الصّغير و (الحداب) بالكسر جمع حدبة وهى كالحدب محرّكة ما ارتفع من الأرض قال سبحانه : « وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ » و (الأُلية) بفتح الهمزة و جمعها أليات بالتحريك و التثنية أليان بغيرتاء و (المتاه) مصدر ميمي بمعنى التيه و (فدحه) الدّين أثقله .

الاعراب

الضمير في كسرها راجع إلى القيض والتّانيث امّا لكونها بمعنى القشرة أو

باعتبار كسبها التأنيث عن المضاف إليه وهي قاعدة مطّردة قال الشاعر كماشرقت صدر القناة من الدّم و حضانها بالضمّ فاعل يخرج و على في قوله « على انّ الله » بمعنى مع كما في قوله تعالى « وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ » وقوله كقيض بيض بدل من قوله كجفاة الجاهليّة والباقي واضح .

المعنى

اعلم أنّ مدار هذه الخطبة على ما التقطها السيد رحمه الله على فصلين :

الفصل الاول

مسوق لنصح المخاطبين و هدايتهم على ما فيه انتظام اُمورهم وصلاح عملهم من حيث الدّين والدّنيا وهوقوله (ليتأسّ صغيركم بكبيركم) أمر الصغار بتأسّي الكبار لأنّ الكبير أكثر تجربة وأكيس فهو أليق بأن يتأسّى به (وليرؤف كبيركم بصغيركم) أمر الكبار بالرأفة على الصغار لأنّ الصغير مظنّة الضعف فهو أحقّ بأن يرحم عليه ويرأف .

قال الكيدري في محكيّ كلامه أى ليتأسّ من صغر منزلته في العلم والعمل بمن له متانة فيهما ، وليرحم كلّ من له جاه ومنزلة في الدّنيا بالمال والقوّة كلّ من دونه (و لا تكونوا كجفاة الجاهليّة) أى كأهل الجاهلية الموصوفين بالجفاء و القسوة و الفظاظة و الغلظة (لا في الدّين تتفقّهون ، و لا عن الله تعقلون) أشار إلى وجه الشّبه الجامع بين الفرقتين و هو جهلهم بمعالم الدّين ، و غفلتهم عن أحكام ربّ العالمين قال تعالى « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لايَعْقِلُونَ »

و قوله :(كقيض بيض في أداح يكون كسرها وزراً ويخرج حضانها شرّاً)

قال الشارح المعتزلي وجه الشبه أنهاإن كسرهاكاسر أثم لأنّه يظنّه بيض النعام و إن لم يكسر يخرج حضانها شراً اذ يخرج أفعياً قاتلا ، و استعار لفظ الأداحى للاعشاش مجازاً لأنّ الأداحى لاتكون إلاّ للنعام .

وقال الشارح البحراني نهاهم عليه السلام أن يشبهوا جفاة الجاهليّة في عدم تفقّههم في الدين ، فيشبهون إذاً بيض الأفاعى في أعشاشها ووجه الشّبه أنه إن كسر كاسر أثم لتأذّى الحيوان به فكذلك هؤلاء إذا شبّهوا جفاة الجاهليّة لا يحلّ أذيهم لحرمة ظاهر الاسلام ، وإن اُهملوا وتركوا على الجهل خرجوا شياطين .

أقول : و ببيان أوضح إنّ بيض الأفاعى كما أنّ في كسرها سلامة من شرّ مايخرج منها لو أبقيت على حالها إلاّ أنّ فيه وزراً على كاسرها و في عدم كسرها لايكون على أحد وزر إلاّ أنّ مايخرج منها تكون منشأ الشّرور والأذى فكذلك هؤلاء إن اُقيمت فيهم مراسم السّياسة المدنيّة بالتّأديب و التعزير و التّعذيب لاستقامت الاُمور و انتظمت وظايف الخلافة لكن في اقامتها وزراً على المقيم لأنّ فيه مخالفة لأمر الله سبحانه أونهيه كما قال عليه السلام في الكلام الثامن والسّتين: وانّي لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم ولكنّي لاأرى إصلاحكم بافساد نفسي ، وإن تركوا على حالهم كانوا منشأ الشرور والمفاسد فيضلّون كثيراً أويضلّوا عن سواء السّبيل .

والفصل الثانى منها

اشارة إلى اختلاف شيعته وأصحابه من بعده وهو قوله (افترقوا بعد اُلفتهم) أى بعد ايتلافهم و اجتماعهم عليّ (وتشتّتوا عن أصلهم) أى تفرّقوا عن امام الحقّ الذي يحقّ الا ئتمام به ، فصار بعضهم كيسانيّاً وبعضهم زيدياً وبعضهم فطحيّاً وغيرها (فمنهم آخذ بغصن أينما مال مال معه).

قال الشّارح المعتزلي أى يكون منهم من يتمسّك بمن أخلفه من بعدي من ذرّية الرّسول صلّى الله عليه وآله أينما سلكوا سلكوا معهم وتقدير الكلام: ومنهم من لايكون هذه حاله لكنّه لم يذكره اكتفاء بذكر القسم الأوّل لأنّه دالّ على القسم الثّاني .

ثمّ أخبر عليه السلام أنّ الفريقين يجتمعان فقال (على أنّ الله) سبحانه (سيجمعهم لشرّ يوم لبني اميّة).

قال الشارح المعتزلي وكذا كان حال الشيعة الهاشميّة اجتمعت على إزالة

ملك بني مروان من كان منهم ثابتا على ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام و من حاد منهم عن ذلك، وذلك في أواخر أيّام مروان الحمار عند ظهور الدّعوة الهاشميّة.

أقول: قد تقدّم في شرح الخطبة السابعة والثمانين، أنّ ما أخبر عليه السلام به قد وقع في سنة اثنين و ثلاثين و مأة عند ظهور أبي مسلم المروزي الخراساني صاحب الدّعوة، و في هذه السنة ظهر السفّاح بالكوفة، و بويع له بالخلافة وكان استيصال بني اُمية بيده كما عرفت تفصيلا في شرح الخطبة المأة والرابعة.

ويعجبني أن اُورد هنا نادرة لم يسبق ذكرها أوردها الدّميرى في حياة الحيوان قال لما قتل إبراهيم بن الوليد بويع لمروان بن محمّد المنبوز بالحمار بالخلافة و في أيّامه ظهر أبومسلم الخراساني، و ظهر السفّاح بالكوفة، و بويع له بالخلافة وجهّز عمّه عبدالله بن عليّ بن عبدالله بن عباس لقتال مروان بن محمّد، فالتقى الجمعان بالزاب زاب الموصل، واقتتلوا قتالا شديداً فانهزم مروان وقتل من عسكره و غرق ما لا يحصى و تبعه عبدالله إلى أن وصل إلى نهر الأرون فلقي جماعة من بني امية وكانوا نيّفا وثمانين رجلاً فقتلهم عن آخرهم.

ثمّ جهّز السفاح عمّه صالح بن عليّ على طريق السماوة فلحق بأخيه عبدالله وقد نازل دمشق ففتحها عنوة و أباحها ثلاثة أيّام ونقض عبدالله ثورها حجراً حجراً وهرب مروان إلى مصر فتبعه صالح حتى وصل إلى أبي صير وهي قرية عندالفيوم، قال ما اسم هذه القرية قالوا أبوصير قال فالى الله المصير.

ثمّ دخل الكنيسة الّتى بها فبلغه أنّ خادماً نمّ عليه فأمر به فقطع رأسه وسلّ لسانه واُلقى على الأرض فجائت هرّة فأكلته ثمّ بعد أيام هجم على الكنيسة التى كان نازلا بها عامر بن إسماعيل فخرج مروان من باب الكنيسة وفي يده سيف وقد أحاطت به الجنود وخفقت حوله الطبول فتمثّل ببيت الحجّاج بن حكيم السلمي وهو:

متقلّدين صفايحاً هندية ✿ يتركن من ضربوا كأن لم يولد.

ثمّ قاتل حتى قتل فأمر عامر برأسه فقطع في ذلك المكان وسلّ لسانه واُلقى على الأرض فجائت تلك الهرّة بعينها فخطفته فأكلته فقال عامر لو لم يكن في الدّنيا

عجب إلاّ هذا لكان كافياً لسان مروان في فم هرّة ؟ وقال في ذلك شاعرهم :

قد يسّر الله مصراً عنوة لكم ... وأهلك الكافر الجبار إذ ظلما

فلاك مقولـه هرّ يجرجره ... وكان ربّك من ذي الظلم منتقما

قال الدّميري وكان قتل مروان في سنة ثلاث وثلاثين ومأة وهو آخر خلفاء بني امية وأوّلهم معاوية بن أبي سفيان وكانت مدّة خلافتهم نيّفاً وثمانين سنة و هى ألف شهر و بقتل مروان انقرضت دولة بني أُمية لعنهم الله قاطبة .

(كما تجتمع قزع الخريف) من ههنا وهناك (يؤلّف الله بينهم) وهو كناية عن اتفاق آرائهم و كلمتهم على ازالة ملك بني أُمية (ثمّ يجعلهم ركاما كركام السحاب) أى يجعلهم متراكمين مشتركين مجتمعين منضماً بعضهم إلى بعض كالمتراكم من السحاب (ثمّ يفتح الله لهم أبواباً) .

قال الشارح البحراني الأبواب إشارة إمّا إلى وجوه الآراء الّتي تكون أسباب الغلبة والانبعاث على الاجتماع أوأعمّ منها كساير الأسباب للغلبة من إعانة بعضهم لبعض بالأنفس و الأموال و غير ذلك (يسيلون من مستثارهم) استعارة تبعيّة أى يخرجون من موضع ثورانهم وهيجانهم (كسيل الجنّتين) اللّتين أخبر الله بهما في كتابه العزيز وستعرف قصّتها تفصيلاً و وجه الشّبه الشدّة في الخروج وإفساد ما يأتون إليه كقوّة ذلك السيل (حيث لو تسلم عليه قارة ولم تثبت عليه اكمة) أى لم يقاوم له جبل ولا تلّ (و لم يردّ سننه) أى طريقه (رصّ طود) أى جبل مرصوص شديد الالتصاق (ولاحداب أرض) أى الرّوابي والنجا (ويذعذعهم الله في بطون أوديته ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض) .

قال سبحانه «ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض» والمراد أنّ الله سبحانه كما ينزل من السّماء ماء فيكنّه في أعماق الأرض ثمّ يظهر منها ينابيع إلى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرّقهم الله في بطون الأودية و غوامض الأرض ثمّ يظهرهم بعد الاختفاء أو كناية عن إخفائهم بين النّاس في البلاد ثمّ اظهارهم بالاعانة و التأييد ف(يأخذ بهم من قوم) ظالمين (حقوق قوم) مظلومين

و المراد بهم آل الرّسول ﷺ (و يمكّن لقوم) من بني هاشم (في ديار قوم) من بني اميّة .

ثمّ أقسم بالقسم البارّ فقال (وأيم الله ليذوبنّ ما في أيديهم) أى أيدي بني اميّة أو بني العباس من الملك و السلطنة (كما يذوب الألية على النّار) وجه الشبه الاضمحلال والفناء .

ثمّ عاد إلى توبيخ المخاطبين فقال : (أيّها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ) أراد به نفسه لأنّ الحقّ معه وهو مع الحقّ كما ورد في صحيح الخبر (ولم تهنوا عن توهين الباطل) أراد به معاوية وأصحابه (لم يطمع فيكم) و في بلادكم (من ليس مثلكم) في البأس والقوّة (و لم يقو من قوي عليكم) ولم يشنّ الغارات على بلادكم و أصقاعكم ولكنّكم(تهتم متاه بني إسرائيل) أى تحيّرتم مثل تحيّرهم وستعرف تيههم إنشاء الله بعد الفراغ من شرح الخطبة (ولعمري ليضعفنّ لكم التّيه) والضلال (من بعدي أضعافاً) وكذا كان لأنّ تيه بني إسرائيل كان أربعين سنة وتيه هؤلاء جاوز الثمانين مدّة ملك بني اُمية بل زاد على ستّماة مدّة ملك بني العباس بل ممدّ إلى ظهور الدّولة القائمية بما (خلّفتم الحقّ وراء ظهوركم) ونكبتم عن الصراط المستقيم (و قطعتم الأدنى) أى الأقرب من رسول الله ﷺ نسبا و صهراً وأراد به نفسه (ووصلتم الأبعد) أراد به معاوية أو من تقدّم عليه من المتخلّفين .

ثمّ أرشدهم إلى وجه الرّشاد والسداد فقال : (واعلموا انّكم إن اتّبعتم الدّاعي لكم) أراد به نفسه أو القائم عليه السلام و في بعض النسخ الرّاعي بالراء و قد تقدّم فيما ذكرناه سابقا انّ الامام راع لرعيّته ، و ظهر لك وجه المناسبة في إطلاق الرّاعي عليه (سلك بكم منهاج الرسول) أى جادّة الشريعة (و كفيتم مؤنة الاعتساف) في طرق الضلال (ونبذتم الثقل الفادح) أى الاثم والعذاب في الآخرة (عن الأعناق).

تنبيهان :

الاول فى قصة قوم سبأ وسيل الجنتين

قال تعالى : « لقد كان لسباء في مسكنهم آية جنّتان عن يمين وشمال كلوا

من رزق ربّكم واشكروا له بلدة طيّبة وربّ غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنّتيهم جنّتين ذواتي أُكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلاّ الكفور ».

قال عليّ بن إبراهيم القمّي قال إنّ بحراً كان في اليمن وكان سليمان عليه السلام أمر جنوده أن يجروا لهم خليجاً من البحر العذب إلى بلاد هند ، ففعلوا ذلك وعقدوا له عقدة عظيمة من الصخر والكلس حتّى تفيض على بلادهم ، وكانوا إذا أرادوا أن يرسلوا منه الماء أرسلوه بقدر ما يحتاجون إليه وكانت لهم جنّتان عن يمين وشمال عن مسيرة عشرة أيّام فيها يمرّ المارّ لا تقع عليه الشمس من التفافها .

فلمّا عملوا بالمعاصي وعتوا عن أمر ربّهم و نهاهم الصالحون فلم ينتهوا ، بعث الله على ذلك السدّ الجرذ وهي الفارة الكبيرة فكانت تقلع الصّخرة التي لا يستقلّها الرّجل وترمي به فلمّا رأى ذلك قوم منهم هربوا وتركوا البلاد فمازال الجرذ تقلع الحجر حتّى خربرا ذلك السدّ فلم يشعروا حتّى غشيهم السّيل و خرب بلادهم وقلع أشجاهم .

و قال الطبرسي في مجمع البيان في تفسير الآية ثمّ أخبر سبحانه عن قصّة سبأ بما دلّ على حسن عاقبة الشّكور و سوء عاقبة الكفور فقال ـ لقد كان لسباء ـ المراد بسبا هنا القبيلة الّذينهم أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ـ في مسكنهم ـ أي في بلدهم ـ آية ـ أي حجّة على وحدانيّة الله عزّ وجلّ و كمال قدرته و علامـة على سبوغ نعمته ثمّ فسّر سبحانه الآية فقال : ـ جنّتان عن يمين وشمال ـ أي بستانان عن يمين من أتاهما وشماله وقيل عن يمين البلد وشماله .

و قيل انّه لم يرد جنّتين اثنتين والمراد إنه كانت ديارهم على وتيرة واحدة إذ كانت البساتين عن يمينهم و شمالهم متّصلة بعضها ببعض وكانت من كثرة النّعم أنّ المرأة تمشي والمكتل على رأسها فيمتلي بالفواكه من غير أن تمسّ بيدها شيئاً .

وقيل الآية المذكورة هي أنّه لم يكن في قريتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث و لا عقرب و لا حيّة ، و كان الغريب إذا دخل بلدهم وفي ثيابه قمّل ودوابّ ماتت

عن ابن زيد .

و قيل ان المراد بالآية خروج الأزهار و الثمار من الأشجار على اختلاف ألوانها وطعومها .

وقيل : انها كانت ثلاث عشرة قرية في كل قرية نبي يدعوهم إلى الله سبحانه يقولون لهم « كلوا من رزق ربكم واشكروا له » أى كلوا مما رزقكم الله في هذه الجنان واشكروا له يزدكم من نعمه و استغفروه يغفر لكم (بلدة طيبة) أى هذه بلدة مخصبة نزهة أرضها عذبة تخرج النبات و ليست بسبخة وليس فيها شيء من الهوام الموذية .

و قيل أراد به صحة هواها و عذوبة مائها وسلامة تربتها وأنه ليس فيها حر يؤذى في القيظ ، ولا برد يؤذى في الشتاء ـ ورب غفور ـ أى كثير المغفرة للذنوب ـ فأعرضوا ـ عن الحق ولم يشكروا الله سبحانه ولم يقبلوا ممن دعاهم إلى الله من أنبيائه ـ فأرسلنا عليهم سيل العرم ـ و ذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن ، وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما فسدوا ما بين الجبلين فاذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السد بقدر الحاجة فكانوا يسقون زروعهم و بساتينهم فلما كذبوا رسلهم و تركوا أمر الله بعث الله جرذاً نقب ذلك الردم و فاض الماء عليهم فأغرقهم عن وهب .

وقال البيضاوي سيل العرم أى سيل الأمر العرم أى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم إذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد أوالجرذ أضاف إليه لأنه نقب عليهم سكراً ضربت لهم بلقيس ، فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه نقباً على مقدار ما يحتاجون إليه أو المسناة التي عقدت سكراً على أنه جمع عرمة و هي الحجارة المركومة .

وقيل اسم وادجاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد ـ وبدلناهم بجنتيهم ـ اللتين فيهما أنواع الفواكه و الخيرات ـ جنتين ـ أخراوين ـ ذواتي أكل خمط ـ مر بشع فان الخمط كل نبت أخذ طعما من مرارة .

وقيل الاراك أو كلّ شجر له شوك - وأثل وشيء من سدر قليل - والأثل الطرفا ، لا ثمر له ، ووصف السدر بالقلّة فان جناه وهو النبق ممّا يطيب أكله ولذلك يغرس في البساطين - ذلك جزيناهم بما كفروا - بكفرانهم النّعمة أو بكفرهم بالرّسل - وهل نجازي إلاّ الكفور - أى البليغ في الكفران أو الكفر .

الثانى فى قصة تيه بنى اسرائيل

قال تعالى حكاية عن موسى « إذ قال لقومه ياقوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ولا ترتدّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ، قالوا ياموسى إنّ فيها قوماً جبّارين ، و إنّا لن ندخلها حتّى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الّذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب ، فاذا دخلتموه فانكم غالبون و على الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين قالوا يا موسى انّا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربّك فقاتلا انّا هيهنا قاعدون قال ربّ انّي لا أملك إلاّ نفسي و أخي فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين قال فانّها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين» .

روى في الصّافي عن العياشي ، عن الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله والّذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل ، والقذّة بالقذّة حتّى لا تخطاؤن طريقهم ، ولا تخطّاكم سنّة بني إسرائيل .

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة الّتي كتب الله لكم فردّوا عليه وكانوا ستّمأة ألف فقالوا ياموسى إنّ فيها قوماً جبّارين الآيات قال فعصى أربعون ألفاً وسلم هارون وابناه ويوشع بن نون و كالب بن يوحنّا فسمّاهم الله فاسقين فقال لا تأس على القوم الفاسقين فتاهوا أربعين سنة لأنّهم عصوا فكانوا حذو النعل بالنعل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما قبض لم يكن على أمر الله إلاّ عليّ والحسن و الحسين وسلمان والمقداد و أبوذر فمكثوا أربعين حتّى قام عليّ فقاتل من خالفه .

وقال الطبرسي وغيره في تفسير الآية ماملخّصه : قوله حكاية عن خطاب موسى لقومه ـ يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة ـ هي بيت المقدس والعياشي عن الباقر عليه السلام يعني الشام ـ الّتي كتب الله لكم ـ أن تكون مسكنا ـ و لاترتدّوا على أدباركم ـ أي لاترجعوا عن الأرض التي اُمرتم بدخولها ـ مدبرين فتنقلبوا خاسرين ـ عن ثواب الدارين ـ قالوا ياموسى انّ فيها قوما جبّارين ـ شديد البطش والبأس لايتأتّى لنا مقاومتهم .

قال ابن عباس بلغ من جبريّة هؤلاء القوم أنّه لمّا بعث موسى من قومه اثنى عشر نقيباً ليخبروه خبرهم أهمّ رجل من الجبارين يقال له عوج فأخذهم في كمّه مع فاكهة كلّها كان يحملها من بستانه و أتى بهم الملك فنثرهم بين يديه و قال للملك تعجّباً منهم هؤلاء يريدون قتالنا، فقال الملك أرجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا .

قال و كان فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب، ويدخل في قشر نصف رمانة خمسة رجال ـ وانّا لن ندخلها حتّى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانّا داخلون قال رجلان ـ هما يوشع بن نون و كالب بن يوحنا ابن عمّه كذا عن الباقر عليه السلام ـ من الّذين يخافون ـ الله و يتّقونه ـ أنعم الله عليهما ـ بالايمان والتثبت ـ ادخلوا عليهم الباب ـ باب قريتهم ـ فاذا دخلتموه فانكم غالبون ـ لتعسر الكم عليهم في المضايق من عظم أجسامهم ولأنهم أجسام لا قلوب فيها ـ و على الله فتوكّلوا ـ في نصرته على الجبارين ـ ان كنتم مؤمنين ـ به ومصدّقين لوعده .

ـ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت و ربك فقاتلا إنّا هيهنا قاعدون ـ قالوها استهانة بالله و رسوله و عدم مبالاة بهما ـ قال ربّ إنّي لا أملك إلاّ نفسي وأخي ـ لأنه يجيبني إذا دعوته ـ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانّها محرّمة عليهم ـ لا يدخلونها و لا يملكونها بسبب عصيانهم ـ أربعين سنة يتيهون في الأرض ـ يسيرون فيها متحيّرين ـ فلا تأس على القوم الفاسقين ـ لأنّهم أحقّاء بذلك لفسقهم .

قال الطبرسي قال المفسرون لما عبر موسى عليه السلام و بنو إسرائيل البحر وهلك فرعون أمرهم الله سبحانه بدخول الأرض المقدّسة فلما نزلوا على نهر الاردن خافوا عن الدخول فبعث من كلّ سبط رجلاً وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله «وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً» فعاينوا من عظم شأنهم وقوّتهم شيئاً عجيباً فرجعوا إلى بني إسرائيل فأخبروا موسى بذلك فأمرهم أن يكتموا فوفى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط ابن يامين وقيل انه كان من سبط يوسف عليه السلام و كالب بن يوحنا من سبط يهودا و عصى العشرة واخبروا بذلك.

و قيل كتم الخمسة منهم وأظهر الباقون و فشا الخبر في الناس فقالوا إن دخلنا عليهم تكون نسائنا و أهالينا اغنمة لهم، وهموا بالانصراف إلى مصر و هموا بيوشع و كالب و أرادوا أن يرجموهما بالحجارة فاغتاظ لذلك موسى وقال ربّ اني لا أملك إلاّ نفسي وأخي فأوحى الله إليه إنهم يتيهون في الأرض أربعين سنة وإنما يخرج منهم من لم يعص الله في ذلك فبقوا في التيه أربعين سنة في ستة عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ وهم ستمأة ألف مقاتل لاتتخرّق ثيابهم وتثبت معهم وينزل عليهم المنّ والسلوى.

وقال الطبرسي في تفسير قوله وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى: وكان السبب في إنزال المنّ والسلوى عليهم أنه لما ابتلاهم الله بالتيه إذ قالوا لموسى « اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون» حين أمرهم بالمسير إلى بيت المقدس وحرب العمالقة فوقعوا في التيه صاروا كلّما ساروا تاهوا في قدر خمسة فراسخ أوستّة فكلّما أصبحوا صاروا عادين فأمسوا فاذاهم في مكانهم الذي ارتحلوا منه كذلك حتّى تمّت المدّة وبقوا في التيه أربعين سنة.

وفي الصافي عن العياشي عن الصادق عليه السلام قال فحرّم الله عليهم أي دخول الأرض المقدّسة أربعين سنة وتيههم فكان إذا كان العشاء وأخذوا في الرّحيل نادوا الرّحيل الرّحيل الوحا الوحا، فلم يزالوا كذلك حتّى تغيب الشمس حتّى إذا ارتحلوا واستوت بهم الأرض

قال الله تعالى للأرض ديرى بهم، فلم يزالوا كذلك حتّى إذا اسحروا ، وقارب الصبح قالوا إنّ هذا الماء قد أتيتموه فانزلوا فاذ اتيهم و منازلهم الّتي كانوا فيها بالأمس ، فيقول بعضهم لبعض يا قوم لقد ضللتم و أخطأتم الطريق فلم يزالوا كذلك حتى أذن لهم فدخلوها

و في الكافي عن النبيّ ﷺ إنّ موسى كليم الله مات في التيه فصاح صائح في السماء مات موسى وأىّ نفس لاتموت ؟.

قال الطبرسي فلمّا حصلوا في التّيه ندموا على مافعلوا فألطف الله لهم بالغمام لمّا شكوا حرّ الشمس و أنزل عليهم المنّ والسلوى فكان يسقط عليهم المنّ من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس فكانوا يأخذون منها ما يكفيه ليومهم و كان الله تعالى يبعث لهم السّحاب بالنّهار فيدفع عنهم حرّ الشمس و كان ينزل عليهم باللّيل من السّماء عموداً من نور يضيء لهم مكان السّراج وإذا ولد فيهم مولود كان عليه ثوب بطوله كالجلد ويأتي إنشاءالله تفصيل المنّ والسلوى في شرح الخطبة المأة والحادية والتسعين .

وماتت النقباء غير يوشع بن نون وكالب ومات أكثرهم ونشأ ذراريهم وخرجوا إلى حرب أريحا وفتحوها .

الترجمة

از جمله خطب شريفهٔ آن امام مبين وولىّ مؤمنين است درنصيحت مخاطبين وإخبار از وقايع آتيهٔ روزگار ميفرمايد :

بايد كه متابعت نمايد كوچكان شما ببزرگان شما ، وبايد كه مهرباني نمايد بزرگان شما بر كوچكان شما ، ونباشيد مثل جفاكاران أيّام جاهليت كه نه دردين دانا شويد ونه ازخداى تعالى كسب معرفت نمائيد ، مانند پوست بيرون تخمها در مواضع بچه بيرون آوردن كه ميباشد شكستن آن تخمها وزر ووبال و بيرون ميآيد بچه‌هاى آنها شرارت وفساد .

وازجمله فقرات اين خطبه است ميفرمايد :

متفرّق میشوند بعداز ایتلاف ایشان و پراکنده می‌شوند از أصل خودشان ، یعنی از امام مفترض الطاعة ، پس بعضی از ایشان أخذ کننده باشد شاخه را از آن أصل که هرجا میل کند آن شاخه آن هم میل می کند با اوباوجود اینکه بدرستی خدای تبارك و تعالی زود باشد که جمع کند ایشانرا از برای بدترین روزی از برای بنی‌امیهٔ ملعونین چنانچه مجتمع می‌شود ابرهای متفرقه درفصل پائیز .

الفت میدهد خدای تعالی درمیان‌ایشان پس‌می گرداندمتراکم وبرهم‌نشسته مثل أبرهای متراکم پس از آن بگشاید خداوند عزّوجلّ از برای ایشان درهائی که روان شوند از جای هیجان ایشان مانند سیل‌دوبستان شهر سبا ، بحیثیتی که سلامت نماند برآن سیل کوه کوچکی وثابت نشود مرآن را تلّی وباز نگرداند راه آن را کوه محکمی ونه پشتهای زمینی ، متفرّق میسازد ایشانرا خدای تعالی در درونهای وادیهای خود ، پس دربرد ایشان را در چشمهای زمین و بگیرد بایشان از قومی حقهای قوم دیگر را و جای دهد قومی را در ممالك قومی ، و سوگند بخدا هرآینه البته گداخته میشود آنچه که در دست بنی امیه است از ملك و سلطنت چنانچه گداخته شود دنبه برآتش .

ای مردمان‌اگرخذلان‌نمیورزیدیدازنصرت حق وسستی نمی کردید ازاهانت باطل ، هرآینه طمع نمی کرد درشما کسانی که مثل شما نبودند ، وقوت نمی‌یافت کسی که قوّت یافت برشما ، ولکن شما حیران و سرگردان شدید مثل حیرانی بنی‌إسرائیل ، وقسم بزندگانی خودم هرآینه افزون کرده شود ازبرای شما حیرانی وسرگردانی بعدازمن افزونی فراوان بسبب اینکه واپس گذاشتید حق را در پس پشتهای خود وبریدید نزدیکتر بسوی پیغمبررا وپیوند کردید دورترازآن را .

وبدانید اینکه اگر شما تبعیت نمائید دعوت کنندهٔ خودتان راکه منم ببرد شما را براه راست پیغمبرخدا وکفایت کرده شوید ازمشقت کجروی، ومی‌اندازید بارگران ثقیل را که عبارت است از وزر وعذاب آخرت ازگردنهای خودتان .

قال الشّارح عفى الله عنه ليكن هذا آخر هذا المجلّد وهو المجلّد الرّابع من مجلّدات منهاج البراعة، في شرح نهج البلاغة وقد طال بنا شرح ما تضمّنه هذا المجلّد حتّى بلغت مدّة الاشتغال به ضعفي مدّة الاشتغال بساير المجلّدات لابتلائي بأمور تشيب الوليد، و تذيب الحديد، وتعجز الجليد، وبرزأيا لم يكد يشاهد مثلها على صفايح الأيّام أو يثبت على الصّحايف بالمخابر والأقلام بل قلّما أن يؤثر نظيرها عن الأمم الماضية أو ينقل قرينها عن القرون الخالية و أعظم تلك المصائب الحسد و الأذى من أقارب كالعقارب، واجلابهم عليّ كتيبة و كتائب.

رماني الدّهر بالارزاء حتّى فؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتني سهام تكسّرت النّصال على النّصال

إلى الله أشكو من دهر إذا أساء أصرّ على إسائته، و إذا أحسن ندم من ساعته، و من معشر جلّ بضاعتهم الأودوالعناد، و كلّ صناعتهم اللّدد والفساد، و من الله أسئل دفع كيد الخائنين و اصلاح نفوس الحاسدين، و انقطاع ألسن المعاندين و أسئله التوفيق لشرح المجلّدات الآتية بجاه محمّد ﷺ وعترته الطّاهرة

وقد منّ الله عليّ بالفراغ من هذا المجلّد بعد الأياس لتفرّق الحواس صبيحة يوم الاثنين و هو الرّابع و العشرون من شهر جمادى الآخرة من شهور ثلاث عشرة و ثلاثمأة و ألف سنة من الهجرة النبويّة على مهاجرها ألف صلاة و سلام و تحيّة والحمدلله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على محمّد وآله الأطيبين.

هذا هو المجلد الخامس من مجلدات منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

ألحَمْدُ لِلّهِ ألّذي سَلَكَ بنا نَهجَ ألبَلاغَةِ لِلاهْتِداءِ إلىٰ مَناهِجِ ألبيانِ، وَألهمَنا مِنْهاجَ ألبَراعَةِ لِلارْتقاءِ إلىٰ مَعارِجِ ألمَعانِي، وَالصَّلٰوةُ وَالسَّلامُ عَلىٰ دَوْحَةِ النُّبُوَّةِ ألّتي طابَتْ فَرْعاً وَأصْلاً، وَوَشيجَةِ الرِّسالَةِ ألّتي سَمَتْ رِفْعَةً وَنُبْلاً، عَيْنِ السِّيادَةِ وَألفخارِ، وَخَدْنِ الشَّرَفِ ألّذي أظْهَرَ ألخيلاءَ في مُضَرٍ وَنِزارٍ، مُحَمَّدٍ ألمُخْتارِ مِنْ سُلالَةِ عَدْنانَ، وَأحْمَدَ ألمُسْتأثِرِ بِمُكْرَماتِ ألفُرْقانِ، وَآلِهِ ألمَوْصُوفِينَ بِالْعِصْمَةِ وَالطَّهارَةِ، وَألمَنْعُوتِينَ بِالْحِكْمَةِ وَألفَخارَةِ، وَالمَوْسُومِينَ بِالْخِلافَةِ وَالإمامَةِ، وَألمَرْسُومِينَ بِالشَّرافَةِ وَالْكَرامَةِ، لا سِيَّما إبْنِ عَمِّهِ وَأخيهِ ألمُنْتَجَبِ وَوَزيرِهِ وَوَصِيِّهِ ألمُنْتَخَبِ، ألحائِزِ قَصَبَ السَّبْقِ في مِضْمارِ ألعِزِّ وَالشَّرَفِ، وَألبارِعِ عَلىٰ الأقرانِ في السُّؤْدَدِ فَما لَهُ عَنْهُ مُنْصَرَفٌ، ألمَخْصُوصِ بِإمارَةِ ألمُؤْمِنِينَ، وَألمَنْصُوصِ بِالإمامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّ ألعالَمِينَ، عَلىٰ رَغْمِ كُلِّ ناصِبٍ جاحِدٍ، وَعَمىٰ عَيْنِ كُلِّ مُنافِقٍ مُعانِدٍ.

يا آل طه الأكرمين أليّة بكم ومادهري يمين فجار
إنّي منحتكم المودّة راجياً نيلي المنى في الخمسة الأشبار
فعليكم منّي السّلام فأنتم أقصى رجاى ومنتهى ايثاري

أما بعد فهذا هو المجلّد الخامس من مجلّدات منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة املاء المفتاق إلى غفران ربّه الغنيّ حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمي العلوي الموسوي وفقّه الله سبحانه وأعانه على اتمامه وختامه ، ببداعة اسلوبه ونظامه وجعله ممحاة لذنوبه وآثامه، يوم حشره و قيامه ، انّه لمايشاء قدير، و بالاجابة حقيق جدير.

فأقول : قال السيّد الرّضيّ رضي الله عنه :

و من خطبة له عليه السلام و هى المأة و السادسة و الستون من المختار فى باب الخطب

وهي مروية في البحار من كامل ابن الاثير بيسير اختلاف وتغيير حسبما تطّلع عليه إنشاء الله .

إِنَّ اللهَ سُبحانَهُ أنزَلَ كِتاباً هادِياً بَيَّنَ فيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَخُذُوا نَهجَ الْخَيرِ تَهْتَدُوا ، وَاصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا وَالْفَرائِضَ الْفَرائِضَ أَدُّوها إِلَى اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ، إِنَّ اللهَ حَرَّمَ حَراماً غَيْرَ مَجْهُولٍ ، وَأَحَلَّ حلالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرُمِ كُلِّها وَشَدَّ بِالْإِخْلاصِ وَالتَّوحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ في مَعاقِدِها ، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ

الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَ يَدِهِ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَلاَ يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلاَّ بِما يَجِبُ ، بادِرُوا أَمْرَ الْعامَّةِ وَخاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ ، فَإِنَّ النّاسَ أَمامَكُمْ وَإِنَّ السّاعَةَ تَحْدُوكُمْ ، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا ، فَإِنَّما يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ ، إِتَّقُوا اللهَ فِي عِبادِهِ وَ بِلادِهِ ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتّى عَنِ الْبِقاعِ وَالْبَهائِمِ أَطِيعُوا اللهَ وَلاَ تَعْصُوهُ وَإِذا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ وَ إِذا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَاصْدِفُوا عَنْهُ .

اللغة

(صدفت) عنه أصدف من باب ضرب أعرضت و (قصد) في الأمر قصداً من باب ضرب أيضاً توسّط وطلب الأسدّ ولم يجاوز الحدّ وهوعلى قصد أى رصد وطريق قصد أى سهل و (دخل) عليه بالبناء على المفعول إذا سبق و همه إلى شيء فغلط فيه من حيث لايشعر و (البقعة) من الأرض القطعة و تضمّ الباء في الأكثر فتجمع على بقع مثل غرفة وغرف وتفتح فتجمع على بقاع بالكسر مثل كلبة و كلاب .

الاعراب

قوله والفرائض الفرائض بالنصب على الاغراء، والفاء في قوله عليه السلام فالمسلم فصيحة ، وقوله خاصّة أحدكم عطف على أمر و الفاء في قولـه فانّ النّاس تعليل وكذا في قوله فانكم مسؤلون .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة كما قاله السّيد « ره » و غيره خطب بها في أوّل خلافته، وصدّر كلامه بالتنبيه على فضل الكتاب المجيد فقال (إنّ الله سبحانه أنزل) على نبيّه أشرف المرسلين (كتاباً هادياً) إلى نهج الحقّ اليقين ، كماقال

عزّ من قائل « لاريب فيه هدىً للمتّقين » (بيّن فيه الخير) المقرّب إلى رضوانه (والشرّ) المبعّد عن جنانه (فخذوا نهج الخير) لـ(تهتدوا) إلى الصراط المستقيم المؤدّى إلى نضرة النعيم (واصدفوا عن سمت الشرّ) أى أعرضوا عن طريقه لـ(تقصدوا) أى تطلبوا السداد ، وتسلكوا سبيل الرّشاد .

ثمّ حثّ على مواظبة الفرائض والواجبات والمراقبة عليها في جميع الحالات فقال عليه السلام : (والفرائض الفرائض أدّوها إلى الله تؤدّكم إلى الجنّة) أى أوصلوها إليه سبحانه لتوصلكم إلى الجنّة ، وهو من باب المشاكلة إذ المراد بايصالها إلى الله التقرّب بها إليه و طلب الزّلفى بها لديه ، و نسبة التأدية إلى الجنّة إليها من باب المجاز العقلي والاسناد إلى السبب (إنّ الله حرّم) في كتابه و سنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله (حراماً غير مجهول) و لا خفيّ بل هو واضح جليّ فلا عذر لمن جهله (و أحلّ حلالا غير مدخول) أى ليس فيه عيب ولا ريب ، فلا بأس على من تناوله (وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلّها) كما أفصح عنه لسان النبوّة قال صلّى الله عليه وآله : حرمة المسلم فوق كلّ حرمة دمه وماله وعرضه (وشدّ بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها) أي ربطها بهما في مرابطها ، فأوجب على المخلصين الموحّدين المحافظة على حقوق المسلمين و مراعات مواضعها هكذا قال الشارح البحراني و العلاّمة المجلسي « ره » و هو ظاهر الشارح المعتزلي ، و يجوز أن يصوبه أنه سبحانه شدّ حقّ المسلم في معقده بسبب اخلاصه الوحدانيّة وتوحيده لله سبحانه (١).

يعني أنّ إسلامه و توحيده أوجب ترتيب أحكام الاسلام عليه كما قال الصادق عليه السلام في رواية المفضّل المرويّة في الكافي: الاسلام يحقن به الدّم وتؤدّى به الأمانة وتستحلّ به الفروج .

وفي رواية اخرى عن سماعة عن الصادق عليه السلام قال : الاسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله

---

(١) أقول : والفرق بين ماذكره العلاّمة المجلسيّ (ره) والشارحان وبين ماذكرناه أنّ الباء فى قوله (ع) بالاخلاص صلة على قول هؤلاء ، وعلى ما ذكرناه فسببيّة وأيضاً الاخلاص والتوحيد على على ما ذكرناه صفة للمسلمين وعلى ما ذكروه صفة للمحافظين على حقوقهم فافهم جيداً (منه) .

والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث هذا ولكن الأظهر ما ذكروه بقرينة التفريع بقوله (فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده إلاّ بالحقّ) وإن كان يمكن توجيهه على ما ذكرناه أيضاً بنوع تكلّف فافهم هذا .

و قوله إلاّ بالحقّ تنبيه على أنه لا يجب كفّ اليد واللّسان عن المسلم إذا استحقّ عدمه وقد ورد نظيرهذاالاستثناء في الكتاب العزيز قال تعالى : « ولاتقتلوا النفس التى حرّم الله إلاّ بالحقّ » قال المفسّرون أى بإحدى ثلاث إمّا زناً بعدإحصان أو كفر بعد إيمان أوقتل المؤمن عمداً ظلماً .

وقوله : (ولا يحلّ أذى المسلم إلاّ بما يجب) تأكيد لما سبق على أن الماء مصدرية أى لا يجوز أذاه إلاّ مع وجوبه ، فيكون مساقه مساق قوله إلاّ بالحقّ ، و يجوز أن يكون تأسيساً فانه لما دلّ الكلام السابق على جواز عدم الكفّ عنه عند الاستحقاق نبّه بهذا الكلام على أنه لايجوز أذاه عند الاستحقاق أيضاً إلاّ بما يجب من الأذى كماً و كيفاً فتكون ما موصولة ومحصّله التنبيه على جواز أذيّة من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بمقدار مخصوص يستحقّه أو كيفيّة خاصّة تستحقّها على ما تقرّر في باب الحسبة هذا .

و قد تلخص مما ذكره عليه السلام وجوب مراعات حرمة المسلم و المحافظة على حقوقه وقد اُشير إليها في أخبار أهل البيت عليهم السلام :

ففي الوسائل عن الكليني عن أبي المعزا عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال المسلم أخوالمسلم لايظلمه ولا يخذله ولايخونه ، ويحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل و التعاون على التعاطف ، و المواساة لأهل الحاجة ، و تعاطف بعضهم على بعض ، حتى تكونوا كما أمركم الله عزّ وجلّ « رحماء بينكم » متراحمين مغتمين لماغاب عنكم من أمرهم ، على مامضى عليه معشرالأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله .

و عن معلّى بن خنيس عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : قلت له : ما حقّ المسلم على المسلم ؟ قال : له سبع حقوق واجبات ما منهنّ حقّ إلاّ وهو عليه واجب ، إن

ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ، ولم يكن لله فيه من نصيب قلت له : جعلت فداك وما هي؟ قال يا معلّى إنّي عليك شفيق أخاف أن تضيّع ولا تحفظ أو تعلم ولا تعمل قلت : لاقوّة إلاّ بالله .

قال : أيسر حقّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك

والحقّ الثاني أن تجتنب سخطه وتتّبع مرضاته وتطيع أمره .

والحقّ الثالث أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك .

والحقّ الرّابع أن تكون عينه ودليله ومرآته .

والحقّ الخامس أن لاتشبع ويجوع ، ولا تروى ويظماء ، ولاتلبس ويعرى .

و الحقّ السّادس أن يكون لك خادم و ليس لأخيك خادم فوجب أن تبعث خادمك فيغسّل ثيابه ، ويصنع طعامه ، ويمهّد فراشه .

والحقّ السابع أن تبرّ قسمه ، وتجيب دعوته ، وتعود مريضه ، وتشهد جنازته وإذا علمت أنّ له حاجة تبادره إلى قضائها ولاتلجئه إلى أن يسئلكها ولكن تبادره مبادرة فاذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك .

وفي الوسائل عن محمّد بن عليّ الكراجكي في كنز الفوائد عن الحسين بن محمّد ابن عليّ الصّيرفي عن محمّد بن عليّ الجعابي عن القاسم بن محمّد بن جعفر العلوي عن أبيه عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلم على أخيه ثلاثون حقّاً لابراءة له منها إلاّ بالأداء أو العفو :

يغفر زلّته ، و يرحم عبرته ، و يستر عورته ، ويقيل عثرته ، و يقبل معذرته ، ويردّ غيبته ، ويديم نصيحته ، ويحفظ خلّته ، ويرعى ذمّته ، ويعود مرضته ، ويشهد ميتته ، ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافي صلته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ويحفظ حليلته ، و يقضي حاجته ، ويشفع مسئلته ، ويسمّت عطسته ، ويرشد ضالته و يردّ سلامه، و يطيب كلامه . ويبرّ إنعامه ، و يصدّق أقسامه ، ويوالي وليّه ، ويعادي عدوّه .

و ينصره ظالما و مظلوماً فأمّا نصرته ظالماً فيردّه عن ظلمه ، و أمّا نصرته

مظلوماً فيعينه على أخذ حقّه ، ولا يسلمه و لا يخذله و يحب له من الخير ما يحبّ لنفسه ، و يكره له من الشرّ ما يكره لنفسه .

ثمّ قال عليه السلام سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إنّ أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالب به يوم القيامة فيقضى له وعليه .

ثمّ أمر عليه السلام بالمبادرة إلى الموت مؤيّداً به البدا رإلى تهيّة أسبابه فقال : (وبادروا أمر العامّة وخاصّة أحدكم وهو) أى ذلك الأمر (الموت) .

قال الشارح المعتزلي سمّاه المواقعة العامّة لأنّه يعمّ الحيوان كلّه ثمّ سمّاه خاصّة أحدكم لأنّه وان كان عامّا إلاّ أنّ له مع كلّ انسان بعينه خصوصيّة زايدة على ذلك العموم (فانّ الناس أمامكم) أى سبقوكم إلى الموت ، وفي بعض النسخ فانّ الباس أمامكم بالباء الموحّدة أى الفتنة (وإنّ الساعة تحدوكم) أى يسوقكم من خلفكم (تخفّفوا) بالقناعة من الدّنيا باليسير وترك الحرص عليها و ارتكاب المآثم (تلحقوا) فانّ المسافر الخفيف أحرى بلحوق أصحابه و بالنجاة (فانّما ينتظر بأوّلكم آخركم) أى للبعث والنشور .

وقد مضى هذا الكلام بعينه في الخطبة الحادية والعشرين وتقدّم شرحه هناك بما لا مزيد عليه .

ثمّ أمرهم بالتقوى لأنّه الزّاد إلى المعاد فقال : (اتّقوا الله في عباده) و رعاية ما يجب مراعاته من حقوقهم (و بلاده) بترك العلوّ والفساد فيها قال الله تعالى « تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض و لا فساداً والعاقبة للمتّقين » (فانّكم مسؤلون) لقوله : « و لتسئلنّ عما كنتم تعملون » وقوله : « و قفوهم إنّهم مسؤلون » (حتّى عن البقاع) فيقال لم استوطنتم هذه وتركتم هذه .

وقد وردالنّهى عن إقامة بلاد الشرك مع إمكان الخروج منها واذا لم يتمكّن من القيام بوظائف الاسلام و كذا عن مجالسة أهل البدع و المعاصي كما مرّ في

شرح الخطبة الخامسة و الثمانين (والبهائم) فيقال : لم ضربتم هذه و أوجعتم هذه فانّه تعالى قد جعل للبهائم حقّاً على صاحبها .

روى في الوسائل من عقاب الأعمال للصّدوق عن حفص بن البختري عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : إنّ امرأة عذبت في هرّة ربطتها حتّى‌ماتت عطشاً.

ومن مكارم الأخلاق للحسن بن الفضل الطبرسي نقلاً من كتاب المجالس عن الصّادق عليه السلام قال أقذر الذّنوب قتل البهيمة، وحبس مهر المرأة، ومنع الأجير أجره .

و في الوسائل عن الصدوق باسناده عن السكوني باسناده أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أبصر ناقة معقولة عليها جهازها فقال صلى الله عليه وآله : أين صاحبها مروه فليستعدّ غداً للخصومة .

و فيه عن محمد بن محمد المفيد في الارشاد مسنداً عن إبراهيم بن عليّ عن أبيه قال حججت مع عليّ بن الحسين عليهما السلام فالتاثت عليه النّاقة في سيرها فأشار إليها بالقضيب ، ثمّ قال آه لولا القصاص وردّ يده عنها .

وفيه عن الصّدوق قال : روى أنه يعني أباعبدالله عليه السلام قال اضربوها على العثار ولا تضربوها على النفار ، فانّها ترى مالا ترون .

وفيه عن الصّدوق باسناده عن اسماعيل بن أبي‌زياد باسناده عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله للدابّة على صاحبها خصال يبدء بعلفها اذا نزل ، ويعرض عليها الماء اذا مرّ به، ولا يضرب وجهها فانّها تسبّح بحمد ربّها ، ولا يقف في ظهرها الاّ في سبيل الله و لا يحمّلها فوق طاقتها ولايكلّفها من المشى إلاّ ماتطيق .

و عن الصّدوق مرسلاً عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تتورّكوا على الدوابّ ولا تتّخذوا ظهورها مجالس .

ثمّ أمرهم بالاطاعة ونهاهم عن المعصية على سبيل الاجمال فقال : (أطيعوا الله و لا تعصوه و إذا رأيتم الخير فخذوا بـه) لأنّه ينفعكم في العاجل و الآجل

(وإذا رأيتم الشرّ فأعرضوا عنه) لأنه يسوقكم الى الجحيم ويؤدّى إلى العذاب الأليم.

تكملة

روى في مجلّد الفتن من البحار من كامل ابن الأثير هذه الخطبة باختلاف يسير قال: قال: وبويع عليه السلام يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجّة من سنة خمس وثلاثين من الهجرة و أوّل خطبة خطبها عليه السلام حين استخلف حمد الله و أثنى عليه ثمّ قال عليه السلام.

إنّ الله أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشرّ فخذوا الخير، ودعوا الشرّ الفرائض أدّوها إلى الله تؤدّكم إلى الجنّة إنّ الله حرّم حرمات غير مجهولة، وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلّها، وشدّ بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده إلاّ بالحقّ و لا يحلّ دم امرء مسلم إلاّ بما يجب.

بادروا أمر العامّة وخاصّة أحدكم الموت، فانّ النّاس أمامكم و إنّما خلفكم السّاعة تحدوكم، تخفّفوا تلحقوا فانما ينتظر الناس بآخركم.

اتّقوا الله عباد الله في عباده وبلاده، إنّكم مسؤلون حتّى عن البقاع والبهائم وأطيعوا الله ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوه وإذا رأيتم الشرّ فدعوه.

الترجمة

از جملۀ خطب شريفۀ آن بزرگوار و وليّ كردگار است در اوّل خلافت خود فرموده:

بدرستى كه خداى عزّ و علا نازل فرموده كتابى كه هدايت كننده است بيان فرموده در آن نيك و بد را، پس أخذ نمائيد راه خير را تا هدايت يابيد، واعراض كنيد از راه شر تا ميانه روباشيد مواظبت نمائيد بفرائض مواظبت نمائيد بفرائض برسانيد آنها را بسوى پروردگار تا اينكه برساند آنها شما را بسوى

بهشت عنبر سرشت .

بدرستی که خداوند تبارك و تعالی حرام فرموده حرامیکه مجهول نیست و حلال کرده حلالیرا که بی عیب است.، وتفضیل داده احترام مسلمان را برجمیع حرمتهاوبسته باخلاص وتوحید حقهای مسلمانان را درمواضع بستن آنها ، پس مرد مسلمان آنکسی است که سلامت باشند مسلمانان از زبان آن واز دست آن مگر بوجه حقانیت وحلال ، نیست اذیت وآزار مسلمان مگر بآنچه که واجب باشد .

مبادرت نمائید برکاریکه عام است وشامل بهمهٔ عالمیان ، وبر آنچه که مختص است بهریکی ازشما وآن مرگست پس بدرستیکه مردم درپیش شمایند وبدرستیکه ساعت میراند شمارا ازپس شما بآخرت ، سبکبار بشوید تا لاحق باشید بگذشتگان پس بدرستی که انتظار میکشد بسبب اوّل شما آخرشما .

بپرهیزید وبترسید از خدا درخصوص بندهای او، وشهرهای او، پس بتحقیق که شما مسؤل خواهید شد از هر خوب وبد حتّی از بقعهای زمین وازچهار پایان. اطاعت کنید خدارا ومعصیت ننمائید وزمانی که ببینید خیر وخوبیرا پس بگیرید آن راواخذ نمائید وچون مشاهده کنید بد را پس اعراض کنید از آن واجتناب نمائید .

و من کلام له عليه‌السلام و هو المأة والسابع و الستون من المختار فی باب الخطب .

بعد ما بويع بالخلافة وقد قال له قوم من الصّحابة لوعاقبت قوما ممّن أجلب على عثمان فقال عليه‌السلام :

يا إِخْوَتاه إِنّي لَسْتُ أَجْهَلُ ما تَعْلَمُونَ وَلٰكِنْ كَيْفَ لي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلىٰ حَدِّ شَوْكَتِهِمْ يَمْلِكُونَنا وَلاٰ نَمْلِكُهُمْ وَها هُمْ

هٰؤُلاءِ قَدْ ثارَتْ مَعَهُمْ عِبْدانُكُمْ وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرابُكُمْ وَهُمْ خِلالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ ما شاؤُا وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلٰى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ وَإِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جاهِلِيَّةٍ وَإِنَّ لِهٰؤُلاءِ الْقَوْمِ مادَّةً إِنَّ النّاسَ مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ إِذا حُرِّكَ عَلٰى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرىٰ ما تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ تَرىٰ ما لا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لا تَرىٰ هٰذا، وَلا هٰذا، فَاصْبِرُوا حَتّىٰ يَهْدَءَ النّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَواقِعَها وَتُؤْخَذُ الْحُقُوقُ مُسْمِحَةً فَاهْدَؤُا عَنّي وَانْظُرُوا ما ذا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلا تَفْعَلُوا فِعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً وَتُسْقِطُ مُنَّةً وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً، وَسَأُمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ وَإِذْ لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّواءِ الْكَيُّ.

اللغة

(أجلبوا) عليه أى تألّبوا واجتمعوا (والحدّ) منتهى الشيء، ومن كلّ شيء حدّته، و في بعض النسخ (على جدّ) بالجيم المكسورة اسم من جدّ في الأمر من باب ضرب وقتل اذا اجتهد وسعى فيه، ومنه يقال فلان محسن جدّاً أى نهاية ومبالغة (و عبدان) بالكسر جمع عبد مثل جحش و جحشان وبالضمّ أيضا مثل تمر و تمران والأشهر في جمعه أعبد وعبيد وعباد و (سام) فلانا الأمر إذا كلّفه إيّاه، أكثر مايستعمل في العذاب والشرّ قال سبحانه «يسومونكم سوء العذاب يذبّحون أبنائكم ويستحيون نساءكم» و (هدأ) القوم والصوت يهدء من باب منع سكن و (سمح) سماحة جاد و أعطى أو وافق ما اريد منه و أسمح بالالف لغة و قال الأصمعي سمح ثلاثياً بماله وأسمح بقياده و (المنّة) بالضمّ كالقوّة لفظا ومعنى.

الاعراب

جواب لوفي قوله لو عاقبت محذوف ، بقرينة المقام والهاء في قوله ياإخو تاه للسّكت ، قال نجم الأئمة الرّضي أمّا هآء السّكت فهى هاء تزاد في آخر الكلمة الموقوف عليها إذا كان آخرها ألفاً والكلمة حرف أو اسم عريق في البناء نحو لاوذا وهنا وذلك لأنّ الألف حرف خفيّة فاُريد بيانها فاذا جئت بعدها بهاء ساكنة ـ فلابدّ من مدّ الألف إذا جئت بعدها وذلك في الوصل بحرف آخر ـ تبيّن النطق بها وإذا لم تأت بعدها بشيء و ذلك في الوقف خفيت حتّى ظنّ أنّ آخر الكلمة مفتوحة فلذا وصلت ليبيّن جوهرها .

و اختاروا أن يكون ذلك الحرف هآء لمناسبتها بالخفاء لحرف اللّين فاذا جائت ساكنة بعد الألف فلابدّ من تمكين مدّ الألف ليقوم ذلك مقام الحركة فيمكن الجمع بين ساكنين ، فيبقين الألف بذلك التمكين والمدّ .

وقال في باب المنادى المندوب وإذا ندبت ياغلامي بسكون الياء فكذا تقول عند سيبويه يا غلامياه لأنّ أصلها الفتح عنده و أجاز المبرّد ياغلاماه بحذف الياء للساكنين قال ابن الحاجب و الحذف ليس بوجه وقال نحو واغلاميه أوجه .

أقول : وقول أمير المؤمنين عليه السلام مؤيّد لقول المبرّد وشاهدله .

قال نجم الأئمة إلحاق هاء السّكت بعد زيادة الندبة (١) واواً كانت أوياء أو ألفاً جايز في الوقف لا واجب و بعضهم يوجبها لئلاّ يلتبس المندوب بالمضاف إلى ياء المتكلّم المقلوبة ألفاً نحو ياغلاما ، وينبغي أن لايجب عند هذا القائل مع واو لأنها يكفى في الفرق بين الندبة والندا ، و ليس ماقال بوجه لأنّ الألف المنقلبة عن ياء المتكلّم قد يلحقها الهآء في الوقف كما مرّ فاللبس إذاً حاصل مع الهاء أيضاً والفارق هوالقرينة .

أقول : ويكفى في ردّ هذا القائل قوله عليه السلام يا إخوتاه فانّ الألف فيه مقلوبة عن ياء المتكلّم وقد لحقها هاء السّكت كما قاله الرّضيّ .

(١) اى الزيادة التى فى المنادى المندوب من الواو أو الياء أوالالف .

و قوله عليه السلام على حدّ شوكتهم ظرف مستقرّ حال من ضمير المجلبون وإضافة حدّ إلى شوكتهم لاميّة على رواية حدّ بالحاء وبمعنى في على روايته بالجيم كما هوغير خفيّ.

والهاء في قوله عليه السلام وهاهم هؤلاء للتّنبيه و هي تدخل الجمل وتدخل في جميع المفردات أسماء الاشارة نحوهذا وهاتا وهؤلاء و كثيراً مايفصل بينها وبين اسم الاشارة بالقسم نحوها الله ذاو بالضمير المرفوع المنفصل نحوها أنتم اُولاء و بغيرهما قليلا نحو قولهم هذا لها ها وذاليا أى وهذا ليا .

وذهب الخليل إلى أنّ هاء المقدّمة في جميع ذلك كانت متّصلة باسم الاشارة أى كان القياس الله هذا ، و أنتم هؤلاء ، و الدّليل على أنّه فصل حرف التنبيه عن اسم الاشارة ما حكى أبو الخطاب عمّن يوثق به هذا أنا أفعل في موضع ها أنا ذا أفعل ، وحدّث يونس هذا أنت تقولذا .

و جوّز بعضهم أن يكون هاء المقدّمة في نحو هاأنت ذا تفعل غير منويّ دخولها على ذا استدلالا بقوله تعالى ها أنتم هؤلاء و لو كانت هي الّتي كانت مع اسم الاشارة لم تعد بعد أنتم .

قال نجم الأئمة ويجوز أن يعتذر للخليل بأنّ تلك الاعادة للبعد بينهما كما اُعيد في «فلا تحسبنّهم» بعد قوله «فلا تحسبنّ الّذين يبخلون» وأيضا قوله «ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون » دليل على أنّ المقدّم «في ها أنتم اُولاء» هوالّذي كان مع اسم الاشارة، ولوكان في صدر الجملة من الأصل لجاز من غير اسم اشارةها أنت زيد .

و ما حكى الزمخشري من قولهم ها أن زيداً منطلق ، و هاأنا أفعل كذا مما لم أعثر لهعلى شاهد فالأولى أن نقول ها التنبيه مختصّ باسم الاشارة ، وقد يفصل منه كما مرّ ولم يثبت دخوله في غيره .

وقال نجم الأئمة أيضا واعلم انّه ليس المراد من قولك ها أناذا أفعل أن تعرّف المخاطب نفسك وأن تعلمه أنت لست غيرك لأنّ هذا محال بل المعنى فيه وفي ها أنت ذا تقول وها هوذا يفعل استغراب وقوع مضمون ذلك الفعل المذكوربعد اسم الاشارة

من المتكلّم أو المخاطب أو الغائب كأنّ معنى ها أنت ذا تقول أو يضربك زيد ، أنت هذا الذي أرى من كنّا نتوقّع منه أن لا يقع منه أو عليه مثل هذا الغريب ثمّ بيّنت بقولك تقول وقولك يضربك زيد الّذي استغربته ولم تتوقّعه .

قال تعالى «ها أنتم اُولاء تحبّونهم» فالجملة بعد اسم الاشارة لازمة لبيان الحال المستغربة ولا محلّ لها إذ هي مستأنفة .

و قوله : و هم خلالكم يسومونكم جملة هم يسومون مبتدء و خبر في محلّ النّصب على الحال و خلالكم ظرف مستقرّ حال من مفعول يسومون قدّمت على ذيها للتوسّع .

المعنى

اعلم أنّ المستفاد من شرح المعتزلي أنّ هذا الكلام قاله عليه السلام أوّل مسير طلحة و الزبير إلى البصرة (بعد ما بويع بالخلافة و قد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوماً ممّن أجلب وأعان على) قتل (عثمان) لكان حسنا لما فيه من قطع عذر الناكثين اذ عمدة متمسّكهم في النكث كان المطالبة بدم عثمان (فقال عليه السلام :) معتذراً عمّا اُشير عليه (يا إخوتاه) إنّي على غزارة علمي (لست أجهل ما تعلمون) بل أعلم ماكان وماهو كائن ومايكون (ولكن كيف لي بقوّة) على القصاص والانتقام (و القوم المجلبون) المجتمعون المتألّبون (على حدّ شوكتهم) أي على غاية شوكتهم أومع كونهم مجدّين في الشوكة مبالغين في شدّة البأس (يملكوننا ولا نملكهم) أى هم مسلّطون علينا ولسنا مسلّطين عليهم وصدقه عليه السلام في هذا الجواب ظاهر لأنّ أكثر أهل المدينة كانوا من المجلبين عليه ، وكان من أهل مصر ومن الكوفة و غيرهم خلق عظيم ، حضروا من بلادهم و قطعوا المسافة البعيدة لذلك ، وانضمّ إليه أعراب البادية و عبيد المدينة ، و ثاروا ثورة واحدة فكانوا على غاية الشوكة ولذلك اعتذر عليه السلام بعدم التمكّن والقوّة .

وقد روى أنّه عليه السلام جمع النّاس ووعظهم ثمّ قال لتقم قتلة عثمان فقام النّاس بأسرهم إلاّ القليل وكان ذلك الفعل استشهاداً منه على صدق قوله ، و نبّه أيضاً على

صدقه عليه‌السلام باحالة المشيرين عليه إحالة معاينة وباشارة حضوريّة إلى كثرة المجلبين وشدّتهم فقال عليه‌السلام : (و ها هم هؤلاء قد ثارت) و هاجت (معهم عبدانكم والتفّت) وانضمّت (إليهم أعرابكم وهم خلالكم) أى بينكم غير متباعدين عنكم(يسومونكم ماشاؤا) كيف شاؤا ليس لهم رادع و لا دافع (و هل ترون) و الحال هذه (موضعاً لقدرة على شيء تريدونه) .

ثمّ قال : (إنّ هذا الأمر) أى أمر المجلبين (أمر جاهليّة) لأنّ قتلهم لعثمان كان عن عصبيّة وحميّة لا لطاعة أمر الله وإن كان في الواقع مطابقاً له .

ويمكن أن يكون المراد به أنّ ما تريدون من معاقبة القوم أمر جاهليّة نشأ عن تعصّبكم و حميّتكم و أغراضكم الباطلة و فيه إثارة للفتنة، وتهييج للشرّ ، لكنّ الأوّل أنسب بسياق الكلام إذ غرضه من إيراد تلك الوجوه إسكات الخصم و عدم تقوية شبه المخالفين الطالبين لدم عثمان .

وأكّد تأكيد تضعيف رأيهم بقوله (وإنّ لهؤلاء القوم مادّة) أى مدداً ومعينين و(إنّ النّاس من هذا الأمر إذا حرّك) عن موضعه واُريد معاقبة المجلبين (على اُمور) ثلاثة أشار إليها بقوله (فرقة منهم ترى ماترون) ويحكمون بحسن العقاب (وفرقة ترى ما لاترون) وتزعم أنّ في العقاب عدولاً عن الصّواب (و فرقة) ثالثة (لاترى هذا ولا هذا) ولا يحكمون فيه بصواب ولا خطاء .

ولما بيّن اختلاف الآراء وتشتّت الأهواء في التخطئة والتصويب وكان الاقتصاص والانتقام مع وجود هذا الاختلاف مظنّة فتنة اُخرى كالاُولى بل وأعظم منها وكان الأصوب في التدبير و الّذي يوجبه العقل والشرع الصبر و إمساك النكير إلى حين سكون الفتنة ، و تفرّق تلك الشعوب من المدينة، لا جرم أمرهم بالصّبر فقال : (فاصبروا حتّى يهدء النّاس) ويسكنوا (وتقع القلوب مواقعها) وتؤوب إلى النّاس أحلامهم (وتؤخذ الحقوق مسمحة) منقادة بسهولة (فاهدؤا) متفرّقين (عنّي وانظروا ماذا يأتيكم به أمري) ولا تستعجلوه ولا تسرعوا (ولا تفعلوا فعلة) أى نوع فعل (تضعضع) وتهدم (قوّة وتسقط منّة وتورث وهنا وذلّة) فانّ الاُمور مرهونة بأوقاتها ومجتنى

الثمرة لغير وقت إيناعها لا تذوق إلاّ مرارة منها .

قال الشارح المعتزلي وكان عليه السلام يؤمّل أن يطيعه معاوية وغيره و أن يحضر بنو عثمان عنده يطالبون بدم أبيهم و يعيّنون قوماً بأعيانهم بعضهم للقتل و بعضهم للتسوّر كما جرت عادة المتظلّمين إلى الامام والقاضي فحينئذ يتمكّن من العمل بحكم الله فلم يقع الأمر بموجب ذلك وعصى معاوية وأهل الشّام والتجأ ورثة عثمان إليه زخارفوا حوزة أمير المؤمنين عليه السلام ولم يطالبوا القصاص طلباً شرعيّاً وإنّما طلبوه مغالبة وجعلها معاوية عصبيّة الجاهلية ولم يأت أحد منهم الأمر من بابه .

و قبل ذلك ما كان من أمر طلحة و الزّبير و نقضهما البيعة و نهبهما أموال المسلمين بالبصرة و قتلهما الصّالحين من أهلها وجرت اُمور كلّها يمنع الامام عن التصدّي للقصاص و اعتماد ما يجب اعتماده لوكان الأمر وقع على القاعدة الصحيحة من المتطالبة بذلك على وجه السكوت والحكومة .

وقد قال هو عليه السلام لمعاوية وأما طلبك قتلة عثمان فادخل في الطاعة و حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله هذا .

وأمّا قوله عليه السلام (وسأمسك الأمرما استمسك وإذا لم أجد بدّاً فآخر الدّواء الكيّ) هكذا في نسخة الشارحين البحراني والمعتزلي، قال ثانيهما وهومثل مشهور و يقال آخر الطبّ و يغلط فيه العامّة فيقول :آخر الدّاء ، و الكيّ ليس من الدّاء ليكون آخره .

و في نسخة البحار : آخر الدّاء قال العلاّمة المجلسيّ (ره) هكذا في أكثر النسخ المصحّحة و لعلّ المعنى بعد الدّاء الكيّ إذا اشتدّ الداء و لم يزل بأنواع المعالجات فيزول بالكيّ وينتهى أمره إليه .

ثمّ قال الشارح المعتزلي و ليس معناه و سأصبر عن معاقبة هؤلاء ما أمكن الصبر فاذا لم أجد بدّاً عاقبتهم ولكنّه كلام قاله أولّ مسير طلحة و الزّبير إلى البصرة فانّه حينئذ أشار عليه قوم بمعاقبة المجلبين فاعتذر بما قد ذكر.

ثمّ قال و سأمسك الأمر ما استمسك أى أمسك نفسي عن محاربة هؤلاء

النّاكثين للبيعة ما أمكن وأدفع الأيّام بمراسلتهم وتخويفهم و إنذارهم و أجتهد في ردّهم الى الطاعة بالترغيب والترهيب ، فاذا لم أجد بدّاً من الحرب فآخر الدواء الكيّ أي الحرب لأنها الغاية التي ينتهى أمر العصاة إليها .

قال العلاّمة المجلسي «ره» بعد حكاية ماحكيناه عن الشارح أقول : و يحتمل أن يكون ذلك تورية منه عليه السلام ليفهم بعض المخاطبين المعنى الأوّل و مراده المعنى الثاني .

أقول : قد تقدّم في شرح الكلام الثلاثين تفصيلا أنّه عليه السلام كان بنائه على إبهام المرام ، و استعمال التورية في الكلام ، في أمر عثمان لمصالح قاضية بذلك مانعة عن الابانة والتصريح فليراجع ثمّة .

الترجمة

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن امام است عليه الصّلاة و السّلام بعداز اينكه بيعت كرده شد بخلافت در حالتيكه گفتند اورا گروهي از صحابه اگر عقاب بفرمائی قومی را از آن كسانی كه جمعيت نمودند برقتل عثمان خوب ميشود .

پس فرمود آن حضرت در جواب ايشان : ای برادران من بدرستيكه من نيستم كه ندانم چيزيرا كه شما ميدانيد وليكن چگونه مرا قوّت باشد درانتقام وحال آنكه قومی كه جمعيت كردند برغايت شوكت ايشان مسلّط ومالك هستند وما برايشان تسلّط نداريم ، وبدانيد كه ايشان اين جماعت‌اند كه هيجان آمده‌اند با ايشان بندگان شما و پيوسته اند بايشان أعراب باديه نشينان شما و حال آنكه ايشان در ميان شما تكليف ميكنند بشما آنچه دلشان بخواهد ، وآيا مي‌بينيد با وجود اين حالت محلی از برای قدرت برچيزيكه‌ميخواهيد؟ بدرستی كه اين كار كار جاهليت است وبدرستی كه ازبرای آن قوم است ماده بسيار از أعوان وأنصار .

بدرستي كه مردمان دراين كار هر گاه حركت داده شود برچند أمر ميباشند طايفه رأی ايشان مطابق رأی شما خواهد شد وطايفه ديگر ايشان مخالف رأی شما

ميباشد وطايفهٔ سوّم رأيشان نه اينست ونه آن ، پس صبر وتحمّل نمائيد تا آرام گيرند مردمان وواقع شود قلبها درمواضع وقوع خود و گرفته شود حقّها بسهولت وآساني، پس آرام گيريد و كنار شويد از من و نظر كنيد بآنچيزى كه بيايد بشما فرمان من بآن ونكنيد كارى را كه ويران كند قوّت وقدرت را ، وبيندازد طاقت و توانائى را وباعث بشود بسستي وذلّت والبته نگاهدارى ميكنم اين امر را ماداميكه نگاه داشته شود وچون چارهٔ نيابم پس آخر دوا داغ است يعني غير از محاربه علاجى نيابم لابدّ بايد محاربه كنم .

ومن خطبة له عليه السلام وهى المأة والثامنة والستون من المختار فى باب الخطب

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة:

إِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولاً هادِياً بِكِتابٍ ناطِقٍ وَأَمْرٍ قائِمٍ ، لا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلّا هالِكٌ وَإِنَّ الْمُبْتَدَعاتِ الْمُشَبَّهاتِ هُنَّ الْمُهْلِكاتُ إِلّا ما حَفِظَ اللهُ مِنْها وَإِنَّ في سُلْطانِ اللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ فَأَعْطُوهُ طاعَتَكُمْ غَيْرَ مَلُومَةٍ ، وَلا مُسْتَكْرَهٍ بِها وَاللهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ عَنْكُمْ سُلْطانَ الْإِسْلامِ ثُمَّ لا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلى غَيْرِكُمْ إِنَّ هؤُلاءِ قَدْ تَمالَؤُا عَلى سَخْطَةِ إِمارَتي وَسَأَصْبِرُ ما لَمْ أَخَفْ عَلى جَماعَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلى فَيالَةِ هذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظامُ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّما طَلَبُوا هذِهِ الدُّنْيا حَسَداً

لِمَنْ أَفَائَهَا اللهُ عَلَيْهِ فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا وَ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَ الْقِيَامِ بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ .

اللغة

(المشبّهات) في بعض النسخ بصيغة المفعول وفي بعضها بصيغة الفاعل وفي بعضها (المشتبهات) بدلها يقال شبّهت الشيء بالشيء أى جعلته شبيهاً به فهومشبّه بالفتح و شبّهته عليه تشبيهاً مثل لبّسته تلبيساً وزناً و معنىً فأنا مشبّه بالكسرو اشتبهت الأمور وتشابهت التبست فلم تتميّز و لم تظهر قال سبحانه : «إنّ البقر تشابه علينا» وقال : « وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبّه لهم » .

و(غير ملومة) في بعض النسخ بالتخفيف من لام يلوم و في بعضها بالتّضعيف للمبالغة ، و في بعضها (ملويّة) بدلها أى غير معوّجة من لوّيت العود إذا عطفته و (أرز) يأرز من باب ضرب انقبض و اجتمع و أرزت الحيّة أي لاذت بجحرها و رجعت إليه قال رسول الله ﷺ إنّ الاسلام ليأرز إلى المدينة كما يأرز الحيّة على جحرها و (وتمالؤا) على الأمر تعاونوا .

و قال ابن السكيت اجتمعوا و (فال) رأيه يفيل فيلولة وفيلة أخطأ و ضعف كتفيّل ورجل فيل الرّأى بالكسر والفتح ككيس وفاله وفاءله وفامل من غير اضافة ضعيفة جمعه أفيال وفي رواية بدل فيالة (فيولة) .

الاعراب

الباء في قوله بكتاب للمصاحبة كما في دخلت عليه بثياب السفر ، وغيرملومة بالنصب حال من الطاعة والسين في قوله وسأصبر ليست لتخليص المضارع للاستقبال كما هوغالب موارد استعمالها وانما هي لتأكيد وقوع الصبر كما نبّه به الزّمخشري حيث قال انها إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لامحالة .

وقال في تفسير قوله : « فسيكفيكهم الله » معنى السين أنّ ذلك كاين لامحالة وإن تأخر إلى حين ، وفي تفسير « اُولئك سيرحمهم الله » السين مفيدة وجود الرحمة لامحالة وهي تؤكّد الوعد كما تؤكّد الوعيد إذا قلت سأنتقم منك ، وحسداً منصوب على المفعول لأجله .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة حسبما ذكره الرضيّ خطبها عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة والغرض منها التنبيه على ضلال الناكثين والكشف عن فساد نيّتهم وسوء عقيدتهم وأنّ مقصودهم في الخروج والبغي عليه عليه السلام هو الدّنيا لا الدّين وصدّرها باُمور نفعها عامّ تذكيراً للمخاطبين وانقاذاً لهم من الضّلالة وايقاظاً من رقدة الجهالة.

فقال عليه السلام : (إنّ الله بعث رسولا هادياً) إلى شرايع الدّين و معالم الشرع المبين (بكتاب ناطق) بالحقّ لهج بالصّدق (و أمر قائم) مستقيم ليس بذي عوج أو باق حكمه بين الأمّة مستمرّاً إلى يوم القيامة (لايهلك) معرضا (عنه إلاّ هالك) أى من بلغ الغاية في الهلاك فالتنكير لقصد النوع كما في قوله تعالى : « إن نظنّ إلاّ ظنّاً ».

قال العلاّمة التفتازاني أى ظنّاً حقيراً ضعيفاً اذ الظنّ ممّا يقبل الشدّة والضّعف فالمفعول المطلق هنا للنوعية لا للتأكيد وبهذا الاعتبار صحّ وقوعه بعد الاستثناء مفرّغاً مع امتناع ماضربته إلاّ ضرباً على أن يكون المصدر للتأكيد لأنّ مصدر ضربته لايحتمل غير الضرب و المستثنى منه يجب أن يكون متعدّداً يحتمل المستثني وغيره (وإنّ المبتدعات المشبّهات) أى البدعات المحدثات في الاسلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله المشبّهات بالسّنن وليس منها والملبّسات الأمر على الناس أو الملتبسات عليهم على اختلاف روايات المتن حسبما تقدّم (هنّ المهلكات) في الآخرة لخروجها عن الكتاب و السنّة وقوله : (إلاّ ما حفظ الله منها) استثناء من بعض متعلّقات المهلكات أى إنّها مهلكة في جميع الأحوال إلاّ حال حفظ الله منها بالعصمة عن ارتكابها أوانّ ما بمعنى من أى مهلكة لكلّ أحد إلاّ من حفظه الله سبحانه

ثمّ قال : (وإنّ في سلطان الله) أى سلطان دين الله وهوسلطان الاسلام الذي سيصرّح بـه أو أراد به السلطنة الالهيّة الّتي قوامها به لكونه خليفة الله في عباده وبلاده ووليّ أمره في أرضه فالاضافة من باب التشريف والاعتزاز (عصمة لأمركم) وحفظا له عن التزلزل والاختلال (فأعطوه طاعتكم غيرملومة) صاحبها (ولامستكره بها) أي أطيعوه طوعا وبالاخلاص عن صميم القلب لا كرها وجبراً ينسب صاحبها الى الرّياء و النفاق فيستحقّ اللؤم والملام (والله لتفعلنّ) ولتطيعنّ (أو لينقلنّ الله عنكم سلطان الاسلام) أى الخلافة (ثمّ لاينقله إليكم أبداً حتّى يأرز الأمر) أى ينقبض ويرجع (إلى غيركم) .

فان قيل كيف قال عليه السلام لا ينقله إليكم أبداً و قد عاد إليهم بالدّولة العبّاسية قلنا قد أجيب عنه بوجوه :

أولها ، ما قاله الشّارح المعتزلي و هو أنّ الشرط لم يقع وهو عدم الطاعة ، فانّ أكثرهم أطاعوه غير ملومة ولا مستكره بها واذا لم يتحقّق الشرط لم يتحقّق المشروط .

الثاني انه خاطب به الشيعة الطالبيّة فقال إن لم تعطوني الطاعة المحضة نقل الخلافة عن هذا البيت حتّى يأرز وينضمّ إلى بيت آخر وهكذا وقع فانها انضمّت إلى بيت آخر من بني هاشم .

الثالث أنه أراد بقوله أبداً المبالغة كماتقول: احبس هذا الغريم أبداً والمراد بالقوم الّذين يأرز إليهم بنو اُميّة كأنّه قال إن لم تفعلوا نقل الله الخلافة عنكم حتّى يجعلها في قوم آخرين و هم أعدائكم من أهل الشّام وبني اميّة ولايعيدها إليكم إلى مدّة طويلة وهكذا وقع .

الرابع انه قيد بالغاية فقال لا يصيراليهم حتّى يصير في قوم آخرين وظاهر أنّه كذلك بانتقاله إلى بني اميّة .

و الخامس أنّ القوم الّذين خاطبهم من أصحابـه بهذا الخطاب لم ترجع الدّولة اليهم أبداً فانّ أولئك بعد انقضاء دولة بني اميّة لم يبق منهم ثمّ لم يرجع

إلى أحد من أولادهم أصلاً .

أقول و أحسنها الوجه الثالث و الرابع و أحسنهما ثانيهما كما هو غير خفيّ على النّاقد الزكيّ .

ثمّ نبه على ضلال طلحة والزّبير وعائشة و إيّاهم أراد بقوله (إنّ هؤلاء القوم قد تمالؤا) أى تعاونوا وتساعدوا واجتمعوا (على سخطة إمارتي) و كراهيّتها سخيمة و مقتاً (و سأصبر) على بغيهم و خروجهم (ما لم أخف على) حوزة (جماعتكم) و على انفصام حبل الاسلام (فانهم إن تمّموا) ما أرادوه و بلّغوه أجله مستقرّين (على فيالة هذا الرّأى) يعني أنهم إن أتمّوا ما تصدّوه في مسيرهم و مخالفتهم و بقوا على هذا الرّأى الضعيف (انقطع نظام المسلمين) و انفصم حبل الدّين ، وتضعضع سوارى المتقين .

ثمّ بيّن علّة سخطهم لامارته بقوله (و إنما طلبوا هذه الدّنيا) يعني أنّ علة تمالؤهم عليّ ليست ما أظهروه من الطلب بدم عثمان وإنما هي تنافسهم في الدّنيا وطلبهم لها (حسداً لمن أفائها الله عليه) وردّها إليه .

قال الشارح المعتزلي بعد تفسير الفيء بمعنى الرجوع وهذا الكلام لايشعر بأنه عليه السلام كان يقتصد أنّ الأمر له وأنه غلب عليه ثمّ رجع إليه ولكنه محمول على أنه من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة الجزء من الكلّ وأنهما من جوهر واحد فلما كان الوالي قديماً هو و رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ تخلل بين ولايتهما ولا يات غريبة سمّى ولايته فيئاً ورجوعاً لأنها رجعت الى الدّوحة الهاشميّة انتهى .

وأنت خبير بأنّ كلامه عليه السلام صريح في ماذكره الشارح أوّلاً وانكار الشارح للإشعار عجيب و الحمل الذي تمحّله غريب ، وكم له عليه السلام في هذا الكتاب من كلام صريح في اغتصاب الخلافة ، وانتهاب الوراثة ، و كفى بذلك شهيداً الخطبة الثالثة ، والكلام السادس ، والخطبة السادسة والعشرين ، فضلا عن غيرها .

بل قد ادّعى الشارح نفسه في شرح الخطبة المأة والاحدى والسبعين تواتر الأخبار الواردة عنه عليه السلام في هذا المعنى وهو كذلك وسنحكى كلامه إذا بلغ الشرح

محلّه وما أدري ماذا أعدّه الشّارح للجواب يوم الحساب، مع علمه بالأخبار المتواترة في هذا الباب، لو لم يكن ما يمحّله من التكلّفات و التأويلات، تقيّة من ذوي الأذناب، والله عالم بالسرائر خبير بالضمائر هذا.

وقوله (فأرادوا ردّ الأمور على أدبارها) أى أرادوا انتزاع أمر الخلافة منه عليه السلام بعد إقباله إليه كما انتزعت أوّلاً أسوة بما وقع من قبل ثمّ أخبر بما لهم عليه إن قاموا بوظايف الطاعة فقال (ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسول الله صلّى الله عليه وآله و القيام بحقه) أى بحق الرّسول صلّى الله عليه وآله الواجب علينا القيام به (و النعش لسنّته) أى الرفع لشريعته والاعلاء لكلمته صلواة الله وسلامه عليه وآله.

الترجمة

از جمله خطب فصيحهٔ آن وليّ مؤمنين و وصيّ خاتم النبيّين است نزد رفتن أصحاب جمل بسوى بصره ميفرمايد:

بدرستيكه خدا يتعالى مبعوث فرمود پيغمبر را كه هدايت كننده بود بطريق نجاة با كتابي كه ناطق بود بحقّ، وباشريعتى كه باقي بود تاقيامت، هلاك نمى‌شود از آن مگر كسيكه بالغ شود بمنتهاى هلاكت، آگاه باشيد وبدرستى كه بدعتهائي كه تشبيه شده‌اند بسنت آنهايند هلاك كنندها مگر آنچه كه خدا حفظ فرمايد از آن.

وبدرستيكه حجت خدانگه داشتن است مر كارشمارا، پس ببخشيد بأواطاعت خودتان را درحالتي كه ملامت كرده نشده است وبكراهت داشته نشده بآن و بخدا سوگند البته بايد اطاعت آن را نمائيد و الاّ هرآينه محققاً نقل ميكند خدايتعالى از شما سلطنت اسلام را، پس از آن نقل نميكند آن را بسوى شما هرگز تااينكه پناه ببرد آن أمر خلافت بسوى غيرشما.

وبدرستیکه این قوم جمل اجتماع کرده‌اند ومعین همدیگر شده‌اند برغضب وبغض إمارت وخلافت‌من ، والبته صبرمیکنم براین حرکت ایشان‌مادامیکه نترسم برجماعت شما پس بدرستی که ایشان اگربأنجام برسانند مقصود خودشان‌را بالای آن رأی ضعیف که دارند ، بریده شود نظام مسلمانان و غیرازین نیست که ایشان طلب کرده اند این دنیارا از روی حسد بردن بر کسی که بر گردانده حق تعالی آنرا بأو ، پس اراده کردند باز گردانیدن‌کارهارا بر پشتهای آن ، ومرشماراست برذمه ما عمل نمودن بکتاب إلهي و طریقهٔ حضرت رسالت پناهی و قائم شدن بحقّ آن بزرگوار ، وبلند کردن سنّت آن بر گزیدهٔ پروردگار .

و من كلام له عليه السلام و هو المأة و التاسع و الستّون من المختار فى باب الخطب

كلّم به بعض العرب و قد أرسله قوم من أهل البصرة لمّا قرب منها ليعلم لهم منه عليه السلام حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم ، فبين له من أمره معهم ما علم به انّه على الحقّ ثمّ قال عليه السلام له : بايع فقال: إنّي رسول قوم ولا اُحدث حدثا حتّى أرجع إليهم فقال :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعاً ؟ فَقَالَ كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ ، فَقَالَ عليه السلام : فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : وَاللهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ فَبَايَعْتُهُ .

والرّجل يعرف بكليب الجرمي .

اللغة

(الرائد) المرسل في طلب الكلاء (و الكلاء) بالهمز العشب رطبا كان أو يابساً نقله الفيّومى عن ابن فارس وغيره والجمع أكلاء مثل سبب وأسباب .

و قال الشارح المعتزلي الكلاء النبت إذا طال و أمكن أن يرعى و أوّل ما يظهر يسمّى الرّطب فاذا طال قليلا فهو الخلاء فاذا طال شيئاً آخر فهو الكلاء فاذا يبس فهو الحشيش (والجرمى) منسوب إلى الجرم بالفتح وهو ابن زبان بطن في قضاعة .

قال الشّارح المعتزلي : منسوب إلى بني جرم بن زبان وهو علاف بن حلوان ابن عمران ابن الحافى بن قضاعة من حمير .

الاعراب

الهمزة في قوله أرأيت للتقرير و جملة تبتغى في محلّ النصب صفة لرائداً جيئت بها للايضاح وجملة ما كنت صانعاً جواب لو ، وقوله فامدد إذاً يدك قال ابن هشام والصّحيح أنّ نونها أى نون إذن تبدل عند الوقف عليها الفاً وقيل يوقف عليها بالنّون لأنّها كنون ان ولن روى عن المازني والمبرّد ، والجمهور يكتبونها بالألف وكذا رسمّت في المصاحف والمازني والمبرّد .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام كما ذكره الرّضي (كلّم عليه السلام به بعض العرب) وهو الكليب الجرمي الذي صرّح الرّضي به آخرها (وقد أرسله قوم من أهل البصرة) إلى حضرة أمير المؤمنين (لمّا قرب عليه السلام منها ليعلم لهم منه عليه السلام حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم) أى نفوس أهل البصرة (فبيّن عليه السلام) للرجل المرسل (من أمره معهم) أي مع أهل الجمل (ما) أي برهاناً وافياً و دليلاً شافياً (علم به) أي علم الرجل بذلك البيان والبرهان (أنه عليه السلام على الحقّ) و أنّ أصحاب الجمل على الباطل (ثمّ قال عليه السلام له بايع فـ)اعتذر الرّجل و (قال إنّي

رسول قوم و لا) ينبغي أن (أحدث حدثا حتّى أرجع إليهم) و أخبرهم بماجرى بيني وبينك .

فلما سمع عذره أراد دفعه بحجّة لا محيص عنها وضرب مثلاً هو ألطف المثال وأوضحها وأحسنها في مقام الاحتجاج (فقال أرأيت) أى أخبرني ماذا رأيك (لوأنّ الّذين ورائك) أي خلفك (بعثوك رائداً تبتغي لهم مساقط الغيث) والمرعى (فرجعت إليهم فأخبرتهم عن الكلاء والماء فخالفو) ك وظعنو (ا إلى المعاطش والمجادب) أي مراضع العطش والجدب (ما كنت صانعاً) أتتركهم وتخالفهم وتطلب ماشاهدت ورأيت من الماء و الكلاء أم تذهب معهم إلى المجادب والمعاطش ؛ (فقال) الرّجل (كنت تاركهم ومخالفهم) متوجّهاً (إلى الكلاء والماء ، فقال عليه السلام فامدد إذاً يدك) لأنّك إذا كنت تارك أصحابك ومفارقهم عند وجدان الكلاء والماء اللّذين بهماغذاء الأبدان ومادّة حياة الأجسام فتركك إيّاهم ومفارقتك منهم عند وجدان نورالعلم والمعرفة والهداية الذي هو مادّة حياة الأرواح والنفوس أحرى و أولى (فقال الرّجل : والله ما استطعت أن أمتنع) من البيعة (عند قيام الحجّة عليّ فبايعته) .

أقول : هكذا يؤثر الموعظة لأهلها ويهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال، ومثل إهتداء هذا الرّجل رسول أهل البصرة بنورالولاية اهتداء رسول عايشة و إهتداء رجل آخر من بني عبد قيس رسول الزّبير و طلحة و استبصارهما بعد ما قامت عليهما الحجة .

أمّا رسول عائشة فقد روى في مجلّد الفتن من البحار وفي كتاب مدينة المعاجز تأليف السيّد المحدّث السيّد الهاشم البحراني جميعاً عن محمّد بن الحسن الصفّار في البصائر عن أحمد بن محمّد و الحسن بن عليّ بن النعمان عن أبيه عن محمّد بن سنان رفعه قال: إنّ عايشة قالت التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل حتّى أبعثه إليه قال فأتيت به فمثل بين يديها فرفعت إليه رأسها فقالت له مابلغت من عداوتك لهذا الرّجل؟ فقال كثيراً ما أتمنّى على ربّي أنّه و أصحابه في وسطي فضربت ضربة بالسيف يسبق «يصبغ خل» السّيف الدّم قالت فأنت له ، اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه

ظاعناً رأيته أو مقيماً أما أنك إن رأيته ظاعنا رأيته راكبا على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله متنكبا قوسه معلقا كنانته على قربوس سرجه ، وأصحابه خلفه كأنهم طير صواف فتعطيه كتابي هذا و إن عرض عليك طعامه و شرابه فلاتناولن منه شيئا فان فيه السحر .

قال : فاستقبلته راكبا فناولته إلكتاب ففض خاتمه ثم قرأه فقال : تبلغ إلى منازلنا فتصيب من طعامنا و شرابنا ، فنكتب جواب كتابك ، فقال : هذا والله ما لا يكون قال: فسار خلفه وأحدق به أصحابه ثم قال له: أسألك ؟ قال: نعم، وتجيبني؟ قال : نعم .

قال : فنشدتك الله هل قالت: التمسوا لى رجلا شديد العداوة لهذا الرجل فأتيت بك؟فقالت لك ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل فقلت كثيراً أما أتمنى على ربي أنه وأصحابه في وسطي واني ضربت ضربة سبق «صبغ خل» السيف الدم ؟ قال : اللهم نعم .

قال : فنشدتك الله أقالت لك : اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعنا كان أو مقيما أما إنك إن رأيته راكبا رأيته على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله متنكبا قوسه معلقا كنانته بقربوس سرجه وأصحابه خلفه كأنهم طير صواف قال : اللهم نعم .

قال عليه السلام : فنشدتك الله هل قالت لك إن عرض عليك طعامه وشرابه فلاتناولن منه شيئا فان فيه السحر؟ قال : اللهم نعم .

قال : فتبلغ أنت عني ؟ فقال : اللهم نعم فاني قد أتيتك وما في الأرض خلق أبغض إلي منك وأنا الساعة ما في الأرض خلق أحب إلي منك فمر بي بما شئت .

قال عليه السلام : ارجع اليها بكتابي هذا ، و قل لها ما أطعت الله و لا رسوله حيث أمرك الله بلزوم بيتك فخرجت ترددين في العسكر ، وقل لهما (١) ما أنصفتما الله ورسوله ، حيث خلفتم حلائلكم في بيوتكم وأخرجتم حليلة رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال : فجاء بكتابه فطرحه إليها و أبلغها مقالته ثم رجع إليه فأصيب بصفين ، فقالت ما نبعث إليه بأحد إلا أفسده علينا .

---

(١) أي طلحة والزبير.

وأمّا رسول طلحة والزّبير ففي الكافي عن محمّد بن يعقوب الكليني عن علي ابن ابراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن سلاّم بن عبدالله ، و محمّد بن الحسن ، وعلي بن سهل بن زياد ، وأبوعلي الأشعري ، عن محمّد بن حسان جميعا ، عن محمّد بن علي عن علي بن أسباط عن سلام بن عبدالله الهاشمي قال محمّد بن علي : وقد سمعته منه عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال :

بعث طلحة والزّبير رجلا من عبدالقيس يقال له خداش إلى أمير المؤمنين عليه السلام و قالا له : إنّا نبعثك إلى رجل طال ما نعرفه وأهل بيته بالسّحر و الكهانة و أنت أوثق من بحضرتنا من أنفسنا من أن تمتنع من ذلك و أن تحاجّه لنا حتّى تقفه على أمر معلوم .

و اعلم أنه أعظم النّاس دعوى فلا يكسرنّك ذلك عنه ، ومن الأبواب التي يخدع بها النّاس الطعام و الشراب والعسل والدّهن وأن يخالي الرجل فلا تأكل له طعاما ، ولا تشرب له شرابا ، ولا تمسّ له عسلاً ولا دهنا ، ولاتخل معه ، واحذر هذا كلّه منه وانطلق على بركة الله .

فاذا رأيته فاقرأ آية السخرة(١) و تعوّذ بالله من كيده و كيد الشّيطان ، فاذا جلست إليه فلا تمكّنه من بصرك كلّه ولا تستأنس به ثمّ قل له إنّ أخويك في الدّين وابني عمّك في القرابة يناشدانك القطيعة ، ويقولان لك أما تعلم أنا تركنا الناس لك ، وخالفنا عشائرنا فيك منذ قبض الله عزّ وجلّ محمّداً صلّى الله عليه وآله فلمّا نلت أدنى منالك ضيّعت حرمتنا ، وقطعت رجائنا .

ثمّ قد رأيت أفعالنا فيك ، و قدرتنا على الناس عنك ، و سعة البلاد دونك ، و انّ من كان يصرفك عنا و عن صلتنا كان أقلّ لك نفعاً و أضعف عنك دفعاً منّا ، وقد وضح الصبح لذى عينين.

---

(١) السخرة بالضم التسخير و أما بالفتح فهو الاستهزاء . (كفعمى ره) والآية هى قوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السماوات و الارض - الى قوله - رب العالمين من قرأها حفظ من شياطين الجنّ والانس (صالح المازندرانى) وفى الكفعمى الى قوله قريب من المحسنين (منه ره) .

وقد بلغنا انتهاك لنا ودعاء علينا فما الّذي يحملك على ذلك ؟ فقد كنّا نرى أنك أشجع فرسان العرب أتتّخذ اللّعن ديناً وترى أنّ ذلك يكسرنا عنك ؟ .

فلما أتى خداش إلى أمير المؤمنين عليه السلام صنع ما أمراه فلمّا نظر إليه عليّ عليه السلام وهو يناجي نفسه ضحك وقال عليه السلام : ههنا يا أخا عبد قيس وأشار له إلى مجلس قريب منه ، فقال : ما أوسع المكان اُريد أن اُؤدّي إليك رسالة قال عليه السلام بل تطعم وتشرب وتحل « تخلي خل » ثيابك وتدّهن ، ثمّ تؤدّي رسالتك ، قم يا قنبر فأنزله.

قال مابي إلى شيء مما ذكرت حاجة قال فأخلو بك قال كلّ سرّ لي علانية قال فاُنشدك بالله الذي هو أقرب إليك من نفسك ، الحائل بينك وبين قلبك ، الّذي يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور ، أتقدّم عليك الزبير بما عرضت عليك؟ قال : اللهمّ نعم .

قال : لو كتمت بعد ما سألتك ما ارتدّ إليك طرفك فأنشدك الله هل علّمك كلاماً تقوله إذا أتيتني؟ قال : اللهمّ نعم ، قال عليه السلام آية السخرة؟ قال نعم.

قال : فاقرأها فقرأها وجعل عليّ عليه السلام يكرّرها و يردّدها ويصحّح عليه إذا أخطأ حتّى إذا قرئها سبعين مرّة .

قال الرّجل ما يرى أمير المؤمنين عليه السلام بتردّدها سبعين مرّة ، قال له : أتجد قلبك اطمأنّ ؟ قال : أي والّذي نفسي بيده قال : فما قالا لك؟ فأخبره ، فقال : قل لهما كفى بمنطقكما حجّة عليكما ولكنّ الله لا يهدي القوم الظالمين زعمتما أنكما أخواي في الدّين وابنا عمّي في النسب فأمّا النسب فلا أنكره وإن كان النسب مقطوعاً إلاّ ما وصله الله بالاسلام وأمّا قولكما أنكما أخواي في الدّين ، فان كنتما صادقين فقد فارقتما كتاب الله عزّ وجلّ ، وعصيتما أمره بأفعالكما في أخيكما في الدّين ، وإلاّ فقد كذبتما وافتريتما بادّعائكما أنكما أخواي في الدّين .

وأمّا مفارقتكما الناس منذ قبض الله محمّداً صلّى الله عليه وآله فان كنتما فارقتماهم بحقّ فقد نقضتما ذلك الحقّ بفراقكما إيّاي أخيراً و إن فارقتماهم بباطل فقد وقع إثم ذلك الباطل عليكما مع الحدث الّذي أحدثتما ·

مع أنّ صفتكما بمفارقتكما الناس لم يكن إلاّ لطمع الدّنيا ، زعمتما وذلك قولكما فقطعت رجائنا ، لا تعيبان بحمدالله من ديني شيئاً .

و أمّا الّذي صرفني عن صلتكما فالّذي صرفكما عن الحقّ و حملكما على خلعه من رقابكما كما يخلع الحرون لجامه ، و هوالله ربّي لا اُشرك به شيئاً فلا تقولا أقلّ نفعاً وأضعف دفعا فتستحقّا اسم الشرك مع النفاق .

و أمّا قولكما إنّي أشجع فرسان العرب وهربكما من لعني ودعائي ، فانّ لكلّ موقف عملاً و اذا اختلفت الأسنّة و ماجت لبود الخيل و ملأ سحرا كما أجوافكما فثمّ يكفينى الله بكمال القلب .

وأمّا اذا أبيتما بأنى أدعوالله فلا تجزعا من أن يدعو عليكما رجل ساحرمن قوم سحرة زعمتما .

اللّهم أقعص (١) الزبير بشرّ قتلة ، واسفك دمه على ضلالة ، وعرّف طلحة المذلّة وادّخر لهما في الآخرة شراً من ذلك ان كانا ظلماني وافتريا عليّ و كتما شهادتهما وعصياك وعصيا رسولك فيّ ، قل آمين قال خداش:آمين .

ثمّ قال خداش لنفسه ما رأيت لحية قطّ أبين خطأ منك حامل حجّة ينقض بعضها بعضا لم يجعل الله لها مساكا (٢) أنا أبرء إلى الله منهما .

قال عليّ ﷺ ارجع إليهما وأعلمهما ما قلت قال : لا والله حتّى تسئل الله أن يردّني إليك عاجلا وان يوفّقني لرضاه فيك ، ففعل فلم يلبث أن انصرف وقتل معه يوم الجمل رحمه الله .

الترجمة

از جملهٔ کلام آن حضرتست که تکلّم فرموده بآن با بعض عرب که کليب جرمى بود وقتيکه فرستاده بود اورا قومي ازاهل بصره زماني که آنحضرت نزديك بصره بود تا بداند از براى ايشان از راى آنحضرت حقيقت حال اورا با أصحاب جمل تازايل شود شبهه ازنفوس ايشان .

---

(١) اقعصه إذا قتله قتلا ضريعاً (م)

(٢) المساك مايمسك بعضها بعضامن الروابط (م)

پس بیان فرمود بأوازکار خود با ایشان آن چیزیرا که دانست او بآن چیز اینکه آنحضرت بحق است وایشان بباطل بعداز آن فرمود باو که بیعت کن پس گفت باو که من ایلچی قومی هستم کاری نمیکنم بی مشورت ایشان تا بر گردم بطرف ایشان پس فرمود آنحضرت :

خبرده مرا اگر کسانی که درپس توأند بفرستند ترا درحالتیکه طلب کننده آب و گیاه باشی که طلب نمائی ازبرای ایشان مواضع افتادن باران‌را پس بر گردی بسوی ایشان وخبردهی ایشان را ازآب و گیاه پس مخالفت نمایند، ومتوجه شوند بمکانهای بی آب وعلف، چه‌کار خواهی کرد دراین صورت ؟.

عرض کرد که میباشم ترك کننده ایشان و مخالف ایشان ، و میروم بسوی آب و گیاه ، پس‌فرمود حالا که اینطور است دراز کن دست خودرا یعنی بیعت نما ، پس گفت آن مرد قسم بحق خدا نتوانستم خود داری کنم نزد تمام شدن حجّت برمن‌پس بیعت نمودم باآن‌حضرت .

ومن خطبة له عليه السلام وهی المأة والسبعون من المختار فی باب الخطب

و ذلك في اليوم الرّابع من الوقعة سابع شهر صفر من سنة سبع و ثلاثين علی‌ما‌يأتي‌في رواية نصر بن مزاحم وروينه عنه باختلاف تطلع عليه .

أَللّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ، و الْجَوِّ الْمَكْفُوفِ ، اَلّذي جَعَلْتَهُ مَغيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَ مَجْرىً لِلشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيّارَةِ، وَجَعَلْتَ سُكّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلائِكَتِكَ لا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبادَتِكَ .

وَ رَبَّ هٰذِهِ الْأَرْضِ اَلَّتي جَعَلْتَهُ قَراراً لِلْأَنامِ ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوامِّ وَ

الْأَنعامِ، وَما لا يُحصى مِمّا يُرى وَما لا يُرى.

وَرَبَّ الْجِبالِ الرَّواسِيَ الَّتي جَعَلْتَها لِلْأَرْضِ أَوْتاداً، وَ لِلْخَلْقِ اعْتِماداً إِنْ أَظْهَرْتَنا عَلى عَدُوِّنا فَجَنِّبْنا عَنِ الْبَغْيِ وَسَدِّدْنا لِلْحَقِّ، وَ إِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنا فَارْزُقْنا الشَّهادَةَ، وَاعْصِمْنا مِنَ الْفِتْنَةِ.

أَيْنَ الْمانِعُ لِلذِّمارِ، وَالْغائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفاظِ أَلْعارُ (النّارُ خ ل) وَراءَكُمْ وَالْجَنَّةُ أَمامَكُمْ.

اللغة

(غاض) الماء يغيض غيضاً ومغاضاً قلّ و نقص قال سبحانه «و غيض الماء» وقال «وما تغيض الأرحام» أى ما تنقص من تسعة أشهر والغيضة الأجمة و مجتمع الشجر و(الذّمار) ما يلزمك حفظه من الأهل والمال والولد و (غار) على امرأته وهي عليه تغار غيرة وغيراً وغاراً وغياراً فهو غائر وغيران وهي غيرى.

الاعراب

جملة لا يسأمون في محلّ النّصب صفة لقوله سبطاً أوحال لأنّه نكرة غير محضة، فيجوز في الجملة التالية لها الوجهان كما صرّح به علماء الأدبيّة ولووقعت بعد النكرة المحضة فوصف فقطّ وبعد المعرفة المحضة فحال لاغير.

المعنى

اعلم أنّ اللّازم على العبد أن يكون توجّهه في جميع حالاته من الشدّة و الرّخاء والسرّاء و الضرّاء، و الضيق والسعة، إلى معبوده لاسيّما حالة البؤس

والشدّة لأنّ دفع الضّرر الموجود والمتوقّع واجب عقلا ونقلا مع القدرة ، والدّعاء محصّل لذلك وهومقدور فيجب المصير إليه .

أمّا مقدوريّته فلا غبار عليه ، وأمّا أنه محصّل لذلك فلما دلّت عليه الأدلّة النقليّة من الكتاب و السنّة من أنّه يدفع به البلاء الحاصل ، و يكشف بـه السوء النازل .

قال سبحانه : « وادعوه خوفاً وطمعاً » وقال : « أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء » .

وقال الكاظم عليه السلام عليكم بالدّعاء فانّ الدعاء والطّلب إلى الله يردّ البلاء وقد قدّر وقضى فلم يبق إلاّ إمضاؤه فاذا دعي الله وسئل صرفه صرفه .

و روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : ألا أدلّكم على شيء لم يستثن فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله قلت : بلى، قال: الدّعاء يردّ القضاء وقد اُبرم إبراما وضمّ أصابعه .

و عن سيّدالعابدين عليه السلام إنّ الدّعاء و البلاء ليتوافقان إلى يوم القيامة إنّ الدّعاء ليردّ البلاء وقد اُبرم إبراما .

وعنه عليه السلام الدّعاء يدفع البلاء النازل ، وما لم ينزل .

و قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ألا أدلّكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم و يدرّ أرزاقكم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : تدعون ربّكم باللّيل والنهار وقال : سلاح المؤمن الدّعاء ،

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام الدّعاء ترس المؤمن ، و متى تكثر قرع الباب يفتح لك .

وقال الصّادق عليه السلام الدّعاء أنفذ من السنان الحديد .

هذا كلّه مضافا إلى ماتقدّمت في شرح الكلام السّادس والأربعين من الأدلّة الواردة في الحثّ والترغيب عليه .

إذا عرفت ذلك فأقول : لماكان مقام الحرب والجدال ، ولقاء الشجعان والأبطال أحقّ المواقع الّتي يتوسل فيها إلى الله بالتخلّص إليه ، والتوجّه له ، و كان الدّعاء

إليه بمقتضى الأدلّة السّابقة أفضل ما يتوقّى به من الدّواهي والمكاره، و ترس من الأعداء و جنّة لا شيء أوقى منه، و أنفذ عليهم من السّنان الحديد، و أشدّ تأثيراً من الضرب بالمشرفيّ و المهنّد و الطعن بالخطى و القنى المسدّد لا جرم توجّه أميرالمؤمنين عليه السلام إليه سبحانه بالدّعاء لما عزم لقاء القوم بصفّين (١) فقال :

(أللّهمّ ربّ السقف المرفوع) أى السّماء الّتي رفعها بغير عمد ترونها، و إطلاق السقف عليها إمّا حقيقة أو من باب الاستعارة تشبيها لها بسقف البيت في الارتفاع والاحاطة (والجوّ المكفوف) أى الفضاء الذي كفّها بقدرته وجعله محلاًّ لسماواته وأرضه .

قال الشّارح البحراني بعد تفسير السقف المرفوع بالسّماء و كذلك الجوّ المكفوف قال الشارح المعتزلي الجوّ المكفوف السّماء أيضاً كفّه أى جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، و يمرّ في كلامه عليه السلام نحو هذا وأنّ السّماء هواء جامداً و ماء جامد انتهى .

وفيه نظر لما قد دلّت عليه الفصل الثامن من الخطبة الاُولى صريحا أنّ الجوّ غير السّماء وأنّه محلّ لها حيث قال عليه السلام هناك :

ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشقّ الأرجاء وسكائك الهواء - إلى أن قال : - فرفعه في هواء منفتق، وجوّ منفهق فسوّى منه سبع سماوات. فانظر ماذا ترى، هذا .

مضافا إلى أنّ كون الجوّ بمعنى السماء لم يذكره أحد من اللّغويّين وغيرهم فيما رأيتهم بل هم بين مفسّر له بالهواء و بين مفسّر بالفضاء و بعضهم بمابين السّماء و الأرض اللّهم إلاّ أن يوجّه ما ذكره الشارحان بأنّه اُريد منه في خصوص هذا المقام السّماء مجازاً بعلاقة الحال والمحل أو المجاورة بقرينة قوله (الذي جعلته

---

(١) فى الكافى عن علىّ بن ابراهيم عن أبيه عن النوفلى عن السكونى عن أبىعبدالله (ع) قال قال أميرالمؤمنين (ع) اغتنموا الدعاء عند أربع: عند قراءة القرآن، و عند الاذان، و عند نزول الغيث، وعند التقاء الصفّين للشهادة (منه) .

مغيضا للّيل والنهار) مع المعطوفات عليه التاليةله فانّ هذه كلّها من أوصاف السّماء فلابدّ من ارتكاب المجازحتّى يصحّ الوصف بها إذ على إرادة الحقيقة امتنع جعلها صفاتا له و احتمال كونها صفاتا للسقف المرفوع مدفوع باستلزامه الفصل بين التابع والمتبوع بالأجنبيّ وهوخلاف القواعد الأدبيّة فافهم .

وكيف كان فمعنى كونه مغيضا للّيل والنهار أنّه محلّ لنقصان كلّ منهما مع زيادة الآخر وذلك لأنّ حصول اللّيل إنّما هوبحركة الشّمس عن فوق الأرض إلى ماتحتها ، و حصول النّهار بحركتها عن تحتها إلى مافوقها، وبكيفيّة حركتها في الفلك يختلفان زيادة ونقصانا .

فكلّما قرب الشمس إلى المعدّل يطول النهار ويقصر اللّيل وكلّما بعدت يكون بالعكس قال سبحانه في سورة لقمان : « ألم تر أنّ الله يولج اللّيل في النهار ويولج النهار في اللّيل » وفي الزّمر «يكوّر اللّيل على النّهار ويكوّر النّهار على اللّيل» ولذلك ترى كلّ بلد يكون عرضه الشمالي أكثر يكون أيّامه الصّيفيّة أطول ولياليه الصّيفية أقصروأيّامه ولياليه الشتوية بالضدّ من ذلك .

فلما كان ظلام اللّيل و ضوء النّهار و اختلافهما في الطول و القصر و الزيادة و النقصان باختلاف حركة الشّمس ، وكان محلّ الحركة هو السّماء صحّ بذلك الاعتبار جعله مغيضا لهما ، ويقرب ممّا ذكرته ما قاله الشارح البحراني فانّه بعد تفسيره المغيض بالمغيب قال: لأنّ الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس إلى وجه الأرض يكون سببا لغيبوبة الليل و استلزام حركته لحركتها عن وجه الأرض يكون سببا لغيبوبة النهار فكان كالمغيض لهما فاستعاره لفظ المغيض .

وأمّا ماقاله الشارح المعتزلي من أنّ معناه أنّه جعله غيضة لهماوهي في الأصل الأجمة يجتمع إليها الماء و ينبت فيها الشجر كأنّه جعل الفلك كالغيضة و اللّيل والنّهار كالشجر النابت فيها ، ووجه المشاركة تولّد الشجر من الغيضة وتولّد اللّيل والنهار من جريان الفلك فليس بشيء كما لايخفى هذا .

وقوله :(و مجرى للشمس والقمر) أى محلاّ لجريانهما قد ظهر تفصيل الكلام

فيه في شرح الفصل الثامن من الخطبة الاُولى كما تقدّم تفصيلا والكلام في قوله (ومختلفاً للنجوم السّيارة) أي محلاّ لاختلافها في السّير بالسرعة والبطؤ والحركة المخصوصة لكلّ منها في شرح الفصل المذكور أيضا وكذا في شرح الفصل الرابع من الخطبة التسعين فليراجع المقامين (وجعلت سكّانه سبطا) أي قبيلا (من ملائكتك لايسأمون من «عن خ» عبادتك) وقد عرفت أيضا شرح حال الملائكة و اختلاف فرقها وعدم ملالهم من عبادة الربّ سبحانه في شرح الفصل التاسع من الخطبة الأولى والفصل الخامس من الخطبة التسعين.

(وربّ هذه الأرض الّتي جعلتها قراراً للأنام ومدرجا للهوامّ) والحشرات (و الأنعام) و البهايم (ومالايحصى) من المصنوعات العجيبة و المخلوقات الغريبة (ممّا يرى و ممّا لايرى) و تقدّم الكلام في عجائب خلقة الأرض و دحوها على الماء والمنافع التي للنّاس فيها في شرح الفصل السادس من الخطبة التسعين.

قال الشّارح البحراني قال بعض العلماء من أراد أن يعرف حقيقة قوله ما يرى و ما لا يرى فليوقد ناراً صغيرة في فلاة في ليلة صيفيّة وينظر ما يجتمع عليها من غرائب أنواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهدها هوولاغيره قال الشارح وأقول: ويحتمل أن يريد بقوله و ما لايرى ما ليس من شأنه أن يرى إمّا لصغره أولشفّافيتّه

(وربّ الجبال الرّواسي) أي الثابتات (الّتي جعلتها للأرض أوتاداً) كما عرفت في شرح الفصل الثّالث من الخطبة الأولى (و للخلق اعتماداً) لأنّ فيها ينابيع المعادن ومعادن الينابيع وفيها المرابض والمراتع، يرعون فيها الأنعام ويسرحون فيها الأغنام، وقد جعل فيها أكنانا وكهوفا وغيرانا يأوون فيها في الصّيف والشتاء ويتوقّون بها في شدّة الحرّ وصبارة القرّ.

ويزرعون فيها الزراعات الدّيميّة، وينالون منها بركات كثيرة فصحّ بذلك كونها اعتماداً للخلايق وكون اتّكالهم عليها بمالهم فيها من المعايش والمرافق هذا و لما نادى الربّ المتعال بما تدلّ على اتّصافه بالقدرة و العظمة و الجلال

تخلّص الى مادعاه لأجله (١) فقال : (إن أظهرتنا) ونصرتنا (على عدوّنا فجنّبنا عن) الظلم و (البغى وسدّدنا لـ)لصواب و ا (لمحقّ) ولا تجعلنا كساير المحاربين من الملوك و السلاطين يحاربون الأعداء للدّنيا لا للدّين فاذا غلبوا أعداءهم يظلمون وعن البغي والطغيان لايمسكون (وإن أظهرتهم) وجعلتهم غالبين (علينا فارزقنا) عظيم الزلفى و (الشهادة واعصمنا من)الضلال و (الفتنة) .

ثمّ أخذ في تحريض أصحابه على القتال بلفظ مهيج لهم على ايقاد نارالحرب وإضرامها فقال : (أين المانع للذّمار) اللاّم للجنس و الاستفهام للالهاب (والغائر عند نزول الحقايق من أهل الحفاظ) أي صاحب الغيرة والحميّة من أهل المحافظة عند نزول الشدائد والنوازل الثابتة (العار وراءكم) وفي بعض النسخ النار بدل العار (والجنّة أمامكم) يعنى في الهرب و الادبار من الحرب عار في الأعقاب و نار يوم الحساب وفي الاقبال والتقدم عليه الجنّة وحسن المآب ، فمن تولّى عنه خسروخاب ومن سعى إليه نال عظيم الثواب .

تذييل

روى العلاّمة المجلسيّ (ره) في البحار هذا الكلام له عليه السلام من كتاب صفّين لنصر بن مزاحم قال : قال نصر حدّثنا عمر بن سعد عن عبدالرّحمان بن جندب عن أبيه قال : لما كان غداة الخميس لسبع خلون من صفر سنة سبع و ثلاثين و صلّى عليّ عليه السلام الغداة فغلّس مارأيت عليّاً عليه السلام غلّس بالغداة أشدّ من تغليسه يومئذ وخرج بالناس إلى أهل الشّام فزحف نحوهم وكان هو يبدئهم ويسير إليهم فاذا رأوه قد زحف استقبلوه بزحوفهم .

وعن عمر بن سعد عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب قال لمّا خرج عليّ عليه السلام

---

(١) وذلك لأنّ من آداب الدعاء وشرايط الاستجابة التمجيد والثناء قبله كما قال أبوعبدالله عليه السلام فى رواية الكافى اذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربه وليمدحه فانّ الرجل اذا طلب الحاجة من السلطان هيأ له من الكلام أحسن ما يقدر عليه فاذا طلبتم الحاجة فمجّدوا الله العزيز الجبار وامدحوه وأثنوا عليه.الحديث (منه ره) .

إليهم غداة ذلك اليوم فاستقبلوه رفع يديه إلى السماء فقال :

اللهمّ ربّ هذا السقف المحفوظ المكفوف ، الذي جعلته مغيضاً للّيل والنّهار و جعلت فيه مجرى الشمس والقمر ، و منازل الكواكب والنجوم ، وجعلت سكّانه من الملائكة لايسأمون العبادة .

وربّ هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام والهوامّ والأنعام ، و مالا يحصى ممّا يرى وممّا لايرى من خلقك العظيم .

وربّ الفلك الّتي تجري في البحر بماينفع النّاس ، وربّ السّحاب المسخّر بين السّماء والأرض وربّ البحر المسجور المحيط بالعالمين وربّ الجبال الرّواسي الّتي جعلها للأرض أوتاداً و للخلق متاعاً إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغي وسدّدنا للحقّ وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشّهادة واعصم بقيّة أصحابي من الفتنة .

قال : فلمّا رأوه قد أقبل تقدّموا إليه بزحوفهم و كان على ميمنته يومئذ عبدالله بن بديل و النّاس على راياتهم و مراكزهم و عليّ عليه السلام في القلب في أهل المدينة جمهورهم الأنصار ومعه من خزاعة و كنانة عدد حسن .

قال نصر : ورفع معاوية قبّة عظيمة وألقى عليه الكرابيس وجلس تحتهاوكان لهم قبل هذا اليوم ثلاثة أيّام وهواليوم الرّابع من صفر ، فخرج في هذا اليوم محمّد ابن الحنفيّة في جمع من أهل العراق فأخرج إليه معاوية عبيدالله بن عمر بن الخطاب في جمع من أهل الشام فاقتتلوا فطلب عبيدالله محمّداً إلى المبارزة فلمّا خرج إليه دعاه عليّ عليه السلام وخرج بنفسه راجلا بيده سيفه وقال أناأبارزك فهلمّ فقال عبيدالله لاحاجة بي إلى مبارزتك فرجع عليه السلام إلى صفّه هذا .

وقد تقدّم جمل وقايع صفين في شرح الكلام الخامس والستّين وغيره ممّا نبّهناك عليه هناك .

الترجمة

ازجملهٔ كلام بلاغت نظام آن امام أنام است درحيني كه عزم فرمود بملاقات نمودن باقوم شام درجنگ صفّين كه بأين مضامين دعا نمود :

بار إلها ای پروردگار سقف برافراشته وآسمان باز داشته ، چنان آسماني که گردانیدی آنرا محلّ نقصان از برای شب وروز، ومحلّ جریان ازبرای مهروماه و محلّ اختلاف از برای ستارهای سیر کننده ، وگردانیدی ساکنان آن را قبیلهٔ از فرشتگان خود درحالتیکه ملال نمیآورند ازعبادت تو .

و ای پروردگار این زمین که گردانیدي آن را قرارگاه ازبرای مردمان ومحلّ رفتار حشرات زمین وچهار پایان وآنچه که شمرده نمیشود ازمخلوقاتي که دیده میشود ، واز مخلوقاتی که دیده نمیشود .

و ای پروردگار کوههای ثابت استوار که گردانیدي آنها را از برای زمین میخها و از برای خلق تکیه گاه اگر غالب گردانی ما را بردشمنان ما پس کنار گردان مارا از تعدّی وستم ، وراست دار ما را ازبرای حق ، واگر غالب گردانی ایشان را برما پس روزي کن بما شهادت را ، وحفظ کن مارا ازضلالت وفتنه .

کجااست منع کننده چیزیکه لازماست برجوانمرد حفظ کردن آن ؟ و کجا است صاحب غیرت هنگام نازل شدن شداید امور که کاشف است از حقایق کار از أهل حميّت و فتوّت ؟ عار و سرزنش در پشت شما است اگر رو گردان باشید از محاربه ، و بهشت عنبر سرشت درپیش شما است اگر اقدام نمائید بر مقاتله .

ومن خطبة له عليه السلام و هى المأة والحادية و السّبعون من المختار فى باب الخطب

والظاهر أنّهاملتقطة من الخطبة الطويلة الّتي قدمنا روايتها في شرح الفصل الثّالث من الخطبة السادسة و العشرين إلاّ أنّ صدرها المتضمّن للحمد على الله سبحانه ليس فيها .

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذي لاٰ تُواري عَنْهُ سَماءٌ سَماءً ، وَلاٰ أَرْضٌ أَرْضاً .

منها: وَقَدْ قالَ لي قائِلٌ إِنّكَ يا ابْنَ أبي طالبٍ على هذا الأمرِ لَحَرِيصٌ فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ واللهِ أحرصُ وأبعدُ وأنا أخصٌّ وأقربُ وإنّما طَلَبْتُ حَقّاً هُوَ لي، وأنتُمْ تحولُونَ بيني وبَيْنَهُ، وتَضْربُونَ وَجْهي دُونَهُ، فَلَمّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجّةِ في المَلاءِ الحاضِرينَ هَبَّ (بهتَ خ ل) كَأَنّهُ لا يَدْري ما يُجيبُني بِه.

أَللّهُمَّ إِنّي أَسْتَعْديكَ على قُرَيْشٍ وَمَنْ أعانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمي وَصَغّرُوا عَظيمَ مَنْزِلَتي، وَأَجْمَعُوا على مُنازَعَتي أَمْراً هُوَ لي، ثُمّ قالُوا أَلا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ نأخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ.

ومنها في ذكر أصحاب الجمل:

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَما تُجَرُّ الأَمَةُ عِنْدَ شِرائِها مُتَوَجِّهِينَ بِها إِلَى الْبَصْرَةِ فَحَبَسا نِسائَهُما في بُيُوتِهِما وَأَبْرَزا حَبِيسَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُما وَلِغَيْرِهِما في جَيْشٍ ما مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلّا وَقَدْ أَعْطاني الطّاعَةَ وَسَمَحَ لي بِالْبَيْعَةِ طائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ فَقَدِمُوا على عامِلي بِها، وَخُزّانِ بَيْتِ مالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِها وَقَتَلُوا طائِفَةً صَبْراً وَطائِفَةً غَدْراً فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يُصيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلّا رَجُلاً واحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لي قَتْلُ ذلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا بِلِسانٍ وَلا يَدٍ،

دَعْ ما أنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتي دَخَلُوا بِها عَلَيْهِمْ .

اللغة

(الملاء) وزان جبل وجوه النّاس و أشرافهم الّذين يرجع إليهم لا متلائهم بالرأى والتدبير و (هبّ) من النوم انتبه وتنبّه و (سمح) الرّجل من باب منع سماحاً وسماحة جاد و كرم .

الاعراب

في نسخة الشّارح المعتزلي: فوالله أن لو لم يصيبوا . قال الشّارح فأن زايدة ويجوز أن يكون مخفّفة من الثّقيلة ، وجملة لحلّ لي جواب للقسم استغنى به عن جواب الشرط لقيامه مقامه كما في قوله تعالى : « ولو أنّهم آمنوا و اتّقوا لمثوبة عندالله خير » و قولك والله لوجئتني لجئتك ، فاللاّم جواب القسم لا جواب لو قال نجم الأئمة إذا تقدّم القسم أوّل الكلام ظاهراً أو مقدّراً و بعده كلمة الشرط سواء كانت أن أولو أولولا أو اسم الشرط فالأكثر و الأولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب للقسم ، وما في قوله دع ما أنّهم زايدة كما في قوله تعالى : « فبما رحمة من الله » و « ممّا خطيئاتهم » و « مثل ما أنّكم تنطقون » و قيل : إنّها نكرة والمجرور بدل منها .

المعنى

اعلم أنّ ما أورده السيّد «ره» من خطبته عليه السلام في المتن يدورعلى فصول ثلاثة .

الفصل الاول

افتتح كلامه بحمدالله سبحانه باعتباراحاطة علمه بالسّماوات والأرضين فقال: (الحمدلله الذي لا توارى) أى لاتحجب ولا تسترعنه (سمآء سماءً ولا أرض أرضاً) لكونه منزّهاً عن وصف المخلوقين الذين في إدراكهم لبعض الأجرام السماويّة

والأرضية محجوبون عمّا ورائها و ذلك لقصور ذاتهم و قصور قوّتهم المدركة و أمّا الربّ تعالى فلكمال ذاتــه فله العلم بكلّ ماسواه كما قد عرفت في شرح الفصل السّادس و الفصل السّابع من الخطبة الاُولى وفي شرح الخطبة التاسعة و الأربعين و غيرهما .

وأقول هنا مضافاً إلى ماسبق روى في الكافي عن ابن اُذينة عن أبيعبدالله عليه السلام « ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هوسادسهم » فقال عليه السلام : هوواحدىّ الذات باين من خلقه ، وبذلك وصف نفسه وهوبكلّ شيء محيط بالأشراف والاحاطة والقدرة لايعزب عنه مثقال ذرّة في السّماوات ولا في الأرض و لا أصغر من ذلك ولا أكبر بالاحاطة و العلم لا بالذّات لأنّ الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة فاذاكان بالذات لزمته .

يعني أنّه سبحانــه لوحدانيّة ذاته ومباينته من خلقه كما وصف بـه نفسه في كتابه العزيز حيث قال : « ليس كمثله شيء فهو بكلّ شيء محيط » لأنّ غيره من المخلوقات لكونــه مكانيا يلزمه أنّ حصوله في مكان وحضوره عند جماعة يستلزم خلوّ ساير الأمكنة عنه وغيبته عن جماعة اُخرى كما هوشأن المكانيّات وهوليس كذلك بل حصوله هيهنا وحضوره لهؤلاء النفس حصوله هناك وحضوره لاوُلئك .

وقوله لابالذّات يعني أنّه ليست بالذّات لانّ الأماكن محدودة بحدود أربعة وهي : القدّام ، و الخلف ، و اليمين ، و الشّمال ، لعدم تحيّزها إلاّ بالاعتبار عدّ الجميع حدّين والفوق والتّحت حدّين فصارت أربعة فلو كانت إحاطته بالذّات بأن كانت بالدّخول في الأمكنة لزم كونه محاطاً بالمكان كالمتمكّـن و إن كانت بالانطباق لزم كونه محيطاً بالتمكن كالمكان و كلاهما باطل هذا .

و قوله : و لا أرض أرضاً قال الشارح المعتزلي هذا الكلام يدلّ على اثبات أرضين بعضها فوق بعض كما أنّ السماوات كذلك و لم يأت في الكتاب العزيز مايدلّ على هذا إلاّ قوله تعالى : « الله الّذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهنّ » وهوقول كثير من المسلمين و قد تأوّل ذلك أرباب المذاهب الاُخر القائلون بأنها

أرض واحدة فقالوا إنها سبعة أقاليم فالمثليّة من هذا الوجه هي لا من تعدّد الأرضين في ذاته .

و يمكن أن يتأوّل مثل ذلك كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيقال إنها و إن كانت أرضاً واحدة لكنها أقاليم وأقطار مختلفة، وهي كرية الشكل فمن على حدبة الكرة لايرى من تحته ومن تحته لايراه ومن على أحد جانبيها لايرى من على الجانب الآخر والله يدرك ذلك كلّه أجمع لايحجب عنه بشيء منها شيء منها انتهى.

ونحو ذلك قال الطبرسيّ في تفسير الآية حيث قال: أى وفي الأرض خلق مثلهنّ في العدد لا في الكيفية لأنّ كيفيّة السماء مخالفة لكيفيّة الأرض وليس في القرآن آية تدلّ على أنّ الارضين سبع مثل السماوات إلاّ هذه الآية ولا خلاف في السماوات أنها سماء فوق سماء وأما الأرضون فقال قوم إنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض كالسماوات لأنها لوكانت مصمتة لكانت أرضاً واحدة وفي كلّ أرض خلق خلقهم الله كيف شاء .

و روى أبوصالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين ليس بعضها فوق بعض يفرق بينهنّ البحار وتظلّل جميعهنّ السّماء والله سبحانه أعلم بصحّة ما استأثر بعلمه واشتبه على خلقه .

وقال الفخر الرّازيّ : قال الكلبيّ : خلق سبع سماوات بعض فوق بعض كالقبّة و من الأرض مثلهنّ في كونها طبقات متلاصقة كما هو المشهور أنّ الأرض ثلاث طبقات طبقة أرضية محضة ،وطبقة طينيّة وهي غير محضة وطبقة منكشفة بعضها في البرّ وبعضها في البحر، وهي كالمعمورة ولا يبعد من قوله ومن الأرض مثلهنّ كونها سبعة أقاليم على سبع سماوات وسبعة كواكب فيها ، وهي السيارة، فان لكلّ واحد من هذه الكواكب خواصّ تظهر آثار تلك الخواصّ في كلّ أقاليم الأرض فتصير سبعة بهذا الاعتبار.

الفصل الثاني منها

في ذكر ما جرى له يوم الشورى بعد مقتل عمر (و قد قال لي قائل إنّك

يابن أبي طالب على هذا الأمر لحريص) أي على أمر الخلافة قال الشارح المعتزلي والّذي قال له ذلك سعد بن أبي وقاص مع روايته فيه أنت منّي بمنزلة هارون من موسى وهذا عجب فأجاب عليه السلام بقوله (فقلت بل أنتم والله أحرص وأبعد وأنا أخصّ وأقرب) فليس للبعيد التعريض على القريب و التعيير بكثرة الحرص و أراد بكونه أخصّ وأقرب مزيد اختصاصه برسول الله صلّى الله عليه وآله وشدّة قربه منه (و إنما طلبت حقاً هولي) بنصّ الرّسول صلّى الله عليه وآله (وأنتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه) كناية عن منعهم منه و دفعهم له عنه (فلمّا قرعته) أي صدمته (بالحجّة في الملأ الحاضرين) (هبّ) أي انتبه واستيقظ عن غفلته (كأنّه بهت) هكذا في نسخة الشارح المعتزلي بزيادة بهت بعد لفظة كأنّه أي صار مبهوتا متحيّراً (لايدرى مايجيبني) به.

ثمّ إنّه شكى بثّه إلى الله سبحانه واستمدّ منه فقال: (اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش) أي أستغيثك وأستنصر منك عليهم (و) على (من أعانهم) من غيرهم (فانّهم قطعوا رحمي) و لم يراعوا قربي من رسول الله صلّى الله عليه وآله (و صغّروا عظيم منزلتي) حيث جعلوني قريناً للادغال والطغام والسفلة الأرذال (وأجمعوا على منازعتي أمراً هولي) أي في أمر الخلافة الذي هو حقّ لي ومختصّ بي بالنصوص المستفيضة بل المتواترة الواردة فيه لا بمجرّد الأفضليّة فقط كما زعمه الشّارح المعتزلي وفاقاً لساير المعتزلة.

(ثمّ) إنّهم لم يقتصروا على أخذ حقّي ساكتين عن الدّعوى بل (قالوا ألا إنّ في الحق أن نأخذه وفي الحقّ أن تتركه) اي ادّعوا أنّ الحق لهم وأنّ الواجب عليّ أن أترك المنازعة فيه معهم فليتهم أخذوه مذعنين بأنّه حقّي فكانت المصيبة أهون والتحمّل بها أسهل.

قال الشارح البحراني: و روى نأخذه و نتركه بالنون في الكلمتين، و عليه نسخة الرّضي والمراد أنا نتصرّف فيه كما نشاء بالأخذ والترك دونك.

الفصل الثالث منها

في ذكر أصحاب الجمل و التنبيه على ضلالهم (فخرجوا يجرّون حرمة

رسول الله ﷺ) أى حرمه و هو في الأصل ما لايحلّ انتهاكه ، و كنّى به هنا عن زوجته عايشة (كما تجرّ الأمة عند شرائها) أى بيعها ووجه الشبه أنّ بايع الأمة يجرّها من بلد إلى بلد ويديرها في الأسواق ويعرضها على المشترين ، فكذلك هؤلاء أخرجوها و أداروها في البلدان و شهّروها في الأصقاع لينالوا بذلك إلى ماراموه (متوجّهين بها إلى البصرة فحبسا) أى طلحة والزبير (نسائهما في بيوتهما و أبرزا حبيس رسول الله ﷺ) و هو أيضاً كناية عنها وفي ذلك أيضاً من الدّلالة على فرط ضلالهما وخطائهما مالايخفى لأنّ الرّسول ﷺ أمرها بالاحتباس في بيتها بمقتضى قوله تعالى : « و قرن في بيوتكنّ ولاتبرّجن تبرّج الجاهليّة الأولى » فهؤلاء مضافاً إلى عدم رعايتهم لحرمة رسول الله ﷺ و حمايتهم عن عرضه و مخالفتهم لأمره خالفوا أمرالله سبحانه ونبذوا كتابه وراء ظهورهم حيث أبرزاها (لهما ولغيرهما) من الناس (في جيش ما منهم رجل إلاّ وقد أعطاني الطاعة وسمح) أى جاد (لي بالبيعة) وهذا إشارة إلى وجه ثان لضلالهم ، وهونقضهم للعهد بعد التوكيد ونكثهم للطاعة بعد البيعة .

وقوله: (طائعا غيرمكره) من باب الاحتراس الّذي مرّ ذكره في ضمن المحسنات البديعية في ديباجة الشرح والغرض إبطال توهّم كون بيعتهم على وجه الاكراه كما ادّعاه طلحة والزبير حسبما عرّفه في شرح الكلام الثامن وغيره (فقدموا على عاملي بها) وهوعثمان بن حنيف الانصارى كان عامله يومئذ بالبصرة (وخزّان بيت مال المسلمين) وهم سبعون رجلاً أوأربعمأة رجل كما في رواية أبي مخنف الآتية (وغيرهم من أهلها فقتلوا طائفة) منهم (صبراً) .

قال شيخنا في الجواهر بعد قول المحقّق ويكره قتله أى الكافر صبراً الأجد فيه خلافا لما في صحيح الحلبي عن الصّادق عليه السلام لم يقتل رسول الله ﷺ رجلا صبراً غيرعقبة بن ابي معيط وطعن ابن ابي خلف فمات بعد ذلك ضرورة إشعاره بمرجوحيّته الّتي لا ينافيها وقوعه من رسول الله ﷺ المحتمل رجحانه لمقارنة أمر آخر على أنّ الحكم ممّا يتسامح في مثله .

قال : والمراد بالقتل صبراً أن يقيّد يداه ورجلاه مثلاحال قتله وحينئذ فاذا اُريد عدم الكراهة أطلقه و قتله و لعلّ هذا هو المراد ممّا فسّره به غير واحد بل نسبه بعض إلى المشهور من أنه الحبس للقتل .

و في القاموس : و صبر الانسان و غيره على القتل أن يحبس و يرمى حتّى يموت .

وأمّا ماقيل من أنّه التعذيب حتّى يموت أو القتل جهراً بين الناس أوالتهديد بالقتل ثمّ القتل أوالقتل وينظر إليه آخر أو لايطعم ولايسقى حتّى يموت بالعطش و الجوع فلم أجد ما يشهد لهـا بل الأخير منهـا مناف لما سمعته من وجوب الاطعام و السقى .

و كيف كان فقد ظهر بذلك أنّ في قوله عليه السلام فقتلوا طائفة صبراً من الدّلالة على عظم خطيئتهم ما لا يخفى لأنـه إذا كان قتل الكفّار المحاربين بهذه الكيفية المخصوصة مكروها أوحراما على اختلاف تفسير الصّبر (١) فكيف بالمؤمنين مضافا إلى أنّهم لم يقنعوا بذلك بل (و)قتلوا (طائفة) اُخرى (غدراً) و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء كلّ غادر بامام يوم القيامة مائلا شدقه حتّى يدخل النّار .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث اصبغ بن نباته وهو يخطب على منبر الكوفة أيّها النّاس لولا كراهة الغدر لكنت من أدهى الناس الا إنّ لكلّ غدرة فجرة ، و لكلّ فجرة كفرة الا وإنّ الغدر والفجور و الخيانة في النّار هذا وسنقصّ عليك قتلهم طائفة صبراً وطائفة غدراً في ثاني التنبيهين الآتيين إنشاء الله .

ثمّ إنّه عليه السلام لما أبدى العذر في قتالهم ووجوب قتلهم بثلاث كباير موبقة إحديها إخراجهم لحبيس رسول الله صلى الله عليه وآله و هتكهم لناموسه ، وثانيتها نكثهم البيعة بعد سماحهم للطاعة ، و ثالثها قتلهم للمسلمين صبراً وغدراً أقسم بالقسم البارّ بحلّيّة قتلهم ازاحة للشبهة عمّن كان في قلبه مرض فقال :

(فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلاّ رجلاً واحداً معتمدين لقتله) أى

---

(١) فعلى التفسير الاخير يكون حراما وعلى غيره يكون مكروها كماهوظاهر (منه ره)

معتمدين له (بلاجرم جرّه) أى بدون استحقاقه للقتل بجرم اجتراه (لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه) هذا الكلام بظاهره يدلّ على جوازقتل جميع الجيش بقتل واحد من المسلمين معلّلا بقوله (إذ حضروه فلم ينكروا و لم يدفعوا عنه بلسان ولايد) فيستفاد منه جواز قتل من ترك النهى عن المنكر مع التمكّن من إنكاره و دفعه .

فان قلت : أفتحكمون بجواز ذلك حسبما يدلّ عليه ذلك الكلام ؟

قلت : نعم لأنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان شرعا فالتارك لهما تارك للواجب وعامل للمنكر ، فيجوز للامام عليه السلام ردعه عنه بأيّ وجه أمكن كساير من ترك الواجبات وأتى بالمحرّمات فاذا علم من أوّل الأمر أنه لايجدى في الرّدع إلاّ القتل لجاز ذلك للامام اتّفاقاً وان اختلف الأصحاب في جواز ذلك أى القتل الذي هو آخر مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لغيره عليه السلام من دون اذنه

ويدلّ على ما ذكرته من أنّ في ترك إنكار المنكر إخلال بالواجب وإقدام على المنكر ما رواه الصدوق (ره) في عقاب الأعمال مسنداً عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام قال قال عليّ عليه السلام : أيها الناس إنّ الله عزّ وجلّ لايعذّب العامّة بذنب الخاصّة إذا عملت الخاصّة بالمنكر سرّاً من غير أن تعلم العامّة ، فاذا عملت الخاصّة بالمنكر جهاراً فلم يغيّر ذلك العامّة استوجب الفريقان العقوبة من الله عزّ وجلّ .

و قال عليه السلام : لايحضرنّ أحدكم رجلاً يضربه سلطان جائر ظلما وعدوانا ولا مقتولا و لا مظلوما إذا لم ينصره لأنّ نصرة المؤمن فريضة واجبة ، فاذا هو حضره والعافية أوسع ما لم يلزمك الحجّة الحاضرة .

قال : و لما وقع التقصير في بني إسرائيل جعل الرّجل منهم يرى أخاه على الذنب فينهاه فلا ينتهى فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وجليسه وشريبه حتّى ضرب الله عزّوجلّ قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن حيث يقول عزّوجلّ « لعن الّذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود و عيسى بن مريم ذلك بما عصوا و كانوا

يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه» الآية .

و يدلّ على جوازقتل فاعل المنكر ما يأتي في أواخر الكتاب في ضمن كلماته القصار من قوله أيّها المؤمنون إنّه من رأى عدواناً يعمل به و منكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم و بره ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر و هو أفضل من صاحبه و من أنكره بالسّيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السّفلى فذلك الّذي أصاب سبيل الهدى . وقام على الطريق و نوّر في قلبه اليقين ورواه في الوسايل من روضة الواعظين مرسلا ويدلّ عليه أخبار اُخر لا حاجة بنا إلى روايتها .

فقد ظهر بذلك كلّه أنّ تعليله عليه السلام حلّ قتل الجيش بحضورهم قتل المسلم من دون إنكا رله ودفع عنه موافق بظاهره لاُصول المذهب ولقواعد الشرع ولاحاجة إلى التوجيه وتمحّل التأويلات الّتي تكلّفها شراح النهج كالشارح المعتزلي والقطب الراوندي والشارح البحراني ولا بأس بالاشارة إلى ملخّص كلامهم والتنبيه على ما يتوجّه عليهم فاقول :

قال الشارح المعتزلي و يسئل عن قوله عليه السلام لو لم يصيبوا إلاّ رجلاً واحداً لحلّ لي قتل ذلك الجيش بأسره لأنّهم حضروه فلم ينكروا فيقال أيجوز قتل من لم ينكر المنكر مع تمكّنه من إنكاره .

والجواب أنّه يجوزقتلهم لأنّهم اعتقدوا ذلك القتل مباحاً فانّهم إذا اعتقدوا إباحته فقد اعتقدوا إباحة ما حرّم الله فيكون حالهم حال من اعتقد أنّ الزّنا مباح وأنّ شرب الخمر مباح .

واعترض عليه الشارح البحراني بأنّ القتل وإن وجب على من اعتقد إباحة ما علم تحريمه من الدّين ضرورة كشرب الخمر والزّنا فلم قلت أنّه يجب على من اعتقد إباحة ما علم تحريمه من الدّين بالتأويل كقتل هؤلاء القوم لمن قتلوا ، وخروجهم لما خرجوا له ؛ فانّ جميع مافعلوه كان بتأويل لهم وان كان معلوم الفساد فظهر الفرق بين اعتقاد حلّ الخمر والزّنا و بين اعتقاد هؤلاء لاباحة مافعلوه انتهى

اقول : و أنت خبير بما في هذا الجواب و الاعتراض كليهما من الضعف

و الفساد :

أما الجواب فلأنّ اعتقاد اباحة ما علم حرمته من الدّين ضرورة كقتل المسلم عمداً و إن كان مجوّزاً للقتل البتّة إلاّ أنّه عليه السلام لم يعلّل جوازه بذلك ، بل علّله بالحضور على قتل المسلم وعدم الانكار ، وهو أعمّ من اعتقاد الاباحة وعدمه ، وقد ظهر لك أنّ مجرّد ذلك كاف في جواز القتل من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولاحاجة إلى التقييد أو التخصيص بصورة الاعتقاد مع عدم الداعي اليهما وكونهما خلاف الأصل .

وأما الاعتراض فلأنّ ملخّص كلام المعترض أنّ خروج الناكثين و قتلهم للمسلمين إنّما نشاء من زعمهم جوازذلك واعتقادهم حلّه لشبهة سنحت لهم و ان كان زعما فاسداً و اعتقاداً كاسداً .

وفيه أوّلاً منع كون خروجهم عن وجه الشبهة و التأويل وانما كان خروج خوارج النهروان بالتأويل وزعمهم الباطل حقّاً ولذلك قال عليه السلام في الكلام السّتين « لاتقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحقّ فأخطاء كمن طلب الباطل فأدركه»

وثانيا هب أنّ خروجهم كان بالتأويل وشبهة مطالبة دم عثمان ظاهراً وأمّا قتلهم للمسلمين فأىّ تأويل يتصوّر فيه مع أنّ المقتولين لم يكونوا قاتلي عثمان ولا من الحاضرين لقتله ولا ناصرين لقاتليه ، و لم يقع بعد حرب الجمل عند قتلهم طائفة صبراً و طائفة غدراً فلم يكن قتلهم لهؤلاء إلاّ عن محض البغى و العدوان والتعدّي والطغيان ، و متعمّدين فيه، فجاز قتلهم لذلك كما يجوز قتل معتقد حلّ الخمر و الزّنا .

اللّهمّ إلاّ أن يقال: إنّ التأويل المتصوّر في قتلهم هو أنّهم لما زعموا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بحمايته عن قتلة عثمان خلافته خلافة باطلة وإمامته إمامة جور و بيعة إمام الجور و متابعته باطلة لاجرم زعموا اباحة قتل خزّان بيت المال و من حذاحذوهم باعتبار كونهم من مبايعيه ومتابعيه، مستحفظين لبيت المال لأجله عليه السلام وحفظ بيت المال لأجل الامام الجائر إعانة الاثم على زعمهم الباطل فافهم جدّاً .

وبعد الغضّ عن جميع ذلك أقول : إنّ التأويل إذا كان معلوم الفساد حسبما اعترف به الشارح نفسه لم يبق موقع للتأمّل في جواز القتل ، ولذلك أمر سبحانه بقتلهم وقتالهم مطلقاً في قوله : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحديهما على الأخرى فقاتلوا الّتي تبغى حتّى تفيء إلى أمر الله » .

وقال القطب الرّاوندي إن حلّ قتلهم لدخولهم في عموم قوله تعالى : « إنّما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا » الآية .

واعترض عليه الشارح المعتزلي بأنّه عليه السلام علّل استحلال قتلهم بأنّهم لم ينكروا المنكر ولم يعلّل بعموم الآية .

و أورد عليه الشارح البحراني بأنّ له أن يقول إنّ قتل المسلم الذى لا ذنب له عمداً إذا صدر من بعض الجيش ولم ينكر الباقون مع تمكّنهم وحضورهم كان ذلك قرينة دالّة على الرضا من جميعهم والراضى بالقتل شريك القاتل خصوصاً إذا كان معروفاً بصحبته والاتّحاد به كاتّحاد بعض الجيش ببعض فكان خروج ذلك الجيش على الامام العادل محاربة لله ورسوله ، وقتلهم لعامله وخزّان بيت مال المسلمين وتفريق كلمة أهل المصر وفساد نظامهم سعى في الأرض بالفساد وذلك عين مقتضى الآية .

اقول : أمّا ما قاله الراوندى فلا غبار عليه وأمّا اعتراض الشارح المعتزلي فلا وجه له لأنّه عليه السلام و إن علّل استحلال القتل بالحضور وعدم الانكار و لم يعلّله لعموم الآية إلّا أنّ مآل العلّتين واحد ، ومقصود الراوندي التنبيه على أنّ مرجع العلّة المذكورة في كلامه إلى عموم الآية ففي الحقيقة التعليل بتلك العلّة تعليل بذلك العموم .

و هذا مما لا ريب فيه لظهور أنّ قتل خزّان بيت المال و إتلاف ما فيه من الأموال لم يكن إلّا من أجل نصبهم العداوة لأمير المؤمنين عليه السلام و كونهم في مقام المحاربة معه ، فيدخلون في عموم الآية .

لأنّ المراد بمحاربة الله و رسوله فيها هو محاربة المسلمين، جعل محاربتهم

محاربة لهما تعظيماً للفعل وتكريماً للمسلم، فيجوز حينئذ قتلهم بحكم الآية .

بل و لو لم يكن المقتول منهم إلاّ واحداً كما فرضه عليه السلام في كلامه لجاز أيضاً قتل جميع الجيش كلّهم لأنّ المفروض أنّ قتل ذلك الواحد إنّما كان محادّة لله ورسوله ومحاربة لولي المؤمنين و لمن ائتمّ به من المسلمين فحيث إنّ الباقين حضروا ذلك القتل ولم ينكروه و لم يدفعوا عنه مع تمكّنهم منه يكون ذلك كاشفاً عن كونهم في مقام المحاربة أيضا .

ولعلّ هذا هو مراد الشارح البحراني بالايراد الّذي أورده على الشارح المعتزلي و إن كانت عبارته قاصرة عن تأدية المراد لظهور أنّ صدور قتل المسلم عن بعض الجيش مع حضور الآخرين وعدم إنكارمنهم وإن كان قرينة على رضا الجميع بالقتل إلاّ أنّ ذلك بمجرّده لا يكفى في جواز قتل الرّاضين حتّى ينضمّ إليه المقدّمة الاُخرى أعني كون صدور القتل عن وجه المحاربة ، وكون رضاهم بذلك كاشفاً عن كونهم محاربين جميعا كما قلناه.

وعلى هذا فان كان مراده بقوله والراضى بالقتل شريك القاتل هو ما ذكرناه فنعم الوفاق وإلاّ فيتوجّه عليه أنّه إن أراد المشاركة في الاثم فهو مسلّم لما ورد في غير واحد من الرّوايات من أنّ الراضى بفعل قوم كالداخل فيهم ، و أنّ العامل بالظلم والراضى به و المعين به شركاء ثلاثة وأنّ من رضي أمراً فقد دخل فيه و من سخطه فقد خرج منه إلاّ أنّ هذه المشاركة لا تنفعه في دفع الاعتراض .

و إن أراد المشاركة في جواز قتل الرّاضى كما يجوز قتل القاتل فهو على إطلاقه ممنوع لأنّ قتل القاتل بعنوان القصاص جايز دون الراضي .

نعم يجوز قتله من باب الحسبة على ما قلنا ومن أجل كونه في مقام المحاربة حسبما قاله الراوندي كما يجوز قتل القاتل بهذين الوجهين أيضا فافهم جيّداً هذا

ولما نبّه عليه السلام على جواز قتل الجيش جميعا بقتل واحد من المسلمين أردف ذلك بالتنبيه على مزيد استحقاقهم له من حيث إقدامهم على جمع كثير منهم فقال : (دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة الّتي دخلوا بها عليهم) .

تنبيهان

الاول: قال الشّارح المعتزلي بعد الفراغ من شرح الفصل الثّاني من هذه الخطبة ما هذه عبارته واعلم أنّه قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بنحو من هذا القول نحو قوله عليه السلام مازلت مظلوماً منذ قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله حتّى يوم الناس هذا

وقوله عليه السلام ألّلهمّ اجز قريشاً فانّها منعتني حقّي وغصبتني أمري .

وقوله عليه السلام فجزت قريشاً عنّي الجوازي فانّهم ظلموني حقّي و اغتصبوني سلطان ابن أُمّي.

وقوله عليه السلام وقد سمع صارخاً ينادي أنا مظلوم فقال عليه السلام هلمّ فلنصرخ معاً فانّي مازلت مظلوماً .

وقوله عليه السلام وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى وقوله عليه السلام أرى تراثي نهباً وقوله : اصفيا باناءنا وحملا الناس على رقابنا .

و قوله عليه السلام : إنّ لنا حقّاً إن نعطه نأخذه و ان نمنعه نركب أعجاز الابل وإن طال السرى .

وقوله عليه السلام : مازلت مستأثراً عليّ مدفوعاً عمّا أستحقّه وأستوجبه .

قال الشارح و أصحابنا يحملون ذلك كلّه على ادّعائه الأمر بالأفضليّة والأحقيّة وهو الحقّ و الصّواب فانّ حمله على الاستحقاق تكفير وتفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار لكنّ الاماميّة والزيديّة حملوا هذه الأقوال على ظواهرها و ارتكبوا بها مركباً صعباً ولعمري إنّ هذه الألفاظ موهمة مغلبة على الظنّ ما يقوله القوم لكن تصفّح الأقوال يبطل ذلك الظنّ و يدرء ذلك الوهم فوجب أن يجرى مجرى الآيات المتشابهات الموهمة ما لا يجوز على الباري فانّه لانعمل بها ولا نعوّل على ظواهرها لأنّا لما تصفّحنا أدلّة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللّفظ وأن نحمل على التأويلات المذكورة في الكتب .

قال الشارح و حدّثني يحيى بن سعيد بن عليّ الحنبلي المعروف بابن عالية ساكن قطفتا بالجانب الغربي من بغداد واحد الشهود المعدلين بها قال كنت

حاضراً عندالفخر إسماعيل بن عليّ الحنبلي الفقيه المعروف بغلام ابن المنى وكان الفخر إسماعيل هذا مقدّم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف ويشتغل بشيء في علم المنطق وقد كان حلو العبارة وقد رأيته أنا وحضرت عنده وسمعت كلامه وتوفّى سنة عشرة وستّمأة .

قال ابن عالية و نحن عنده نتحدّث إذ دخل شخص من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفة فانحدر إليه يطالبه بهواتّفق أن حضره زيارة يوم الغدير والحنبلي المذكور بالكوفة وهذه الزيارة هي اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلايق جموع عظيمة يتجاوز حدّ الاحصاء.

قال ابن عالية : فجعل الشيخ الفخر يسائل ذلك الشّخص مافعلت مارأيت؟ هل وصل مالك إليك ؟ هل بقى منه بقيّة عند غريمك ؟ و ذلك الشخص يجاوبه حتّى قال له ياسيّدي لوشاهدت يوم الزيارة يوم الغدير ومايجرى عند قبر عليّ بن أبيطالب عليه السلام من الفضايح والأقوال الشّنيعة وسبّ الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة .

فقال إسماعيل أيّ ذنب لهم والله ماجراهم على ذلك ولا فتح لهم هذا الباب إلاّ صاحب ذلك القبر ، فقال ذلك الشخص: ومن صاحب القبر قال: عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال : ياسيّدي هو الّذي سنّ لهم ذلك وعلّمهم إيّاه وطرقهم إليه؟ قال نعم والله.

قال : يا سيّدي فان كان محقّاً فمالنا نتولّى فلاناً و فلاناً و إن كان مبطلاً فمالنا نتولاّه ينبغي أن نبرء إمّا منه أو منهما ، قال ابن عالية فقام اسماعيل مسرعا وقال : لعن الله أسماعيل الفاعل ابن الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسئلة ودخل دار حرمه وقمنا نحن فانصرفنا انتهى كلام الشارح .

أقول : قد مرّ في تضاعيف الشرح لاسيّما مقدّمات الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقيّة النّصوص الدالّة على خلافته عليه السلام و بطلان خلافة غيره مضافا إلى الأدلّة العقليّة .

و العجب من الشارح المعتزلي أنّه بعد اعترافه بتواتر الأخبار الظاهرة في

اغتصاب الخلافة و التظلّم و الشكوى من أئمة الجور كيف يصرفها عن ظواهرها من غير دليل وأيّ داع له الى الانحراف عن قصد السّبيل ولو كان هناك أقلّ دليل لتمسّك به مقدّم الحنابلة اسماعيل ، و لم يعي عن الجواب ، ولم يقم من مجلسه مسرعا إلى الذهاب ، فحيث عجز عن جواب القائل ضاق به الخناق إلاّ لعن نفسه بالفاعل ابن الفاعل .

ثمّ العجب من الشّارح أنه يعلّل ذلك تارة بأنّ حملها على ظواهرها يوجب تكفير وجوه الصّحابة وتفسيقها وهو كما ترى مصادرة على المدّعى، واُخرى بأنّ تصفّح الأقوال يبطال الظنّ الحاصل منها و ليت شعرى أىّ قول أوجب الخروج عن تلك الظواهر .

فان أراد قول أهل السنّة فليس له اعتبار و لا وقع له عند اُولي الأبصار و إن أراد قول من يعوّل على قوله من النبيّ المختار و آله الأطهار فعليه البيان و علينا التسليم والاذعان ، مع أنّا قد تصفّحنا كتب التواريخ والسّير والأخبار و الأثر فما ظفرنا بعدُ إلى الآن على خبر واحد معتبر و لا حديث صحيح يؤثر بل الأحاديث الصحيحة النبويّة وغير النبويّة العاميّة والخاصيّة على بطلان دعويهم متظافرة وإبطال خلافة الخلفاء متواترة متظاهرة .

و قياس ظواهر تلك الرّوايات على الآيات المتشابهات قياس مع الفارق لا يقيسها إلاّ كلّ بايد ناهق ، لقيام الأدلّة القاطعة من العقل والنقل على وجوب تأويل هذه الآيات وقيامها على لزوم تعويل ظواهر تلك الروايات .

و كفى بذلك شهيداً فضلا عن غيره ممّا تقدّم و يأتي و حديث الثقلين و خبر الحقّ مع عليّ و عليّ مع الحقّ المعروف بين الفريقين وروايـة ورود الاُمّة على النبيّ صلّى الله عليه وآله على خمس رآيات وافتراق الاُمّة على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار غير واحدة .

ونعم ماقيل :

إذا افترقت في الدّين سبعين فرقة و نيفاً كما قد جاء في واضح النقل

و لم يك منهم ناجيا غير واحد　　　فبيّن لنا ياذا النباهة و الفضل
أفي الفرقـة الهـــلاّك آل محمّد　　　أم الفرقة الناجون أيّهما قل لي
فان قلت هلاّكا كفرت وإن نجوا　　　فلماذا قدّم الغير بالفضل

التنبيه الثاني

في ذكر خروج عائشة وطلحة والزبير الى البصرة ، وقتلهم طائفة من المسلمين فيها صبراً وطائفة غدراً توضيحا لما أشار عليه‌السلام إليه في كلامه وتفصيلا لما أجمله .

فأقول : روى الشارح المعتزلي عن أبي مخنف أنّه قال : حدّثنا إسماعيل بن خالد عن قيس بن أبي حازم وروى الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس وروى جرير ابن يزيد عن عامر الشعبي ، وروى محمّد بن إسحاق عن حبيب بن عمير قالوا جميعاً لمّا خرجت عائشة و طلحة والزّبير من مكّة إلى البصرة طرقت ماء الحوأب (١) و هو ماء لبني عامر بن صعصعة فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب إبلهم فقال قائل لعن الله الحوأب ما أكثر كلابها .

فلمّا سمعت عائشة ذكر الحوأب قالت : أهذا ماء الحوأب ؟ قالوا نعم ، فقالت : ردّوني ردّوني ، فسألوها ما شأنها ؟ ما بدالها ؟ فقالت : إنّي سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول : كأنّي بكلاب ماء يدعا الحوأب قد نبحت بعض نسائي ثمّ قال صلى‌الله‌عليه‌وآله لي : ياحميراء إيّاك أن تكونيها .

فقال لها الزبير مهلاً يرحمك الله فانا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة ، فقالت : أعندك من يشهد أنّ هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب فلفق لها الزبير و طلحة خمسين أعرابيا جعلالهم جعلاً فحلفوا لها و شهدوا أنّ هذا الماء ليس بماء الحوأب فكانت هذه أوّل شهادة زور في الاسلام .

أقول : بل أوّل شهادة الزور في الاسلام ماوقعت يوم السقيفة حيث شهد منافقوا قريش لأبي بكر بأنهم سمعوا من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أنه يقول : إنّ الله لم يكن ليجمع

---

(١) وهو ماء نسبت الى الحوأب بنت كليب بن وبرة قاله في المناقب (منه)

لنا أهل البيت النبوّة و الخلافة حسبما تقدّم في المقدّمة الثالثة من مقدّمات الخطبة الشقشقيّة من غاية المرام من كتاب سليم بن قيس الهلالي .

قال أبومخنف : و حدّثنا عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عبّاس أنّ رسول الله ﷺ قال يوماً لنسائه وهنّ عنده جميعا ليت شعرى أيّتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها و شمالها قتلى كثير كلّهم في النّار وتنجو بعد ماكادت .

قال الشارح المعتزلي : قلت : أصحابنا المعتزلة يحملون قوله و تنجو على نجاتها من النار و الاماميّة يحملون ذلك على نجاتها من القتل ومحملنا أرجح لأنّ لفظة في النار أقرب إليه من لفظة القتلى و القرب معتبر في هذا الباب ألا ترى أنّ نحاة البصريين أعملوا أقرب العاملين نظراً إلى القرب .

اقول : لا أدرى ماذا يريد الشّارح من ذكر الاختلاف في محمل الحديث وترجيح محمل المعتزلة على محمل الامامية؟

فان كان مقصوده بذلك الردّ على الامامية لتمسّكهم به على كون عايشة في النار حيث حملوا النجاة فيه على النجاة من القتل دون النّار ففيه أنّ الاماميّة لم يتمسّكوا بـه أبداً على كونها فيها لأنّ قوله ﷺ كلّهم في النّار راجع الى المقتولين عن اليمين والشمال لا ربط له بها بوجه حتّى يتمسّكوا به بل دليلهم على ذلك مضافا الى أخبارهم الكثيرة هو خروجها وبغيها على الامام العادل ، و الخوارج والبغاة كلّهم في النار و عليه أيضا بناء المعتزلة كما صرّح به الشارح في ديباجة شرحه وإن توهّموا خروجها مع طلحة والزبير من هذه الكلّية لدليل فاسد .

و إن كان مقصوده بـه اثبات نجاة عائشة من النار ففيه أنّه لا ينهض لاثباتها لأنّ قوله ﷺ « تنجو بعد ما كادت » يحتاج إلى إضمار المتعلّق و لفظة في النار وإن كانت أقرب إليه لكنّ القرب اللّفظي لايكفى في جعل متعلّقه النّار بل المدار في أمثال المقام علي القرب الاعتباري ، و غير خفيّ على المنصف الخبير بأساليب

الكلام أنّ المتبادر من اطلاق العبارة هوأنّ المتعلّق لفظة من القتل، و سوق الكلام أيضاً يفيد ذلك .

وذلك لأنّه لمّا أخبر بأنه ﷺ يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثير و كان هناك مظنّة إصابة القتل إليها لقربه منها وإشرافها عليه، استدرك بقوله وتنجو بعد ما كادت، وهذا بخلاف قوله كلّهم في النّار فانّه لم يكن موهماً لشمولها حتّى يحتاج إلى الاستدراك .

فانقدح من ذلك أنّ الظاهر من مساق الكلام مضافاً إلى التبادر عرفاً هو أنّ المراد منه النجاة من القتل لا النجاة من النار كما يقوله المعتزلة .

و على التنزّل والمماشاة أقول: غاية الأمر أنّ اللّفظ مجمل محتمل للأمرين فلا يكافؤ الأدلّة القاطعة المسلّمة عند أصحابنا والمعتزلة على كون البغاة جميعهم في النار ، ولا يجوز رفع اليد عن عموم تلك الأدلّة وتخصيصها بهذا اللّفظ المجمل

والعجب من الشارح أنه يستدلّ على مسألة اُصولية كلاميّة بمسألة نحوية مع أنّ المسألة النحويّة أيضاً غير مسلّمة عند علماء الأدبيّة والبصريّون وإن أعملوا أقرب العاملين نظراً إلى القرب لكنّ الكوفيّين اعملوا الأوّل منهما نظراً إلى السبق

قال ابن مالك:

إن عاملان اقتضيا في اسم عمل قبل فللواحد منهما العمل

فالثاني أولى عند أهل البصرة و اختار عكساً غيرهم ذا أسرة

هذا كلّه على مايقتضيه النظر الجليّ ،وأمّا ما يقتضيه النظر الدّقيق فهو حمل الحديث على مايقوله أصحابنا الامامية وبطلان محمل المعتزلة، وذلك لأنّ قوله عليه السلام «و تنجو بعد ما كادت » يفيد نجاتها بعد قربها ،فان اُريد بها النجاة من القتل بعد القرب منه كما يقوله الاماميّة فلا غبار عليه، وإن اُريد النجاة من النّار فلا يصحّ لأنّ نجاتها منها على زعم المعتزلة كانت بسبب التوبة ولازم ذلك أنّها قبل التوبة كانت هالكة واقعة في النار أعني الاستحقاق بالفعل لها ، و وقوعها فيها غير قربها منها ، كما هو مفاد قوله : بعد ما كادت .

و الحاصل أنّ القرب من النار كما هومضمون الرواية على قول المعتزلة ينافي الكون فيها على ما هو لازم محملهم فافهم جيّداً .

هذا كلّه على تسليم صحّة متن الحديث و إلاّ فأقول : الظاهر أنّه وقع فيه سقط من الرواة عمداً أو سهواً أو من النساخ كما يدلّ عليه ما في البحار عن المناقب لابن شهر آشوب قال :

ذكر ابن الأعثم في الفتوح ، و الماوردي في أعلام النبوّة ، و شيرويه في الفردوس ، و أبويعلي في المسند ، وابن مردويه في فضايل أميرالمؤمنين ، والموفّق في الأربعين ، وشعبة والشعبي وسالم بن أبي الجعد في أحاديثهم والبلاذرى و الطبري في تاريخهما أنّ عايشة لمّا سمعت نباح الكلاب قالت أيّ ماء هذا ؟ فقالوا الحوأب قالت إنّا لله و إنّا إليه راجعون إنّي لهيه قد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و عنده نساؤه يقول : ليت شعري أيّتكنّ تنبحها كلاب الحوأب.

وفي رواية الماوردى أيتكنّ صاحبة الجمل الأدبب تخرج فتنبحها كلاب الحوأب يقتل من يمينها ويسارها قتلي كثير وتنجو بعد ما كادت تقتل وهذه الرّواية كما ترى صريحة في أنّ نجاتها من القتل .

و بعد هذا كلّه فغير خفيّ عليك أنّ ماتكلّفه الشارح في إنجائها من النار فانّما يجرى في حقّها فقط، و ليت شعرى ماذا يقول في حقّ طلحة و الزبير فانّ مذهبه وفاقاً لأصحابه المعتزلة نجاتهما أيضاً مثلها مع أنّ الرواية كما ترى مصرّحة بأنّ كلّهم في النّار ولا شكّ في شمول هذه القضية الكلّية للرّجلين فان زعم استثنائهما أيضا من هذه الكلّية بدليل منفصل مثل حديث العشرة أو ما دلّ على توبتهما فقد علمت في شرح بعض الخطب السابقة المتقدّمة فساده بما لامزيد عليه، هذا فلنرجع إلى ما كنا فيه .

قال ابومخنف حدّثني الكلبي عن أبي صباح عن ابن عبّاس أنّ طلحة والزبير أغذا السّير لعايشة حتّى انتهوا إلى حفر أبي موسى الأشعرى وهو قريب من البصرة و كتبا إلى عثمان بن حنيف الأنصاري و هو عامل علي عليه السلام على البصرة أن اخل لنا

دار الامارة .

فلمّا وصل كتابهما إليه بعث إلى الأحنف بن قيس فقال له : إنّ هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله ﷺ والنّاس إليها سراع كما ترى، فقال الأحنف إنّهم جاؤك بها للطلب بدم عثمان وهم الّذين ألبّوا على عثمان الناس وسفكوا دمه وأراهم والله لايزالون حتّى يلقوا العداوة بيننا ويسفكوا دمائنا وأظنّهم والله سيركبون منك خاصّة ما لا قبل لك به وإن لم تتأهّب لهم بالنّهوض إليهم فيمن معك من أهل البصرة فانّك اليوم الوالي عليهم وأنت فيهم مطاع فسر إليهم بالناس وبادرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة فيكون الناس أطوع منهم لك .

فقال عثمان بن حنيف : الرأى مارأيت لكنّني أكره أن أبدهم به و أرجو العافية والسّلامة إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين عليه السلام ورأيه فأعمل به .

ثمّ أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبلة العبدى فأقرأه كتاب طلحة والزبير فقال له مثل قول الأحنف وأجابه عثمان مثل جوابه للأحنف فقال له حكيم: فأذن لي حتّى أسير اليهم بالنّاس فان دخلوا في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام و إلاّ فأنابذهم على سواء .

فقال عثمان : لو كان ذلك رأى لسرت إليهم بنفسي قال حكيم : أما والله إن دخلوا عليك هذا المصر لتنقلنّ قلوب كثير من النّاس إليه و يزيلنّك عن مجلسك هذا وأنت أعلم، فأبى عليه عثمان .

قال : و كتب عليّ إلى عثمان لمّا بلغه مشارفة القوم البصرة: من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف فأمّا بعد : فانّ البغاة عاهدوا الله ثمّ نكثوا وتوجّهوا إلى مصرك وساقهم الشيطان لطلب مالا يرضى الله به والله أشدّ باساً وأشدّ تنكيلاً فاذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد و الميثاق الّذي فارقونا عليه فان أجابوا فأحسن جوارهم ماداموا عندك وإن أبوا إلاّ التمسّك بحبل النكث والخلاف فناجزهم حتّى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين وكتبت كتابي هذا إليك من الرّبذة و أنا معجّل المسير اليك إنشاءالله و كتب عبيدالله بن أبي رافع في سنة ستّ وثلاثين .

قال: فلمّا وصل كتاب علي عليه السلام إلى عثمان أرسل إلى أبي الأسود الدّئلي وعمران بن الحصين الخزاعي فأمرهما أن يسيرا حتّى يأتياه بعلم القوم وما الّذي أقدمهم.

فانطلقا حتّى اذا أتيا حفر أبي موسى و به معسكر القوم فدخلا على عايشة فسألاها ووعظاها وأذكراها وناشداها الله فقالت لهما ألقيا طلحة والزبير.

فقاما من عندها ولقيا الزّبير فكلّماه فقال لهما: إنّا جئنا للطلب بدم عثمان وندعو النّاس الى أن يردّ وا أمر الخلافة شورى ليختار النّاس لأنفسهم فقالا له: إنّ عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها وأنت تعلم قتلة عثمان من هم و أين هم وأنّك وصاحبك وعايشة كنتم أشدّ الناس عليه وأعظمهم إغراءً بدمه فأقيدوا من أنفسكم

و أمّا إعادة أمر الخلافة شورى فكيف و قد بايعتم عليّاً عليه السلام طائعين غير مكرهين وأنت يا أباعبدالله لم تبعد العهد لقيامك دون هذا الرّجل يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت آخذ قائم سيفك تقول ما أحد أحقّ بالخلافة منه ولا أولى بها منه، وامتنعت من بيعة أبي بكر فأين ذلك الفعل من هذا القول؟ فقال لهما: اذهبا فالقيا طلحة.

فقاما إلى طلحة فوجداه خشن الملمس شديد العريكة قويّ العزم في إثارة الفتنة وإضرام نار الحرب، فانصرفا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه وقال له أبوالأسود:

يابن حنيف قد أُتيت فانفر وطاعن القوم وجالد واصبر

و ابرز لها مستلئما و شمّر

فقال ابن حنيف: اي و ربّ الحرمين لأفعلنّ و أمر مناديه فنادى في الناس السلاح السلاح، فاجتمعوا إليه.

قال أبومخنف: و أقبل القوم فلمّا انتهوا إلى المربد قام رجل من بني جشم فقال أيها الناس أنا فلان الجشمي وقد أتاكم هؤلاء القوم فان كانوا أتوكم خائفين لقد أتوكم من المكان الّذي يأمن فيه الطير والوحش والسباع وإن كانوا انما أتوكم للطلب بدم عثمان فغير ناولى قتله فأطيعوني أيها الناس ورّدوهم من حيث أقبلوا فانكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنه الصماء الّتي لا تبقي ولا تذر، قال: فحصبه ناس من

أهل البصرة فأمسك .

قال : واجتمع أهل البصرة إلى المربد حتّى ملأوه مشاة وركباناً فقام طلحة و أشار إلى الناس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد فخطب خطبة ذكر فيها قتل عثمان وحرّض الناس على الطلب بدمه ، وعلى جعل أمر الخلافة شورى .

ثمّ قام الزبير فتكلّم بمثل كلام طلحة فقام إليهما ناس من أهل البصرة فقالوا لهما: ألم تبايعا عليّاً عليه السلام فيمن بايعه ؟ ففيم بايعتما ثمّ نكثتما؟ فقالا ، مابايعناه ولا لأحد في أعناقنا بيعة وإنّما استكرهنا على بيعته .

فقال ناس: قد صدقا و أحسنا القول و قطعنا بالصواب، وقال ناس ماصدقا و لا أصابا في القول حتّى ارتفعت الأصوات .

قال : ثمّ أقبلت عايشة على جملها فنادت بصوت مرتفع: أيّها الناس أقلّوا الكلام واسكتوا: فأسكت الناس لها فقالت في جملة كلام تحرّضهم فيه على القتال والاجلاب على قتلة عثمان: ألا إنّ عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فاذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثمّ اجعلوا الأمر شورى بين الرّهط الّذين اختارهم عمر بن الخطّاب ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان .

قال : فماج الناس واختلطوا فمن قائل يقول القول ما قالت ومن قائل يقول وماهي وهذا الأمر إنّما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها، وارتفعت الأصوات و كثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصى .

ثمّ إنّ النّاس تمايزوا فصاروا فريقين فريق مع عثمان بن حنيف وفريق مع عايشة وأصحابها .

قال ابومخنف : حدّثنا الأشعث عن محمّد بن سيرين عن أبي الجليل قال: لمّا نزل طلحة والزّبير المربد أتيتهما فوجدتهما مجتمعين فقلت لهما ناشد تكما الله وصحبة رسول الله صلّى الله عليه وآله ما الّذي أقدمكما أرضنا هذه؟ فلم يتكلّما فأعدت عليهما فقالا بلغنا أنّ بأرضكم هذه دنيا فجئنا نطلبها .

قال الشارح المعتزلي : وقد روى قاضي القضاة في كتاب المغني عن وهب بن

جرير قال : قال رجل من أهل البصرة لطلحة و الزبير ، إن لكما فضلاً و صحبة فأخبراني عن مسيركما هذا وقتالكما أشيء أمركما به رسول الله صلى الله عليه وآله أم رأي رأيتماه ؟ فأما طلحة فسكت فجعل ينكت الأرض، وأما الزبير فقال : ويحك حدثنا أن ههنا دراهم كثيرة فجئنا لنأخذ منها .

قال الشارح : وجعل قاضي القضاة هذا الخبر حجة في أن طلحة تاب وإن الزبير لم يكن مصراً على الحرب .

قال : و الاحتجاج بهذا الخبر على هذا المعنى ضعيف و إن صح هو وماقبله إنه لدليل على حمق شديد ، و ضعف عظيم و نقص ظاهر ، و ليت شعري ما الذي أخرجهما إلى هذا القول وإذا كان هذا في أنفسهما فهلا كتماه .

أقول : أما اعتبار الخبرين فلا غبار عليه لاعتضادهما بأخبار أخر في هذا المعنى، وأما دلالتهما على حمق الرجلين كما قاله الشارح فلا خفاء فيه ، وأما سكوت طلحة و نكته الأرض فلأنه لما رأى أن السائل لايبقى و لا يذر ولم يكن له عن الجواب محيص و لا مفر فبهت الذي كفر ، وأما الزبير فأعمى الله قلبه و أجرى مكنون خاطره على لسانه إبانة عن انحطاط مقامه ، ودناءة شأنه .

قال أبو مخنف : فلما أقبل طلحة والزبير المربد يريد ان عثمان بن حنيف فوجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك فمضوا حتى انتهوا إلى موضع الدباغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة و الزبير وأصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك ورماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة .

فأخذوا إلى مقبرة ابن بني مازن فوقفوا بها ملياً حتى ثابت إليهم خيلهم ثم أخذوا على مسناة البصرة حتى انتهوا إلى الرابوقة ثم أتوا سبخة دار البرزق فنزلوها .

قال : وأتاهما عبدالله بن حكيم لما نزلا السبخة بكتب كانا كتباها إليه فقال : لطلحة: ياأبا محمد أماهذه كتبك ؟ قال : بلى ، قال : فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه فلعمرى ما هذا رأيك لاتريد إلا هذه الدنيا

مهلاً إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من عليّ عليه السلام ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعاً راضياً ثمّ نكثت بيعتك ثمّ جئت لتدخلنا في فتنتك.

فقال: إنّ عليّاً دعاني إلى البيعة بعد ما بايع فعلمت أنّي لولم أقبل ماعرضه عليّ لم يتمّ لي ثمّ يغرى لي من معه.

قال: ثمّ أصبحا من غد فصفّا للحرب و خرج عثمان بن حنيف إليهما في أصحابه فناشدهما الله والاسلام و أذكرهما بيعتهما عليّاً عليه السلام فقالا نحن نطلب بدم عثمان فقال لهما وما أنتما وذاك اين بنوه اين بنوعمّه الّذينهم أحقّ به منكم كلاّ والله ولكنكماحسدتماه حيث اجتمع النّاس عليه و كنتما ترجوان هذاالأمر وتعملان له وهل كان أحد أشدّ على عثمان قولا منكما.

فشتماه شتماً قبيحا وذكرا اُمّه فقال للزّبير: أماوالله لولا صفيّة ومكانها من رسول الله صلّى الله عليه وآله فانها أدنتك إلى الظلّ و إنّ الأمر بيني وبينك يابن الصبغة يعني طلحة أعظم من القول لأعلمتكمامن أمركمامايسوء كما اللهمّ إنّي قد أعذرت إلى هذين الرجلين.

ثمّ حمل عليهم واقتتل النّاس قتالا شديداً ثمّ تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب:

هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري و من معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما انّ لعثمان بن حنيف دارالامارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر وإنّ لطلحة والزّبير ومن معهما ان ينزلوا حيث شاؤا من البصرة لا يضارّ بعضهم بعضا في طريق ولافرضة(١) ولاسوق ولا شريعة حتّى يقدم أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام. فان أحبّوا دخلوا فيمادخلت فيه الأمّة، وإن أحبّوا الحق كلّ قوم بهواهم وما أحبّوا: من قتال أوسلم، و خروج أو إقامة، وعلى الفريقين بما كتبوا عهدالله

(١) الفرضة بالضم ثلمة من النهر يستقى منها، ومن البحر محطّ السفن.

وميثاقه وأشدّ ما أخذه على نبيّ من أنبيائه من عهد وذمّة، وختم الكتاب.

و رجع عثمان بن حنيف حتّى دخل دار الامارة و قال لأصحابه: الحقوا رحمكم الله بأهلكم وضعوا سلاحكم وداووا جراحاتكم، فمكثوا كذلك أيّاما.

ثمّ إنّ طلحة و الزّبير قالا: إن قدم عليّ ونحن على هذه الحال من القلّة والضعف ليأخذنّ بأعناقنا، فأجمعا على مراسلة القبايل، واستمالة العرب فأرسلوا إلى وجوه النّاس وأهل الرّياسة و الشرف، يدعوهم إلى الطلب بدم عثمان وخلع عليّ عليه السلام وإخراج ابن حنيف من البصرة.

فبايعهم على ذلك الأزدوضبّة وقيس عيلان كلّها إلاّ الرّجل والرّجلين من القبيلة كرهوا أمرهم فتواروا عنهم.

وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي فلم يأتهم فجاءه طلحة والزبير إلى داره فتواري عنهما فقالت امّه ما رأيت مثلك أتاك شيخا قريش فتواريت عنهما فلم تزل به حتّى ظهر لهما وبايعهما ومعه بنو عمرو بن تميم كلّهم وبنو حنظلة إلاّ بني يربوع فانّ عامتهم كانوا شيعة لعليّ عليه السلام و بايعهم بنو دارم كلّهم إلاّ نفراً من بني مجاشع ذوى دين وفضل.

فلمّا استوثق بطلحة و الزبير أمرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح و مطر ومعهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر و قد سبقهم عثمان بن حنيف إليه و أُقيمت الصّلاة فتقدّم عثمان ليصلّي بهم فأخّره أصحاب طلحة والزّبير وقدّموا الزّبير فجائت السّيابجة(١) وهم الشرط حرس بيت المال فأخّروا الزّبير و قدّموا عثمان فغلبهم أصحاب الزّبير فقدّموه وأخّروا عثمان.

فلم يزالوا كذلك حتّى كادت الشمس تطلع وصاح بهم أهل المسجد ألا تتّقون أصحاب محمّد وقد طلعت الشّمس فغلب الزّبير فصلّى بالنّاس فلمّا انصرف من صلاته

---

(١) السيابجة لفظة معربة قد ذكرها الجوهرى فى كتاب الصحاح قال هم قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن، ابن ابي الحديد

صاح بأصحابه المستسلحين أن خذوا عثمان بن حنيف، فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفهما .

فلمّا أسر ضرب ضرب الموت ونتف حاجباه و أشفار عينيه و كلّ شعرة في وجهه ورأسه و أخذوا السيابجة وهم سبعون رجلا فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عايشة .

فقالت لأبان بن عثمان اخرج إليه فاضرب عنقه فانّ الأنصار قتلت أباك وأعان على قتله فنادى عثمان يا عايشة و يا طلحة ويا زبير إنّ أخي سهل بن حنيف خليفة عليّ بن أبي طالب عليه السلام على المدينة وأُقسم بالله إن قتلتموني ليضعنّ السيف في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم فلا يبقى منكم أحداً .

فكفّوا عنه وخافوا أن يوقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة فتركوه وأرسلت عايشة إلى الزبير أن اقتل السيابجة فانّه قد بلغني الّذي صنعوا بك .

قال : فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم ولي ذلك منهم عبدالله ابنه و هم سبعون رجلا و بقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال قالوا لا ندفعه إليكم حتّى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام فسارت إليهم الزبير في جيش ليلا فأوقع بهم و أُخذ منهم خمسين أسيراً فقتلهم صبراً .

قال أبومخنف : وحدّثنا الصقعب بن زهير قال كانت السيابجة القتلى يومئذ أربعمأة رجل قال : فكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أوّل غدر في الاسلام وكان السيابجة أوّل قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبراً .

قال : وخيّروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعليّ عليه السلام فاختار الرّحيل فخلّوا سبيله فلحق بعليّ عليه السلام فلما رآه بكى وقال له فارقتك شيخا وجئتك أمرد فقال عليّ عليه السلام: إنّا لله وإنّا اليه راجعون قالها ثلاثا .

قال أبومخنف : فلمّا صفت البصرة لطلحة و الزبير اختلفا في الصّلاة فاراد كلّ منهما أن يؤمّ بالناس وخاف أن يكون صلاته خلف صاحبه تسليما ورضى بتقدّمه فأصلحت بينهما عايشة بأن جعلت عبدالله بن زبير و محمّد بن طلحة يصلّيان بالناس هذا

يوما وهذا يوما .

قال أبومخنف : ثمّ دخلا بيت مال البصرة فلمّا رأوا ما فيه من الأموال قال الزّبير : وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه فنحن أحقّ بها من أهل البصرة فأخذا ذلك المال كلّه فلمّا غلب علي عليه السلام ردّ تلك الأموال إلى بيت المال وقسّمها في المسلمين هذا .

وقد تقدّم في شرح كلام له عليه السلام وهوثامن المختار من الخطب كيفيّة وقعة الجمل و مقتل الزّبير فارّاً عن الحرب و تقدّم نوادر تلك الوقعة في شرح ساير الخطب والكلمات في مواقعها اللاّحقة فلتطلب من مظانّها .

الترجمة

از جملهٔ خطب شريفهٔ أن امام انام ووصيّ والا مقام است مشتمل برسه فصل :

فصل اول متضمن حمد وثنا است مرحقتعالى را ميفرمايد : شكر و سپاس خداوندى را سزاست كه نمى پوشد از او آسماني آسمان ديگر را و نـه زميني زمين ديگر را .

فصل دوم متضمّن شكايتست از اهل شورى و غاصبان خلافت ، ميفرمايد : و گفت بمن گويندهٔ كه سعد وقاص ملعون بود اى پسر ابوطالب بدرستيكه تو بأمرخلافت بسيارحريصى ، پس گفتم من بلكه شما بحقّ خدا حريص تريد ودورتر و من اختصاصم بيشتر است و نزديكيم زيادتر ، و جز اين نيست كه طلب ميكنم حقى را كه مختصّ است بمن و شما حايل و حاجب ميشويد ميان من وميان آن ، ودست ردّ ميزنيد بروى من نزد آن ، پس زمانى كه كوفتم آن گوينده را با حجت ودليل درميان جماعت حاضران بيدارشد از خواب غفلت گوئيا كه او نميداند چه جواب بدهد بمن .

بارخدايا بدرستيكه من طلب اعانت ميكنم از تو برطايفهٔ قريش وبر كساني كه اعانت كردند ايشانرا پس بدرستيكه ايشان بريدند خويشى مرا وحقيرشمردند

بزرگي مرتبه مرا واتفاق كردند بمنازعهٔ من دركارى كه آن اختصاص بمن داشت پس ازآن گفتند بدان كه درحق است أخذكردن ما آن را و در حقّ است ترك كردن تو آن را .

فصل سوم در ذكر اصحاب جمل است ميفرمايد : پس خروج كردند در حالتيكه ميكشيدند حرم پيغمبرخدارا يعنى عايشهٔ خاطئه را چنانچه كشيده ميشود كنيز هنگام فروختن او در حالتيكه متوجّه شدند باو بسوى بصره ، پس حبس كردند ونگه داشتند طلحه وزبيرزنان خودشان‌را درخانه خود ، وبيرن آوردند زن محبوس شدهٔ حضرت رسالتمآب را از براى خودشان و از براى غير خودشان ، در لشگريكه نبود از ايشان هيچ مردى‌مگر اينكه‌عطا كرده‌بود بمن اطاعت‌خودرا ، وبخشيده بود بمن بيعت خودرا ، درحالتى كه بيعتشان از روى طوع و رغبت بود نه باجبر واكراه .

پس آمدند برحاكم من كه در بصره بود و برخازنان بيت المال مسلمانان وبرغيرايشان از اهل بصره پس كشتند طائفه را باصبرواسيرى ، وطائفه را بامكر وحيله ، پس قسم بخدا اگر نمى‌رسيدند ازمسلمانان‌مگربه‌يكنفر مرد درحالتيكه متعمّد بودند در قتل آن بدون گناه و تقصيرى كه كسب نموده آن را هرآينه حلال بودمرا كشتن جميع اين لشكر از جهة اينكه حاضر شدند بكشتن او و انكار نكردند ودفع نكردند از او كشتن را با زبانى و نه با دستى بگذار كه ايشان بقتل آوردند از مسلمانان مثل عدديرا كه داخل شده بودند با ايشان برايشان .

ومن خطبة له عليه السلام وهى المأة والثانية والسبعون من المختار فى باب الخطب

أَمِينُ وَحْيِهِ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَيهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللهِ فِيهِ فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اُسْتُعْتِبَ وَإِنْ أَبَى قُوتِلَ وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى تَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ.

أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللهِ، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ، وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ، فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً.

أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَلَا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ، وَلَا

الَّذي دُعِيتُم إِلَيْهِ ، أَلاَ وَ إِنَّها لَيسَتْ بباقِيَةٍ لَكُمْ ، وَلاَ تَبقُونَ عَلَيْها ، وَ هيَ وَ إِنْ غرَّتكُمْ مِنها فَقَدْ حذَّرتكُمْ شرَّها .

فَدَعُوا غُرُورَها لِتَحذِيرِها ، وَإِطماعَها لِتَخويفِها ، وَسابِقُوا فِيها إِلَى الدّار الَّتي دُعِيتُم إِلَيْها ، وَانصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنها وَلاَ يُحَنَّنْ أَحدُكُمْ حَنِينَ الأَمَةِ عَلى ما زُوِيَ عَنهُ مِنْها ، وَاسْتَتِمُّوا نِعمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلى طاعَةِ اللهِ ، وَالْمُحافَظَةِ عَلى مَا اسْتَحفَظَكُمْ مِنْ كِتابِه .

أَلاَ وَإِنَّهُ لاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ مِنْ دُنياكُمْ بَعدَ حِفظِكُمْ قائِمَةَ دِينِكُمْ .

أَلاَ وَإِنَّهُ لاَ يَنفَعُكُمْ بَعدَ تَضييعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حافَظتُم عَلَيْهِ مِنْ أَمرِ دُنياكُمْ .

أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَأَلْهَمَنا وَإِيّاكُمُ الصَّبْرَ .

اللغة

(خاتم رسله) بفتح التاء وكسرها و(أطمعه) إطماعاً أوقعه في الطمع (حنّ) يحنّ حنيناً استطرب والحنين الشّوق وشدّة البكاء والطرب أو صوت الطرب عن حزن أو فرح، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة قال في القاموس و الخنين كالبكاء أو الضحك في الأنف وقد خنّ يخنّ ، و قال علم الهدى في كتاب الغرر والدّرر في قول ابن أراكة الثقفي :

فقلت لعبدالله إذ حنّ باكياً تعزّ و ماء العين منهمر يجرى
تبين فان كان البكاء ردّ هالكاً على أحد فاجهد بكاك على عمرو

قوله : حنّ باكياً رفع صوته بالبكاء وقال: قالقوم الخنين بالخاء المعجمة من الأنف والحنين من الصّدر ، و هو صوت يخرج من كلّ واحد منهما و (زوى) الشيء زياً و زوياً جمعه و قبضه .

الاعراب

الضمير في قوله زوى عنه راجع إلى أحدكم و في بعض النسخ بدله عنها فيرجع الى الأمّة و الأوّل أظهر، وإضافة قائمة إلى دينكم لاميّة وتحتمل أن تكون بيانيّة كما نشير اليه في شرح معناه .

المعنى

اعلم أنّ مدار هذه الخطبة الشريفة على فصول :

الفصل الاول في نبذ من مدائح الرّسول صلى الله عليه وآله وهو (أمين وحيه) أى مأمون على ما اُوحى إليه من الكتاب الكريم و شرايع الدّين القويم من التحريف والتبديل فيما امر بتبليغه لمكان العصمة الموجودة فيه صلوات الله وسلامه عليه وآله (وخاتم رسله) أى آخرهم ليس بعده رسول كما قال سبحانه : « ماكان محمّد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين» قال في الصّافي: آخرهم الذي ختمهم أوختموا به على اختلاف القرائتين .

وفى مجمع البحرين : ومحمّد خاتم النّبيّين يجوز فيه فتح التاء و كسرها فالفتح بمعنى الزينة مأخوذ من الخاتم الذي هوزينة للابسه و بالكسر اسم فاعل بمعنى الآخر (وبشير رحمته ونذير نقمته) أى مبشّر برحمته الواسعة، والثواب الجزيل و مخوّف من عقوبته الدّائمة و العذاب الوبيل كما قال عزّ من قائل : إنّا أرسلناك بالحقّ بشيراً ونذيراً .

الفصل الثاني في الاشارة إلى بعض وظايف الخلافة وهو قوله عليه السلام (أيّها

النّاس إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر) أى أمر الخلافة والامامة (أقواهم عليه) أى أكملهم قدرة و قوّة على السياسة المدنيّة و على كيفيّة تدبير الحرب (و أعلمهم بأمر الله فيه) أى أكثرهم علماً بأحكامه سبحانه في هذا الأمر و في بعض النّسخ « وأعلمهم بأمر الله» بدله هذا و يدلّ على ذلك أعني كون الأقوى و الأعلم أحقّ بالرياسة من غيره صريحاً قوله سبحانه « الم تر إلى الملاء من بني إسرائيل من بعد موسي إذ قالوا لنبيّ لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله وقال لهم نبيّهم إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنّى يكون له الملك علينا و نحن أحقّ بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إنّ الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشآء والله واسع عليم »

فقد ردّ استبعادهم لتملّكه بفقره بأنّ العمدة في ذلك اصطفآء الله وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح وبأنّ الشرط فيه وفور العلم ليتمكّن به من معرفة الاُمور السياسية، وجسامة البدن ، ليكون أعظم وقعا في القلوب وأقوى على مقاومة العدوّ ومكايدة الحروب ، لا ما ذكرتم .

و كيف كان فقد دلّت هذه الآية الشريفة كقول الامام عليه السلام على بطلان ملك المفضول و خلافته مضافين إلى قوله تعالى : « افمن يهدى إلى الحقّ احقّ ان يتبع امّن لايهدّى إلاّ ان يهدي » وقوله : « قل هل يستوى الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون» .

فانقدح من ذلك فساد ما توهّمه الشارح المعتزلي من أنّ قوله عليه السلام لا يدلّ على بطلان امامة المفضول لأنه عليه السلام ماقال إنّ امامة غير الأقوى فاسدة ولكنه قال إنّ الأقوى أحقّ وأصحابنا لاينكرون أنه عليه السلام أحقّ ممن تقدّمه بالامامة مع قولهم بصحّة امامة المتقدّمين لأنه لامنافاة بين كونه أحقّ وبين صحّة إمامة غيره .

وجه انقداح الفساد أنّ أحقّيته وإن كانت لاتنافي بحسب الوضع اللّغوي حقيقيّة غيره كما هو مقتضى وضع أفعل التفضيل إلاّ أنّ الظاهر عدم إرادة الأفضليّة هنا بل نفس الفضل كما في قوله : « واُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض » حيث يستدلّون به

على حجب الأقرب للأبعد و كذلك في قوله « أحقّ أن يتّبع » وإلاّ لما استحقّ متبعو غيرا لأحقّ بالتوبيخ و الملام المستفاد من ظاهر الاستفهام ، مضافا إلى تشديد التقريع بقوله عقيب الآية « فمالكم كيف تحكمون » .

فان قلت : حمل أفعل على غير معناه اللّغوي مجاز لايصار إليه إلاّ بقرينة تدلّ عليه فماالقرينة عليه ؟

قلت : القراين المنفصلة من العقل و النقل فوق حدّ الاحصاء و أمّا القرينة المتّصلة فهي قوله : (فان شغب شاغب) أي أثار الشرّ والفساد (استعتب) وطلب عتباه ورجوعه إلى الحقّ (فان أبى قوتل) فانّ جوازقتال الآبي وقتله ليس إلاّ لعدم جواز عدوله عن الأحقّ إلى غيره فيعلم منه أنّ غيره غير حقيق للقيام بالأمر كما لايخفى،فافهم وتدبّر هذا .

و لما كان معاوية و أهل الشّام و أكثر من عدل عنه عليه السلام و نكث عن بيعته قادحين في خلافته طاعنين في امامته بأنّه لم يكن عقد بيعته برضا العامّة وحضورها أشار إلى بطلان زعمهم و فساده بقوله : (و لعمري لئن كانت الامامة لا تنعقد حتّى تحضرها عامة النّاس) كما يزعمه هؤلاء و يحتجّون به علىّ (ما) كان (إلى ذلك سبيل) لتعذّر اجتماع المسلمين على كثرتهم وانتشارهم في مشارق الأرض ومغاربها (ولكن أهلها) أى أهل الامامة أو البيعة الحاضرون من أهل الحلّ والعقد يعقدون البيعة و (يحكمون على من غاب عنها ثمّ ليس للشاهد أن يرجع) عن بيعته كمارجع زبير وطلحة (ولا للغائب) كمعاوية وأتباعه (أن يختار) أي يكون لهم اختيار بين التسليم والامتناع .

قال الشّارح المعتزلي و هذا الكلام أعنى قوله عليه السلام و لعمرى إلى آخره تصريح بمذهب أصحابنا من أنّ الاختيار طريق إلى الامامة ومبطل لما يقوله الامامية من دعوى النّص عليه ومن قولهم لاطريق الى الامامة سوي النصّ أوالمعجز انتهى.

وفيه نظر أمّا أولاً فلأنّه عليه السلام إنّما احتجّ عليهم بالاجماع إلزاماً لهم لاتّفاقهم على العمل به في خلافة أبي بكر و أخويه وعدم تمسّكه عليه السلام بالنصّ لعلمه بعدم

التفاتهم إليه كيف و قد أعرضوا عنه في أوّل الأمر مع قرب العهد بالرسول صلّى الله عليه وآله وسماعهم منه عليه السلام وأمّا ثانياً فلأنّه عليه السلام لم يتعرّض للنصّ نفيا ولا إثباتافكيف يكون مبطلا لما ادّعاه الاماميّة من النصّ .

و العجب أنّه جعل هذا تصريحا بكون الاختيار طريقا إلى الامامة و نفى الدلالة في قوله عليه السلام : إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمراه، على نفى إمامة المفضول مع أنّه لم يصرّح بأنّ الامامة تنعقد بالاختيار بل قال لا يشترط في انعقاد الامامة حضور العامة ولا ريب في ذلك نعم يدلّ بمفهومه على ذلك وهذا تقيّة منه عليه السلام

ولا يخفى على من تتبّع سيره أنّه لم يكن يمكنه إنكارخلافتهم والقدح فيها صريحا في المحافل فلذاعبّر بكلام موهم لذلك وقوله عليه السلام: وأهلها يحكمون وإن كان موهماله أيضا لكن يمكن أن يكون المراد بالأهل الأحقّاء بالامامة و يكون الضميرفيه راجعا إليهم .

و لا يخفى أنّ ما مهّده عليه السلام أولاً بقوله : إنّ أحقّ النّاس أقواهم يشعر بأنّ عدم صحّة رجوع الشاهد واختيارالغايب إنّما هو في صورة الاتفاق على الأحقّ دون غيره فتأمل .

ثمّ ذكرمن يسوغ له عليه السلام قتاله فقال : (ألا وإنّي أُقاتل رجلين رجلا ادّعى ما ليس له وآخر منع الّذي عليه) يحتمل أن يكون الأوّل إشارة إلى أُصحاب الجمل والثاني إلى معاوية وأتباعه ويحتمل العكس .

فعلى الأوّل فالمراد من ادّعائهم ماليس لهم الخلافة أو المطالبة بدم عثمان فانه لم يكن لهم ذلك و إنماكان ذلك حقّاً لوارثه ومن منعهم بما وجب عليهم هوالبيعة وبذل الطاعة .

وعلى الثاني فالمراد من ماليس له أيضا الخلافة أو دعوى الولاية لدم عثمان والمطالبة به و من منع ما وجب عليه هوالمضيّ على البيعة والاستمرارعليه أو ساير الحقوق الواجبة عليهم .

الفصل الثالث في الوصيّة بما لايزال يوصى بـه و الاشارة إلى أُحكام البغاة

إجمالاً و هو قوله عليه السلام (اُوصيكم عبادالله بتقوى الله) الّتي هي الزاد و بها المعاد (فانّها خيرما تواصى العباد به وخير عواقب الاُمور عندالله) يعني أنّها خيرأواخر الاُمور لكونها خير ماختم به العمل في دارالدّنيا أوأنّ عاقبتها خير العواقب (وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة) أى الآخذين بظاهرالاسلام (ولايحمل هذا العلم) أى العلم بوجوب قتال أهل القبلة وبشرايطه وفي بعض النّسخ هذا العلم محرّكة فيكون إشارة إلى حرب أهل القبلة والقيام به أى لايحمل علم الحرب ولا يحارب (إلاّ أهل البصر و الصبر) أى أهل البصيرة والعقل وأهل الصّبر و التحمّل على المكاره (.والعلم بمواقع الحقّ) و ذلك لأنّ المسلمين كانوا يستعظمون حرب أهل القبلة و من أقدم منهم عليه أقدم على خوف و حذر ، فقال عليه السلام إنّ هذا العلم ليس يدركه كلّ أحد و إنّماله قوم مخصّصون .

قال الشّافعي: لولا عليّ عليه السلام لما علم شيء من أحكام أهل البغى وهو كما قال (فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عند ما تنهون عنه ولا تعجلوا في أمر) و لا تسرعوا في إنكاره وردّه إذا استبعدتموه بأوهامكم (حتّى تتبيّنوا) و تثبّتوا و تسألوا عن فايدته وعلّته (فانّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه) وتستبعدونه (غيراً) .

قال الشّارح المعتزلي أى لست كعثمان اُصرّ على ارتكاب ما اُنهى عنه بل اُغير كلّ ما ينكره المسلمون ويقتضى الحال والشرع تغييره .

وقال الشارح البحرانى : أى إنّ لنا مع كلّ أمرتنكرونه قوّة على التغيير إن لم يكن في ذلك الأمر مصلحة في نفس الأمر فلا تسرعوا إلى إنكار أمر لفعله حتى تسألوا عن فائدته فانه يمكن أن يكون انكاركم لعدم علمكم بوجهه .

قال العلاّمة المجلسيّ « ره » و يمكن أن يكون المعنى أنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه تغييراً أى ما يغيّر إنكاركم ، ويمنعكم عنه من البراهين السّاطعة أوالأعم منها ومن السّيوف القاطعة إن لم ينفعكم البراهين .

أقول: وذلك مثل ما وقع منه في أمرالخوارج فانّهم لمّانقمواعليه مانقموا روّعهم عن الانكار عليه بالبيانات الشافية والحجج الوافية حتّى ارتدع منهم ثمانية

آلاف وكانوا اثنى‌عشر ألفاً ولمّا أصرّ الباقون وهم أربعة آلاف على اللّجاج ، و لم ينفعهم الاحتجاج ، قطع دابرهم بسيف يفلق الهام ، ويطيح السواعد والأقدام .

تذر الجماجم ضاحيا هاماتها　　بله الأكف كأنّها لم تخلق

حسب ماعرفته تفصيلاًفي‌شرح‌الخطبة السادسةو الثلاثين وغيرها

ثمّ أخذ في التنفير عن الدّنيا والتّزهيد فيها بقوله (ألا و إنّ هذه الدّنيا) الاتيان باسم الاشارة للتحقير كما في قوله‌تعالى: أهذا الّذي يذكر آلهتكم، و في الاتيان بالموصول أعني قوله : (الّتي أصبحتم تتمنّونها و ترغبون فيها و أصبحت تغضبكم‌وترضيكم)تنبيه على خطاء المخاطبين ، وتوبيخ لهم بأنّهم يرغبون في شيء يخلصون المحبّة له وهو لايراعي حقّهم بل يغضبهم تارة ، ويرضيهم اُخرى و نظير هذا الموصول المسوق للتنبيه على الخطاء ما في‌قوله :

إنّ الّذين ترونهم إخوانكم　　يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

يعني أنّ هذه الدّنيا مع تمنّيكم لها وفرط رغبتكم فيها ومع عدم إخلاصها المحبّة لكم (ليست بداركم) الّتي يحقّ أن‌تسكنوا فيها (ولا منزلكم الذي‌خلقتم له) وللاقامة فيه (ولا الّذي دعيتم إليه) وإلى التوطن فيه (ألا و إنّها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها) وإلى‌هذا ينظر قوله عليه السلام :

أرى الدّنيا ستؤذن بانطلاق　　مشمّرة على قدم و ساق

فلا الدّنيا بباقية لحيّ　　و لا حيّ على الدّنيا بباق

يعني أنّها دارفناء لا تدوم لأحد ولا يدوم أحد فيها (وهى وإن غرّتكم‌منها) بما زينتكم من زخارفها و إغفالكم عن فنائها (فقد حذّرتكم شرّها) بما أرتكم من آفاتها وفنائها وماابتليتم فيهامن فراق الأحبّة والأولاد ونحوها (فدعواغرورها) اليسير (لتحذيرها) الكثير (وأطماعها) الكاذب (لتخويفها) الصّادق .

(وسابقوا فيها) بالخيرات والأعمال الصّالحات (إلى الدّار الّتي دعيتم‌إليها) وهى الجنّة الّتي عرضها الأرض والسّماوات (وانصرفوا بقلوبكم عنها) إلى ما لم يخطر على قلب بشر ممّا تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وجميع الامنيّات (ولايحنن أحدكم‌حنين الأمة على مازوي) وصرف (عنه منها) و هو نهى عن‌الأسف على‌الدّنيا

والحزن والبكاء على مافاته منها ، وقبض عنه من قيناتها وزخارفها .

والتشبيه بحنين الأمة لأنّ الاماء كثيراً مايضربن ويبكين ويسمع الحنين منهنّ والحرائر يأنفن من البكاء والحنين (واستتمّوا نعمة الله عليكم بالصّبر على طاعة الله) أى بالصبر و التحمّل على مشاقّ العبادات أو بالصبر على المصائب و البلايا طاعة له سبحانه ، وعلى أيّ حال فهو من الشكر الموجب للمزيد (و) به يطلب تمام النعمة في الدينا والآخرة كما قال عزمن قائل : «إنما يو فّى الصابرون أجرهم بغير حساب» كما يطلب تمامها بـ(ـالمحافظة على ما استحفظكم من كتابه) أى بالمواظبة على ماطلب منكم حفظه و المواظبة عليه من التكاليف الشرعيّة الواردة في كتابه العزيز لأنّ المواظبة على التكاليف والطاعات سبب عظيم لافاضة النعماء والخيرات .

وأكّد الأمر بالمحافظة بقوله (ألا وإنّه لايضرّكم تضييع شيء من دنيا كم بعد حفظكم قائمة دينكم) لعلّ المراد بقائمة الدّين اُصوله ومايقرب منها و على كون الاضافة بيانيّة فالمراد بقائمته نفس الدّين إذ به قوام أمر الدّنيا والآخرة .

ثمّ نبّه على عدم المنفعة في الدّنيا مع فوات الدّين فقال : (ألا و إنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنيا كم) وذلك واضح لأنّ اُمور الدّنياويّة مع تضييع الدّين لا تنتفع بشيء منها في الآخرة البتة .

وختم الكلام بالدّعاء لنفسه ولهم وقال : (أخذالله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق) وهدانا إلى سلوك سبيله (وألهمنا وإيّاكم الصبر) على مصيبته وطاعته ومعصيته لأنّ من صبر عند المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله لـه ثلاثمأة درجة ما بين الدّرجة الى الدّرجة كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمأة درجة مابين الدّرجة الى الدّرجة كمابين تخوم الأرض إلى العرش، و من صبر عن المعصية كتب الله له تسعمأة درجة مابين الدّرجة إلى الدّرجة كمابين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.

رواه فى الوسائل من الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و قد تقدّم روايته مع أخبار اُخر في فضل الصبر في شرح الخطبة الخامسة و السّبعين ووعدنا هناك إشباع الكلام فيه أى في الصبر و فضله و أقسامه فها نحن الآن نفي بما وعدناك بتوفيق من الله سبحانه ومن منّه .

فاقول : إنّ الصبر على ماعرفت فيما تقدّم عبارة عن ملكة راسخة في النفس يقتدر معها على تحمّل المكاره وقد أكثر الله سبحانه من مدحه في كتابه العزيز، وبشّر الصّابرين وذكرهم في آيات تنيف على سبعين قال سبحانه : إنّما يوفّي الصابرون أجرهم بغير حساب ، وقال : وبشّر الصّابرين الّذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله و إنّا إليه راجعون ، و قال : وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا، و قال : وجزيهم ربّهم بما صبروا جنّة وحريراً، إلى غير هذه مما لانطيل بذكرها .

و أما الأخبار في فضله وفضل الصّابرين فهى فوق حدّ الاحصاء.

منها مافي الكافي عن العلاء بن الفضيل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الصّبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك إذا ذهب الصّبر ذهب الايمان .

وعن أبي بصير قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول إنّ الحرّ حرّ على جميع أحواله إن نابته نائبة صبر لها وإن تداكّت عليه المصائب لم يكسره وإن اُسر وقهر واستبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصديق الأمين عليه السلام لم يضرره حريّته أن استعبد و قهر و اُسر و لم يضرره ظلمة الجبّ و وحشته وما ناله أن منّ الله جلّ وعزّ عليه فجعل الجبّار العاتي له عبداً بعد إذ كان مالكاً فأرسله ورحم به الله وكذلك الصّبر يعقّب خيراً فاصبروا ووطّنوا أنفسكم على الصّبر توجروا .

وعن حمزة بن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال : الجنّة محفوفة بالمكاره و الصّبر ، فمن صبر على المكاره في الدّنيا دخل الجنّة ، وجهنّم محفوفة باللّذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذّتها و شهوتها دخل النّار .

وعن سماعة بن مهران عن أبي الحسن عليه السلام قال : قال لي: ماحبسك عن الحجّ؟ قال : قلت : جعلت فداك وقع عليّ دين كثير وذهب مالي ، وديني الّذى قد لزمني هو أعظم من ذهاب مالي فلولا أنّ رجلا من أصحابي أخرجني ما قدرت أن أخرج فقال عليه السلام :إن تصبر تغتبط وإلاّ تصبر ينفذالله مقاديرها راضياً كنت أم كارهاً .

وعن أبي حمزة الثمالي قال : قال لي أبوعبدالله عليه السلام من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد .

وعن محمّد بن عجلان قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فشكى إليه رجل الحاجة

فقال : اصبر فانّ الله سيجعل لك فرجاً قال : ثمّ سكت ساعة ثمّ أقبل على الرجل فقال : أخبرني عن سجن الكوفة كيف هو ؟ فقال : أصلحك الله ضيّق منتن وأهله بأسوء حال ، قال عليه السلام : فانّما أنت في السجن فتريد أن تكون فيه في سعة أماعلمت أنّ الدّنياسجن المؤمن، إلى غيرهذه ممّا لانطيل بذكرها .

فان قلت : ما معنى قوله في الحديث الأوّل الصّبر من الايمان بمنزلة الرّأس من الجسد؟

قلت: لماكان قوام الجسد وتمامه وكماله إنّما هو بالرأس و به يتمّ تصرّفاته ويتمكّن من الآثار المترتّبة عليه لا جرم شبّه عليه السلام الصّبر بالرّأس والايمان بالجسد لأنّ كمال الايمان وتمامه إنماهوبه، أمّا على القول بأنّ الايمان عبارة عن مجموع العقايد الحقّة والأعمال فواضح، و أمّا على القول بأنّ العمل ليس جزء منه بل هو شرط الكمال فلأنّ الجسد إنّما يكمل بالرأس كماأنه يوجدبوجوه، فوجه الشّبه هو وصف الكمال فقط ولا يجب في تشبيه شيء بشيء وجود جميع أوصاف المشبّه به في المشبّه.

ولكنّ الظاهر من قوله: كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الايمان هو كون العمل هو جزء من الايمان المستلزم ذهابه لذهابه الاّ أن يراد منه الايمان بالكمال و قد تقدّم تحقيق الكلام فيه فيما سبق .

ومما ذكرنا أيضاًظهروجه ما روى عن النبيّ صلّى الله عليه وآله من أنّ الصبر نصف الايمان وذلك لأنّ الايمان إذا كان عبارة عن مجموع المعارف اليقينيّة الحقّة و عن العمل بمقتضى تلك المعارف ، فيكون حينئذ مركبامنهما ، ومعلوم أنّ العمل أعنى المواظبة على الطاعات و الكفّ عن المعاصي لا يحصل إلاّ بالصبر على مشاقّ الطاعة لليقين بكونها نافعة ، و ترك لذائذ المعصية لليقين بكونها ضارّة فعلى هذا الاعتبار يصحّ كونه نصف الايمان .

وذكر الغزالي له وجهاً آخر محصّله أن يجعل المراد من الايمان الأحوال المشمئزة للأعمال وجميع ما يلاقي العبد ينقسم إلى ماينفعه في الدّنيا والآخرة أو يضرّه فيهما ، و له بالاضافة إلى مايضرّه حال الصبر ، و بالاضافة إلى ماينفعه حال الشكر ، فيكون الصبر أحد شطرى الايمان كما أنّ الشكر شطره الآخر ولذلك

روى عن النبي ﷺ مرفوعاً الايمان نصفان : نصف صبر ، ونصف شكر .

ثم ان الصبر تختلف أساميه باختلاف موارده وبالاضافة إلي ما يصبر عنه من مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى، وما يصبر عليه مما ينفرّ عنه الطبع من المكاره والاذي.

فان كان صبراً عن شهوة الفرج و البطن ، سمّي عفة ، و إن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصّبر و تضادّه حالة تسمى الجزع ، و إن كان في احتمال الغنى سمّي ضبط النفس و يضادّه البطر، و إن كان في حرب ومقاتلة سمّي شجاعة و يضادّه الجبن وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمّى حلما و يضادّه التذمّر و السفه و إن كان في نائبة من نوائب الزّمان سمّي سعة الصّدر ويضادّه الضجر وضيق الصّدر، وإن كان في إخفاء كلام سمّي كتمان السرّ وإن كان عن فضول العيش سمّي زهداً ، ويضادّه الحرص وإن كان على قدر يسير من الحظوظ سمّي قناعة ويضادّه الشّره .

وبالجملة فأكثر مكارم الايمان داخل في الصّبر و لأجل ذلك لمّا سئل النبيّ ﷺ مرّة عن الايمان فقال: هو الصّبر لأنه اكثر أعماله وأعزّها هذا .

وأما أقسامه فقد فصّلها أبو حامد الغزالي في كتاب احياء العلوم و ملخّصها أنّ جميع مايلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين أحدهما هو الّذي يوافق هواه و الآخر هو الّذي يخالفه ، وهو محتاج إلى الصبر في كلّ منهما فهو إذا لايستغنى قطّ عن الصّبر .

النوع الاول مايوافق الهوى وهو الصّحة والسلامة والمال والجاه و كثرة العشيرة واتساع الاسباب و كثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذّ الدّنيا وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فانه إن لم يضبط نفسه عن الرّكون إليها والانهماك في ملاذّها المباحة أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان، فانّ الانسان ليطغى أن رآه استغنى .

النوع الثانى مالايوافق الهوى وهو على ثلاثة أقسام لأنه إمّا أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي، وإمّا أن لا يرتبط باختياره كالآلام والمصائب وإمّا أن لا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفّي من المؤذي بالانتقام منه .

أما القسم الاول وهو مايرتبط باختيار العبد فعلى ضربين .

الضرب الأول الطاعات والعبد يحتاج إلى الصبر عليها ، والتحمّل عن مشاقّها

لأنّ النفس بالطبع تنفرّ عن العبوديّة وتشتهي الرّبوبيّة ، و لذلك قال بعض العارفين مامن نفس إلاّ وهي مضمرة ماأظهره فرعون من قوله أنا ربّكم الأعلى ولكن فرعون وجدله مجالاً و قبولا من قومه ، فأظهره و أطاعوه ومامن أحد إلاّ ويدعي ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه و كلّ من هوتحت قهره وطاعته وإن كان ممتنعاً من إظهاره .

ثمّ نفرة النّفس عن العبادة إمّا بسبب الكسل كالصّلاة و إمّا بسبب البخل كالزكاة أوبسببهما كالحجّ والجهاد والعبد محتاج إلى الصّبر في جميعها .

الضرب الثاني المعاصي وتركها و الكفّ عنها أصعب عن النفس لرغبتها بالطبع إليها فيحتاج إلى الصبر عنها وأشدّ أنواع الصبر عن المعاصي الصبر على المعاصي المألوفة المعتادة كحصائد الألسنة من الكذب و الغيبة والبهتان و نحوها فمن لم يتمكن من الصّبر عنها فيجب عليه العزلة والانفراد لأنّ الصّبر على الانفراد أهون من الصّبر على السكوت مع المخالطة ، و تختلف شدّة الصّبر في آحاد المعاصي باختلاف دواعي المعصية قوّة وضعفاً .

وأما القسم الثاني و هو ما لايرتبط باختيار العبد أصلاً فكالمصائب و البلايا و الآلام و الأسقام من فقد الأحبّة و موت الأعزّة و ذهاب المال و تبدّل الصحّة بالمرض والغنى بالفقر ، و البصر بالعمى ، و غيرها و الصّبر على هذه هوالذي بشّر الموصوفون بـه في الآية الكريمة بقوله سبحانه : « ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس و الثمرات وبشّر الصّابرين ، الّذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون » وأوحى سبحانه إلى داود عليه السلام يا داود : تريد وأُريد وإنّما يكون ما أُريد فان سلّمت لما أُريد كفيتك ماتريد وإن لم تسلم لما أُريد أتعبتك فيما تريد ثمّ لايكون إلاّ ما أُريد .

وأما القسم الثالث و هو ما لا يرتبط هجومه باختياره و لـه اختيار في دفعه كما لو اُوذى بفعل أو قول وجنى عليه في نفسه أو مالـه أونحو ذلك فالصّبر على ذلك بترك المكافاة ، و الانتقام تارة يكون واجباً و تارة يكون مندوباً قال تعالى : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم فهو خير للصابرين » .

و عن الانجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام : لقد قيل لكم من قبل إنّ السن

بالسنّ والأنف بالأنف وأنا أقول لكم لاتقاوموا الشرّ بالشرّ بل من ضرب خدّك الأيمن فحوّل إليه الخدّ الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك ومن سخّرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين، و كلّ ذلك أمر بالصّبر على الأذى.

وفي الكافي عن حفص بن غياث قال: قال أبوعبدالله عليه السلام ياحفص: إنّ من صبر صبر قليلاً وإنّ من جزع جزع قليلا. ثمّ قال: عليك بالصّبر في جميع اُمورك فان الله عزّ وجل بعث محمّداً صلى الله عليه وآله فأمره بالصبر والرفق فقال: «واصبر على مايقولون واهجرهم هجراً جميلا و ذرني والمكذّبين اُولي النعمة» وقال تبارك وتعالى: «ادفع بالّتي هي أحسن السّيئة فاذاالّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم وما يلقّيها إلاّ الذين صبروا ومايلقّيها إلاّ ذوحظّ عظيم».

فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى نالوه بالعظائم و رموه بها فضاق صدره فأنزل الله جلّ وعزّ «و لقد نعلم أنّك يضيق صدرك بما يقولون فسبّح بحمد ربّك و كن من السّاجدين».

ثمّ كذّبوه ورموه فحزن لذلك صلى الله عليه وآله فأنزل الله عزّ وجلّ: «قد نعلم إنّه ليحزنك الّذي يقولون فانّهم لا يكذّبونك ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون و لقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا و اُوذوا حتّى أتاهم نصرنا» فألزم النبيّ صلى الله عليه وآله نفسه الصّبر فتعدّوا، فذكروا الله عزّوجلّ وكذبوه فقال: قد صبرت في نفسي و أهلي وعرضي ولا صبرلي على ذكر إلهي فأنزل الله عزّوجلّ: «ولقد خلقنا السّماوات والأرض ومابينهما في ستّة أيّام ومامسّنا من لغوب فاصبر على ما يقولون» فصبر صلى الله عليه وآله في جميع أحواله.

ثمّ بشّر في عترته بالأئمة و وصفوا بالصّبر فقال جلّ ثناؤه «و جعلنامنهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» فعند ذلك قال النّبيّ صلى الله عليه وآله الصبر من الايمان كالرأس من الجسد، فشكرالله عزّوجلّ له فأنزل الله: «وتمّت كلمة ربّك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا و دمّرنا ماكان يصنع فرعون وقومه و ما كانوا يعرشون» فقال النبيّ صلى الله عليه وآله إنّه بشرى وانتقام.

فأباح الله عزّ وجل قتال المشركين فأنزل: «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد ـ واقتلوهم حيث ثقفتموهم» فقتلهم الله على يدي رسوله صلى الله عليه وآله وأحبائه و جعل له ثواب صبره «وعجّل الله الثواب خ» مع ما ادّخر له في الآخرة فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدّنيا حتّى يقرّ الله جل وعزّ عينه في أعدائه مع ما يدّخر له في الآخرة.

اللّهمّ اجعلنا صابرين على بلائك، راضين بقضائك، شاكرين على نعمائك، متمسّكين بالعروة الوثقى والحبل المتين من ولاية أوليائك محمّد وعترته الطّاهرين صلواتك عليهم أجمعين.

الترجمة

ازجمله خطب شريفه آن ولي ربّ العالمين ووصيّ خاتم النبيّين است متضمّن مدايح حضرت رسالت صلى الله عليه وآله و مبيّن بعض وظايف امامت و مشتمل برفضيلت تقوى وپرهيزكارى ومذمّت بيوفائى دنياى فاني ميفرمايد:

پيغمبرخدا صلى الله عليه وآله امين وحى پروردگار است، وختم كنندهٔ پيغمبران حضرت آفريدگار، و مژده دهنده است برحمت او، و ترساننده است از عقوبت آن، اى مردمان بدرستى قابل و لايق مردمان باين أمرخلافت قوى ترين ايشان است براو وداناترين ايشان است بأوامر خدا در آن، پس اكر كسى مهيّج شرّ وفساد بشود طلب ميشود رجوع اوبسوى حق، واگر امتناع نمايد بايد مقاتله بشود.

قسم بزندگاني خودم اگر باشد امامت اينكه منعقد نباشد تا اينكه حاضر بشود عموم خلايق نيست بسوى او هيچ طريق، وليكن أهل امامت حكم ميكنند بهركس كه غايب بشوددرمجلس بيعت پس ازآن نيست حاضررا اينكه رجوع نمايد ازبيعتي كه نموده ونه غايب را اينكه صاحب اختيار باشد.

آگاه باشيد كه بدرستيكه من مقاتله ميكنم با دو كس يكى آنكه ادّعا نمايد چيزى را كه حقّ او نيست و ديگرى آنكه منع نمايد حقّي را كه برذمهٔ او است.

وصيّت ميكنم‌من‌شمارا ای‌بندگان‌خدابتقوی‌وپرهیزکاری‌خدا پس‌بدرستیکه آن‌تقوی بهترین چیزیست که وصیت کرده‌اند بندگان بآن ، وبهترین عواقب اموراتست نزد خدا ، و بتحقیق مفتوح شد باب جنگ درمیان شما و در میان أهل قبله ، وحامل نمیشود این علم بوجوب قتال أهل قبله را مگر أهل بصیرت وصبر ، ومگرصاحب علم بمواضع حق پس امضاء بکنید هرچیزی‌را که مأمورمیشوید بآن وتوقف نمائید نزد چیزیکه نهی کرده میشوید ازآن ، وتعجیل نکنید در کاری تا اینکه درست بفهمید حقیقت آن را پس بدرستیکه ماراست باهرچیزی که شماانکار نمائید آن را تغییر وتبدیلي .

آگاه باشید بدرستیکه این‌دنیا که صباح کردید شمادرحالتیکه آرزومیکنید آنرا و رغبت مینمائید در آن ، و صباح کرد آن در حالتیکه شمارا گاهی بغضب میآورد و گاهی خوشنود مینماید ، نیست آن خانه شما ونـه منزل شما که خلق شده‌اید ازبرای آن منزل ، ونه جائیکه خوانده شده‌اید بسوی آن .

آگاه باشید که آن دنیا باقي نخواهد ماند از برای شما ، و نـه شما باقي خواهید ماند برآن ، و آن اگرچه مغرور ساخته است شمارا از طرف خود ، پس بتحقیق که ترساننده است شمارا ازشرّ خود ، پس ترك نمائید فریفتن آنرا ازبرای ترساندن آن ، وطمع آوردن اورا ازبرای تخویف آن ، وسبقت نمائید درآن‌بسوی خانه‌که دعوت شده‌اید بسوی آن‌ورجوع نمائید باقلبهای خودتان ازآن دنیا .

والبته باید ناله نکند هیچ یك ازشمامثل‌ناله کردن کنیز بآنچه‌که برچیده شده است ازاو از دنیا ، وطلب نمائیدتمامیّت نعمت خدارا برخودتان باصبر کردن بر طاعت خدا و با محافظت کردن بر چیزی که خدا طلب‌کرده است از شما محافظت آنرا درکتاب عزیز خود .

آگاه باشید بدرستیکه ضرر نمیرساند بشما ضایع نمودن چیزي از دنیای خودتان بعداز اینکه شما حفظ نموده باشید ستون دین خودرا ، آگاه باشید که بدرستیکه منفعت نمیبخشد بشما بعداز ضایع کردن دین خود چیزیکه محافظت

نمائيد بآن از أمر دنياى خود .

فرا گيرد خداى تبارك وتعالى قلبهاى ما وقلبهاى شمارا بسوى حق و إلهام فرمايد بما وشما صبر وبردباريرا .

و من خطبة له. عليه السلام فى معنى طلحة بن عبيدالله وهى المأة والثالثة والسبعون من المختار فى باب الخطب

قَدْ كُنْتُ وَ ما أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ ، وَلا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ ، وَأَنا عَلى ما وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ ، وَ اللهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمانَ إِلاَّ خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطالَبَ بِدَمِهِ ، لأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصَ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرادَ أَنْ يُغالِطَ بِما أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلَبِّسَ الأَمْرَ ، وَ يَقَعَ الشَّكُّ ، وَوَاللهِ ما صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمانَ واحِدَةً مِنْ ثَلاثٍ : لَئِنْ كانَ ابْنُ عَفّانَ ظالِماً كَما كانَ يَزْعَمُ لَقَدْ كانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوازِرَ قاتِلِيهِ وَ أَنْ يُنابِذَ ناصِرِيهِ ، وَلَئِنْ كانَ مَظْلُوماً كانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ ، وَ الْمُعْذِرِينَ فِيهِ ، وَلَئِنْ كانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَ يَرْكُدَ جانِباً وَ يَدَعَ النّاسَ مَعَهُ فَما فَعَلَ واحِدَةً مِنَ الثَّلاثِ ، وَجاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بابُهُ وَلَمْ تَسْلَمْ مَعاذِيرُهُ .

اللغة

(تجرّد) زيد لأمره جدّ فيه و (مظنّة) الشيء بكسر الظّاء الموضع الّذي يظنّ فيه وجوده (و أجلب) فيه قال ابن الأثير في محكىّ النّهاية في حديث عليّ عليه السلام أراد أن يغالط بما أجلب فيه يقال أجلبوا عليه إذا تجمّعوا وتألّبوا وأجلبه أى أعانه و أجلب عليه إذا صاحه و استحثّه (و لبس) عليه الأمر يلبسه من باب حسب خلطه وألبسه غطاه وأمر ملبس وملتبس بالأمر مشتبه و (نهنهه) عن الأمر كفّه وزجره و (عذرته) فيما صنع أى رفعت عنه اللّوم فهو معذور أى غير ملوم وأعذرته لغة .

وقال الشّارح البحراني المعذرين بالتّخفيف المعتذرين عنه و بالتّشديد المظهرين للعذر مع أنّه لا عذر .

الاعراب

قوله عليه السلام : قد كنت قال الشارح المعتزلي كان هنا تامّة أى خلقت و وجدت و أنا بهذه الصفة و يجوز أن تكون الواو زايدة ويكون كان ناقصة وخبرها ما اُهدّد كما في المثل « لقد كنت و ما أخشى الذئب » وجملة و أنا على ما وعدني يحتمل الحال والاستيناف .

المعنى

قال الشارح البحراني وهذا الفصل من كلام قاله عليه السلام حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة وتهديدهم له عليه السلام بالحرب .

اقول : وقد مضى في شرح الخطبة الثانية والعشرين ماينفعك ذكره في هذا المقام إذ الخطبتان مسوقتان لغرض واحد ، و متطابقتان في بعض الفقرات ، فليراجع ثمّة .

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ قوله عليه السلام (قد كنت و ما اُهدّد بالحرب و لا اُرهّب بالضرب) جواب عن تهديدهم لـه وترهيبهم إيّاه ، فقد بعثوا إليه عليه السلام أن أبرز للطعان واصبر للجلاد فأجاب عليه السلام بأنّ التهديد والترهيب إنّما هو في حقّ الجبان

الضعيف الجاش لافي حق ّ الشجعان ذوى النّجدة والمراس وحاله عليه السلام في الشجاعة كان أمراً قد اشتهر ، وبان وظهر ، و تضمّنته الأخبار والسّير فاستوى في العلم به البعيد والقريب ، و اتّفق على الاقرار به البغيض والحبيب . ومن كان هذا شأنه فلا يليق له التخويف والترعيب .

وأكّد الجواب بقوله (وأنا على ما وعدني ربّي من النّصر) يعني أنّي على يقين بما وعدني ربّي من النصرة والغلبة ، ومن كان قاطعاً بذلك فلا يحذر ولايخاف البتة .

ثم ّأشار إلى نكتة خروج طلحة إلى البصرة بقوله (والله ما استعجل متجرّداً للطلب بدم عثمان) أى مجدّا فيه (إلاّ خوفاً من أن يطالب بدمه) يعني أنّ علّة خروجه و استعجاله في طلب الدّم و تجرّده لـه ليست ما شهره بين الناس من أنّ عثمان قتل مظلوماً و يجب الانتصار للمظلوم من الظالم حسبة ، و إنّما علّته هو الخوف على نفسه من أن يطالب من دمه (لأ نّه) كان (مظنّته ولم يكن في القوم أحرص عليه) أى على دم عثمان (منه) لماقدعرفت في شرح الخطبة الثانية والعشرين و شرح الكلام الثلاثين أنّه كان أوّل من ألّب الناس على عثمان وأغرى بدمه وأشدّهم إجلاباً عليه .

واقول : هنا مضافاً إلى ماسبق أنّه قال الشارح المعتزلي قدكان طلحة أجهد نفسه في أمر عثمان والاجلاب عليه والحصر له والاغراء به، ومنّته نفسه الخلافة ، بل تلبّس بها وتسلّم بيوت الأموال وأخذ مفاتيحها وقابل الناس وأحدقوا به و لم يبق إلاّ أن يصفق بالخلافة على يده .

قال الشارح وروى المدايني في كتاب مقتل عثمان أنّ طلحة منع من دفنه ثلاثة أيّام وأنّ علياً عليه السلام لم يبايع الناس إلاّ بعد قتل عثمان بخمسة أيّام وأنّ حكيم ابن حزام وجبير بن مطعم استنجدا بعلي عليه السلام على دفنه فأقعد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة فخرج به نفر يسير من اهله و هم يريدون به حايطاً بالمدينة تعرف بحش ّ كوكب، كانت اليهود يدفن فيه موتاهم فلما صارهنا رجم سريره وهمّوا بطرحه

فأرسل عليّ عليه السلام إلى الناس يعزم عليهم لتكفّوا عنه فكفّوا، فانطلقوا به حتّى دفنوه في حش كوكب .

قال وروى الواقدي قال لما قتل عثمان تكلّموا في دفنه فقال طلحة: يدفن بدير سلع يعني مقابر اليهود .

وبالجملة فهو كما قال عليه السلام لم يكن في القوم أحرص على قتل عثمان منه لكنه أراد أن يشبه على الناس (فأراد أن يغالط) أي يوقع في الغلط (بما أجلب فيه) أي بسبب اعانته في دمه وحثّه على قتله (ليلبس الأمر) ويخلطه وفي نسخة البحراني ليلتبس الأمر أي يشتبه (ويقع الشكّ) في دخوله في قتله ثمّ احتجّ عليه السلام وأبطل عذره في الخروج والطلب بدمه بقضيّة شرطيّة منفصلة محصّلها أنّ عثمان عنده وعلى زعمه إمّا أن يكون ظالماً أومظلوماً وإمّا أن يكون مجهول الحال ، و على كلّ من التقادير الثلاثة كان اللاّزم عليه القيام بما يقتضيه مع أنه لم يقم به كما يفصح عنه قوله عليه السلام مؤكّداً بالقسم البارّ (ووالله ماصنع في أمر عثمان) خصلة (واحدة من) خصال (ثلاث) هي مقتضيات التقادير الثلاثة الّتي اشرنا إليها إجمالا وأشار إلى تفصيلها بقوله (لئن كان ابن عفّان ظالماً) ظلما يوجب حلّ دمه (كما كان يزعم) ذلك حين قتله (لقد كان ينبغي له) و يجب عليه (أن يوازر قاتليه) أي يساعدهم ويحامي عنهم بعد قتل عثمان (وأن ينابذ ناصريه) و يعاندهم ويتركهم بوجوب الانكار على فاعل المنكر مع أنّه قد عكس الأمر لأنّه نابذ قاتليه ووازر ناصريه وثار معهم في طلب دمه (و لئن كان مظلوماً) محرّم القتل كما يقوله الآن ويشهّره بين النّاس لقد (كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه و المعذرين فيه ولئن كان في شكّ من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله و يركد)أي ليكن (جانبا) أي يتباعد عنه ولا يأمر بقتله ولا ينهى عنه (و يدع الناس معه) يفعلون مايشاؤن مع أنّه لم يفعل ذلك أيضاً بل أضرم نار الفتنة و صلى بها و أصلاها غيره (فما فعل واحدة من الثلاث و جاء بأمر لم يعرف بابه و لم تسلم معاذيره) أي أتى بأمر لم يعرف وجهه واعتذر في نكثه وخروجه بمعاذير لم تكن سالمة إذ قد عرفت في تضاعيف الشرح

أنّ عمدة معذرته في البغى والخروج هو المطالبة بدم عثمان وأنّه قتل مظلوماً و قد أبطل عليه السلام اعتذاره بذلك هنا بماعرفت .

الترجمة

ازجملهٔ خطب شريفهٔ آن بزرگوار است كه توجيه خطاب در آن بسوى طلحة ابن‌عبيدالله خذله‌الله است ميفرمايد :

بتحقيق كه موجود بودم درحالتى كه تهديد كرده نشده‌ام بجنگ وتخويف كرده نشده‌ام بزدن ، ومن ثابت هستم برچيزيكه وعده داده است مرا پروردگار من ازنصرت ويارى ، وبحقّ خدا تعجيل نكرد طلحة درحالتيكه مجدّ ومصرّ بود از براى مطالبهٔ خون عثمان مگر ازبراى ترس از اينكه مطالبه كرده شود بخون او ، ازجهت اينكه اومورد تهمت آن‌خون بود ، ونبود درميان‌قوم حريص‌تر برقتل عثمان ازطلحه ، پس‌خواست او كه مردم را بغلط افكند بسبب اعانت وجمع آورى او درقتل آن تا اينكه بپوشد وخلط نمايد امررا برمردمان ، وواقع شودشك .

وبحق‌خدا ننمود طلحه دركارعثمان يكى ازسه خصلت را اگربود پسرعفان ظالم و ستم‌كار چنانچه طلحه گمان ميبرد هرآينه بود سزاوار او را آنكه حمايت بكند قاتلين آن را ، يا دشمنى آشكارا نمايد با ناصرين آن ، و اگر بود مظلوم و ستم رسيده هرآينه بود سزاوار از براى او آنكه باشد از بازدارندگان مردم از كشتن او و از عذر آورندگان درحق او ، واگر بود درشك از اين دوخصلت يعنى در ظالميّت و مظلوميّت عثمان هرآينه بود سزاوار مر اورا آنكه اعتزال ورزد وبايستد دركنار وبگذارد مردمان را باعثمان بحال خودشان ، پس نكرد هيچ يك از اين سه كار را و آورد كارى را كه شناخته نشد در آن و بسلامت نماند عذر خواهى‌هاى او .

و من خطبة له عليه السلام و هى المأة والرابعة و السبعون من المختار فى باب الخطب

أَيُّهَا الْغافِلُونَ غَيرُ الْمَغفُولِ عَنهُمْ ، وَالتّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنهُمْ ، ما لي أَرٰيكُمْ مِنَ اللهِ ذاهِبِينَ ، وَ إِلىٰ غَيرِهِ راغِبِينَ ، كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَراحَ بِها سآئِمٌ إِلىٰ مَرْعيً وَبِيٍّ ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ ، إِنَّما هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدىٰ لا تَعْرِفُ ماذا يُرادُ بِها إِذا أُحْسِنَ إِلَيْها، تَحْسَبُ يَوْمَها دَهْرَها، وَشِبَعَها أَمْرَها ، وَاللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ ، وَلٰكِنْ أَخافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه و آله و سلّم أَلاٰ وَ إِنِّي مُفْضِيهِ إِلىٰ الْخاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ مِنْهُ ، وَالَّذي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَاصْطَفاهُ عَلىٰ الْخَلْقِ ما أَنْطِقُ إِلاّ صادِقاً ، وَلَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ وَ بِمَهْلَكِ مَنْ يَهْلِكُ وَمَنْجىٰ مَنْ يَنْجُو وَمَآلِ هٰذَا الْأَمْرِ ، وَما أَبْقىٰ شَيْئاً يَمُرُّ عَلىٰ رَأْسي إِلاّ أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ ، وَأَفْضىٰ بِهِ إِلَيَّ ، أَيُّهَا النّاسُ وَاللهِ ما أَحُثُّكُمْ عَلىٰ طاعَةٍ إِلاّ وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْها ، وَلاٰ أَنْهيٰكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلاّ وَأَتَناهىٰ قَبْلَكُمْ عَنْها .

اللغة

(النعم) بالتحريك جمع لا واحد لـه من لفظه و أكثر اطلاقه على الابل

و (أراح) الابل ردّها إلى المراح وهو بالضمّ مأوى الماشية باللّيل وبالفتح الموضع الّذي يروح منه القوم أويروحون إليه و (سامت) الماشيةسوماً رعت بنفسها فهى سائمة و تتعدّى بالهمزة فيقال أسامها راعيها أى أرعيها و (الوبيّ) بالتشديد ذوالوباء و المرض وأصله الهمزة و (الدّوى) ذوالداء والأصل في الدويّ دوى بالتخفيف ولكنّه شدّد للازدواج قال الجوهري: رجل دو بكسرالواو أى فاسد الجوف من داء و (المدى) بالضمّ جمع مدية وهى السكين و (الشبع) وزان عنب ضدّ الجوع

الاعراب

غير المغفول صفة للغافلون و صحّة كون غير صفة للمعرفة مع توغّله في النكارة وعدم قبوله للتعريف ولو اُضيف إلى المعارف من حيث إنّه لم يرد بالغافلين طائفة معيّنة فكان فيه شائبة الابهام وصحّ بذلك وصفه بالنكرة كما في قوله: «صراط الّذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم» على قول من يجعل غير وصفاً للّذين لا بدلا منه، والاستفهام في قوله: مالى أراكم، للتعجّب كما في قوله: مالى لا أرى الهدهد و سائم فاعل أراح كما يستفاد من شرح البحراني، أو صفة للفاعل المحذوف كما يستفاد من شرح المعتزلي والعلاّمة المجلسيّ «ره»

و قوله: تحسب يومها دهرها وشبعها أمرها، الظاهر أنّ يومها ثاني مفعول تحسب و كذلك شبعها والتقديم على الأوّل لقصد الحصر.

المعنى

اعلم أنّ مدار هذه الخطبة الشريفة على فصلين:

الفصل الاول

في ايقاظ الغافلين وتنبيه الجاهلين من رقدة الغفلة والجهالة وهوقوله:

(أيّها الغافلون غير المغفول عنهم) الظاهر أنّ الخطاب لكلّ من اتّصف

بالغفلة من المكلّفين أى الّذين غفلوا عمّا اريد منهم من المعارف الحقّة و التكاليف الشرعية و لم يغفل عنهم و عمّا فعلوا ، لكون أعمالهم مكتوبة محفوظة في اللّوح المحفوظ و صحائف الأعمال وكلّ ما فعلوه في الزبر و كلّ صغير و كبير مستطر

(و التاركون) لما أمروا به من الفرائض و الواجبات (المأخوذ منهم) ما اغترّوا به من الأهل و المال والزخارف و القينات (مالى أراكم عن الله ذاهبين) كناية عن اعراضهم عن الله سبحانه و التفاتهم إلى غيره تعالى (و إلى غيره راغبين) إشارة إلى رغبتهم في زهرة الحياة الدّنيا وإعجابهم بها .

(كأنّكم نعم أراح بها سائم إلى مرعى وبىّ ومشرب دوىّ) شبّههم بأنعام ذهب بها سائم إلى مرعى و مشرب وصفهما ما ذكر و المراد بالسائم حيوان يسوم ويرعى وهو المستفاد من الشارح المعتزلي حيث قال : شبّههم بالنّعم الّتي تتبع نعما اخرى سائمة أى راعية ، و إنما قال ذلك لأنّها إذا تبعت أمثالها كان أبلغ في ضرب المثل بجهلها من الابل الّتي يسميها راعيها ، انتهى .

وفسّره الشارح البحراني بالراعى أى الّذي يراعي النعم ويحفظها ويواظب عليها من الرعاية وهو المراعاة والملاحظة قال : شبّههم بالنّعم الّتي أراح بها راعيها إلى مرعى كثير الوباء والدّاء ، ووجه الشبه أنهم لغفلتهم كالنّعم ونفوسهم الأمّارة القائدة لهم إلى المعاصى كالراعي القائد إلى المرعى الوبىّ ولذات الدّنيا ومشتهياتها وكون تلك اللّذات والمشتهيات محلّ الآثام الّتي هي مظنّة الهلاك الأخروى والداء الدّوىّ تشبه المرعى الوبيّ والمشرب الدويّ انتهى .

أقول : وهذا أقرب لفظاً وما قاله الشارح المعتزلي أقرب معنى ، وذلك لأنّ لفظ السائم على قول المعتزلي بمعنى الراعى من الرعى وهذا لاغبار عليه من حيث المعنى إلاّ أنه يحتاج حينئذ إلى حذف الموصوف أى حيوان سائم ونحوه وهو خلاف الأصل ، وأمّا على قول البحراني فلا حاجة إلى الحذف إلاّ أنّ كون السائم بمعنى الراعى من الرعاية مما لم يقل به أحد، وكيف كان فالمقصود تشبيههم بأنعام اشتغلت بالماء والكلاء وغفلت عمّا في باطنهما من السمّ الناقع ودوى الدّاء .

(إنماهي كالمعلوفة للمدى) و السكاكين (لاتعرف ماذا يراد بها إذا احسن إليها) أي تزعم وتظنّ أنّ العلف إحسان إليها على الحقيقة ولاتعرف أنّ الغرض من ذلك هوالذبح و الهلاك (تحسب يومها دهرها) يعني أنها لكثرة إعجابها لعلفها في يومها تظنّ أنّ دهرها مقصور على ذلك اليوم ليس لها وراءه يوم آخر، وقيل معناه أنها تظنّ أنّ ذلك العلف و الاطعام كما هو حاصل لها ذلك اليوم يكون حاصلا لها أبداً .

(وشبعها أمرها) أي تظنّ انحصار أمرها وشأنها في الشبع مع أنّ غرض صاحبها من إطعامها وإشباعها أمر آخر .

الفصل الثاني

في الاشارة إلى بعض مناقبه الجميلة ومقاماته الجليلة وهوقوله :

(والله لوشئت أن أُخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت) اى لو أشاء لأُخبر كلّ واحد منكم بأنّه من اين خرج وأين دخل و كيفيّة خروجه وولوجه واخبر بجميع شأنه وشغله من أفعاله وأقواله ومطعمه ومشربه وما أكله وما ادّخره في بيته وغيرذلك مما أضمروه في قلوبهم وأسرّوه في ضمائرهم كماقال المسيح عليه السلام : « أُنبّئكم بماتأكلون وتدّخرون في بيوتكم » .

(ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله) قال الشارح المعتزلي : أى أخاف عليكم الغلوّ في أمري و أن تفضّلوني على رسول الله صلى الله عليه وآله ، بل أخاف عليكم أن تدّعوا فيّ الالهيّة كما ادّعت النصارى ذلك في المسيح لمّا أخبرهم بأُمور الغايبة ومع أنّه قد كتم ماعلمه حذراً من أن يكفروا فيه برسول الله صلى الله عليه وآله فقد كفر كثيرمنهم وادّعوا فيه النبوّة وادّعوا فيه أنّه شريك الرّسول في الرّسالة وادّعوا فيه أنّه هوكان الرسول ولكن الملك غلط فيه وادّعوا أنّه الّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله الى النّاس وادّعوا فيه الحلول وادّعوا فيه الاتّحاد ولم يتركوا نوعاً من أنواع الضلالة فيه إلّاوقالوه واعتقدوه .

أقول : و يحتمل أن يكون مراده عليه السلام بكفرهم فيه كفرهم باسناد التقصير إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في إظهار جلالته عليه السلام و علوّ شأنه وسموّ مقامه ، و من ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لما أفصح عن بعض فضايله عليه السلام نسبه المنافقون إلى الضلال و إلى أنّه ينطق عن الهوى حتّى كذّبهم الله تعالى فقال : «و ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى» .

روى في الصّافي من المجالس عن ابن عباس قال : صلّينا العشاء الآخرة ذات ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا سلّم أقبل علينا بوجهه ثمّ قال : إنه سينقض كوكب من السّماء مع طلوع الفجر فيسقط في دار أحدكم فمن سقط ذلك الكوكب في داره فهو وصيّي وخليفتي والامام بعدى ، فلماكان قرب الفجر جلس كلّ واحد منّا في داره ينتظر سقوط الكوكب في داره و كان أطمع القوم في ذلك أبي العبّاس بن عبدالمطلب ، فلمـا طلع الفجر انقضّ الكوكب من الهوا فسقط في دار عليّ بن أبيطالب عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : يا عليّ و الّذي بعثني بالنبوّة لقد وجبت لك الوصيّة والامامة والخلافة بعدي ، فقال المنافقون عبدالله بن اُبى وأصحابه لقد ضلّ محمّد في محبّة ابن عمّه وغوى و ما ينطق في شأنه إلاّ بالهوى ، فأنزل الله تبارك وتعالى: « والنّجم إذا هوى » يقول عزّ وجلّ وخالق النّجم إذا هوى « ماضلّ صاحبكم » يعني في محبّة عليّ بن أبيطالب عليه السلام « وما غوى وما ينطق عن الهوى» يعني في شأنه « إن هو إلاّ وحي يوحى » .

و من هذا الباب أيضاً ما في الكافي عن أبي بصير قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم عليه السلام لولا أن يقول فيك طوايف من اُمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم عليه السلام لقلت فيك قولا لاتمرّ بملاء من النّاس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدمك ، قال: فغضب الاعرابيّان والمغيرة بن شعبة وعدّة من قريش معهم فقالوا : مارضى أن يضرب لابن عمّه مثلا إلاّ عيسى بن مريم ، فأنزل الله على نبيّه « ولمّا ضرب بن مريم مثلا إذا قومك منه يصدّون و قالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلاّ جدلاً بل هم قوم

خصمون إن هو إلاّ عبد أنعمنا عليه و جعلناه مثلا لبني إسرائيل و لو نشاء لجعلنا منكم » يعني من بني هاشم « ملائكة في الأرض يخلفون » قال : فغضب الحارث بن عمرو الفهري فقال : «اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك» إنّ بني هاشم يتوارثون هرقلا بعد هرقل(١) «فأمطر علينا حجارة من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم» فأنزل الله عليه مقالة الحارث و نزلت هذه الآية « وما كان الله ليعذّبهم و أنت فيهم و ما كان الله معذّبهم و هم يستغفرون » ثمّ قال ﷺ له يابن عمرو إمّا تبت وإمّا رحلت ، فدعى براحلته فركبها فلما صار بظهر المدينة أتته جندلة فرضّت هامته فقال رسول الله ﷺ لمن حوله من المنافقين : انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتانا استفتح ، قال الله عزّ وجل « واستفتحوا وخاب كلّ جبار عنيد » هذا .

ولما ذكر أنّ إخباره ببعض المغيبات مؤدّ إلى الكفر والضلال لقصور الاستعداد و القابليّة لاكثر النفوس البشريّة عن تحمّل الأسرار الغيبيّة استدرك ذلك بقوله (إلاوانّي مفضيه) أى مفض به وموصل له ومؤدّ إياه (إلى الخاصّة) أى إلى خواصّ أصحابي (ممّن يؤمن ذلك) أي الغلوّ و الكفر (منه) بماله من الاستعداد (والّذى بعثه) أي رسول الله ﷺ (بالحقّ واصطفاه على الخلق ما انطق إلاّ صادقاً ولقد عهد إلىّ) رسول الله ﷺ (بذلك كلّه) أى بجميع ما اخبر به (وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو) أى بهلاك الهالكين و نجاة النّاجين أو بمكان هلاكهم و مكان نجاتهم أو زمانهما.

والمراد بالهلاك إمّا الهلاك الدّنيوى أى الموت أو القتل أو الهلاك الأخروى أعنى الضلال و الشقاء و كذلك النجاة (و) بـ(مآل هذا الأمر) أي أمر الخلافة أو الدّين وملك الاسلام ومآله انتهائه بظهور القائم وما يكون في آخر الزمان (وما أبقى) أي الرّسول ﷺ (شيئاً يمرّ على رأسي) من اغتصاب الخلافة و خروج النّاكثين والقاسطين و المارقين و قتالهم و من الشهادة بضربة ابن ملجم المرادى لعنه الله وغير ذلك مما جرى عليه بعده (إلاّ أفرغه) أى صبّه (في أذنى و أفضي

(١) أى ملكا بعد ملك والهرقل ملك الروم (منه)

به) أى أوصله وألقاه (إلىّ) وأعلمني به وأسرّه إلىّ .

ثمّ قال : (أيها النّاس والله ما أحثّكم على طاعة إلاّ وأسبقكم إليها و لا أنهاكم عن معصية إلاّ وأتناهي قبلكم عنها) لأنّ الأمر بالمعروف بعد الاتيان به والنّهى عن المنكر بعد التّناهى عنه أقوى تأثيراً و أكثر ثمراً كما مرّ في شرح الفصل الثاني من الخطبة المأة والرّابعة ، وقد لعن الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به في الخطبة المأة والتاسعة والعشرين .

تبصرة

ما تضمّنه ذيل هذه الخطبة من علمه عليه السلام بالغيب قد مرّ تحقيق الكلام فيه في شرح الفصل الثاني من الخطبة المأة و الثّامنة و العشرين و أوردنا ثمّة بعض اخباره الغيبيّة و قدّمنا فصلا مشبعا من اخباره عن الغيوب في شرح الكلام السادس والخمسين وشرح الخطبة الثانية والتسعين ، وأحببت أن أورد طرفا صالحاً منها هنا ممايناسب المقام نقلا من كتاب مدينة المعاجز تأليف السيّد السند الشارح المحدّث السيّد هاشم البحراني قدّس سرّه فأقول :

منها ما رواه عن ابن شهر آشوب بسنده عن إسماعيل بن أبي زياد قال : إنّ عليّاً عليه السلام قال للبراء بن عازب : يا براء يقتل ابني الحسين عليه السلام وأنت حيّ لا تنصره ، فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء يقول : صدق والله أمير المؤمنين عليه السلام وجعل يتلهّف

ومنها ما رواه عن ابن شهر آشوب عن سفيان بن عيينة عن طاووس اليماني أنّه قال عليّ عليه السلام لحجر البدري : يا حجر إذا وقفت على منبر صنعاء و أُمرت بسبّي و البراءة منّي قال : فقلت : أعوذ بالله من ذلك ، قال عليه السلام والله إنّه لكائن ، فاذا كان كذلك فسبّني و لا تتبرّء منّي فانه من تبرّء منّي في الدّنيا تبرّأت منه في الآخرة .

قال طاووس فأخذه الحجّاج على أن يسبّ عليّاً عليه السلام فصعد المنبر وقال : أيّها النّاس إنّ أميركم هذا أمرني أن ألعن عليّاً فالعنوه لعنه الله .

ومنها ما رواه عن ابن شهر آشوب عن عبدالله بن أبي رافع قال: حضرت أميرالمؤمنين عليه السلام وقد وجّه أباموسى الأشعري فقال له احكم بكتاب الله ولاتجاوزه، فلما أدبر قال عليه السلام وكأنّي به وقد خدع، قلت: يا أميرالمؤمنين فلم توجهه وأنت تعلم أنّه مخدوع؟ فقال عليه السلام: يا بنيّ لو عمل الله في خلقه بعلمه ما احتجّ عليهم بالرّسل.

ومنها ما رواه عن ابن شهرآشوب أنه عليه السلام أخبر بقتل جماعة منهم حجر بن عديّ ورشيدالهجري وكميل بن زياد وميثم التمّار ومحمد بن اكثم وخالد بن مسعود وحبيب بن المظاهر وحويرثه وعمروبن الحمق ومزرع وغيرهم، ووصف قاتلهم وكيفيّة قتلهم. عبدالعزيز بن صهيب عن أبي العالية قال: حدّثني مزرع بن عبدالله قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول أماوالله ليقبلنّ جيش حتى إذا كان بالبيداء خسف بهم فقلت: هذا علم غيب، قال: والله ليكوننّ ما أخبرني به أميرالمؤمنين عليه السلام وليأخذنّ رجل فليقتلنّ وليصلبنّ بين شرفتين من شرف هذا المسجد، فقلت: هذا ثان، قال حدّثني الثقة المأمون عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال أبوالعالية فما أتت علينا جمعة حتى أُخذ مزرع وصلب بين الشرفتين.

ومنها ما رواه عن البرسي عن محمد بن سنان وساق الحديث قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول لعمر (١): يا عمر يا مغرور إني أراك في الدّنيا قتيلا بجراحة من عبد امّ معمر تحكم عليه جوراً فيقتلك توفيقاً يدخل بذلك الجنّة على رغم منك.

ومنها ما رواه عن ثاقب المناقب عن إبراهيم بن محمد الأشعري عمّن رواه قال إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام أراد أن يبعث بمال إلى البصرة فعلم ذلك رجل من أصحابه فقال لو أتيته فسألته أن يبعث معي بهذا المال فاذا دفعه إليّ أخذت طريق المكرجة فذهبت به، فأتاه عليه السلام وقال: بلغني أنك تريد أن تبعث بمال إلى البصرة، قال: نعم قال: فادفعه إليّ فابلغه تجعل لي ماتجعل لمن تبعثه فقد عرفت صحبتي قال: قال

(١) أي عمر بن الخطاب.

له أمير المؤمنين عليه السلام : خذ طريق المكرجة .

ومنها ما رواه عن الخصيبي في هدايته باسناده عن فضيل بن الزبير قال : مرّ ميثم التمار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر عند مجلس بني أسد فتحدّثا حتّى التقت أعناق فرسيهما ، ثمّ قال حبيب : لكأنّي برجل أصلع ضخم البطن يبيع البيطخ عند دار الرّزق و قد صلب في حبّ أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ويبقر بطنه على الخشبة ، فقال ميثم : وإنّي لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيّه فيقتل ويجال برأسه بالكوفة وأجيز الّذي جاء به ثمّ افترقا ، فقال أهل المجلس : ما رأينا أعجب من أصحاب أبي تراب يقولون إنّ علياً عليه السلام أعلمهم بالغيب ، فلم يفترق أهل المجلس حتّى أقبل رشيد الهجري ليطلبهما فسأل أهل المجلس عنهما فقالوا قد افترقا وسمعناهما يقولان كذا و كذا ، قال رشيد لهم : رحم الله ميثماً وحبيباً قد نسي أنّه يزاد في عطاء الّذي يجيء برأسه مأة درهم ، ثمّ ولّى ، فقال أهل المجلس : هذا والله أكذبهم ، فمامرّت الأيام حتّى رأى أصحاب المجلس ميثماً مصلوباً على باب عمرو بن حريث ، وجيء برأس حبيب بن مظاهر من كربلا وقد قتل مع الحسين بن علي عليهما السلام إلى عبيدالله بن زياد لعنه الله ، وزيد في عطاء الذي حمل رأس حبيب مأة درهم كما ذكر ورؤى كلّما قاله أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أخبرهم به أمير المؤمنين عليه السلام .

ومنها ما رواه عن الخصيبي مسنداً عن أبي حمزة الثّمالي عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية فقال : تصلون ساعة كذا و كذا من اللّيل أرضاً لاتهتدون فيها سيراً فاذا وصلتم إليها فخذوا ذات الشمال فانكم تمرّون برجل فاضل خيّر فتسترشدونه فيأبي أن يرشدكم حتّى تأكلوا من طعامه ويذبح لكم كبشاً فيطعمكم ثمّ يقوم معكم فيرشدكم على الطريق فاقرءوه منّي السّلام وأعلموه أنّي قد ظهرت في المدينة .

فمضوا فلمّا وصلوا إلى الموضع في الوقت ضلّوا ، فقال قائل منهم : ألم يقل لكم رسول الله صلى الله عليه وآله خذوا ذات الشمال ، ففعلوا فمرّوا بالرجل الّذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله فاسترشدوه الطريق فقال : إنّي لا أرشدكم حتّى تأكلوا من طعامي فذبح لهم كبشاً فأكلوا من طعامه وقام معهم فأرشدهم الطريق فقال : أظهر النبيّ صلوات الله عليه و آله

بالمدينه ؟ فقالوا : نعم ، فأبلغوه سلامه فخلّف في شأنه من خلّف ومضى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو عمرو بن الحمق الخزاعي ابن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن درّاج بن عمرو بن سعد بن كعب ، فلبث معه عليه السلام ماشاء الله .

ثمّ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله ارجع إلى الموضع الذي هاجرت إليّ منه فاذا نزل أخي أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة وجعلها دار هجرته فآته .

فانصرف عمرو بن الحمق إلى شأنه حتّى إذا نزل أمير المؤمنين عليه السلام أتاه فأقام معه في الكوفة .

فبينا أمير المؤمنين عليه السلام جالس و عمرو بين يديه فقال له يا عمرو ألك دار ؟ قال : نعم ، قال : بعها واجعلها في الأزد فاني غداً لوقد غبت عنكم لطلبت فتتبعك الأزد حتّى تخرج من الكوفة متوجّهاً نحو الموصل .

فتمرّ برجل نصرانيّ فتقعد عنده فتستسقيه الماء فيسقيكه ويسألك عن شأنك فتخبره و ستصادفه مقعداً فادعه إلى الاسلام فانّه يسلم فاذا أسلم فامرر بيدك على ركبتيه فانّه ينهض صحيحاً سليماً ، ويتبعك .

وتمرّ برجل محجوب جالس على الجادّة فتستسقيه الماء فيسقيك و يسألك عن قصّتك و ما الّذي أخافك وممّن تتوقع فحدّثه بأنّ معاوية طلبك ليقتلك ويمثل بك لايمانك بالله ورسوله صلى الله عليه وآله و طاعتك لي وإخلاصك في ولايتي ونصحك لله تعالى في دينك فادعه إلى الاسلام فانّه يسلم ، فامرر يدك على عينيه فانه يرجع بصيراً باذن الله فيتّبعانك ويكونان معك وهما اللّذان يواريان جثّتك في الأرض .

ثمّ تصير إلى الدّير على نهر يدعى بالدّجلة فانّ فيه صديقاً عنده من علم المسيح عليه السلام ما تجده لك أعون الأعوان على سرّك وماذاك إلاّ ليهديه الله لك فاذا أحسّت بك شرطة ابن أمّ الحكم و هو خليفة معاوية بالجزيرة و يكون مسكنه بالموصل فاقصد إلى الصّديق الذي في الدّير في أعلى الموصل فناده فانه يمتنع عليك فاذكر اسم الله الذى علّمتك إيّاه فانّ الدّير يتواضع لك حتّى تصير في ذروته فاذا رآك ذلك الراهب الصديق قال لتلميذ معه ليس هذا أوان المسيح هذا شخص كريم و محمّد قد

توفاه الله ووصيه قد استشهد بالكوفة وهذا من حواريه ثمّ يأتيك ذليلا خاشعافيقول لك أيّها الشخص العظيم قد أهلتني لمالم استحقّه فبم تأمرني؟ فتقول استر تلميذي هذين عندك وتشرف على ديرك هذافانظر ماذا ترى، فاذا قال لك إنّي أرى خيلا غامرة نحونا.

فخلّف تلميذيك عنده و انزل و اركب فرسك و اقصد نحو غار على شاطىء الدّجلة تستتر فيه فانّه لابدّ من أن يستترك و فيه فسقة من الجنّ و الانس، فاذا استترت فيه عرفك فاسق من مردةالجنّ يظهر لك بصورة تنّين فينهشك نهشاً يبالغ في اضعافك فينفرفرسك فتبدر بك الخيل فيقولون هذا فرس عمرو ويقفون اثره.

فاذا أحسست بهم دون الغارفابرز إليهم بين دجلة والجادّة فقف لهم في تلك البقعة فانّ الله جعلها حفرتك وحرمك فالقهم بسيفك فاقتل منهم ما استطعت حتّى يأتيك أمرالله فاذا غلبوك حزّوا رأسك و شهروه على قناة إلي معاوية ورأسك أوّل رأس يشهر في الاسلام من بلد إلى بلد.

ثمّ بكى أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: بنفسي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وثمرة فؤاده و قرّة عينه ابني الحسين فانّي رأيته يسير و ذراريه بعدك يا عمرو من كربلا بغربي الفرات إلى يزيد بن معاوية عليهما لعنة الله.

ثمّ ينزل صاحبك المحجوب والمقعد فيواريان جسدك في موضع مصرعك وهو من الدير والموصل على مأة وخمسين خطوة من الدّير.

إلى غير هذه مما لا نطيل بروايتها، و قد وضح واتّضح لك مما أوردناه من الاخبار تصديق ما ذكره عليه السلام في هذه الخطبة من علمه عليه السلام بالغيب و أنه يعلم أعمال الناس و أفعالهم ويطلع على ما أعلنوه وما أسرّوه، و يعرف مهلك من يهلك ومنجى من ينجو، ويخبر من ذلك ما يتحمّل على من يتحمّل من خواصّه و بطانته سلام الله عليه و آله وشيعته.

الترجمة

از جملهٔ خطب شريفه آن بر گزيده پروردگار و وصىّ رسول مختار است

درنصیحت مخاطبین واظهار بعض مناقب خود میفرماید

ای‌غافلاني که غفلت کرده نشده ازرفتارو کردارایشان ، وای ترك کنندگان تکالیف خود که أخذ خواهد شد از ایشان آنچه بایشان داده اند از متاع دنیا ، چیست مرا که میبینم شما از خداوند تبارك وتعالی کنار روندگانید وبسوی غیر او رغبت کنندگان ، گویا که شما چهار پایانید که برده باشد شبانگاه آنها را بسوی چراگاه و با آرنده و شرابگاه بیمار کننده جز این نیست که آن چهار پایان مثل حیواني میباشند که علف داده شده از برای کاردها یعني ازبرای کشتن که نمیشناسند چه چیز اراده میشود بآنها چون احسان میشود بآنها ،گمان میکنند که روزگار ایشان همین روز ایشان است وبس ، و می‌پندارند که کار ایشان منحصر بسیر بودن آنها است ، قسم بخدا اگر بخواهم که خبردهم هر مردی را از شما بمکان خروج ومحلّ دخول آن وبهمه شغل و شأن آن هراینه ممکن‌است بمن اینکار ، ولکن میترسم که کافرشوید درحق من برسول‌مختار ﷺ آگاه باشید بدرستیکه من رسانندهام این‌اخبارغیبي را بخواص أصحاب خود ازآن اشخاصیکه أیمني شده باشد این کفر از ایشان .

و قسم بذاتی که مبعوث فرموده پیغمبر را براستي و برگزیده اورا بجمیع خلق سخن‌نمیگویم مگر در حالت راستي وصدق وبتحقیق که عهد فرموده حضرت رسالت ﷺ بسوی من بهمهٔ این اخبارو بهلاکت کسی که هلاك میشود وبنجات یافتن کسیکه نجات خواهد یافت ، وبه عاقبت این امر خلافت و باقي نگذاشت چیزی را که خواهد گذشت برسرمن از حوادث روزگار مگر اینکه ریخت آنرا درگوشهای من ورسانید آن را بمن ، أی مردمان بحق‌خدا تحریص نمی کنم شمارا برطاعتي مگر اینکه سبقت می‌نمایم بشما بسوی آن طاعت ، ونهی نمیکنم شما را از معصیتي مگر اینکه خود داری میکنم پیش ازشما ازآن معصیت .

ومن خطبة له عليه السلام وهى المأة والخامسة والسبعون من المختار فى باب الخطب

قال الشارح البحراني : روى انّ هذه الخطبة من أوايل الخطب التي خطب بها أيّام بويع بعد قتل عثمان ، وشرحها في فصلين :

الفصل الاول

انْتَفِعُوا بِبَيانِ اللهِ ، وَاتَّعِظُوا بِمَواعِظِ اللهِ ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ بِالْحُجَّةِ ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحآبَّهُ مِنَ الْأَعْمالِ وَمَكارِهَهُ مِنْها لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله كانَ يَقُولُ: إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكارِهِ وَإِنَّ النّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَواتِ .

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ ما مِنْ طاعَةِ اللهِ شَيْءٌ إِلّا يَأْتي في كُرْهٍ ، وَما مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ شَيْءٌ إِلّا يَأْتي في شَهْوَةٍ ، فَرَحِمَ اللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ ، وَقَمَعَ هَوىٰ نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هٰذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً ، وَإِنَّها لا تَزالُ تَنْزِعُ إِلىٰ مَعْصِيَةٍ في هَوًى .

وَاعْلَمُوا عِبادَ اللهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لا يُصْبِحُ وَلا يُمْسي إِلّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ ، فَلا يَزالُ زارِياً عَلَيْها وَمُسْتَزِيداً لَها ، فَكُونُوا كَالسّابِقِينَ قَبْلَكُمْ ،

وَالْماضِينَ أمامَكُمْ ، قَوِّضُوا مِنَ الدُّنيا تَقْويضَ الرّاحِلِ ، وَطَوَوْها طَيَّ الْمَنازِلِ .

وَاعْلَمُوا أنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ هُوَ النّاصِحُ الّذي لا يَغُشُّ ، وَالْهادِي الّذي لا يُضِلُّ ، وَالْمُحَدِّثُ الّذي لا يَكْذِبُ ، وَماجالَسَ هٰذَا الْقُرْآنَ أحَدٌ إلّا قامَ عَنْهُ بِزِيادَةٍ أوْ نُقْصانٍ ، زِيادَةٍ في هُدًى ، وَنُقْصانٍ مِنْ عَمًى.

وَاعْلَمُوا أنَّهُ لَيْسَ عَلى أحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فاقَةٍ ، وَلا لِأحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى ، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أدْوائِكُمْ ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلى لَأوائِكُمْ ، فَإنَّ فِيهِ شِفاءً مِنْ أكْبَرِ الدّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلالُ ، فَاسْئَلُوا اللهَ بِهِ ، وتَوَجَّهُوا إلَيْهِ بِحُبِّهِ ، وَلا تَسْئَلُوا بِهِ خَلْقَهُ ، إنَّهُ ما تَوَجَّهَ الْعِبادُ بِمِثْلِهِ إلَى اللهِ .

وَاعْلَمُوا أنَّهُ شافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَقائِلٌ مُصَدَّقٌ ، وَأنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ شُفِّعَ فيهِ ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ ، فَإنَّهُ يُنادي مُنادٍ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ: ألا وَإنَّ كُلَّ حارِثٍ مُبْتَلًى في حَرْثِهِ وَعاقِبَةِ عَمَلِهِ ، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأتْباعِهِ ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلى رَبِّكُمْ ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلى أنْفُسِكُمْ ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرائَكُمْ ، وَاسْتَغِشُّوا فيهِ أهْواءَكُمْ .

العَمَلَ ٱلعمَلَ ، ثُمَّ النِّهايَةَ النِّهايَةَ ، وَالإِسْتِقامَةَ الإِسْتِقامَةَ ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ ، وَالوَرَعَ الوَرَعَ ، إِنَّ لَكُمْ نِهايَةً فَانْتَهُوا إِلى نِهايَتِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ ، وَإِنَّ لِلإِسْلامِ غايَةً فَانْتَهُوا إِلى غايَتِهِ ، وَاخْرُجُوا إِلى اللهِ مِمّا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظائِفِهِ ، أَنا شاهِدٌ لَكُمْ ، وَحَجِيجٌ يَوْمَ القِيمَةِ عَنْكُمْ ، أَلا وَإِنَّ القَدَرَ السّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَالقَضاءَ الماضِي قَدْ تَوَرَّدَ ، وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللهِ وَحُجَّتِهِ ، قالَ اللهُ تَعالى : إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلاّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، وَقَدْ قُلْتُمْ : رَبُّنَا اللهُ ، فَاسْتَقِيمُوا عَلى كِتابِهِ ، وَعَلى مِنْهاجِ أَمْرِهِ ، وَعَلى الطَّرِيقَةِ الصّالِحَةِ مِنْ عِبادَتِهِ ، ثُمَّ لا تَمْرُقُوا مِنْها ، وَلا تَبْتَدِعُوا فِيها ، وَلا تُخالِفُوا عَنْها ، فَإِنَّ أَهْلَ المُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيمَةِ .

اللغة

(نزع) عن المعاصي نزوعاً انتهى عنها و نزع عن الشيء نزوعاً كفّ و قلع عنه والمنزع يحتمل المصدر والمكان ونزع الى أهله نزاعة ونزاعاً اشتاق إليه، ونازعتني نفسي إلى كذا اشتاقت إليه قال في مجمع البحرين : في الحديث النّفس الأمّارة أبعد شيء منزعاً، أي رجوعاً عن المعصية اذهي مجبولة على محبّة الباطل ، و أمّا تفسير الشارح المعتزلي منزعاً بمذهباً فلا يخفى بعده .

و (الظنون) وزان صبور إمّا مبالغة من الظنّـة بالكسر بمعنى التهمة يقال : ظننت فلاناً أى اتّهمته فلا يحتاج حينئذ إلى الخبر أو بمعنى الضعيف وقليل الحيلة وجعل الشارح المعتزلي الظنون بمعنى البئر لايدرى فيها ماء أم لا غير مناسب للمقام وإن كان أحد معانيه .

و (قاض) البناء وقوضه أى هدمه أو التقويض نقض من غير هدم أو هو نقض الأعواد و الأطناب و (غشّه) يغشّه كمدّ يمدّ غشّا خلاف نصحه و (اللّأواء) و زان صحراء الشدّة و ضيق المعيشة و في مجمع البحرين في الحديث و من (محل به) القرآن يوم القيامة صدق أى سعى به يقال محل بفلان اذا قال عليه قولا يوقعه في مكروه و (تورد) الخيل البلد دخله قليلا قليلا .

الاعراب

جملة قوّضوا استيناف بياني لا محلّ لها من الاعراب ، و أو في قوله بزيادة أونقصان بمعنى الواو كما في قوله : لنفسي تقاها أو عليها فجورها .

ويؤيّده قوله زيادة في هدى ، ونقصان بالواو، أوأنّ الترديد لمنع الخلوّ والفاء في قوله : فاستشفوه فصيحة ، وفي قوله: فانّ فيه شفاء للتعليل وقوله : العمل العمل ومايتلوه من المنصوبات المكرّرة انتصابها جميعاً على الاغراء أوعامل النصب محذوف أى ألزموا العمل فحذف العامل وناب أوّل اللّفظين المكرّرين منابه .

المعنى

اعلم أنّ مدار هذا الفصل من الخطبة الشريفة على الموعظة والنصيحة وترغيب المخاطبين في الطّاعات وتحذيرهم عن السّيئآت والتنبيه على جملة من فضايل كتاب الكريم و خصايص الذكر الحكيم ، وصدّر الفعل بالأمر بالانتفاع بأفضل البيانات والاتّعاظ بأحسن المواعظ والقبول لأكمل النصايح فقال :

(انتفعوا ببيان الله) أى بما بيّنه في كتابه و على لسان نبيّه صلّى الله عليه وآله فانّه لقول فصل وما هو بالهزل ، و فيه تذكرة و ذكري لأولى الألباب و هدى و بشرى بحسن المآب فمنفعته أتمّ المنافع، وفايدته أعظم الفوايد .

(واتّعظوا بمواعظ الله) لتفوزوا جنّة النعيم والفوز العظيم ، وتنجوا من نار الجحيم والعذاب الأليم (واقبلوا نصيحة الله) فانّها مؤدّية إلى درجات الجنات منجية من دركات الهلكات ، والاتيان بلفظ الجلالة والتصريح باسمه سبحانه في جميع الجملات مع اقتضاء ظاهر المقام للاتيان بالضمير لايهام الاستلذاذ ولادخال الرّوع في ضمير المخاطبين وتربية المهابة و تقوية داعى المأمورين لامتثال المأمور بـه ، وقول الشارح البحراني بأنّ ذلك أى تعدية الاسم صريحاً للتعظيم فليس بشيء .

و لما أمر بالاتّعاظ و الانتصاح علله (فانّ الله قد أعذر إليكم بالجليّة) يعني أنّه سبحانه قد أبدى العذر اليكم في عقاب العاصين منكم بالاعذار الجليّة والبراهين الواضحة من الآيات الكريمة لأنّه لا يكلّف نفساً إلاّ ما اتيها ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة .

(واتّخذ عليكم الحجّة) بارسال الرّسول وإنزال الكتاب يعني أنّه أتمّ الحجّة على المكلّفين بما اتاهم وعرّفهم حتّى لايكون لهم عذر في ترك التكاليف ولايكون للنّاس عليه حجّة بعد الرّسل قال عزّ من قائل : وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولا (وبيّن لكم محابّه من الأعمال و مكارهه منها) أى بيّن في كتاب العزيز الفرايض و الواجبات من الحجّ و الجهاد و الصوم والصّلاة وغيرها من الأعمال الصّالحات المطلوبة له والمحبوبة عنده، والمحظورات من الكذب و الغيبة و النميمة و السعاية وغيرها من الأفعال القبيحة المبغوضة له المكروهة لديه .

وانّما بيّنها (لتتّبعوا هذه) أى محابّ الأعمال (وتجتنبوا هذه) أى مكارهها (فانّ رسول الله صلّى الله عليه وآله) تعليل لوجوب اتّباع المحابّ ووجوب اجتناب المكاره (كان يقول : إنّ الجنّة حفّت بالمكاره وإن النّار حفّت بالشهوات) يعني أنّ الجنّة محفوفة بالصبر على مشاقّ الطاعات والكفّ عن لذائذ السيّئآت و كلاهما مكروه للنّفس ،

فمن صبر على ذلك المكروه يكون مصيره إلى الجنّة و كذلك النار محفوفة باطلاق عنان النفس و ارتكاب ما تشتهيها و تتمناها من الشهوات و المحرّمات ، فمن أقدم عليها وأتى بها يكون عاقبته إلى النار و كفى بالجنّة ثوابا ونوالا في تسهيل تحمّل تلك المكاره ، و كفى بالنار عقاباً ووبالا في التنفير عن هذه الشهوات .

ثمّ بعد تسهيل المكاره التي يشتمل عليها الطاعات يكون غايتها أشرف الغايات وتحقير الشهوات التي يريد التنفير عنها يكون غايتها أخسّ الغايات نبّه على أنّه لاتأتى طاعته إلاّ في كره و لا معصيته إلاّ في شهوة ، و هو قوله (و اعلموا أنه ما من طاعة الله شيء إلاّ يأتي في كره و ما من معصية الله شيء إلاّ يأتي في شهوة) لأنّ النفس للقوّة الشهويّة أطوع من القوّة العاقلة خصوصاً فيما هو أقرب إليهـا من اللّذات المحسوسة الّتي يلحقها العقاب عليها .

(فرحم الله رجلا نزع)و كفّ (عن شهوته وقمع) أي قلع (هوى نفسه فان هذه النفس)الأمّارة بالسوء (أبعد شيء منزعاً) أى كفا وانتهاء عن شهوة ومعصية (و أنها لاتزال تنزع) أى تشتاق و تميل (إلى معصية في هوى) نبّه على وصف المؤمنين و كيفيّة معاملتهم مع نفوسهم جذبا للسامعين إلى التأسّي بهم وتحريصا لهم على اقتفاء آثارهم وهو قوله :

(واعلموا عباد الله أنّ المؤمن لايصبح ولايمسى إلاّ ونفسه ظنون) أى متّهمة (عنده) أى أنها ضعيفة قليلة الحيلة لاتقدر على أن تحتال وتعالج في أن تغره وتورده موارد الهلكة بل هو غالب عليها في كلّ حال (فلا يزال زاريا) أى عايبا (عليها) في كلّ حين (ومستزيداً لها) أى مراقبا لأحوالها طالبا للزيادة لها من الأعمال الصالحة في جميع الأوقات .

(فكونوا كالسابقين قبلكم) إلى الجنّة (والماضين أمامكم) من المؤمنين الزاهدين في الدّنيا و الرّاغبين في الآخرة (قوّضوا من الدّنيا تقويض الرّاحل) يعني أنهم قطعوا علايق الدّنيا وارتحلوا إلى الآخرة كما أنّ الرّاحل إذا أراد الارتحال يقوّض متاعه و ينقض خيمته ويهدم بناءه (و طووها طيّ المنازل) أى طووا أيام

الدّنيا ومدّة عمرهم كما يطوى المسافر منازل طريقه .

و محصّل الجملتين أنّ السابقين الأوّلين من المقرّبين و أصحاب اليمين لما عرفوا بعين بصائرهم أنّ الدّنيا ليست لهم بدار وأن الآخرة دار قرار لاجرم كانت همّتهم مقصورة في الوصول إليها ، فجعلوا أنفسهم في الدّنيا بمنزلة المسافر، وجعلوها عندهم بمنزلة المنازل فاخذوا من ممرّهم مايبلغهم إلى مقرّهم فلما ارتحلوا عنها لم يبق لهم علاقة فيها كما أنّ المسافر إذا ارتحل من منزل لايبقى له شيء فيه فأمر المخاطبين بأن يكونوا مثل هؤلاء في الزّهد في الدّنيا وترك العلايق و الامنيّات والرغبة في العقبي والجنّات العاليات وهي أحسن منزلا ومقيلا .

ثمّ شرع في ذكر فضل القرآن وبيان ممادحه ترغيبا في الاهتداء به والاقتباس من ضياء أنواره فقال عليه السلام

(واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح) المشفق (الّذي لايغشّ) في إرشاده إلى وجوه المصالح كما أنّ الناصح الصديق شأنه ذلك (والهادى الّذي لا يضلّ) من اهتدى به .

روى في الكافي عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدّجى ، فليجل جال بصره ويفتح للضياء نظره ، فانّ التفكّر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظّلمات بالنور .

(والمحدّث الّذي لايكذب) في قصصه وأحاديثه وأخباره قال أبوعبدالله عليه السلام فيما روى في الكافي عن سماعة بن مهران عنه عليه السلام ان العزيز الجبّار أنزل عليكم كتابه وهو الصّادق البارّ فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم وخبر السماء والأرض ولو أتاكم من يخبركم لذلك تعجّبتم .

(وماجالس هذا القرآن أحد) استعار لفظ المجالسة لمصاحبته وملازمته وقرائته والتدبّر في ألفاظه ومعانيه (إلاّ قام عنه) استعار لفظ القيام لترك قرائته والفراغ عنها ولايخفى مافي مقابلة الجلوس بالقيام من اللّطف والحسن فانّ المقابلة بين الفعلين في معنييهما الحقيقيين والمجازين كليهما على حدّ قوله تعالى : أومن كان ميتا فأحييناه

أي ضالاّ فهديناه ، فانّ الموت والأحياء متقابلان كتقابل الضلالة والهداية

و ماذكرناه أظهر و أولى مما قاله الشارح البحراني من أنه كنّى بمجالسة القرآن عن مجالسة حملته وقرائه لاستماعه منهم وتدبّره عنهم ، لاحتياجه إلي الحذف والتكلّف الّذي لاحاجة إليه.

و كيف كان فالمراد أنّ من قام من القرآن بعد قضاء و طره منه فانما يقوم (بزيادة أونقصان زيادة في هدى ونقصان من عمى) اذ فيه من الآيات البيّنات والبراهين الباهرات مايزيد في بصيرة المستبصر ، وينقص من جهالة الجاهل .

(واعلموا أنه ليس لأحد بعد القرآن من) فقر و (فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غنى) و ثروة الظاهر أنّ المراد به أنّ من قرء القرآن وعرف ما فيه و تدبّر في معانيه وعمل بأحكامه يتمّ له الحكمة النظريّة والعمليّة ولا يبقى لـه بعده إلى شيء حاجة ولا فقر ولا فاقة ومن لم يكن كذلك فهو أحوج المحتاجين .

روى في الكافي عن معاوية بن عمار قال : قال لي أبوعبدالله عليه السلام من قرء القرآن فهو غنيّ ولافقر بعده وإلاّ مابه غني .

قال الشارح البحراني في شرح ذلك: نبّههم على أنّه ليس بعده على أحد فقر أي ليس بعد نزوله للنّاس و بيانه الواضح حاجة بالنّاس إلى بيان حكم في إصلاح معاشهم ومعادهم ، ولا لأحد قبله من غني أي قبل نزوله لا غني عنه للنّفوس الجاهلة انتهى، والأظهر ماقلناه.

(فاستشفوه من أدوائكم) أي من أمراضكم الظاهرة والباطنة و الرّوحانية والجسمانيّة ، فانّ فيه شفآء من كلّ ذلك قال سبحانه : وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة .

و روى في الكافي عن السّكوني عن أبي‌عبدالله عن آبائه عليهم السلام قال : شكى رجل إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله و جعا في صدره فقال : استشف بالقرآن فانّ الله عزّوجلّ يقول: وشفاءلما في الصدور .

(و استعينوابه من لأوائكم) أي من شدائد الدّهر ومحن الزمان وطوارق

البلايا والحدثان .

روى في الكافي عن أحمد المنقري قال : سمعت أبا إبراهيم عليه السلام يقول من استكفى بآية من القرآن من المشرق إلى المغرب كفى إذا كان بيقين .

وفيه عن الأصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : والّذي بعث محمّداً صلى الله عليه بالحقّ وأكرم أهل بيته مامن شيء تطلبونه من حرز من حرق أوغرق أوسرق أوإفلات دابّة من صاحبها أوضالّة أوآبق إلاّ وهوفي القرآن فمن أراد ذلك فليسألني عنه الحديث .

وأنت إذا لاحظت الروايات الواردة في خواص السّور والآيات تجد أنها كنز لايفنى وبحر لاينفد ، وأنّ فيها مابه نجاة من كلّ همّ ونجاة من كلّ غمّ وعوذة من كلّ لمم وسلامة من كل ألم وخلاص من كلّ شدّة ومناص من كلّ داهية ومصيبة و فرج من ضيق المعيشة و مخرج إلى سعة العيشة إلى غيرهذه مماهوخارج عن حدّ الاحصاء و متجاوز عن طور الاستقصاء ، فلا شيء أفضل منه للاستشفاء من الأسقام والأدواء ولا للاستعانة من الشدائد واللأواء .

(و انّ فيه شفاء من أكبر الدّاء و هو الكفر والنّفاق و الغيّ والضلال) قال أبوعبدالله عليه السلام في الحديث المرويّ في الكافي مرفوعاً لا والله لا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبى بكر وعمر ولا إلى بني اميّة أبداً ولا في ولد طلحة والزبير أبداً وذلك إنهم نبذوا القرآن وأبطلوا السّنن وعطّلوا الأحكام .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن هدى من الضلالة و تبيان من العمى و استقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الأحداث و عصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدّنيا إلى الآخرة ، وفيه كمال دينكم وماعدل أحد عن القرآن إلاّ إلى النار .

(فاسألوا الله به و توجّهوا إليه بحبّه) يحتمل أن يكون المراد به جعله وسيلة إليه سبحانه في نيل المسائل لكونه أقوى الوسائل ، وأن يتوجّه إليه بحبّه أي بحبّ السائل المتوجّه له أو بكونه محبوباً لله تعالى في انجاح السؤلات و قضاء

الحاجات ، وان يكون المراد به اعداد النفوس وإكمالها بما اشتمل عليه الكتاب العزيز من الكمالات النفسانيّة ثمّ يطلب الحاجات ويستنزل الخيرات بعد حصول الكمال لها ، وعلى هذا فالمقصود من التوجّه إليه بحبّه تأكيد الاستكمال اذ من أحبّه استكمل بما فيه فحسن توجّهه إليه تعالى والأظهر هو الاحتمال الأوّل بقرينة قوله (و لا تسألوا بـه خلقه) لظهوره في أنّ المراد بـه هو النهي عن جعله وسيلة للمسألة إلى الخلق .

قال أبوعبدالله عليه السلام في رواية الكافي عن يعقوب الأحمر عنه عليه السلام : إنّ من الناس من يقرء القرآن ليقال فلان قارىء ، ومنهم من يقرء القرآن ليطلب به الدّنيا ولا خير في ذلك ، ومنهم من يقرء القرآن لينتفع به في صلاته وليله ونهاره .

و فيه أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قرّاء القرآن ثلاثة : رجل قرء القرآن فاتّخذه بضاعة واستدرّ به الملوك واستطال به على النّاس ، ورجل قرء القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده وأقامه إقامة القدح فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن . ورجل قرء القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله وأظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافي به عن فراشه فبأُولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلاء ، وبأُولئك يديل الله عزّ وجلّ من الأعداء ، وبأُولئك ينزل الله تبارك و تعالى الغيث من السماء فوالله لهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر .

و علّل الأمر بسؤال الله به بأنه (ماتوجّه العباد إلى الله بمثله) لأنّ له كرامة عندالله سبحانه ومقاماً يغبطه به الأوّلون والآخرون حسبما تعرفه في الأخبار الآتية فهو أفضل الوسائل للمسائل في انجاح المقاصد والمسائل الدنيويّة والأُخرويّة ، فالمتوجّه به إليه سبحانه لايردّ دعاؤه ولايخيب رجاؤه .

(واعلموا أنّه شافع مشفّع وقائل مصدّق) يعني أنه يشفع لقرّائه والعاملين به الحاملين له يوم القيامة فيقبل شفاعته في حقّهم ، ويقول ويشهد في حقّ هؤلاء بخير وفي حقّ التاركين له و النابذين به وراء ظهورهم بشرّ فيصدق فيهما كما أشار إليه بقوله :

(وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه) أى قبلت شفاعته (ومن محل به القرآن) أى سعى به إلى الله تعالى وقال في حقّه قولا يضرّه ويوقعه فى المكروه (يوم القيامة صدّق عليه) .

قال الشارح البحراني استعار عليه السلام لفظى الشافع والمشفع ووجه الاستعارة كون تدبّره والعمل بما فيه ماحياً لما يعرض للنفس من الهيئات الرديّة من المعاصي ، وذلك مستلزم لمحو غضب الله كما يمحو الشفيع المشفّع أثر الذنب عن قلب المشفوع إليه و كذلك لفظ القائل المصدّق و وجه الاستعارة كونه ذا ألفاظ إذا نطق بها لا يمكن تكذيبها كالقائل الصادق، ثمّ أعاد معنى كونه شافعاً مشفّعاً يوم القيامة ثمّ استعار لفظ المحل للقرآن ووجه الاستعارة أنّ لسان حال القرآن شاهد في علم الله وحضرة ربوبيّته على من أعرض عنه بعدم اتباعه ومخالفته لما اشتمل عليه فبالواجب أن يصدّق فأشبه السّاعي إلى السّلطان في حقّ غيره بما يضرّه انتهى .

أقول : والانصاف أنّ حمل الكلام على المجاز مع التمكّن من إرادة الحقيقة لامعنى له كما قلناه في شرح الفصل السادس من الخطبة الثانية والثمانين ، والحمل على الحقيقة هنا ممكن بل متعيّن لدلالة غير واحد من الرّوايات على أنّه يأتي يوم القيامة بصورت إنسان في أحسن صورة و يشفع في حقّ قرّائه العاملين به ، ويسعى في حقّ المعرضين عنه ، وعلى هذا فلا وجه لحمل لفظ الشفاعة والقول والمحل على معناها المجازي ولا بأس بالاشارة إلى بعض ما يدلّ على ذلك فأقول :

روى ثقة الاسلام الكليني في الكافي عن عليّ بن محمّد عن عليّ بن العباس عن الحسين بن عبد الرّحمان عن صفوان الحريرى عن أبيه عن سعد الخفاف عن أبي جعفر عليه السلام قال : ياسعد تعلّموا القرآن فانّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق و النّاس صفوف عشرون ومأة ألف صفّ ثمانون ألف صفّ من أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأربعون ألف صفّ من ساير الأمم فيأتي على صفّ المسلمين في صورة رجل فيسلم فينظرون إليه ثمّ يقولون لا إله إلاّ الله الحليم الكريم إنّ هذا الرّجل من المسلمين نعرفه بنعته و صفته غير أنه كان أشدّ اجتهاداً منّا في القرآن فمن هناك أعطى من

البهاء والجمال والنور مالم نعطه .

ثمّ يجوزحتّى يأتي على صفّ الشهداء فينظرإليه الشهداء ثم يقولون : لاإله إلاّ الله الرّبّ الرحيم إنّ هذا الرّجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته غيرأنه من شهداء البحر فمن هناك أُعطى من البهاء والفضل ما لم نعطه .

قال فيجاوز حتّى يأتى صفّ شهداء البحر فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجّبهم و يقولون : إنّ هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته غيرأنّ الجزيرة التي أُصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة التي أُصبنا فيها فمن هناك أُعطى من البهاء والجمال والنورما لم نعطه .

ثمّ يجاوز حتّى يأتي صفّ النبيّين و المرسلين في صورة نبيّ مرسل فينظر النّبيّون و المرسلون إليه فيشتدّ لذلك تعجّبهم و يقولون : لا إله إلاّ الله الحليم الكريم إنّ هذاالنبيّ «لنبيّ خ» مرسل نعرفه بصفته وسمته غير أنه أُعطى فضلاً كثيراً

قال: فيجتمعون فيأتون رسول الله صلى الله عليه وآله فيسألونه ويقولون : يا محمد من هذا ؟ فيقول صلى الله عليه وآله لهم : أوماتعرفونه ؟! فيقولون مانعرفه هذا من لم يغضب الله عزّ وجلّ عليه ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله : هذا حجّة الله على خلقه فيسلم .

ثمّ يجاوز حتّى يأتي على صفّ الملائكة في صورة ملك مقرّب فينظر إليه الملائكة فيشتدّ تعجّبهم ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ويقولون : تعالى ربّنا وتقدّس إنّ هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته غير أنه كان أقرب الملائكة إلى الله عزوجلّ مقاماً فمن هناك أُلبس من النّور والجمال مالم نلبس .

ثم يجاوزحتّى ينتهى إلى ربّ العزّة تبارك وتعالى فيخرّ تحت العرش فيناديه تبارك وتعالى يا حجّتي في الأرض و كلامي الصّادق والناطق ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفّع ، فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالى : كيف رأيت عبادي ؟ فيقول : يا ربّ منهم من صانني و حافظ عليّ و لم يضيّع شيئاً ، ومنهم من ضيّعني و استخفّ بحقّي و كذّب بي وأنا حجّتك على جميع خلقك ، فيقول الله تبارك وتعالى : وعزّتي و جلالي و ارتفاع مكاني لأُثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب ، و لأُعاقبنّ عليك اليوم

أليم العقاب .

قال: فيرفع القرآن رأسه في صورة أُخرى قال : فقلت له عليه السلام يا أبا جعفر في أيّ صورة يرجع ؟ قال : في صورة رجل شاحب متغيّر يبصره «ينكره خ» أهل الجمع فيأتي الرّجل من شيعتنا الذي كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول ماتعرفني ؟ فينظر إليه الرجل فيقول : ما أعرفك ياعبدالله .

قال : فيرجع في صورته الّتي كانت في الخلق الأوّل فيقول : ماتعرفني ؟ فيقول نعم ، فيقول القرآن : أنا الّذي أسهرت ليلك و أنصبت عينك و سمعت فيّ الأذى و رجمت بالقول فيّ ألا و إنّ كلّ تاجر قد استوفي تجارته وأنا وراءك اليوم ، قال فينطلق به إلى ربّ العزّة تبارك و تعالى فيقول : يا ربّ عبدك وأنت أعلم به قد كان نصباً بي مواظباً عليّ يعادي بسببي ويحبّ فيّ ويبغض ، فيقول الله عزّ وجلّ ادخلوا عبدي جنّتي واكسوه حلّة من حلل الجنّة ، وتوّجوه بتاج .

فاذا فعل به ذلك عرض على القرآن فيقال له : هل رضيت بما فعل بوليّك فيقول : يا ربّ أستقلّ هذا له فزده مزيد الخير كلّه ، فيقول عزّ وجلّ : و عزّتي وجلالي وعلوّي وارتفاع مكاني لأنحلنّ له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته: ألا إنهم شباب لايهرمون ،وأصحّاء لايسقمون، وأغنياء لايفتقرون ، وفرحون لا يحزنون ، و أحياء لا يموتون، ثمّ تلى عليه السلام هذه الآية :لا يذوقون فيه الموت إلاّ الموتة الأولى .

قال قلت ياباجعفر وهل يتكلّم القرآن ؟ فتبسّم عليه السلام ثمّ قال : رحم الله الضعفاء من شيعتنا إنّهم أهل تسليم ، ثمّ قال : نعم يا أباسعد والصّلاة تتكلّم ولها صورة وخلق تأمروتنهى ، قال سعد : فتغيّر لذلك لوني وقلت :هذاشي لاأستطيع التكلّم بـه في النّاس، فقال أبوجعفر عليه السلام : و هل النّاس إلاّ شيعتنا فمن لم يعرف الصّلاة فقد أنكر حقّنا .

ثمّ قال : ياسعد اسمعك كلام القرآن ؟ قال سعد : فقلت : بلى فقال عليه السلام إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكرولذكر الله أكبر ، فالنّهي كلام والفحشاء والمنكر

رجال ونحن ذكرالله ونحن أكبر .

وفيه بسنده عن يونس بن عمّار قال : قال أبوعبدالله عليه السلام إنّ الدّواوين يوم القيامة ثلاثة : ديوان فيه النعم ، و ديوان فيه الحسنات ، و ديوان فيه السيئآت ، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات ، فيستغرق النعم عامّة الحسنات ، ويبقى ديوان السيئآت فيدعى بابن آدم المؤمن للحسنات « للمحساب خ » فيتقدّم القرآن أمامه في أحسن صورة فيقول : يارب أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قدكان يتعب نفسه بتلاوتي ويطيل ليله بترتيلي وتفيض عيناه إذاتهجّد ، فارضه كماأرضاني قال : فيقول العزيز الجبّار : عبدي ابسط يمينك ، فيملوها من رضوان الله العزيز الجبّار ، ويملؤشماله من رحمةالله ، ثمّ يقال : هذهالجنّة مباحة لك فاقرء واصعد فاذا قرء آية صعد درجة .

وفيه مسنداً عن إسحاق بن غالب قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إذا جمع الله عزّوجلّ الأوّلين و الآخرين إذا هم بشخص قد أقبل لم يرقط أحسن صورة منه ، فاذا نظر إليه المؤمنون و هو القرآن قالوا هذا منّا هذا أحسن شيء رأينا ، فاذا انتهى إليهم جازهم ، ثمّ ينظر إليه الشهداء حتّى إذا انتهى إلى آخرهم جازهم فيقولون هذا القرآن فيجوزهم كلّهم حتّى إذا انتهى إلى المرسلين فيقولون هذا القرآن فيجوزهم حتّى ينتهي إلى الملائكة فيقولون هذا القرآن فيجوزهم ثمّ ينتهي حتّى يقف عن يمين العرش ، فيقول الجبّار وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لأُكرمنّ اليوم من أكرمك ولأُهيننّ من أهانك .

وفيه عن الفضيل بن يسار باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تعلّموا القرآن فانّه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللّون فيقول له : أنا القرآن الّذي كنت أسهرت ليلك و أظمأت هواجرك وأجففت ريقك وأسلت دمعتك أؤل معك حيث ما الت ، وكلّ تاجر من وراء تجارته وأنااليوم لك من وراء تجارة كلّ تاجر ، وسيأتيك كرامة من الله عزّوجلّ فابشر .

فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويعطى الأمان بيمينه والخلد في الجنان بيساره

و يكسى حلّتين ثمّ يقال له : اقرء و ارق ، كلّما قرء آية صعد درجة و يكسى أبواه حلّتين إن كانا مؤمنين ثمّ يقال لهما : هذا لما علّمتماه القرآن.

إلى غيره مما لا نطيل بروايتها فقد ظهر منهم أنّه يجيء يوم القيامة في صورة انسان وله لسان يشهد للناس وعليهم ويقبل شهادته نفعاً وضرّاً وشفاعته في حقّ المراقبين له وينتفع به الآخذون له والعاملون به.

(فانه ينادى مناد يوم القيامة) الظاهر أنّ المنادى من الملائكة من عند ربّ العزّة، وقول الشارحين انه لسان حال الأعمال تأويل لا داعى إليه (ألا) و (إنّ كلّ حارث) أصل الحرث إثارة الأرض للزراعة والمراد هنا مطلق الكسب و التّجارة (مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن).

قال الشارح البحراني : الحرث كلّ عمل تطلب به غاية وتستخرج منه ثمرة والابتلاء ههنا مايلحق النفس على الأعمال وعواقبها من العذاب بقدر الخروج فيها عن طاعة الله. وظاهر أنّ حرث القرآن والبحث عن مقاصده لغاية الاستكمال به بريء من لواحق العقوبات انتهى.

أقول : وفيه أنّ كلّ عمل كان فيه الخروج عن طاعة الله فعامله معذّب ومبتلى سواء كان ذلك العمل مما لا يتعلّق بالقرآن أوكان متعلّقاً به كقرائته والبحث عن مقاصده و الحفظ له ونحو ذلك وإذا كان على وجه الرياء أوتحصيل حطام الدّنيا و كلّ عمل اريد به وجه الله وكان الغاية منه الاستكمال فعامله مأجور ومثاب من دون فرق فيه أيضاً بين القرآن وغيره ، وبعبارة اخرى كلّ حارث سواء كان حارث القرآن أو غيره إن لم يقصد بحرثه الخلوص فمبتلى ، وإلاّ فلا ، فتعليل عدم ابتلاء حرثة القرآن بأنّ حرثهم للاستكمال به وابتلاء الآخرين بأنّ في حرثهم خروجاً من الطاعة شطط من الكلام كما لايخفى.

والّذي عندي أن يراد بقوله عليه السلام : كلّ حارث من كان حرثه للدّنيا فهو مبتلى أى ممتحن في حرثه لأنه إن كان من حلال ففيه حساب وإن كان من حرام ففيه عقاب و أما حارث القرآن لأجل أنه قرآن و كلام الله عزّ وجلّ فلا ابتلاء له لأنّ حرثه

على ذلك إنّما هو للآخرة قال الله تعالى : « من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب» فتأمّل .

ولما نبّه عليه السلام على عدم ابتلاء حرثة القرآن أمر بحرثه بقوله (فكونوا من حرثته وأتباعه) وأردفه بقوله (واستدلوه على ربكم) أى اجعلوه دليلا عليه سبحانه وقائداً إليه تعالى لاشتماله على جميع صفات الجمال والجلال وأوصاف الكبرياء والعظمة والكمال (واستنصحوه على أنفسكم) أى اتّخذوه ناصحاً لكم رادعاً لأنفسكم الأمّارة عن السّوء و الفحشاء والمنكر لتضمّنه الآيات الناهية المحذرة والوعيدات الزاجرة المنذرة (و اتّهموا عليه آرائكم) أى إذا أدت آرائكم إلى شيء مخالف للقرآن فاجعلوها متّهمة عندكم (واستغشوا فيه أهوائكم) .

قال الشارح البحراني : وانما قال هنا استغشوا وفي الآراء اتّهموا ، لأنّ الهوا هو ميل النفس الأمّارة من غير مراجعة العقل فاذا حكمت النفس عن متابعتها بحكم فهو غشّ صراح ، وأمّا الرأى فقد يكون بمراجعة العقل وحكمه وقد يكون بدونه، فجاز ان يكون حقاً وجاز أن يكون باطلا فكان بالتهمة أولى .

ثمّ تخلّص من أوصاف القرآن وفضايله إلى الأمر بملازمة الأعمال فقال (العمل العمل) أى لازموا العمل الصّالح و راقبوا عليه (ثمّ النهاية النهاية) أى بعد القيام بالأعمال الصالحة لاحظوا نهايتها وخاتمتها وجدّوا في الوصول إليها (و الاستقامة الاستقامة) وهو أمر بالاستقامة على الجادّة الوسطى من العمل والثبات على الصراط المستقيم المؤدّى إلى غاية الغايات وأشرف النهايات أعني روضات الجنات (ثمّ الصبر الصّبر والورع الورع) أى بعد مواظبة الأعمال الصالحة و ملاحظة نهاياتها و الثبات على مايوصل إليها من الأعمال لابدّ من الصبر عن المعاصي والكفّ عن الشّهوات والورع عن محارم الله .

ومما ذكرناه ظهر لك نكتة العطف في ثاني المكرّرات الخمسة ورابعها بثمّ وفي ثالثها وخامسها بالواو ، توضيح ذلك أنّ النهاية لماكانت متراخية عن العمل عطفها بثمّ ، والاستقامة لماكانت كيفيّة العمل عطفها بالواو ، وهذه الثلاثة أعنى العمل والنّهاية

و الاستقامة كلّها ناظرة إلى طرف العبادة ، و لما كان الصّبر متعلّقاً بالمعصية عطفه بثم لغاية الافتراق بين العبادات والمعاصي ، ولما كان بين الصّبر والورع تلازماً عطف الورع بالواو أيضاً .

وهذا أولى مما قاله الشّارح البحراني حيث قال : وإنما عطف النهاية والصّبر بثمّ لتأخّر نهاية العمل عنه و كون الصّبر أمراً عدميّاً و هو في معنى المتراخي والمنفكّ عن العمل الّذي هو أمر وجوديّ ، بخلاف الاستقامة على العمل فانه كيفية له والورع فانه جزء منه، انتهى هذا .

وفصّل ما أجمل لقوله و (إنّ لكم نهاية) وهي غرفات الجنان ورضوان من الله المنّان (فانتهوا إلى نهايتكم) وامضوا إليها (وإنّ لكم علماً) هاديا إلى تلك النهاية وهو الرّسول الأمين و أولياء الدّين أوالأعم منهم ومن ساير دلائل الشّرع المبين (فاهتدوا بعلمكم) للوصول إليها (و إنّ للاسلام غاية فانتهوا إلى غايته) و هي النهاية المذكورة (و اخرجوا إلى الله مما افترض عليكم من حقّه وبين لكم من وظايفه) أى أخرجوا متوجّهين إليه سبحانه ممّا فرضه عليكم من حقوقه الواجبة و أوضحه لكم من عباداته و تكاليفه الموظفة المقرّرة في ساعات اللّيالي و الأيّام .

و قوله (أنا شاهد لكم و حجيج يوم القيامة عنكم) تأكيد لأداء الفرايض و الواجبات يعني انكم إذا خرجتم إلى الله من حقوقه و وظايفه فأنا أشهد لكم يوم القيامة بخروجكم منها ومقيم للحجّة عن جانبكم بأنكم أقمتم بها ، وقد مضى تفصيل تلك الشهادة والاحتجاج في شرح الخطبة الحادية والسّبعين .

(ألا وإنّ القدر السابق قد وقع والقضاء الماضي قد تورّد) قد عرفت معنى القضاء والقدر مفصّلا في شرح الفصل التاسع من الخطبة الأولى ، والظاهر أنّ المراد بهما المقضيّ والمقدّر كما استظهرناه هذا المعنى منهما فيما تقدّم أيضاً بالتقريب الّذي قدّمناه ثمّة ، فيكون المعنى أنّ المقدّر السابق في علم الله سبحانه وقوعه قد وقع، والمقضيّ الماضي أى المحتوم النافذ قد تورّد أى دخل في الوجود شيئاً فشيئاً .

و إلى ما ذكرنا ينظر ما قاله بعض الشارحين من أنّه أراد بالقدر السابق خلافته عليه السلام و بالقضاء الماضي الفتن والحروب الواقعة في زمانه أو بعده الّتي دخلت في الوجود شيئاً فشيئاً و هو المعبّر عنه بالتورد، و قوى ارادته عليه السلام ذلك بقرينة المقام وأنه عليه السلام خطب بهذه الخطبة في أيّام بيعته بعد قتل عثمان .

وقوله عليه السلام :(وانّي متكلّم بعدة الله وحجّته) المراد بعدته سبحانه ماوعد به في الآية الشريفة للمؤمنين المعترفين بالرّبوبيّة الموصوفين بالاستقامة من تنزّل الملائكة و بشارتهم بالجنّة و بعدم الخوف والحزن ، والظاهر أنّ المراد بحجّته أيضاً نفس هذه الآية نظراً إلى أنها كلام الله وهو حجّة الله على خلقه أو أنها دالّة بمنطوقها على أنّ دخول الجنّة إنما هو للموحّدين المستقيمين وبمفهومها على أنّ الكافرين و غير المستقيمين لا يدخلونها فهي حجّة عليهم لئلاّ يقولوا يوم القيامة انّا كنّا عن هذا غافلين .

وقال الشارح البحراني : إنّ حجّته الّتي تكلّم بها هو قوله : وقد قلتم ربّنا الله فاستقيموا، إلى آخر ما يأتي ، والأظهر ماقلناه

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى تفسير الآية (قال الله تعالى إنّ الّذين قالوا ربّنا الله) اعترافاً بربوبيّته وإقراراً بوحدانيّته (ثمّ استقاموا) على مقتضاه .

وفي المجمع عن محمّد بن الفضيل قال : سألت أبا الحسن الرّضا عليه السلام عن الاستقامة فقال : هي والله ما أنتم عليه .

و في الكافي عن الصادق عليه السلام على الأئمّة واحداً بعد واحد (تتنزّل عليهم الملائكة) عند الموت رواه في المجمع عن الصّادق عليه السلام (ألاّ تخافوا) ماتقدمون عليه (ولاتحزنوا) ماخلّفتم (وابشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون) في الدّنيا .

روى في الصّافي عن تفسير الامام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : لايزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة ولايتيقّن الوصول إلى رضوان الله حتّى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له ، و ذلك إنّ ملك الموت يرد على المؤمن و هو في شدّة علّته وعظيم ضيق صدره بمايخلفه من أمواله وبما هو عليه من اضطراب أحواله من معامليه

وعياله قد بقيت في نفسه حسراتها اقتطع دون أمانيه فلم ينلها، فيقول له ملك الموت مالك تجرع غصصك قال: لاضطراب أحوالي و اقتطاعك لي دون آمالي، فيقول له ملك الموت: وهل يحزن عاقل لفقد درهم زائف واعتياض ألف ألف ضعف الدنيا؟! فيقول: لا، فيقول ملك الموت: فانظر فوقك، فينظر فيرى درجات الجنان وقصورها التي يقصر دونها الأماني فيقول ملك الموت: تلك منازلك ونعمك وأموالك وأهلك وعيالك ومن كان من أهلك ههنا وذريتك صالحاً فهم هنالك معك أفترضى بهم بدلا مما ههنا؟ فيقول: بلى والله، ثم يقول: انظر، فينظر فيرى محمداً وعلياً والطيبين من آلهما سلام الله عليهم أجمعين في أعلا علّيين فيقول: أوتراهم هؤلاء ساداتك وأئمتك هم هنالك جلاسك واناسك أفما ترضى بهم بدلا مما تفارق هنا؟ فيقول: بلى و ربي فذلك ما قال الله عز وجل: «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أ لا تخافوا ولاتحزنوا» فيما أمامكم من الأهوال فقد كفيتموها ولاتحزنوا على ماتخلفونه من الذراري والعيال فهذا الذي شاهدتموه في الجنان بدلا منهم، «و ابشروا بالجنة التي كنتم توعدون» هذه منازلكم و هؤلاء ساداتكم اناسكم وجلاسكم هذا.

ولما تكلم عليه السلام بالآية الشريفة المتضمنة للعدة والحجة أمر المخاطبين بالقيام على مفادها والعمل على مقتضاها بقوله (وقد قلتم ربنا الله) ولابد لكم من اكمال هذا الاقرار بالاستقامة لاستحقاق انجاز الوعد و البشارة (فاستقيموا على كتابه) باجلاله و اعظامه و العمل بتكاليفه وأحكامه (وعلى منهاج أمره) بسلوكه و اتباعه (و على الطريقه الصالحة من عبادته) باتيانها على وجه الخلوص جامعة لشرايطها المقررة وحدودها الموظفة (ثم لاتمرقوا) أى لا تخرجوا (منها) ولاتتعدوا عنها (ولاتبتدعوا فيها) أى لاتحدثوا فيها بدعة (ولا تخالفوا عنها) أى لاتعرضوا عنها يميناً وشمالا مخالفين لها، فانكم إذا أقمتم على ذلك كله حصل لكم شرط الاستحقاق فينجز الله لكم وعده وتبشركم الملائكة وتدخلون الجنة البتة، وان لم تقيموا عليه فقدتم الشرط وبفقدانه وانتفائه ينتفى المشروط لا محالة.

وهومعنى قوله : (فانّ أهل المروق منقطع بهم عندالله يوم القيامة) يعني أنّهم لا يجدون بلاغا يوصلهم إلى المقصد، روى في مجمع البيان عن أنس قال : قرء علينا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية أى الآية المتقدّمة قال عليه السلام: قد قالها ناس ثمّ كفر أكثرهم فمن قالها حتّى يموت فهوممّن استقام عليها .

الترجمة

ازجملهٔ خطب شريفهٔ آن امام مبين و وليّ مؤمنين است در نصيحت مخاطبين ميفرمايد :

منتفع باشيدبابيان خدا ومتّعظ باشيد باموعظهاى خدا وقبول نمائيد نصيحت خدارا ، پس بدرستيكه خدا اظهار فرموده عذر خودرا بشما با آيه‌هاى واضحه ، واخذ فرمود برشماحجّت را وبيان كرد ازبراى شمامحبوب داشته شده‌هاى خودرا ازعملها ومكروهها داشته شدهاى خودرا ازآنها تا اينكه متابعت نمائيد بآن‌عملهاى محبوبه و اجتناب نمائيد از اين عملهاى مكروهه .

پس بدرستى كه حضرت رسول صلوات الله و سلامه عليه و آله ميفرمود كه بهشت محفوف شده است با دشواريها و آتش محفوف شده است با شهوتها ، و بدانيد كه بدرستيكه نيست از اطاعت خدا چيزى مگر اينكه ميآيد با كراهت طبيعت ، و نيست در معصيت خدا چيزي مگر اينكه ميآيد با شهوت و رغبت ، پس رحمت خدا مردى را كه بر كند از شهوت خود ، وقلع كندخواهشات‌نفس‌خودرا پس بدرستى كه اين نفس دور ترين چيزيست از حيثيّت كنده شدن از شهوت ، بدرستيكه اين‌نفس هميشه اشتياق دارد وميل كند بسوى معصيت در آرزو وخواهش نفسانى .

وبدانيد اى بندگان خدا بدرستيكه مؤمن نه روز رابشب‌ميآورد و نه شب‌را بروز مگر اينكه نفس اومتّهمست نزد او ، پس هميشه آن مؤمن ايراد كننده

است برنفس خود ، و طلب کننده است از برای او زیادهٔ خیرات ومبرّات را ، پس باشید مثل سابقانی که پیش ازشما بودند ومثل گذشتگان درپیش ازشما بر کندند از دنیای فانی همچو بر کندن کوچ کننده ، ودرنوردیدند دنیا را مثل در نوردیدن منزلها .

وبدانید که این قرآن کریم او نصیحت کنندهایست که خیانت نمی کند ، وهدایت کنندهایست که گمراه نمیسازد ، وخبر دهندهایست که دروغ نمیگوید ، وهمنشین نشد این قرآن را أحدی ازشما مگراینکه برخاست از آن با زیادتی یا کمی ، زیادتی درهدایت و کمی از کوری وضلالت .

وبدانید نیست برأحدی بعدازقرآن حاجتی ، ونه مر أحدیرا پیش از قرآن از دولتی ، پس طلب شفا نمائید از او از دردهای ظاهری و باطنی خودتان ، و طلب یاری کنید بااوبرشدّتهای خودتان ، پس بدرستی که در او است شفا از بزرگترین دردها وآن کفراست ونفاق و گمراهی است و ضلالت ، پس مسألت نمائید از خدا بوسیلهٔ قرآن ، و متوجّه باشید بسوی پروردگار با محبت قرآن ، و سؤال ننمائید بوساطت قرآن از مخلوقی ، بدرستیکه متوجّه نشد بندگان بسوی خدا با مثل قرآن .

وبدانید که بدرستیکه قرآن شفاعت کنندهاست و مقبول الشفاعة ، و گویندهٔ است تصدیق شده ، و بدرستیکه کسیکه شفاعت نماید مر اورا قرآن در روز قیامت شفاعت او قبول میشود در حق آن ، و کسیکه بدگوئی نماید از او قرآن در روز قیامت تصدیق شده میشود برضرر آن .

پس بدرستیکه ندا کند ندا کننده درروزقیامت اینکه آگاه باشید بدرستیکه هر کشت کار امتحان خواهد شد در کشت خود و در عاقبت عمل خود غیراز کشت کنندگان قرآن پس باشیداز کشت کاران قرآن وتبعیّت کنندگان اوودلیل أخذنمائید اورا بر پروردگارخود ،وطلب نصیحت کنید از او برنفسهای خود ، ومتّهم د ارید رأیهای خودرا که برخلاف اواست،ومغشوش شماریددرمقابل قرآن خواهشات خودرا .

مواظبت نمائید برعملها و مسارعت نمائید بنهایت و عاقبت کار ، و ملازمت نمائید براستکاری پس از آن و منصف باشید با صبر و تحمل ، وترك نکنید ورع و پرهیزکاری را ، بدرستی که شمارابست نهایت و عاقبتي پس منتهی شوید بسوی نهایت خود ، و بدرستی که شماراست علم و نشانــه پس هدایت یابید با علم خود ، وبدرستیکه مراسلام راست غایت ونهایتي پس‌منتهی شوید بسوی غایت او ، وخارج بشوید بسوی خداوند تعالی از چیزی که واجب نموده برشما از حق خود و بیان نموده‌است شمارا ازوظیفهای خود ، من شاهد هستم از برای شما وحجّت آورنده‌ام در روز قیامت از جانب شما .

آگاه باشید بدرستیکه آنچه مقدّر شده بود سابقاً بتحقیق واقع گردید ، وقضای الهی که نافذ و ممضی است تدریجاً بوجود در آید ، و بدرستیکه من تکلّم کننده‌ام بوعده خدا و بحجّت او فرموده است خدا درکتاب عزیز خود : بدرستی که آنکسانی که گفتند که پروردگارما خداست پس در آن مستقیم شدند نازل میشود بر ایشان ملائکه که نترسید و محزون نباشید وبشارت دهید ببهشت عنبرسرشت که در دنیا وعده داده شده بودید .

وبتحقیق که گفتید شما پروردگارما خداست پس مستقیم باشید بر کتاب کریم او ، وبرراه روشن امراو وبرطریقه شایسته ازعبادت وبندگي او ، پس ازآن خارج نشوید و بیرون مروید از آن طریقه واحداث بدعت نکنید در آن و مخالفت نکنید درآن پس بدرستیکه أهل خروج از عبادت بهم بریده شده‌اند ازثواب دائمي نزد خدای تعالی در روز قیامت .

الفصل الثاني منها

ثُمَّ إيّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلاقِ وَتَصْرِيفَها، وَاجْعَلُوا اللِّسانَ واحِداً، وَلْيَخْتَزِنِ الرَّجُلُ لِسانَهُ فَإِنَّ هذَا اللِّسانَ جَمُوحٌ بِصاحِبِهِ، وَاللهِ ما أَرى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوى تَنْفَعُهُ حَتّى يَخْتَزِنَ لِسانَهُ، وَإِنَّ لِسانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَراءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنافِقِ مِنْ وَراءِ لِسانِهِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذا أَرادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلامٍ تَدَبَّرَهُ في نَفْسِهِ فَإِنْ كانَ خَيْراً أَبْداهُ وَإِنْ كانَ شَرّاً واراهُ، وَإِنَّ الْمُنافِقَ يَتَكَلَّمُ بِما أَتى عَلى لِسانِهِ لا يَدْري ما ذا لَهُ وَما ذا عَلَيْهِ، ولَقَدْ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لا يَسْتَقِيمُ إِيمانُ عَبْدٍ حَتّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتّى يَسْتَقِيمَ لِسانُهُ، فَمَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللهَ سُبْحانَهُ وَهُوَ نَقِيُّ الرّاحَةِ مِنْ دِماءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسانِ مِنْ أَعْراضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ.

وَاعْلَمُوا عِبادَ اللهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعامَ ما اسْتَحَلَّ عاماً أَوَّلَ، وَيُحَرِّمُ الْعامَ ما حَرَّمَ عاماً أَوَّلَ، وَإِنَّ ما أَحْدَثَ النّاسُ لا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَلكِنَّ الْحَلالَ ما أَحَلَّ اللهُ، وَالْحَرامَ ما حَرَّمَ اللهُ، فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوها وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، وَضُرِبَتِ

الأَمْثالُ لَكُمْ، وَدُعِيتُمْ إِلى الأَمْرِ الواضِحِ، فَلا يَصَمُّ عَنْ ذلِكَ إِلاّ أَصَمُّ، وَلا يَعْمى عَنْهُ إِلاّ أَعْمى، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِالبَلاءِ وَالتَّجارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ العِظَةِ، وَأَتاهُ التَّقْصيرُ مِنْ أَمامِهِ حَتّى يَعْرِفَ ما أَنْكَرَ، وَيُنْكِرَ ما عَرَفَ، فَإِنَّ النّاسَ رَجُلانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللهِ بُرْهانُ سُنَّةٍ، وَلا ضِياءُ حُجَّةٍ.

وَإِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللهِ المَتينُ، وَسَبَبُهُ الأَمينُ، وَفيهِ رَبيعُ القَلْبِ، وَيَنابيعُ العِلْمِ، وَما لِلقَلْبِ جِلاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ المُتَذَكِّرُونَ، وَبَقِيَ النّاسُونَ أَوِ المُتَناسُونَ، فَإِذا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعينُوا عَلَيْهِ، وَإِذا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يَقُولُ: يا ابْنَ آدَمَ إِعْمَلِ الخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ فَإِذا أَنْتَ جَوادٌ قاصِدٌ.

أَلا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلاثَةٌ: فَظُلْمٌ لا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لا يُطْلَبُ، فَأَمّا الظُّلْمُ الَّذي لا يُغْفَرُ الشِّرْكُ بِاللهِ سُبْحانَهُ قالَ اللهُ سُبْحانَهُ: «إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ»، وَأَمّا الظُّلْمُ الَّذي يُغْفَرُ فَظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الهَناتِ، وَأَمّا الظُّلْمُ الَّذي لا يُتْرَكُ فَظُلْمُ العِبادِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، القِصاصُ هُناكَ شَديدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالمُدى،

وَلاَ ضَرْباً بِالسِّيَاطِ، وَلَكِنَّهُ ما يُسْتَصْغَرُ ذَلِكَ مَعَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّا مَضَى وَلاَ مِمَّا بَقِيَ.

يا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَ قُوتَهُ وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ.

اللغة

(هزعت) الشجر تهزيعاً كسّرته وفرّقته و (خزن) المال واختزنه أحرزه و (ضرّسته) الحروب أي جرّبته و أحكمته و (صمّت) الأذن صمماً من باب تعب بطل سمعها هكذا فسّره الأزهري و غيره، و يسند الفعل إلى الشخص أيضاً فيقال : صمّ يصمّ صمماً ، فالذكر أصمّ والأنثى صمّاء والجمع صمّ مثل أحمروحمراء وحمر ، ويتعدّى بالهمزة فيقال أصمّه الله وربما استعمل الرباعي لازماً على قلّة ولا يستعمل الثلاثي متعدّياً فلا يقال صمّ الله الاذن و لا يبنى للمفعول فلا يقال صمّت الاذن .

و (السّبب) الحبل و هو ما يتوصّل به إلى الاستعلاء ثمّ استعير لكلّ ما يتوصّل به إلى الأمور فقيل هذا : سبب هذا وهذا مسبّب عنهذا و (الجواد) الفرس السابق الجيد و (هن) بالتخفيف كأخ كناية عن كل اسم جنس كما في مصباح اللغة للفيومي أوعما يستقبح ذكره ولامها محذوفة ففي لغة هي‌ها فيصغّرعلي هنيهة

و منه يقال مكث هنيهة أى ساعة لطيفة ، و في لغة هي واو فيصغّر في المؤنّث على هنية و الهمز خطاء إذلاوجه له و جمعها هنوات و ربما جمعت على هنات مثل عدات هكذا في المصباح وضبطه الفيروز آبادى بفتح الهاء وهكذا فيما رأيته من نسخ النهج

و (طوبى) وزان فعلى اسم من الطيب والواو منقلبة عن ياء وقيل اسم شجرة في الجنّة كما سنشير إليه في بيان معناه.

الاعراب

قوله : و إيّاكم وتهزيع الأخلاق، انتصاب تهزيع على التحذير قال الشارح المعتزلي :وحقيقته تقدير فعل و صورته جنّبوا أنفسكم تهزيع الأخلاق فايّاكم قائم مقام أنفسكم، و الواو عوض عن الفعل المقدّر وقد جاء بغيرو اوفي قول الشاعر :

إيّاك أن ترضى صحابة ناقص فتنحط قدراً من علاك و تحقرا

قوله : عاماً أوّل بدون تنوين لأنّه غير منصرف للوصفيّة و وزن الفعل فانّ الصحيح أنّ أصله أو ء ل على وزن أفعل مهموز الوسط فقلبت الهمزة الثّانية واواً وادغمت .

قال الجوهرىّ ويدلّ على ذلك قولهم : هذا أوّل منك ، والجمع الأوائل والاوالى أيضاً على القلب ، قال الشهيد في تمهيد القواعد : وله استعمالان أحدهما أن يكون اسماً فيكون مصروفاومنه قولهم ماله أوّل ولا آخر ، قال في الارتشاف:وفي محفوظى أنّ هذا يؤنث بالتاء و يصرف أيضاً فيقال أولة و آخرة بالتنوين ، والثاني أن يكون صفة أى أفعل التفضيل بمعنى الأسبق فيعطى حكم غيره من صيغ أفعل التفضيل كمنع الصرف وعدم تأنيثه بالتاء ودخول من عليه .

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام لماختم الفصل السّابق بالأمر بالاستقامة والنهى عن المروق و الخروج عن جادّة الشريعة أردفه بالتحذير عن تهزيع الأخلاق الملازم للنّفاق

فقال :

(ثمّ إيّاكم وتهزيع الأخلاق) وتفريقها (وتصريفها) وتقليبها ونقلها من حال إلى حال كما هو شأن المنافق ، فانّه لايبقى على خلق ولا يستمرّ على حالة واحدة بل قد يكون صادقا و قد يكون كاذبا ، و تارة و فيّا وأُخرى غادراً ، و مع الظالمين ظالما ومع العدول عادلا .

روى في الكافي عن محمّد بن الفضيل قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن مسألة ،فكتب إليّ إنّ المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم وإذاقاموا إلى الصّلاة قاموا كسالى يرآؤن النّاس و لا يذكرون الله إلاّ قليلامذبذبين بين ذلك لاإلى هؤلاء و لاإلى هؤلاء و من يضلل الله فلم تجد له سبيلا ،ليسوا من الكافرين وليسوا من المؤمنين وليسوا من المسلمين يظهرون الايمان ويصيرون إلى الكفر والتكذيب لعنهم الله .

و لما حذّر عن تصريف الأخلاق والنّفاق أمر بقوله (و اجعلوا اللّسان واحداً) على اتّحاد اللّسان اذ تعدّد اللّسان من وصف المنافق يقول في السرّ غير ما يقوله في العلانية ،وفي الغياب خلاف مايقوله في الحضور، ويتكلّم مع هذا غير مايتكلّم مع ذلك.

روى في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال : بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطرى أخاه شاهداً ويأكله غايباً ، إن أُعطى حسده وإن ابتلى خذله .

و فيه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن عليّ بن أسباط عن عبدالرّحمان بن حمّاد رفعه قال : قال الله تبارك و تعالى لعيسى عليه السلام : يا عيسى ليكن لسانك في السرّ و العلانية لسانا واحداً وكذلك قلبك إنّي أُحذرك نفسك و كفى بي خبيراً لا يصلح لسانان في فم واحد ولا سيفان في غمد واحد ولا قلبان في صدر واحد وكذلك الأذهان .

قال بعض شرّاح الكافي : أمره الله تعالى بثلاث خصال هي أُمّهات جميع الخصال الفاضلة والأعمال الصالحة :

الأوّل أن يكون لسانه في جميع الأحوال واحداً يقول الحقّ و يتكلّم به فلا يقول في السّرخلاف مايقول في العلانية كما هوشأن الجهال ، لأنّ ذلك خدعة

ونفاق وحيلة وتفريق بين العباد وإغراء بينهم .

الثاني أن يكون قلبه واحداً قابلا للحقّ وحده غير متلوّث بالحيل ولا متلوّث بالمكر والختل ، فانّ ذلك يميت القلب ويبعده من الحقّ ويورثه أمراضاً مهلكة .

الثالث أن يكون ذهنه واحداً وهو الذكاء والفطنة ، ولعلّ المراد به هنا الفكر في الأمور الحقّة النافعة ومباديها ، وبوحدته خلوصه عن الفكر في الباطل والشرور و تحسين مباديها و كيفيّة الوصول إليها ، و بالجملة أمره أن يكون لسانه واحدا وقلبه واحداً وذهنه واحداً ومطلبه واحداً هذا .

ولما أمرهم بجعل لسانهم واحداً أردفه بالأمر بحفظه وحرزه فقال (وليختزن الرّجل لسانه) أى ليلازم الصّمت (فانّ هذا اللّسان جموح بصاحبه) يقحمه في المعاطب والمهالك، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن كان في شيء الشوم ففى اللّسان ، وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله : نجاة المؤمن من حفظ لسانه رواهما في الكافي عنه صلى الله عليه وآله ، وقد تقدّم في شرح كلماته السابعة والسّبعين فصل واف في فوائد الصّمت وآفات اللّسان وأوردنا بعض ما ورد فيه من الأخبار وأقول هنا :

روى في الكافي عن ابن القداح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال لقمان لابنه : يا بنيّ إن كنت زعمت أنّ الكلام من فضّة فانّ السكوت من ذهب .

و عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر قال : قال أبوالحسن عليه السلام : من علامات الفقه العلم والحلم والصّمت إنّ الصّمت باب من أبواب الحكمة إنّ الصّمت يكسب المحبّة إنّه دليل على كلّ خير .

وعن أبي بصير قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: كان أبوذر يقول : يا مبتغى العلم إنّ هذا اللّسان مفتاح خير و مفتاح شرّ فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك و ورقك .

وعن عليّ بن حسن بن رباط عن بعض رجاله عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لايزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكتا فاذا تكلّم كتب محسنا أومسيئا .

فقد علم بذلك كلّه أنّ سلامة الانسان في حفظ اللّسان وأنّ نجاته من و بال

الدّنيا ونكال الآخرة في الامساك عن فضول الكلام ، وإليه أشار بقوله (والله ماأرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتّى يختزن لسانه) فانّ التقوى النافع هو ما يحفظه من غضب الجبّار و ينجيه من عذاب النّار ، و لا يحصّل ذلك إلاّ بالاتّقاء من جميع المحرّمات والموبقات الموقعة في الجحيم والسخط العظيم ، والكذب والغيبة والهجاء و السّعاية و النّميمة والقذف و السّب ونحوها من حصائد الألسنة من أعظم تلك الموبقات ، فلابدّ من الاتّقاء منها واختزان اللّسان عنها .

ولما أمر باختزان اللسان ونبّه على توقّف التقوى النّافع عليه أردفه بالتنبيه على أنّ اختزانه من فضول الكلام وسقطات الألفاظ من خواصّ المؤمن وعدم اختزانه من أوصاف المنافق وذلك قوله : (وانّ لسان المؤمن من وراء قلبه) يعني أنّ لسانه تابع لقلبه (وانّ قلب المنافق من وراء لسانه) يعني قلبه تابع للسانه .

بيان ذلك ما أشار بقوله (لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبّره في نفسه) وتفكّر في عاقبته (فان كان خيراً) ورشداً تكلّم به أى أظهره و (أبداه وان كان شرّاً) وغيّاً اختزن لسانه عنه أى (واراه)وأخفاه فكان لسانه تابع قلبه حيث انه نطق به بعد حكم العقل و إجازتـه (و انّ المنافق) يسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره و (يتكلّم) من دون فكر ورويّة (بماأتى على اسانه لايدرى ماذا له وماذا عليه) فكان قلبه تابع لسانه لأنه بادر إلى التكلّم من غير ملاحظة ثمّ رجع إلى قلبه فعرف أنّ ماتكلّم به مضرّة له .

ثمّ استشهد بالحديث النبوى ﷺ على أنّ استقامة الايمان إنّما هو باستقامه اللسان على الحقّ وخزنه عن الباطل وهو قوله (ولقد قال رسول الله ﷺ لايستقيم ايمان عبد حتّى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه) ظاهر هذا الحديث يفيد ترتّب استقامة الايمان على استقامة القلب وترتّب استقامة القلب على استقامة اللّسان .

أمّا ترتّب الأوّل على الثّاني فلا غبار عليه ، لأنّ الايمان حسبما عرفت في شرح الخطبة المأة والتاسعة عبارة عن الاعتراف باللّسان والاذعان بالجنان فاستقامة

القلب جزء من مفهومه وهو جهة الفرق بينه وبين الاسلام كما أنه لا غبار على ترتّبه على الثالث على قول من يجعل العمل بالأركان أيضا شطراً منه.

وأمّا ترتّب الثاني على الثالث فلا يخلو من اشكال واغلاق، لظهور أنّ اللّسان ترجمان القلب فاستقامته موقوفة على استقامته لا بالعكس، وبعد التنزّل عن ذلك فغاية الأمر تلازمهما وارتباط كلّ منهما بالآخر، وأمّا التوقّف فلا.

ووجه التلازم أنّ القلب لماكان رئيس الأعضاء والجوارح ومن جملتها اللّسان كان استقامته مستلزمة لاستقامتها وكذلك استقامتها مستلزمة لاستقامته لأنها لو لم تكن مستقيمة بأن صدر منه الذنب و الباطل يسرى عدم استقامتها أى فسادها إلى القلب فيفسد بفسادها.

ويدلّ على ذلك ما رواه في الكافي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: مامن عبد إلاّ وفي قلبه نكتة بيضاء فاذا أذنب ذنبا خرج في النكتة نكتة سوداء، فان تاب ذهب ذلك السواد، و إن تمادى في الذّنوب زاد ذلك السواد حتّى يغطى البياض، فاذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً و هو قول الله عزّ وجلّ «كلاّ بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون».

فانّ هذه الرّواية والآية المستشهد بها كما ترى مضافة إلى الروايات الاخر تدل على اسوداد لوح القلب بكثرة الذنوب الصّادرة من الجوارح، فيوجب عدم استقامتها لعدم استقامته واستقامتها لاستقامته.

لكنه يتوجّه عليه أنّ غاية ما يتحصّل من هذا التقرير أنّ عدم استقامتها سبب لعدم استقامته، و أمّا أنّ استقامتها سبب لاستقامته فلا فافهم جيّداً.

مع أنّ لقائل أن يقول: إنّ مرجع صدور الذّنب عنها الموجب لعدم استقامتها في الحقيقة إلى عدم استقامته لأنّ القلب إذا كان سالما مستقيما لا يعزم على معصية ولا يريدها، ومع عدم إرادتها لا يصدر ذنب عن الأعضاء حتّى يسرى ظلمته و رينه إلى القلب.

فقد علم من ذلك كلّه أنّ استقامة اللّسان كساير الأعضاء موقوفة على استقامة

القلب ومترتبة عليها لا بالعكس.

وبعد اللتيا والتي فالذي يخطر بالبال في حل الاشكال السابق أن معنى الحديث أنه لا يعرف استقامة ايمان عبد إلا بأن يعرف استقامة قلبه، و لا يعرف استقامة قلبه إلا باستقامة لسانه، فيستدل باستقامة اللسان على الحق أى بتنطقه على كلمة التوحيد والنبوة والولاية، وبامساكه عن الغيبة والنميمة والكذب وغيرها من هفوات اللسان على استقامة القلب أى على إذعانه بما ذكر وعلى خلوه عن الأمراض النفسانية ويستدل باستقامته على استقامة الايمان أى على أن العبد مؤمن كامل.

ويقرب هذا التوجيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما ذكر أن لسان المؤمن من وراء قلبه و أن قلب المنافق من وراء لسانه عقبه بهذا الحديث ليميز بين المؤمن والمنافق، ويحصل لك المعرفة بها حق المعرفة فيسهل عليك التشخيص إذا بينهما إذ تعرف بعد ذلك البيان أن مستقيم اللسان مؤمن وغير مستقيمه منافق.

قال الشارح الفقير الغريق في بحر الذنب و التقصير: إني قد أطلت فكرى و أتعبت نظري في توجيه معنى الحديث وأسهرت ليلتي هذه وهي الليلة الثالثة عشر من شهر الله المبارك في حل إشكاله حتى مضت من أول الليل ثماني ساعات و أثبت ما سنح بالخاطر وأدى إليه النظر القاصر، ثم تجلى بحمد الله سبحانه ومنته نور العرفان من ألطاف صاحب الولاية المطلقة على القلب القاسى فأسفر عنه الظلام واهتدى إلى وجه المرام فسنح بالبال توجيه وجيه هو أعذب وأحلى، ومعنى لطيف هو أمتن وأصفى وهو أن يقال:

إنه عليه السلام كنى باستقامة الايمان والقلب واللسان عن كمالها و أن مراده أن من أراد أن يكون ايمانه كاملا أى ايمانا نافعاً في العقبى لابد من أن يكمل قلبه أى يكون بريئاً سالما من الأمراض النفسانية، و من أراد كمال قلبه فلابد له من أن يكمل لسانه أى يكون محفوظا من العثرات مختزنا إلا عن خير، ففى الحقيقة الغرض من الحديث التنبيه و الارشاد إلى تكميل القلب و اللسان لتحصيل كمال الايمان.

و نظيره ما رواه عن الحلبي رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أمسك لسانك فانّها صدقة تصدق به على نفسك ثمّ قال : و لا يعرف عبد حقيقة الايمان حتّى يخزن من لسانه .

و على هذا التوجيه التأم أجزاء كلام الامام على أحسن ايتلاف و انسجام إذ يكون الحديث حينئذ أشدّ ارتباطا بسابقه ، لأنه عليه السلام لما أمر بأن يختزن الرجل لسانه وأكّده بأن خزن اللّسان من وظايف المؤمن لكون لسانه من وراء قلبه ، عقّبه بهذا الحديث تأييداً و تقوية واستشهاداً على ما أمر به من اختزان اللّسان و يكون مناسبته للاحقه أيضاً أكثر وهو قوله :

(فمن استطاع منكم أن يلقى الله سبحانه و هو نقيّ الراحة) و الكفّ (من دمآء المسلمين) أى سالما من قتلهم (وأموالهم سليم اللّسان من اعراضهم) أى متجنّبا من الغيبة والفحش والنميمة والهجاء ونحوها (فليفعل) لأنّ ذلك من شرايط الاسلام ولوازم الايمان فانّ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

قال الشارح البحراني و شرط ذلك أى الكفّ عن دماء المسلمين و أموالهم وأعراضهم بالاستطاعة لعسره و شدّته وإن كان واجب الترك على كلّ حال وأشدّها الكفّ عن الغيبة فانّه يكاد أن لا يستطاع انتهى .

أقول : الظاهر من قوله : وان كان واجب الترك على كلّ حال ، وجوب تركها حتّى مع عدم الاستطاعة وهو باطل ، أو الاستطاعة مساوق للقدرة وهى شرط في جميع التكاليف الشرعية قال الله تعالى « لا يكلّف الله نفسا إلاّ وسعها » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم .

ثمّ إنه عليه السلام نبّه على بطلان العمل بالرأى والمقاييس ونهى عن متابعة البدع فقال: (واعلموا عباد الله أنّ المؤمن يستحلّ العام ما استحلّ عاما أوّل ويحرّم العام ما حرّم عاما أوّل) يعني أنّ المؤمن إذا ثبت عنده سابقا حلّية شيء بالكتاب أو السنّة و حكم بحلّيته عن نصّ فيحكم بحلّيته الآن، ولا ينقض الحكم الثابت بالنّص برأيه واجتهاده وكذلك إذا ثبت عنده سابقا حرمة شيء بهما وحكم بحرمته عن دليل فيحكم بحرمته

الآن ، و لايخالف الحكم الثّابت و لا يتعدّى عنه بالرأي و القياس و هكذا ساير الأحكام الشرعية .

(وانّ ما أحدث الناس) من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

مثل ما صدر عن أبي بكر من طلب البيّنة من فاطمة سلام الله عليها في باب فدك مع كون البيّنة على المدّعي ، و غصب فدك عنها مع مخالفته لنصّ الكتاب والرّسول صلى الله عليه وآله .

و ما أحدثه عمر من صلاة التراويح ، ومن وضع الخراج على أرض السواد ، وازدياده أي أخذه الزيادة الجزية عما قرّرها رسول الله صلى الله عليه وآله .

و ما أبدعه عثمان من التفضيل في العطاء وإحداثه الأذان يوم الجمعة زايداً عمّا سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتقديمه الخطبتين في العيدين مع كون الصّلاة مقدّمة عليها في زمان الرسول صلى الله عليه وآله ، و إتمامه الصّلاة بمنى مع كونه مسافراً ، و إعطائه من بيت المال الصّدقة المقاتلة وغيرها ، وحمايته لحمى المسلمين مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعلهم شرعاً سواء في الماء والكلاء إلى غير هذه من البدعات الّتي أحدثوها في الدّين وفصّلها أصحابنا رضوان الله عليهم في ذيل مطاعنهم .

فانّ شيئاً من ذلك (لا يحلّ لكم شيئاً مما حرّم عليكم) و لا يحرّم شيئا عليكم مما أحلّ لكم ، يعني قول هؤلاء المبدعين المغيّرين للأحكام لا يوجب تغييرها في الواقع ، فلا يجوز الاعتماد على أقوالهم والاعتقاد بآرائهم ، و قد ذمّ الله اليهود و النّصارى بأنّهم اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، فالآخذون بقول هؤلاء المبدعين يكونون مثل اليهود والنّصارى .

روى في الوسائل عن تفسير العيّاشي عن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله « اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » قال عليه السلام أما أنّهم لم يتّخذوهم آلهة إلاّ أنّهم أحلّوا لهم حلالا فأخذوا به ، وحرّموا حراما فأخذوا به ، فكانوا أرباباً لهم من دون الله .

وعن حذيفة قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : اتّخذوا الآية ، فقال لم يكونوا

يعبدونهم ، ولكن كانوا إذا أحلّوا لهم شيئا استحلّوها ، وإذا حرّموا عليهم حرّموها .

وفي الكافي عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : اتّخذوا الآية ، فقال أما والله مادعوهم إلى عبادة أنفسهم ولودعوهم ما أجابوهم ، ولكن أحلّوا لهم حراما وحرّموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لايشعرون .

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم عند تفسير قوله تعالى « والشّعراء يتّبعهم الغاون» قال: قال أبوعبدالله عليه السلام :نزلت في الّذين غيّروا دين الله وخالفوا أمر الله ، هل رأيتم شاعراً قط تبعه أحد إنما عني بذلك الّذين وضعوا دينا بآرائهم فتبعهم النّاس على ذلك .

ويؤكّد ذلك قوله « ألم ترأنّهم في كلّ واد يهيمون » يعني يناظرون بالأباطيل و يجادلون بالحجج المضلّين و في كلّ مذهب يذهبون « و أنهم يقولون مالا يفعلون » قال عليه السلام يعظون النّاس ولا يتّعظون و ينهون عن المنكر و لا ينتهون ، و يأمرون بالمعروف و لا يعملون ، وهم الّذين قال الله فيهم : «ألم تر »فيهم«أنهم في كلّ واد يهيمون » أي في كلّ مذهب مذهبون « وأنّهم يقولون مالا يفعلون » وهم الّذين غصبوا آل محمّد حقّهم .

فظهر بذلك كلّه أنّ متابعة هؤلاء حرام ، و استحلالهم استحلال ما أحلّوه واستحرام ماحرّموه غيّ وضلال ، إذ ليس لهم أن يغيّروا الأحكام من تلقاء أنفسهم، ولا أن يبدّلوا الحلال بالحرام والحرام بالحلال .

كما أشار إليه بقوله (ولكن الحلال ما أحلّ الله والحرام ماحرّم الله) اللاّم في لفظي الحلال و الحرام للجنس فتفيد قصر المسند اليه في المسند كما تقدم تحقيقه في شرح الكلام المأة والرابع والأربعين عند شرح قوله عليه السلام : ان الأئمة من قريش ، و يحتمل أن تكون للعهد فتفيد الحصر أيضاً كما عرفته في شرح الخطبة المأة والثالثة و الخمسين عند شرح قوله عليه السلام : نحن الشعار و الأصحاب ، فيكون المعنى أنّ ماهية الحلال والحرام وحقيقتهما إذا الحلال المعهود الثابت من الشريعة أي الّذي يجوز تناوله والحرام المعهود الثابت منها أي الّذي لايجوز ارتكابه هو منحصر فيما أحلّه الله سبحانه و حرّمه و أفصح عن حلّيته و حرمته في كتابه الكريم ولسان نبيّه الحكيم ، فغير ذلك مما أحلّه الناس وحرّموه ليس حلالا ولا حراما إن حلال

محمد صلى الله عليه وآله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة .

كما يدل عليه ما رواه في الكافي عن زرارة قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الحلال والحرام فقال عليه السلام : حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام أبداً إلى يوم القيامة لايكون غيره ولا يجيء غيره .

وقال : قال علي عليه السلام : ما أحد يبدع بدعة إلا ترك بها سنة، هذا .

ولا يخفى عليك أن هذه الخطبة إن كان صدورها بعد قتل عثمان و البيعة له عليه السلام بالخلافة كما حكيناه سابقا عن بعض الشارحين ، فالأشبه على ذلك أن يكون قوله عليه السلام : وأن ما أحدث الناس إلى آخره توطئة وتمهيداً لماكان مكنونا في خاطره من تغيير البدعات المحدثات في أيام خلافة الثلاثة و إجراء الأحكام الشرعية على وجهها بعد استقرار أمرخلافته لو كان متمكنا منه حتى لايعترض عليه الناس ولا يطعنوا عليه ، كما بان عنه في بعض كلماته الآتية في الكتاب حيث قال : لوقداستوت قدماى من هذه المداحض لغيرت أشياء، ولكنه عليه السلام لم يتمكن من التغيير.

وقد روى في البحار من التهذيب عن علي بن الحسن بن فضال عن أحمد بن الحسن عن عمرو بن سعيد المدايني عن مصدق بن صدقة عن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن صلاة في رمضان في المساجد قال : لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن علي عليهما السلام أن ينادى في الناس لاصلاة (١) في شهر رمضان في المساجد جماعة ، فنادى في الناس الحسن بن علي عليه السلام بما أمره به أمير المؤمنين عليه السلام ، فلما سمع الناس مقالة الحسن بن علي عليهما السلام، صاحوا: واعمراه واعمراه فلما رجع الحسن إلى أمير المؤمنين عليهما السلام قال له : ماهذا الصوت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين الناس يصيحون واعمراه واعمراه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : قل لهم: صلوا ، هذا .

ولما بين انحصار الحلال والحرام فيما أحله الله سبحانه وحرمه أردفه بقوله (فقد جربتم الأمور وضرستموها) أى أحكمتموها بالتجربة والممارسة ، وظهر لكم جيدها من رديها و حقها من باطلها (و وعظتم بمن كان قبلكم) أى وعظكم الله

(١) نهى عن فعل نافلة رمضان جماعة كما ورد التصريح به في اخبار اخر (منه ره)

سبحانه في كتابه بالامم الماضية و بما جرى منه في حقّ المؤمنين منهم من الجزاء الجميل وماجرى في حقّ العاصين منهم من العذاب الوبيل (وضربت) في الفرقان الحكيم (الأمثال لكم) الكثيرة الموضحة للحقّ من الباطل والفارقة بينهما (ودعيتم إلى الأمر الواضح) أى إلى أمر الدّين والاسلام الّذي أوضحه كتاب الله وسنّة رسوله حقّ الوضوح ولم يبق عليه سترة ولاحجاب.

و المقصود من هذه الجملات تنبيه المخاطبين على أنهم بعد ماحصل لهم هذه الأمور أعنى تجربة الأمور وأحكامها والموعظة وضرب الأمثال الظاهرة والدّعوة إلى الأمر الواضح يحقّ لهم أن يعرفوا أحكام الشريعة حقّ المعرفة، و أن يميّزوا بين البدعات والسّنن إذ تلك الأمور معدّة لحصول المعرفة ولوضوح الفرق بين البدعة والسنّة وبين المجعولة و الحقيقة.

(فلا يصمّ عن ذلك) أى لا يغفل عن ما ذكر من الأمور أوعن الأمر الواضح الّذى دعوا إليه (إلاّ) من هو (أصمّ) أى الغافل البالغ في غفلته النهاية والتنوين للتفخيم والتعظيم كما في قوله تعالى: «وعلى أبصارهم غشاوة» أى غشاوة عظيمة وهكذا في قوله: (ولا يعمى عنه إلاّ أعمى) أى لا يضلّ عنه ولا يجهل به إلاّ من هو شديد الضلال والجهالة.

(ومن لم ينفعه الله بالبلاء) أى بما ابتلاه به من المكاره والمصائب (و) بـ(التجارب) المكتسبة من مزاولة الأمور ومقاساة الشدائد (لم ينتفع بشيء من العظة) لأنّ تأثير البلاء و التّجارب في النفس أشدّ و أقوى من تأثير النصح و الموعظة، لأنّ الموعظة احالة على الغايب، والبلية والتجربة مدركة بالحسّ فمن لا ينفعه الأقوى لا ينفعه الأضعف بالطريق الأولى (وأتاه النقص من أمامه) أى من بين يديه.

قال الشارح البحراني: لأنّ الكمالات الّتي يتوجّه إليها بوجه عقله تفوته لنقصان تجربته ووقوف عقله عنها فأشبه فوتها له مع طلبه لها إتيان النقص له من أمامه.

وقوله (حتّى يعرف ما أنكر وينكر ما عرف) إشارة إلى غاية نقصانه، وهي الاختلاط والحكم على غير بصيرة، فتارة يتخيّل فيما أنكره وجهله أنّه عارف بحقيقته، وتارة

ينكر ما كان يعرفه ويحكم بصحّته لخيال يطرء عليه .

قال الشارح المعتزلي : حتّى يتخيّل فيما أنكره أنّه قد عرفه وينكر ما قد كان عارفاً به وسمّى اعتقاد العرفان وتخيّله عرفانا على المجاز .

ثمّ فرّع على ما ذكر انقسام الناس إلى قسمين فقال عليه السلام (فانّ الناس رجلان متبع شرعة) أى متشرّع آخذ بشرايع الدّين ، وسالك لمنهاج الشرع المبين ، وهو العامل بكتاب الله سبحانه و سنّته و المقتبس من نورهما والمنتفع بما فيهما من النصايح والمواعظ والأمثال المضروبة ، وهو من الّذين قال الله فيهم « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون » .

(ومبتدع بدعة) وهو الّذي لم ينتفع بهما بل نبذ أحكامهما ورائه و اتّبع هويه وعمل بآرائه ومقايسه فأعمى الله قلبه عن معرفة الحقّ و أصمّه عن استماعه كما قال: صمّ بكم عمى فهم لا يرجعون (ليس معه من) عند (الله) سبحانه (برهان سنّة و لا ضياء حجّة) أى ليس له فيما أحدثه من البدعة دليل عليه من سنّة و لا حجّة بيّنة واضحة من الكتاب الكريم تنجيه لوضوحها وضيائها من ظلمة الجهل والضلال .

قال أبو شيبة الخراساني : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إنّ أصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزدهم المقاييس من الحقّ إلاّ بعداً وانّ دين الله لا يصاب بالعقول، رواه في الكافي.

وفيه أيضاً عن محمّد بن أبي عبدالله رفعه عن يونس بن عبدالرّحمان قال : قلت لأبي الحسن الأوّل عليه السلام : بما اُوحّد الله عزّ وجلّ ؟ فقال: يا يونس لا تكوننّ مبتدعاً من نظر برأيه هلك ، و من ترك أهل بيت نبيّه صلّى الله عليه وآله ضلّ ، و من ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر.

و لما ذكر أنّ أصحاب البدع ليس لهم دليل من سنّة يتمسّكون به و لا نور حجّة يستضيؤن به أردفه بذكر ممادح القرآن تنبيهاً على كونه البرهان الحقّ و النّور المضيء أحقّ بالاتباع و الاهتداء ، و أجدر أن يقتبس من أنواره و يتّعظ بمواعظه و نصايحه ، و على أنّ الراغبين عنه التابعين لأهوائهم و الآخذين بالآراء

والمقاييس تائهون في بوادى الجهالة ، هائمون في فيا في الضلالة فقال :

(وإنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن) لأنّ الغرض من جميع المواعظ المتضمّنة للوعد و الوعيد والترغيب والتهديد هو الجذب إلى طرف الحقّ والارشاد إلى حظيرة القدس ، والقرآن أبلغ منها كلّها في إفادة ذلك الغرض وأكمل في تحصيل ذلك المقصود (فانه حبل الله المتين) من تمسّك به نجا و من تركه فقد هوى ، و وصفه بالمتانة و الاحكام لأنه حبل ممدود من الأرض إلى السماء من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها (و سببه الأمين) و وصفه بالامانة لأنه لايخون المتوصّل به في ايصاله إلى حظاير القدس ومجالس الاُنس وقرب الحقّ (وفيه ربيع القلب) لأنّ القلوب تلتذّ و تنشط وترتاح بتلاوة آياته و تدبّر ما فيها من المحاسن و المزايا و تفكّر ما تضمّنته تلك الآيات من النكات البديعة واللطايف العجيبة ، كما أنّ النفوس تلتذّ بأزهار الربيع وأنواره .

(و) فيه (ينابيع العلم) استعارة بالكناية حيث شبّه العلم بالماء إذ به حياة الأرواح كما أنّ بالمآء حياة الأبدان ، و ذكر الينابيع تخييل ، وفي نسخة الشارح بدل ينابيع العلم: ينابيع العلوم و المقصود واحد ، وإنماكان ينابيع العلوم اذ جميع العلوم خارجة منه لتضمّنه علم ماكان وما هو كائن ومايكون كما قال عزّ من قائل : « ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين » .

(و ما للقلب جلاء غيره) إذ فيه منار الهدى و مصابيح الدّجى و التفكّر فيه يجلو القلوب من رين الشكوكات ويرتفع به عنها صدا الشبهات كما يجلو الصيقل المرآت .

فان قلت : لم جعل الجلاء مقصوراً فيه مع حصوله بغيره من العلوم الحقّة ؟

قلت : لما كان القرآن ينابيع جميع العلوم حسبما عرفت يؤل حصول الجلاء بها إلى الجلاء به في الحقيقة ، أو أنّ المراد نفى الكمال أى ليس للقلب جلاء كامل غيره .

و هذا الجواب أولى مما أجاب به الشارح البحراني من أنّ هذا الكلام صدر

عنه ﷺ ولم يكن في هذا الزمان علم مدوّن و لا استفادة للمسلمين إلاّ من القرآن الكريم ، فلم يكن إذا جلاء للقلب غيره .

وجه الأولويّة أنّ الأحاديث النبويّة كانت موجودة بأيديهم يومئذ والاستفادة منها كانت ممكنة لمن أرادها ، و أما غير المريد لها من الّذين على قلوبهم أقفالها فالقرآن والحديث بالنسبة إليهم أيضاً على حدّ سواء كما لايخفى .

(مع أنه قد ذهب المتذكّرون) بالقرآن المتدبّرون في معانيه المستضيئون بضيائه المقتبسون من أنواره (وبقي الناسون) له حقيقة (أوالمتناسون) المظهرون للنسيان لأغراض دنيويّة .

وارتباط هذا الكلام أعني قوله : مع أنه آه بماسبق أنه لما ذكر ممادح القرآن و أنه أبلغ المواعظ و أجلى للقلوب ، وكان الغرض منه حثّ المخاطبين و تحريصهم على اتّباعه و التذكّر به أتبعه بذلك أسفاً على الماضين و تقريعاً على الباقين بأنهم لايتذكّرون به ولا يتّبعونه ولا يتّعظون بمواعظه .

و محصّله إظهار اليأس من قبولهم للموعظة و استبعاد ذلك لما تفرّس منهم من فساد النيات ومتابعة الهوى والشهوات .

و يحتمل أن يكون توطئة و تمهيداً لما كان يريده من أمرهم باعانة الخير وتجنّب الشرّ ، يعني مع أنّ المتذكّرين وأولى البصاير قد مضوا ولم يبق إلاّ الغافلون الجاهلون وتأثير الموعظة فيهم صعب جداً ، مع ذلك أعظكم واذكّركم وإن لم تنفع الذكرى بقولي (فاذا رأيتم خيراً فأعينوا عليه وإذا رأيتم شرّاً فاذهبوا عنه) لفظ الخير والشرّ وإن كان مطلقاً شاملا باطلاقه لكلّ خير وشرّ ، إلاّ أنّ الأشبه أن يكون نظره فيهما إلى الخير والشرّ المخصوصين .

بأن يكون مراده من الخير الخير الّذي كان يريده في حقّهم وإن كان مكروها وكانوا لهم متنفّرين عنه بطبعهم من التسوية في العطاء و الحمل على جادّة الوسطى و مرّ الحقّ ، ويكون المراد باعانتهم عليه تسليمهم له في كلّ ما يأمر وينهى ورضاهم

بكلّ ما يفعل ويريد ، وسعيهم في مقاصده ومآربه .

وأن يكون مراده من الشرّ ماتفرّس منهم بل شاهده من قصدهم لنكث البيعة وثوران الفتنة ، ويكون المراد بالذهاب عنه الاعراض عنه والترك له .

و إنّما قلنا إنّ الأشبه ذلك لما حكيناه عن بعض الشراح من أنّ هذه الخطبة خطب بها في أوائل البيعة فقرينة الحال والمقام تشعر بما ذكرناه .

و كيف كان فلما أمر عليه السلام بما أمر أكّده بالحديث النبويّ صلى الله عليه وآله فقال (فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: يا ابن آدم اعمل الخير ودع الشرّ) أى اتركه (فاذا أنت جواد قاصد) يحتمل أن يكون المراد بالقاصد الراشد الغير المجاوز عن الحدّ في سيره بأن لايكون سريع السّير فيتعب بسرعته ، ولا بطيء السّير فيفوت الغرض ببطوئه ، وأن يكون المراد به السائر في قصد السّبيل أى غير الخارج عن الجادّة الوسطى، وتشبيه عامل الخير و تارك الشرّ به على الأوّل من أجل اتّصافه بالعدل في أُموره وبرائته من الافراط والتفريط، و على الثاني من أجل كون سلوكه على الجادّة الوسطى والصراط المستقيم الموصل به إلى نضرة النّعيم والفوز العظيم .

ثمّ نبّه على أقسام الظلم تلميحاً إلى مظلوميته عليه السلام وتنبيهاً على أنّ ظلامته لاتترك فقال (ألا وانّ الظلم ثلاثة فظلم لايغفر ، وظلم لايترك ، وظلم مغفور لايطلب، فأمّا الظلم الّذي لايغفر فالشّرك بالله) لما (قال الله سبحانه إنّ الله لا يغفر أن يشرك به) عدم الغفران بالشرك مشروط بعدم التوبة ، لأنّ الأمة أجمعت على أنّ الله يغفره بالتوبة وإن كان الغفران مع التوبة عند المعتزلة على وجه الوجوب وعندنا على وجه التفضّل والانعام كما يأتي التصريح بذلك عن مجمع البيان .

(وأمّا الظلم الّذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات) لعلّ المراد بذلك البعض الصغاير لأنّ الاجتناب عن الكباير يكون كفارة لها كما قال تعالى: « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم » .

وأمّا حمله على المغفرة بالتوبة أو الشفاعة ففيه انّ المغفرة بهما الاختصاص لها ببعض الهنات السّيئات بل جميع المعاصي تكون مغفورة بعد حصول التوبة والشفاعة

على أنّ حمله على صورة التوبة يوجب عدم الفرق بينه و بين القسم الأوّل لما عرفت هناك من الاجماع على غفران الشرك أيضاً بالتوبة كساير المعاصي صغيرة أو كبيرة فلا يكون على ذلك للتفكيك بين القسمين وجه .

و الحاصل أنّ الشرك وغيره مشتركان في الغفران بالتوبة وفي عدمه بعدمها إلاّ الصغاير فانّها تغفر مع عدمها أيضاً إذا حصل الاجتناب عن الكبايرهذا .

ولكن ظاهر قوله تعالى « إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشآء » هو غفران مادون الشرك مطلقاً صغيراً كان أو كبيراً ، بل صرّح به في بعض الأخبار .

و هو ما رواه في الصّافي من الكافي عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال : الكبائر فما سواها .

وفيه منه ومن الفقيه أنّه عليه السلام سئل هل تدخل الكباير في مشيّة الله ؟ قال: نعم ذاك إليه عزّ وجلّ إن شآء عذّب وإن شاء عفى عنها .

و في تفسير عليّ بن إبراهيم عند تفسيرهذه الآية قال : حدّثني أبي عن ابن أبي‌عمير عن هشام عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : قلت له : دخلت الكبائر في الاستثناء ؟ قال : نعم .

قال الطبرسيّ في مجمع البيان في تفسيرها : معناها أنّ الله لايغفرأن يشرك به أحد و لا يغفر ذنب المشرك لأحد ويغفر ما دون الشرك من الذّنوب لمن يريد

قال المحقّقون : هذه الآية أرجى آية في القرآن ، لأنّ فيه إدخال ما دون الشرك من جميع المعاصي في مشيّة الغفران وقف الله المؤمنين الموحّدين بهذه الآية بين الخوف و الرّجاء وبين العدل و الفضل ، وذلك صفة المؤمن ، ولذلك قال الصادق عليه السلام : لووزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا .

قال الطبرسيّ:ووجه الاستدلال بهذه على أنّ الله يغفرالذّنوب من غيرتوبة أنه نفى غفران الشرك و لم ينف غفرانه على كلّ حال بل نفى أن يغفر من غير توبة لأنّ الأمة اجتمعت على أنّ الله يغفره بالتوبة وإن كان الغفران عند المعتزلة على

وجه الوجوب وعندنا على وجه التفضّل ، وعلى هذا يجب أن يكون المراد بقوله: و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ، أنّه يغفر مادون الشرك من الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين .

ولا معنى لقول المعتزلة إنّ في حمل الآية على ظاهرها وإدخال مادون الشرك في المشيّة إغراء على المعصية ، لأنّ الاغراء إنّما يحصل بالقطع على الغفران فأمّا إذا كان الغفران معلّقاً بالمشيّة فلا إغراء فيه . بل يكون العبد به واقفاً بين الخوف والرجاء وبهذا وردت الأخبار الكثيرة من طريق الخاصّ والعامّ ، وانعقد عليه اجماع سلف أهل الاسلام .

و من قال في غفران ذنوب البعض دون البعض ميل ومحاباة ولا يجوز الميل والمحاباة على الله .

فجوابه أنّ الله متفضّل بالغفران وللمتفضّل أن يتفضّل على قوم دون قوم وانسان دون انسان ، وهو عادل في تعذيب من يعذّبه ، وليس يمنع العقل والشرع من الفضل و العدل .

و من قال منهم أنّ لفظة مادون ذلك وإن كانت عامة في الذنوب الّتي هى دون الشرك فانما نخصّها ونحملها على الصغائر أو ما يقع منه التوبة لأجل عموم ظاهر آيات الوعيد .

فجوابه إنا نعكس عليكم ذلك فنقول : بل خصّصوا ظواهر تلك الآيات لعموم هذه الآية وهذا أولى لما روى عن بعض أنّه قال إنّ هذه الآية استثناء على جميع القرآن يريد به والله أعلم جميع آيات الوعيد .

وأيضاً فان الصّغاير يرتفع عندكم محبطة ولا تجوز المؤاخذة بها ، و ما هذا حكمه فكيف تعلّق بالمشيّة فانّ أحداً لا يقول إني أفعل الواجب إن شئت وأردّ الوديعة إن شئت، انتهى .

وبما ذكرنا ظهر لك فساد ما توهّمه الشارح المعتزلي فانّه بعد ما ذكر أنّ الكبائر حكمها حكم الشرك عند أصحابه المعتزلة في عدم المغفرة اعترض على

نفسه بأنّ الآية صريحة في التفكيك بينها وبينه، وأجاب بما ملخّصه أنّ المراد من لفظ الغفران هو الستر في موقف القيامة والمراد أنّ الله لايستر في موقف القيامة من مات مشركا بل يفضحه على رؤوس الأشهاد، وأمّا من مات على كبيرة من أهل الاسلام فانّ الله يستره في الموقف و لا يفضحه بين الخلايق وإن كان من أهل النار، و قد يكون من أهل الكبائر ممّن يقرّ بالذّنوب من تعظم كبائره جدّاً فيفضحه الله في الموقف كما يفضح المشرك، فهذا معنى قوله: « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » انتهى.

وجه الفساد أنّ الغفر و إن كان في اللّغة بمعنى الستر و التغطية إلاّ أنّه في الآيات والأخبار حيثما يطلق يراد به التجاوز عن الخطايا والعفو عن الذنوب والستر عليها، فحمله على الستر المخصوص بالموقف خلاف ظاهر الاطلاق، و الأصل عدم التقييد فلا داعي إلى المصير إليه.

و أقول على رغم المعتزلة أنهم لتمسّكهم بحجزة خلفائهم الضّالين المضلّين و انحرافهم عن أولياء الذّين أساؤوا ظنّهم بالله ربّ العالمين و حكموا في مرتكبي الكباير من المسلمين بكونهم في النار معذّبين كالكفّار والمشركين، والله سبحانه مجازيهم على نيّاتهم وعقيدتهم وحاشرهم يوم القيامة مع من يتولّونه ثمّ يردّهم إلى أسفل السافلين من الجحيم مخلّدين فيها ولاهم عنها يخرجون.

وأمّا نحن فلاعتصامنا بالعروة الوثقى والحبل المتين أعني ولاية أمير المؤمنين وولاية آله المعصومين نحسن ظنّنا بالله و نرجو غفرانه و عفوه و الحشر مع أوليائنا وإن كنا في بحار الذّنوب مغرقين، ولانظنّ في حقّ ربّنا الغفور الرّحيم انّه يسمع في النار صوت عبد مسلم سجن فيها بمخالفته وذاق طعم عذابها بمعصيته وحبس بين أطباقها بجرمه وجريرته وهو يضجّ إليه ضجيج مؤمّل لرحمته ويناديه بلسان أهل توحيده ويتوسّل إليه بربوبيّته، فكيف يبقى في العذاب وهو يرجو ماسلف من حلمه ورأفته، أم كيف تؤلمه النّار وهو يأمل فضله ورحمته، أم كيف يحرقه لهبها وهو يسمع صوته ويرى مكانه، أم كيف يشتمل عليه زفيرها وهو يعلم ضعفه أم كيف يتغلغل بين أطباقها وهو يعلم صدقه، أم كيف تزجره زبانيتها وهو يناديه يا ربّه، أم كيف يرجو فضله في

عتقه منها فيتركه فيها هيهات ماهكذا الظنّ به ولا المعروف من فضله ، ولا مشبه لما عامل به الموحّدين من برّه وإحسانه ، فباليقين نقطع لولا ماحكم به من تعذيب جاحديه وقضى به من إخلاد معانديه لجعل النار كلّها برداً وسلاماً وما كان لأحد من شيعة أمير المؤمنين ومحبّيه مقرّاً ولا مقاماً (١) .

و لقد روى في الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : و لقد سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : او أنّ المؤمن خرج من الدّنيا وعليه مثل ذنوب أهل الأرض لكان الموت كفّارة لتلك الذّنوب ثمّ قال عليه السلام : ومن قال لا إله إلاّ الله باخلاص فهو برىء من الشرك ، ومن خرج من الدّنيا لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنّة ثمّ تلى صلى الله عليه وآله هذه الآية : « إنّ الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء » من شيعتك ومحبّيك ياعلي قال أمير المؤمنين عليه السلام : فقلت : يارسول الله هذا لشيعتي؟ قال صلى الله عليه وآله : اى وربّي هذا لشيعتك ، هذا .

(وأمّا الظلم الّذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً) فقد روى في الكافي عن شيخ عن النخعي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام إني لم أزل والياً منذ زمن الحجّاج إلى يومي هذا فهل لي من توبة ؟ قال : فسكت ثمّ أعدت عليه فقال : لا حتّى تؤدّى إلى كلّ ذى حقّ حقّه .

وعن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من ظلم مظلمة اُخذ بها في نفسه أو في ماله أوفي ولده .

و عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : ما انتصر الله من ظالم إلاّ بظالم وذلك قول الله عزّ وجلّ « و كذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً » .

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام عن رسول الله وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آلهما : من خاف القصاص كفّ عن ظلم الناس .

(فـ)ـان (القصاص هناك) أى في الآخرة مضافا إلى قصاص الدّنيا (شديد) ، ويوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم ، لأنّ يوم الظالم الدّنيا فقط ،

(١) هذه الفقرات اقتباس من دعاء كميل رضى الله عنه (منه ره)

ويوم المظلوم الدّنيا والآخرة والمنتقم هو الله سبحانه و (ليس هو) أي قصاصه وانتقامه (جرحا بالمدى) و السّكاكين (ولا ضربا بالسّياط) و العصا و نحو ذلك من مولمات الدّنيا (ولكنّه ما يستصغر ذلك معه) هو نار الجحيم و العذاب الأليم والخزي العظيم.

قال الشارح : قد أشرت سابقا إلى أنّ في ذكره أقسام الظلم ومايترتّب عليها من العقوبات تلميحاً إلى مظلوميّته عليه السلام و تنبيهاً على أنّ الظلم الذي وقع في حقّه ليس بحيث يترك ويرفع اليد عنه ، بل يقتصّ من ظالميه البتّة وينتقم بمقتضى العدل والله عزيز ذو انتقام ، وحيث إنّ ظلامة آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أعظم ما وقع في الأرض من المظالم حيث غصبوا خلافتهم وأحرقوا باب بيتهم وأسقطوا محسنهم وقتلوا أمير المؤمنين و ابنيه الحسن و الحسين عليهم السلام بالسمّ و سيف العدوان وأداروا رأسه و رأس أصحابه على الرماح والسنان ، وشهروا نساءه وبناته في الأصقاع والبلدان إلى غير ذلك من الظلم والطغيان الّذي يعجز عن تقريره اللّسان ويضيق عنه البيان ، فلابدّ أن يكون قصاص ظلاماتهم أشدّ وعقوبة ظالميهم أعظم وأخزى وأحببت أن اُورد بعض ماورد فيه من الأخبار باقتضاء المقام.

فاقول : روى في البحار من كتاب الاحتجاج عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في يوم بيعة أبي بكر : لست بقائل غير شيء واحداً ذكّركم بالله أيّها الأربعة ـ يعنيني و الزبير وأباذر و المقداد ـ أسمعتم رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : إنّ تابوتا من النار فيه اثنى عشر رجلا ، ستّة من الأوّلين وستّة من الآخرين في جبّ في قعر جهنّم في تابوت مقفل على ذلك الجبّ صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنّم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجبّ فاستعاذت جهنّم من وهيج ذلك الجبّ.

فسألناه عنهم وأنتم شهود ، فقال النبي صلّى الله عليه وآله :

أمّا الأوّلين فابن آدم عليه السلام الّذي قتل أخاه ، وفرعون الفراعنة ، والّذي حاجّ إبراهيم في ربّه ، ورجلان من بني اسرائيل بدّلا كتابهما وغيّرا سنّتهما أمّا أحدهما

فهوّد اليهود والآخر نصّر النصارى وإبليس سادسهم والدّجال في الآخرين .

و هؤلاء الخمسة أصحاب الصّحيفة الّذين تعاهدوا و تعاقدوا على عداوتك يا أخي والتظاهر عليك بعدي هذا و هذا حتّى عدّهم وسمّاهم ، فقال سلمان : فقلنا صدقت نشهد أنّا سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله .

و **في تفسير** عليّ بن إبراهيم عن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى « قل أعوذ بربّ الفلق » قال عليه السلام : الفلق جبّ في جهنّم يتعوّذ أهل النّار من شدّة حرّه سأل الله أن يأذن له فيتنفّس فأذن له فتنفّس فأحرق جهنّم ، فقال عليه السلام : وفي ذلك الجبّ صندوق من نار يتعوّذ منه أهل الجبّ من حرّ ذلك الصّندوق وهو التابوت وفي ذلك ستّة من الأوّلين وستّة من الآخرين .

فأمّا السّتة الّتي من الأوّلين فابن آدم الّذي قتل أخاه ، ونمرود إبراهيم الّذي ألقى إبراهيم في النار ، و فرعون موسى ، والسامري الّذي اتّخذ العجل ، و الّذي هوّد اليهود ، و الّذي نصّر النصارى .

وأمّا السّتة من الآخرين فهو الأوّل ، والثاني ، والثالث ، والرابع ، و صاحب الجوارح ، و ابن ملجم « ومن شرّ غاسق إذا وقب » قال عليه السلام : الّذي يلقى الجبّ يقب فيه .

وفي البحار من الخصال وعقاب الأعمال عن إسحاق بن عمّار عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال لي يا اسحاق إنّ في النّار لوادياً يقال له سقر لم يتنفّس منذ خلق الله لو أذن الله عزّ وجلّ له في التنفس بقدر مخيط حرق ما على وجه الأرض ، وإنّ أهل النار ليتعوّذون من حرّ ذلك الوادي ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله ، وانّ في ذلك الوادي جبلا يتعوّذ جميع أهل ذلك الجبل من حرّ ذلك الشعب ونتنه وقذره و ما أعدّ الله فيه لأهله ، وانّ في ذلك الشعب لقليباً يتعوّذ جميع أهل ذلك الشعب من حرّ ذلك القليب و نتنه وقذره و ما أعدّ الله فيه لأهله ، وانّ في ذلك القليب لحيّة يتعوّذ أهل ذلك القليب من خبث تلك الحيّة ونتنها وقذرها وما أعدّ الله في أنيابها من السمّ للذعها ، وانّ في جوف تلك الحيّة سبعة صناديق فيها خمسة من الأمم السالفة و اثنان

من هذه الأمة .

قال : قلت : جعلت فداك ومن الخمسة ؟ ومن الاثنان ؟

قال : فأمّا الخمسة فقابيل الّذي قتل هابيل ، ونمرود الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه وقال أنا اُحيي و اُميت ، وفرعون الّذي قال أنا ربّكم الأعلى ، ويهود الّذي هوّد اليهود ، وبولس الّذي نصّر النصارى ، ومن هذه الاُمة: الأعرابيّان .

أقول : الأعرابيّان : الأوّل والثّاني اللّذان لم يؤمنا بالله طرفة عين .

وفيه من عقاب الأعمال عن حنّان بن سدير قال : حدّثني رجل من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول إنّ أشدّ الناس عذابا يوم القيامة لسبعة نفر أوّلهم ابن آدم الّذي قتل أخاه ، ونمرود الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه ، واثنان في بني اسرائيل هوّدا قومهما ونصّراهما ، وفرعون الّذي قال أنا ربكم الأعلى ، واثنان في هذه الاُمة أحدهما شرّهما في تابوت من قوارير تحت الفلق في بحار من نار .

وفيه من كتاب الاختصاص عن يحيى بن محمّد الفارسي عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه و آله قال : خرجت ذات يوم إلى ظهر الكوفة و بين يديّ قنبر فقلت يا قنبر ترى ما أرى ؟ فقال : قد ضوء الله لك يا أمير المؤمنين عمّا عمى عنه بصرى ، فقلت : يا أصحابنا ترون ما أرى ؟ فقالوا : لا قد ضوء الله لك يا أمير المؤمنين عمّا عمى عنه أبصارنا فقلت و الّذي فلق الحبّة وبرىء النسمة لترونه كما أراه ولتسمعنّ كلامه كما أسمع .

فما لبثنا أن طلع شيخ عظيم الهامة له عينان بالطول فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقلت : من أين أقبلت يالعين ؟ قال : من الآثام ، فقلت : و أين تريد ؟ فقال : الآثام ، فقلت . بئس الشيخ أنت ، فقال : تقول : هذا يا أمير المؤمنين فوالله لاُحدّثنك بحديث عنّي عن الله عزّ وجلّ مابيننا ثالث ، فقلت عنك عن الله عزّ وجلّ مابينكما ثالث ؟ قال : نعم .

قال : انّه لما هبطت بخطيئتي إلى السماء الرابعة ناديت إلهي و سيّدى ما أحسبك خلقت من هو أشقى منّي ، فأوحى الله تبارك و تعالى بلى قد خلقت من هو

أشقى منك فانطلق إلى مالك يريكه ، فانطلقت إلى مالك فقلت : السّلام يقرئك السّلام و يقول : أرني من هو أشقى منّي ، فانطلق بي مالك إلى النّار فرفع الطبق الأعلى فخرجت نار سوداء ظننت أنها قد أكلتني و أكلت مالكا ، فقال لها : اهدئي ، فهدأت ، ثمّ انطلق بي إلى الطبق الثاني فخرجت نار هي أشدّ من تلك سواداً وأشدّ حمى فقال لها : أخمدي ، فخمدت ، إلى أن انطلق بي إلى السابع وكلّ نار يخرج من طبق يخرج أشدّ من الأولى فخرجت نار ظننت أنها قد أكلتني وأكلت مالكا وجميع ماخلقه الله عزّ وجلّ فوضعت يدي على عيني وقلت : مرها يامالك أن تخمد وإلّا خمدت فقال : أنت لم تخمد إلى الوقت المعلوم ، فأمرها فخمدت ، فرأيت رجلين في أعناقهما سلاسل النّيران معلّقين بها إلى فوق وعلى رؤوسهما قوم معهم مقامع النيران يقمعونهما بها ، فقلت : يا مالك من هذان ؟ فقال : أو ما قرئت في ساق العرش و كنت قرأته قبل أن يخلق الله الدّنيا بألفي عام لاإله إلّا الله محمد رسول الله أيّدته ونصرته بعليّ ، فقال: هذان عدّوا ذلك وظالماهم .

ثمّ إنه حذّرهم عن التلوّن في الدّين فقال (فايّاكم و التلوّن في دين الله) تحذيرلهم عن عدم الثّبات على خلق واحد في أمر الدّين وعن التقلّب والتذبذب في أحكام الشرع المبين .

والظاهر أنه راجع الى جماعة بلغه عليه السلام من بعضهم توقّفهم في بيعته كعبدالله ابن عمر وسعد بن أبي وقاص وحسّان بن ثابت واسامة بن زيد وأضرابهم ، وعن بعضهم إرادة النكث والنقض للبيعة بعد توكيدها مثل طلحة والزبير وأتباعهما .

و مرجع هذا التحذير في الحقيقة إلى التحذير عن النّفاق ، لأنّ المنافق لا يستقيم على رأى واحد .

وقد ذمّ الله المنافقين على ذلك بقوله « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » و قال أيضاً « إنّ الّذين آمنوا ثمّ كفروا ثمّ آمنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشّر المنافقين بأنّ لهم عذاباً أليماً الّذين يتّخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين »

روى في الصّافي عن العياشي عن الصّادق عليه السلام في قوله : « إنّ الّذين آمنوا » قال هما والثالث والرابع وعبدالرحمان وطلحة وكانوا بسبعة الحديث .

وعن الصّادق عليه السلام نزلت في فلان وفلان وفلان آمنوا برسول الله صلّى الله عليه وآله في أوّل الأمر «ثمّ كفروا» حين عرضت عليهم الولاية حيث قال من كنت مولاه فعليّ مولاه «ثمّ آمنوا» بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قالوا له بأمر الله وأمر رسوله فبايعوه «ثمّ كفروا» حيث مضى رسول الله صلّى الله عليه وآله فلم يقرّوا بالبيعة «ثمّ ازدادوا كفراً» بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم فهؤلاء لم يبق من الايمان شيء و كيف .

فلما حذّرهم عن التلوّن الملازم للنفاق والتفرّق علّله بقوله (فانّ جماعة فيما تكرهون من الحقّ خير من فرقة فيما تحبّون من الباطل) يعني الاجتماع على الحقّ خير من الافتراق على الباطل و إن كان الأوّل مكروها لكم و الثاني محبوبا لديكم ، و لعلّ المراد أنّ اجتماعكم على بيعتي وثباتكم عليه خير لكم عاجلا و آجلا من افتراقكم عنها ابتغاء للفتنة وحبّاً لها .

وأكّد ذلك بقوله (وانّ الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً ممّا مضى و لا ممّا بقى) لفظة با في الموضعين إمّا بمعنى من ويؤيّده ما في أكثر النسخ من لفظة من بدلها فيكون المراد أنه لم يعط أحداً من السّلف و لا من الخلف خيراً بسبب الافتراق ، و إمّا بمعناها الأصلي فيكون المعنى أنّه تعالى لم يعط أحداً بسبب الافتراق خيراً من الدّنيا ولا من العقبى .

وذلك لأنّ الانسان مدنيّ بالطبع محتاج في اصلاح أمر معاشه ومعاده وانتظام اُولاه واُخراه إلى التعاون والاجتماع والايتلاف .

ولذلك قال عليه السلام في كلامه المأة و السابع والعشرين: والزموا السواد الأعظم فانّ يدالله على الجماعة وايا كم والفرقة فانّ الشاذّ من الناس للشيطان كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام عن عنقه هذا .

ولكثرة فوائدالاجتماع والايتلاف وعظم مايترتّب عليها من الثمرات الدّنيويّة حب مؤكّداً فعل الجمعة والجماعة والأخبارالواردة في الحثّ والترغيب عليهما فوق حدّ الاحصاء.

(أيّها النّاس طوبى لمن شغله عيبه) و محاسبة نفسه (عن عيب الناس) و غيبتهم روى في عقاب الأعمال عن الحسن بن زيد عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ أسرع الخير ثوابا البرّ و إنّ أسرع الشرّ عقاباً البغى، و كفى بالمرء عيباً أن ينظر من النّاس إلى مايعمى عينه من نفسه، ويعير الناس بما لايستطيع تركه ويؤذى جليسه بمالايعنيه.

قال الطريحي في قوله تعالى «طوبى لهم وحسن مآب» أى طيب العيش، وقيل طوبى الخير و أقصى الامنية، و قيل اسم للجنّة بلغة أهل الهند، و في الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنها شجرة في الجنّة أصلها في دارى و فرعها في دار عليّ عليه السلام فقيل له في ذلك فقال: داري و دار عليّ في الجنّة بمكان واحد، قال و في الحديث هي شجرة في الجنّة أصلها في دار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وليس مؤمن إلاّوفي داره غصن منها لا يخطر على قلبه شهوة إلاّ أتاه ذلك الغصن، و لو أنّ راكباً مجدّاً سار في ظلّها مأة عام ماخرج ولو طار من أسفلها غراب مابلغ أعلاها حتّى سقط هرماً.

(و طوبى لمن لزم بيته) قد مرّ الكلام مشبعاً في فوايد العزلة وثمراتها في شرح الفصل الثاني من الخطبة المأة والثانية.

فان قلت: أليس الاعتزال و ملازمة البيت ملازما للفرقة الّتي نهى عنها سابقا فكيف يجتمع النهي عن الفرقة مع الحثّ على العزلة المستفاد من هذه الجملة الخبريّة؟

قلت: لاتنافي بينهما، لأنّ النهى السابق محمول على الافتراق لاثارة الفتنة وطلب الباطل كما يشعر به كلامه السابق أيضا، وهذا محمول على الاعتزال لطلب الحقّ ومناجاة الرّب وتزكية النفس من رذائل الأخلاق.

كما يدلّ عليه قوله (و أكل قوته و اشتغل بطاعة ربّه و بكى على) سالف

(خطيئته) وموبق معصيته (فكان من نفسه في شغل والنّاس منه في راحة) أى يداً و لسانا .

روى في الكافي عن أبي البلاد رفعه قال. جاء أعرابيّ إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وهو يريد بعض غزواته فاخذ بغرز(١) راحلته فقال : يا رسول الله صلّى الله عليه وآله علّمني عملا أدخل به الجنّة ، فقال صلّى الله عليه وآله ما أحببت أن يأتيه النّاس إليك فأته إليهم ، وما كرهت أن يأتيه النّاس إليك فلا تأته إليهم ، خلّ سبيل الراحلة .

وفيه عن عثمان بن جبلة عن أبي جعفر عليه السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله ثلاث خصال من كنّ فيه أو واحدة منهنّ كان في ظلّ عرش الله يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه : رجل أعطى النّاس من نفسه ماهو سائلهم ، و رجل لم يقدم رجلا و لم يؤخّر رجلا حتى يعلم أنّ ذلك لله رضى ، ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتّى ينفى ذلك العيب عن نفسه فانّه لا ينفى منها عيبا إلاّ بداله عيب و كفى بالمرء شغلا بنفسه عن الناس

الترجمة

پس از آن حذر نمائيد از متفرّق ساختن خلقها و از بر گرداندن آنها وبگردانيد زبان را يك زبان ، وبايد كه حفظ نمايد مرد زبان خودرا از جهة اينكه اين زبان سر كش است بصاحب خود ، قسم بخدا نمي‌بينم بنده را پرهيز كند پرهيز كارى كه منفعت بخشد اورا تا اينكه نگه‌دارد زبانش را ، پس بدرستي كه زبان مؤمن از پشت قلب او است و بدرستي كه قلب منافق از پشت زبان او است ، بجهة اينكه اگر مؤمن بخواهد تكلّم بنمايد بسخني انديشه ميكند آن را درپيش نفس خود پس اگر خوب باشد آن سخن اظهار مينمايد آن را ، واگر بد باشد پنهان ميسازد اورا ، وبدرستيكه منافق تكلّم مينمايد بهرچه زبان اوميآيد و نميداند چه چيزى منفعت دارد باو وچه چيز ضرر دارد براو .

وبتحقيق فرموده است حضرت رسالتمآب صلوات الله وسلامه عليه وآله كه:

---

(١) الغرز بالفتح والسكون ركاب الراحلة من جلد واذا كان من خشب أوحديد فركاب « منه »

مستقيم نشود ایمان بنده مگر اینکه مستقیم شود قلب او ، ومستقیم نشود قلب او مگر اینکه مستقیم شود زبان او ، پس هر کس قدرت داشته باشد از شما باینکه ملاقات کند پروردگار خودرا درحالتیکه پاك باشد دست او ازخونهای مسلمانان ومالهای ایشان وسالم باشد زبان او از عرضهای ایشان پس باید که بکند آنرا .

وبدانید ای بندگان خدا که بدرستی مرد صاحب ایمان حلال میسازدامسال آن چیزیرا که حلال دانسته در سال گذشته و حرام میشمارد امسال چیزیرا که حرام شمرده در سال گذشته ، و بدرستی چیزیکه تازه احداث کرده است آن را مردمان حلال نمینماید از برای شما هیچ چیز از آنچه که حرام گردانیده شده است برشما،ولکن حلال منحصراست بآنچه که خدا حلال فرموده، وحرام منحصر است بآنچه که خدا حرام فرموده.

پس بتحقیق که تجربه کردهاید کارها را ، و محکم گردانیدهاید آنها را ، ونصیحت داده شدهاید با کسانی که بودهاند پیش ازشما ، وزده شده ازبرای شمامثلها، ودعوت شدهاید بسوی أمر روشن ، پس کر نمیشود در آن مگر کسی که زیاد کر باشد ، و کور نمیشود از آن مگر کسی که بغایت کور باشد ، وآنکسی که نفع نداد اورا خدای تعالی با امتحان وتجربها منتفع نشد بچیزی از موعظه وآمد اورا ضرر وتقصیر ازپیش او تا اینکه خیال میکند معرفت چیزیرا که انکار داشت اورا ، وانکار مینماید چیزیرا که معرفت داشت باو .

پس بدرستی که مردمان دومردند: یکی آنکه پیروی کننده است شریعت را ودیگری آنکه اختراع کننده است بدعت را درحالتی که نیست با او ازجانب خداوند دلیلی از سنّت ، ونه روشنی دلیلی .

وبدرستیکه خدای تعالی موعظه نفرموده هیچ أحدی را بمثل این قرآن ، پس بدرستیکه قرآن ریسمان محکم خداست وریسمانی است که ایمن است ، و در او است بهار قلبها وچشمهای علمها ، ونیست مر قلب را جلاء وصیقلی غیر آن با وجود

اینکه رفتند صاحبان تذکّر ، وباقي مانده‌است صاحبان نسیان وفراموشي یاخودرا بفراموشي زندگان ، پس چون ببینید چیز نیکوئی را پس اعانت نمائید براو ، وچون مشاهده کنید چیز بدی را پس کناره جوئي کنید از آن

پس بدرستي که حضرت رسالتمآب صلّی الله علیه وآله می‌فرمود که‌ای پسر آدم عمل کن خیررا و ترك کن شرّرا ، پس این هنگام تو میباشي پسندیده رفتار و پسندیده کردار .

آگاه باشید بدرستیکه ظلم سه قسم است : ظلمیست که آمرزیده نمیشود ، وظلمی است که ترك کرده نمیشود ، وظلمیست که آمرزیده خواهد شد .

پس أما ظلمی که بخشیده نخواهد شد پس عبارتست از شرك آوردن بخدا خداوند تعالی فرموده : بدرستیکه خدا نمی‌بخشد در اینکه شرك آورده‌باو ، و اما ظلمی که بخشیده خواهد شد پس آن ظلم کردن بنده است برنفس خود در بعض اعمال قبیحه و معاصي ، و أما ظلمیکه متروك نمی‌شود پس آن ظلم بندگان است بعضي بربعضي ، و دیگر قصاص ظالم درآخرت سخت و باشدّتست نه از قبیل زخم زدن است با کاردها ونه زدن با تازیانها ولیکن عذابیست که کوچك شمرده میشود این زخم وضرب درجنب او

پس بترسید از متلوّن شدن و دو رنگ بودن در دین خدای تعالی ، پس بدرستیکه اتفاق کردن درچیزیکه ناخوش میدارید ازأمرحق بهتراست از متفرّق گشتن درچیزیکه دوست میدارید ازأمر باطل ، وبدرستی که خدای تعالی عطا نکرد أحدی را بسبب افتراق واختلاف خیر ومنفعتي نه از گذشتگان ونه ازآیندگان .

ای مردمان خوشا مر آنکسیرا که مشغول سازد اورا عیب او از عیبهای مردمان،وخوشامرآنکسی‌را که‌ملازم‌بشودخانهٔ خود یعني منزوی شود و بخورد قوت حلال خود را ومشغول شود بطاعت پروردکار خود و گریه کند بگناهان خود ، پس باشد ازنفس خود درشغلیکه مشغول اوشود ومردمان ازاو در راحت.

و من كلام له عليه السلام فى معنى الحكمين و هو المأة و السادس و السبعون من المختار فى باب الخطب

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَإِكُمْ عَلى أَنِ اخْتارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخَذْنا عَلَيْهِما أَنْ يُجَعْجِعا عِنْدَ الْقُرْآنِ وَلا يُجاوِزاهُ، وَ تَكُونَ أَلْسِنَتُهُما مَعَهُ، وَ قُلُوبُهُما تَبَعَهُ، فَتاها عَنْهُ، وَ تَرَكَا الْحَقَّ وَ هُما يُبْصِرانِهِ، وَ كانَ الْجَوْرُ هَواهُما، وَالْإِعْوِجاجُ رَأْيَهُما، وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْناؤُنا عَلَيْهِما فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِما، وَجَوْرَ حُكْمِهِما، وَ الثِّقَةُ فِي أَيْدِينا لِأَنْفُسِنا حِينَ خالَفا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيا بِما لا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ.

اللغة

(الملاء) أشراف النّاس ورؤساهم ومقدّموهم الّذين يرجع إلى قولهم قال في محكىّ النهاية : في حديث عليّ عليه السلام أن (يجعجعا عند القرآن) أى يقيما عنده يقال : جعجع القوم إذا أناخوا بالجعجاع ، وهى الأرض والجعجاع أيضا الموضع الضيق الخشن و (التبع) محرّكة التابع يكون مفرداً وجمعا ويجمع على أتباع مثل سبب وأسباب.

الاعراب

سوء رأيهما بالنّصب مفعول استثنائنا أوسبق أيضا على سبيل التنازع والأوّل أظهر وقوله : في الحكم ، متعلّق بقوله : سبق.

المعنى

قال الشارح البحراني: هذا الفصل من خطبة خطبها لما بلغه أمر الحكمين.

أقول: والظاهر أنه ره توهّم من قول السيّد ره ومن كلام له في معنى الحكمين أنّه تكلّم بـه حين بلغه أمرهما، فان كان ظفر بتمام الخطبة واطلع على أنه خطبها حين بلوغ أمرهما فهو، و إلاّ فالظاهر أنّ هذا الكلام من فصول الاحتجاجات الّتي كانت له مع الخوارج وقد مرّ نظير هذا الكلام منه في ذيل الكلام المأة والسابع و العشرين.

وبالمراجعة إلى شرح الكلام المذكور وشرح الكلام المأة والخامس والعشرين المتضمّنين لاحتجاجاته معهم يظهر لك توضيح ما ذكره في هذا المقام وتعرف أنه ناظر إلى ردّ احتجاجهم الّذي احتجّوا به عليه وهو: أنك قد حكمت الرّجال في دين الله ولم يكن ذلك إليك ثمّ أنكرت حكمهما لما حكموا عليك.

فأجابهم عليه السلام بقوله (فأجمع رأى ملاءكم) أى عزم رؤساءكم و كبراءكم واتّفق آراءهم (على أن اختاروا رجلين) هما أبوموسى الأشعرى وعمروبن العاص لعنهما الله تعالى من غير رضى منّي بتحكيمهما بل على غاية كره منّي بذلك.

كما يدلّ قوله لابن الكوا في النهروان في الرّواية الّتي رويناها من كشف الغمّة في شرح الخطبة السادسة والثلاثين حيث إنّه لما اعترض عليه بأمر الحكمين قال عليه السلام له: ألم أقل لكم إنّ أهل الشام يخدعونكم بها (١) فانّ الحرب قدعضتهم فذرونى اُناجزهم فأبيتم ألم ارد نصب ابن عمّي - أى عبدالله بن العبّاس - و قلت انّه لاينخدع فأبيتم إلاّ أباموسى وقلتم رضينا به حكماً فأجبتكم كارها ولو وجدت في ذلك الوقت أعوانا غيركم لما أجبتكم.

(فأخذنا عليهما) أى على الرّجلين الحكمين (أن يجعجعا عندالقرآن) أى يقفادونه ويحبسا نفسهما عليه (ولايجاوزاه) أى لايتجاوزا عن أوامره ونواهيه (ويكون ألسنتهما معه وقلوبهما تبعه) أي يكونان تابعين له ويعملان بحكمه (فتاها) أى ضلاّ

(١) أى بالمصاحف ورفعها منه

(عنه وتركا الحقّ و هما يبصرانه) أي عدلا عن القرآن وعن حكمه الحقّ الّذي هوخلافته مع علمهما ومعرفتهما بحقيته كما عرفت تفصيل ذلك كلّه في شرح الخطبة الخامسة والثلاثين .

و الحاصل أنّهما تركا الحقّ عمداً عن علم لا عن جهل و لم يكن ذلك فتنة منهما بل كان بنائهما من أوّل الأمر على ذلك (وكان الجور) والحيف في الحكم (هواهما والاعوجاج) عن الحقّ والانحراف عن الدّين (رأيهما) وفي بعض النسخ دأبهما وهوأولى أى لم يكن ذلك أوّل حيفهما بل كان ديدناً وعادة لهما وشيمة طبعت عليها قلوبهما .

ثمّ أجابُ عمّا نقموا عليه من إنكاره التحكيم بعد رضاه به بقوله (وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحقّ سوء رأيهما وجور حكمهما) أراد به ماكان شرطه على الحكمين حين عزموا على التحكيم أن يحكما بما حكم القرآن وبما أنزل الله فيه من فاتحته إلى خاتمته وإلاّ فلا ينفذ حكمهما فيه وفي أصحابه ، فقد قدّم عليه السلام إليهما أن لايعملا برأيهما وهوا هما ولايحكما بشيء من تلقاء أنفسهم الأمّارة بالسوء .

(والثقة في أيدينا لأنفسنا) أى إنّا على برهان وثقة من اُمورنا وليس يلازم لنا اتباع حكمهما (حين خالفا سبيل الحقّ) وانحرفا عن سواء السبيل (وأتيا بما لا يعرف) أى لايصدق به (من معكوس الحكم) يعني أنهما نبذا كتاب الله وراء ظهورهم وخالفاه وحكما بعكس حكم الكتاب وقد استحقّا به اللّوم والعقاب يوم الحساب

الترجمة

ازجمله كلام فصاحت نظام آن امام عليه السلام است درذكر أمر حكمين كه خطاب فرموده بآن خوارج نهروان را درمقام اجتماع باايشان ميفرمايد :

پس متّفق شد رأى رؤساء وأشراف شما براينكه اختيار كردند دو مرد را كه

یکی أبوموسی أشعری بود و یکی عمرو بن عاص پس عهد و میثاق گرفتیم بر ایشان که وا ایستند و حبس کنند نفس خود را در نزد قرآن و تجاوز نکنند از آن و باشد زبان ایشان با آن قرآن و قلبهای‌شان تابع آن، پس هر دو گمراه شدند از قرآن و ترك کردند حق را و حال آنکه هر دو میدیدند حق را، و بود جور و ظلم آرزوی ایشان و کجی و اعوجاج رأی ایشان.

و بتحقیق که سابق شده بود استثنا کردن ما بر آن دو مرد در خصوص حکم کردن با عدالت و عمل کردن بحق بدی رأی ایشانرا و ستم کردن ایشان را در حکمی که مینمایند، یعني استثناء کرده بودیم که ایشان با رأی فاسد خود رفتار نکنند و با حکم جور حکم ننمایند، و وثوق و اعتماد در دست ما است از برای نفسهای خود ما در وقتیکه مخالفت راه حق کردند و آوردند چیزیرا که غیر معروف بود از حکمی که بعکس حکم قرآن بود و برخلاف شرط ما.

و من خطبة له عليه السلام و هی المأة والسابعة و السبعون من المختار فی باب الخطب

خطبها بعد قتل عثمان في أوّل خلافته كما في شرح المعتزلي والبحراني.

لاَ يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلاَ يُغَيِّرُهُ زَمانٌ، وَلاَ يَحْوِيهِ مَكانٌ، وَلاَ يَصِفُهُ لِسانٌ، لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ، وَلاَ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَلاَ سَوافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلاَ دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، وَلاَ مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، يَعْلَمُ مَساقِطَ الْأَوْرَاقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ، وَلاَ مَشْكُوكٍ فِيهِ،

وَلاَ مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلاَ مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ، شَهادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دُخْلَتُهُ، وَخَلُصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوازِينُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمُجْتَبى مِنْ خَلاَئِقِهِ، وَالْمُعْتامُ لِشَرْحِ حَقائِقِهِ، وَالْمُخْتَصُّ بِعَقائِلِ كَراماتِهِ، وَالْمُصْطَفى لِكَرائِمِ رِسالاَتِهِ، وَالْمُوضِحَةُ بِهِ أَشْراطُ الْهُدى، وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمى.

أَيُّها النّاسُ إِنَّ الدُّنْيا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَها، وَالْمُخْلِدَ إِلَيْها، وَلاَ تَنْفَسُ بِمَنْ نافَسَ فِيها، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْها.

وَأَيْمُ اللهِ ما كانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزالَ عَنْهُمْ إِلاَّ بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوها، لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ، وَلَوْ أَنَّ النّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ، فَزِعُوا إِلى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيّاتِهِمْ، وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فاسِدٍ، وَإِنِّي لَأَخْشى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ، وَقَدْ كانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيها مَيْلَةً كُنْتُمْ فِيها عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَداءُ، وَما عَلَيَّ إِلاَّ الْجَهْدُ، وَلَوْ أَشاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ: عَفَى اللهُ عَمّا سَلَفَ.

اللغة

(سفت) الريح التراب أي ذرته و(الدّخلة) بالكسر والضمّ باطن الشيء و(المعتام) بالتآء المثناة فاعل من اعتام أي إختار مأخوذ من العتمة وهو خيار المال و (الغربيب) وزان قنديل الأسود شديد السواد قال سبحانه : وغرابيب سود .

و(أخلد إلى الأرض) أي ركن إليها و اعتمد عليها (وما على إلاّ الجهد) في نسخة الشارح البحراني بفتح الجيم وضبطه الشارح المعتزلي بالضمّ وبهما قرء قوله سبحانه : والّذين لا يجدون إلاّ جهدهم ، قال الفيومى : الجهد بالضمّ في الحجاز وبالفتح في لغة غيرهم الوسع والطاقة ، وقيل : المضموم الطاقة والمفتوح المشقّة ، والجهد بالفتح لا غير الغاية والنهاية ، وهو مصدر من جهد في الأمر جهداً من باب نفع إذا طلب حتّى بلغ غايته في الطلب .

الاعراب

الظاهر تعلّق قوله في اللّيلة الظلماء بالدّبيب و المقيل على سبيل التنازع ، وغير معدول بنصب غير حال من الله ، وفي في قوله : في غضّ نعمة ، للظرفيّة المجازية ، والبآء في قوله : بصدق ، للمصاحبة ، وجملة عفى الله عما سلف وغايته لا محلّ لها من الاعراب وعلى ذلك فمقول قلت محذوف ، ويجوز أن يكون في محلّ النّصب مقولة للقول والثاني أظهر لاحتياج الأوّل إلى الحذف والأصل عدمه .

المعنى

اعلم أنّ مدار هذه الخطبة على فصول أربعة

أولها

تنزيه الله سبحانه وتمجيده بجملة من أوصاف الجلال وصفات الجمال وهو قوله (لا يشغله شأن) عن شأن أي أمر عن أمر لأنّ الشغل عن الشيء بشيء آخر إمّا لنقصان القدرة أو العلم وهو تعالى على كلّ شيء قدير و بكلّ شيء محيط ، فلا يشغله مقدور

عن مقدور و لا معلوم عن معلوم (و لا يغيّره زمان) لأنّه تعالى واجب الوجود والمتغيّر في ذاته أو صفاته لا يكون واجبا فلا يلحقه التغيّر و لأنه خالق الزّمان ولا زمان يلحقه فلا تغيّر يلحقه بتغيّره (ولايحويه مكان) اذلوكان محوياً يلزم أن يكون محدوداً و كلّ محدود جسم ، وقد عرفت في شرح الفصل الخامس من الخطبة الأولى وفي شرح الخطبة المأة والثانية والخمسين تحقيق الكلام في تنزّهه عن المكان وعن الحدود بما لامزيد عليه فليراجع المقامين .

وأقول هنامضافاً إلى ماسبق : إنّ المشبّهة قدتعلّقت بقوله سبحانه : الرّحمن على العرش استوى ، في أنّ معبودهم جالس على العرش و قد تقدّم في شرح الفصل الخامس من الخطبة الأولى تأويل هذه الآية وظهرلك فساد قولهم وبطلان تمسّكهم بها، وقد أقام المتكلّمون المتألهون أدلّة عقليّة ونقليّة على فساد مذهبهم وعلى استغنائه تعالى عن المكان لا بأس بالاشارة إلى جملة منها .

أحدها أنّه تعالى كان ولاعرش ولامكان ، ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان غنيّاً عنه فهوبالصّفة التي كان لم يزل عليها إلاّ أن يقال لم يزل مع الله شيء كالعرش وهوأيضاً باطل لأنه يلزم أن يخلوعن المكان عندارتحاله عن بعضها إلى بعض فيختلف نحووجوده بالحاجة إلى المكان والأستغناء عنه وهومحال .

ثانيها أنّ الجالس على العرش إما أن يكون متمكنا من الانتقال و الحركة عنه أم لا ، فعلى الأوّل يلزم ما ذكرنا من الاستغناء والاختلاف في نحو الوجود أعني التجرّد والتجسّم .

لا يقال : هذا منقوض بانتقال الانسان مثلا من مكان إلى مكان .

قلنا إنّه ينتقل على الاتّصال من مكان إلى مكان وهو فيما بينهما لم ينفكّ عن المكان وأمّا البارى جلّ ذكره فالمكان الّذي ينتقل إليه مخلوق له فلابدّ أن يخلقه أوّلا حتى يمكن انتقاله إليه فهو فيمابين مجرّد عن المكان وعلى الثاني يكون كالزّمن بل أسوء حالا منه ، فان الزّمن يتمكّن من الحركة على رأسه و معبودهم غير متمكّن

وثالثها أنّ الجالس على العرش لابدّ وأن يكون الجزء الحاصل منه في يمين

العرش غير الجزء الحاصل منه في شمال العرش فيكون مركباً مؤلفاً من الأجزاء المقدارية ومركباً من صورة زيادة ، و كلّ من كان كذلك يحتاج إلى مؤلّف ومركّب والحاجة من أوصاف الممكن ، هذا.

وهذه الأدلّة الثلاث كما يبطل كونه جالساً على العرش كذلك تبطل كونه محوياً للمكان أيّ مكان كان كما هو غير خفيّ على الفطن العارف فتدبّر .

(ولا يصفه لسان) أي لايقدر لسان على وصفه ومدحه لأنّ اللّسان إنّما هو ترجمان للقلب معبّر عن المعاني المخزونة فيه ، والقلب إذا كان عاجزاً عن البلوغ إلى وصفه وعن تعقّل صفاته فاللّسان أعجز وألكن .

بيان ذلك أنّ وصف الشيء و الثّناء عليه إنّما يتصوّر إذا كان مطابقاً لما هو عليه في نفس الأمر ، و ذلك غير ممكن إلاّ بتعقّل ذاتــه و كنهه ، لكن لا يمكن للعقول تعقّل ذاته سبحانه وتعقّل ماله من صفات الكمال ونعوت الجلال ، لأنّ ذلك التعقّل إمّا بحصول صورة مساوية لذاته تعالى وصفاته الحقيقيّة الذاتيّة أو بحضور حقيقته وشهود ذاته المقدّسة والأوّل محال إذ لامثل لذاته كما قال عزّ من قائل : ليس كمثله شيء ، لأنّ كلّ ماله مثل أو صورة مساوية له فهو ذو جهة كلّية وهو تعالى لا مهيّة له ، والثاني أيضاً كذلك إذ كلّ ماسواه من العقول والنفوس والذّوات والهويّات معلول له مقهور تحت جلاله و عظمته و كبريائه كانقهار عين الخفّاش تحت نور الشمس ، فلا يمكن للعقول لقصورها عن درجة الكمال الواجبي إدراك ذاته على وجه الاكتناه والاحاطة، بل كلّ عقل له مقام معلوم لايقدر على التعدّي عنه إلى مافوقه ، ولهذا قال جبرئيل الأمين لما تخلّف عن خير المرسلين ليلة المعراج: لو دنوت أنملة لاحترقت، فأنّى للعقول البشريّة الاطلاع على النعوت الالهيّة والصّفات الأحديّة على ما هي عليه من كمالها .

فالقول والكلام وإن كان في غاية الجودة والبلاغة واللّسان والبيان وإن كان في نهاية الحدّة والفصاحة يقف دون أدنى مراتب مدحه ، والمادحون وإن صرفوا جهدهم وبذلوا وسعهم وطاقتهم في وصفه والثناء عليه فهم بمراحل البعد عمّا هو ثناء عليه

بما هوأهله ومستحقه .

و لهذا قال سيّد النّبيّين وأكمل المادحين : لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

ثمّ وصفه باحاطة علمه سبحانه بجميع الجزئيّات وخفيّات ما في الكون ، وقد عرفت في شرح الفصل السابع من الخطبة الأولى عموم علمه تعالي بجميع الموجودات وعدد من ذلك هنا أشياء فقال (لايعزب عنه) أى لايغيب عن علمه (عدد قطر الماء) المنزل من السّماء و الراكد في متراكم البحار و الغدران و الآبار و الجارى في الجداول والأنهار (ولا) عدد (نجوم السّماء) من الثوابت والسّيار (ولا سوا في الرّيح في الهواء) أى التي تسفو التراب وتذروه .

وتخصيصها بالذكر من جهة أنها غالب أفرادها ، فلا دلالة فيها على اختصاص علمه بها فقط ، لأنّ الوصف الوارد مورد الغلبة ليس مفهومه حجّة كما صرّح بـه علماء الأصولية ومثله قوله تعالى : وربآئبكم اللاّتي في جحوركم ، ويمكن أن يكون غرضه الاشارة إلى أنه لايخفى عليه سبحانه السوا في مع ماتسفوه من التراب ، فانّ التراب الّذي تحمله الرّيح وتبثّه في الجوّ لايعلم مقداره وأجزائه وذراته إلاّ الله سبحانه العالم بكلّ شيء .

(ولا) يعزب عنه (دبيب النمل على الصفا ولا مقيل الذّر في الّليلة الظلماء) أى لايخفى حركة آحاد النمل على الصّخر الأملس في الّليلة المظلمة ، ولا محلّ قيلولة صغار النّمل فيها مع فرط اختفائهما عليه سبحانه بل علمه تعالى محيط بهما وبغيرهما من خفيّات الموجودات وخبياتها .

فان قلت : لم خصّص دبيب النمل بكونه على الصفا ؟

قيل : لعدم التأثّر بالدّبيب كالتراب إذ يمكن في التراب و نحوه أن يعلم الدّبيب بالأثر .

وفيه إنّ بقاء أثر الدّبيب في التراب مسلّم إلاّ أنّ حصول العلم به بذلك الأثر إمّا أن يكون في الّليل أوفي النهار ، والأوّل ممنوع لأنّ ظلمة الليل المظلم مانعة

عن مشاهدة الأثر كنفس المؤثر والصفا والتراب سيّان في اختفاء الدّبيب فيها على كلّ منهما ، والثاني مسلّم إلاّ أنّه إذا كان في النّهار فهو مشاهد لكلّ أحد ومعلوم بنفسه من دون حاجة إلى الاستدلال بالأثر من غير فرق أيضاً في ظهوره بين كونه على الصّفا وبين كونه على التراب .

إلاّ أن يقال : إنّه مع كونه في اللّيل على التراب يبقى أثره إلى النهار فيمكن حصول العلم به منه ، بخلاف ما إذا كان على الصّفا فلا يكون له أثر أصلا حتّى يبقى إلى النهار ويتحصّل منه العلم .

ولكن يتوجّه عليه إنّ ظاهر القضيّة أنّه لايخفى عليه دبيبه حين دبّه أعني في اللّيلة المظلمة ولامقيل الذرّ حين قيلولتها .

فان قلت: هذا مسلّم لوجعلنا قوله : في اللّيلة الظلماء قيداً لكلا الأمرين ، أمّا لوجعلناه قيداً للأخير فقط لارتفع الاشكال .

قلت:لابدّ من إرجاع القيد إليهما جميعاً إذ الدّبيب الحاصل في النهار مشاهد لكلّ أحد ومرئيّ معلوم ولا اختصاص لعدم اختفائه بالله سبحانه حتّى يتمدّح به .

والّذي يلوح للخاطر في سرّ التخصيص هو أنّ غالب أفراد الحيوان ومنها النمل إذا سارت بالليل على التراب لا يظهر صوت قوائمها وحوافرها للين التراب، فيختفى سيرها غالباً على الناس ، و أمّا إذا صارت على الصّفا فيطلع عليه النّاس لظهور صوت الحوافر والأقدام ، وأمّا النمل فلا يظهر دبيبه عليه أيضاً لخفّة جرمه وصغر جثّته ، فمدح الله سبحانه بأنّ النمل الّذى اختفى دبيبه على الصّفا على النّاس فضلا عن التراب لم يعزب عليه سبحانه دبيبه مع فرط خفائه فافهم جيّداً .

و كيف كان فقد ظهر من ذلك كلّه أى مما ذكره عليه السلام هنا و ما ذكرناه و ممّا قدمه وقدّمناه أنّه لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السّماوات ولا في الأرض و لا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين .

فانقدح منه أنه سبحانه (يعلم مساقط الأوراق) عدل عن نفى المعزوب إلى إثبات العلم على قاعدة اليقين وتصديق علمه بمساقط الأوراق مضافة إلى غيرها قوله

تعالى: وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلاّ هو ويعلم مافى البرّ والبحر وماتسقط من ورقة إلاّ يعلمها ولاحبّة فى ظلمات الأرض ولارطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين.

(و) هويدلّ أيضاً لعمومه على أنّه يعلم (خفى طرف الأحداق) وأراد بالطرف انطباق أحد الجفنين على الآخر أى يعلم ما خفى من ذلك على النّاس كما قال سبحانه: يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

الفصل الثانى

في الشهادة بالتوحيد و الرسالة وهو قوله (وأشهدان لاإله إلاّالله) مضى تحقيق الكلام فيه بما لامزيد عليه في شرح الفصل الثاني من الخطبة الثانية فليراجع ثمّة

و أكّد الشهادة بالوحدانيّة بقوله (غير معدول به) أى حال كونه سبحانه لم يجعل له مثل وعديل (ولا مشكوك فيه) أى في وجوده لمنافاة الشكّ فيه بالشهادة بوحدانيّته (و لا مكفور دينه) لملازمة التصديق بالوحدانيّة بالاعتراف بالدّين المنافي للجحود و يدلّ على التلازم مامرّ في الفصل الرابع من الخطبة الاُولى من قوله: أوّل الدّين معرفته و كمال معرفته التصديق به و كمال التصديق به توحيده (ولامجحود تكوينه) أى اتّحاده للموجودات و تكوينه لها لشهادتها جميعاً بوجود مبدعها ووحدانيّة بارئها.

و وصف شهادته بكونها مثل (شهادة من صدقت نيّته) أى صادرة عن صميم القلب وعن اعتقاد جازم (وصفت دخلته) أى موصوفة بصفاء الباطن وسلامتها من كدر الرّياء والنفاق (وخلص يقينه) من رين الشكوك والشبهات (وثقلت موازينه) إذ الشهادة إذا كان على وجه الكمال توجب ثقل ميزان الأعمال.

ويدلّ عليه صريحاً ما قدّمنا روايته في شرح الفصل الثاني من الخطبة الثانية من ثواب الأعمال عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: قال الله جلّ جلاله لموسى بن عمران: ياموسى لوأنّ السّماوات و عامريهنّ عندى و الأرضين السّبع في كفّة ولا إله إلاّ الله في كفّة مالت بهنّ لاإله إلاّ الله.

(وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله المجتبى) المصطفى (من خلائقه) وقد عرفت توضيحه في شرح الخطبة الثّالثة و التسعين (و المعتام لشرح حقايقه) أى المختار لشرح حقايق توحيده أى لا يضاح العلوم الالهيّة (و المختصّ بعقائل كراماته) النفيسة من الكمالات النفسانيّة و الأخلاق الكريمة الّتي اقتدر معها على هداية الأنام وتأسيس أساس الاسلام (والمصطفى لكرايم رسالاته) أى لرسالاته الكريمة الشريفة وجمعها باعتبار تعدّد أفراد الأوامر والأحكام النازلة عليه ، فانّ كلّ أمر أمر بتبليغه وأدائه رسالة مستقلّة وان كان باعتبار المجموع رسالة واحدة (والموضحة به أشراط الهدى) أى أعلام الهداية فقد أوضح بقوله وفعله وتقريره مايوجب هداية الأنام إلى النهج القويم والصراط المستقيم (والمجلوّ به غربيب العمى) أى المنكشف بنور نبوّته ظلمات الجهالة .

الفصل الثالث

في تنبيه الراكنين إلى الدّنيا وايقاظ الغافلين عن العقبى وهو قوله (أيّها الناس إنّ الدّنيا تغرّ المؤمّل لها والمخلد إليها) و ذلك مشهود بالعيان معلوم بالتجربة والوجدان ، فانّا نرى كثيراً من المؤمّلين لها والراكنين إليها تعرض لهم مطالب وهميّة خياليّة فتوجب ذلك طول أملهم فيختطفهم الموت دون نيلها و ينكشف بطلان تلك الخيالات ، وقد تقدّم تفصيل ذلك في شرح الخطبة الثانية والأربعين (ولا تنفس بمن نافس فيها) أى لا تضنن ممّن ضنن (١) بها لنفاستها ، بل ترميه بالنوائب و الآلام وبسهام المصائب والأسقام (و تغلب من غلب عليها) أى من ملكها وأخذها بالقهر والغلبة فعن قليل تقهره و تهلكه .

الفصل الرابع

في التنبيه على وجوب شكر النعم واستدراكها بالفزع إلى الله فأقسم بالقسم

---

(١) ضنن بالشيء من باب تعب بخل به، منه .

البارّ وهوقوله (وأيم‌الله ماكان قوم قطّ في غضّ نعمة من عيش فزال عنهم إلاّ بذنوب اجترحوها) على أنّ زوال النعمة الطريّة ورغيد العيش عن العباد ليس سببه إلاّ كفران النعم والذّنوب الّتي اكتسبوها كما قال عزّ من قائل : إنّ الله لايغيّر مابقوم حتّى يغيّروا مابأنفسهم ، وذلك لأنهم لو استحقّوا مع الكفران واكتساب الآثام لافاضة النعماء لكان منعهم منها منعاً للمستحقّ المستعدّ وذلك عين الظلم وهومحال على الله سبحانه (لأنّ الله ليس بظلاّم للعبيد) فعلم من ذلك أنّ سبب زوال النعمة و حصول النقمة ليس إلاّ الذّنوب المكتسبة هذا .

ولايخفى عليك أنّ هذا الكلام منه عليه السلام محمول على الغالب وإن كان ظاهره العموم ، وذلك لأنّ كثيراً من العباد يبدّل الله نعمتهم بالنقمة ورخائهم بالشدّة ومنحتهم بالمحنة من باب الابتلاء والامتحان إعلاء للدّرجات وإحباطاً للسّيئات وإضعافاً للحسنات كما قال عزّ من قائل : و لنبلونّكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الأموال والأنفس والثمرات الآية .

و لمّا نبّه على أنّ علّة زوال النعمة ونزول النقمة اكتساب المعصية أرشدهم إلى طريق تداركها بقوله (و لو أنّ الناس حين تنزل بهم النقم و تزول عنهم النعم فزعوا إلى ربّهم) وتضرّعوا إليه سبحانه (بصدق من نيّاتهم) أى باخلاصها وإخلائها من شوب العجب و الرّيا (و وله من قلوبهم) أى بتحيّر منها في محبّته سبحانه ولذّة مناجاته وتفريغ ساحتها عن كلّ ما سواه تعالى (لردّ عليهم كلّ شارد)من النعم (وأصلح لهم كلّ فاسد) من الأمور .

ثمّ تخلص إلى تعريض المخاطبين بالاشارة إلى بعض حالاتهم الغير المحمودة التي كانوا عليها حثّاً لهم على الارتداع عنها فقال : (وإنّي لاخشى عليكم أن تكونوا في فترة) أى في حالة فترة مثل حالة أهل الجاهليّة الّذين كانوا على فترة من الرّسل أى أخاف عليكم أن تكونوا مثل هؤلاء في التعصّبات الباطلة بحسب الأهواء المختلفة وغلبة الجهل والضّلال على الأكثرين (وقد كانت أمور مضت) وهو تخليفهم للفساق وتقديم أجلاف العرب الثلاثة عليه وأتباعهم بهم .

وحملها على اختيارهم لعثمان فقط وعدولهم عنه يوم الشورى كما في شرح المعتزلي خلاف ظاهر اللّفظ المسوق على نحو الاطلاق معتضداً بقوله (ملتم فيها ميلة كنتم فيها عندي غيرمحمودين) لأنّهم بسبب تقديم كلّ من الثلاثة و الاتباع عليه مالوا عن نهج الحقّ وعدلوا عن منهج الصّواب واستحقوا اللّوم والعتاب.

(و لئن ردّ عليكم أمر كم) أى شغلكم الّذى كنتم عليه في زمن الرّسول صلّى الله عليه وآله (انكم لسعداء) أى تكونون سعيداً بعداتصافكم بالشقاوة (وماعليّ إلاّالجهد) أى بذل الوسع والطاقة في الاصلاح والنصيحة (ولوأشآء أن أقول) وأشرح ماجرى من الظلم والعدوان وما وقع منكم من التفريط والتقصيرفيّ (لقلت) ذلك وشرحته ولكنّي لا استصلحه لتضمّنه التعريض على المتخلّفين و التقريع على المخاطبين والصّلاح في العفووالاغماض لأنّ الصفح حسن والعفو جميل فقد(عفي الله عمّاسلف) اقتباس من الكتاب العزيزقال تعالى: عفى الله عمّاسلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام.

قال الشارح المعتزلي: وهذاالكلام يدلّ على مذهب أصحابنا في أنّ ماجرى من عبدالرّحمان وغيره يوم الشورى، وإن كان لم يقع على الوجه الأفضل فانّه معفوّ عنه مغفور لفاعله لأنّه لو كان فسقاً غيرمغفور لم يقل أميرالمؤمنين عليه السّلام: عفى الله عمّا سلف.

أقول: ويتوجّه عليه أنّه بعد الاعتراف بكون ما صدرعن ابن عوف وأضرابه فسقا كما هو كذلك لكونه ظلما فاحشاً في حقّه عليه السّلام فهذا الكلام لا دلالة فيه على العفوعنه والغفران له لأنّ هذا الكلام كما يحتمل أن يكون جملة إنشائية أوغايبة أو اخبارية مسوقة لبيان حسن العفو ودليلا عليه كما عليه مبنى كلام الشارح، فكذلك يحتمل أن يكون مقولا لقوله: قلت ومتّصلا به لا مقطوعاً عنه.

فيكون محصّل الكلام أنّي لوشئت أن أقول عفى الله عمّاسلف لقلته أى لوأحببت أن أدعو بالعفو لدعوت، فعلى هذا كما يصدق الشرطيّة باستثناء عين المقدّم ينتج عين التالي فكذلك يصدق برفع المقدّم المفيد لرفع التالي، أى لكنّي لم أشاء ذلك

فلا قلته وحينئذ لا يكون لكلامه عليه السلام دلالة على ما رامه الشارح لو لم يكن دلالة على خلافه أظهر ، فافهم وتبصّر .

الترجمة

از جملۀ خطب شريفۀ آن بزرگوار و وصيّ مختار است در وصف حضرت كردگار ونعت حضرت ختم النبيّين ونصيحت وملامت مخاطبين ميفرمايد كه :

مشغول نمينمايد حقتعالى‌را امرى از امر ديگر ، وتغيير نميدهد اورا زماني و احاطه نميكند اورا هيچ مكاني ، و وصف نميتواند بكند او را هيچ زبانى ، غايب نميشود از علم اوعدد قطرهاى آب ونه ستارهاى آسمان ، ونه بادهاى سخت وزنده ونه حركت مورها برروى‌سنگها ونه‌خوابگاه‌مورچهادرشب‌تاريك ، وميداندمواضع افتادن برگهاى درختان ، وپنهان نگريستن چشمان را .

وشهادت ميدهم باينكه هيچ معبود بحقى نيست مگرخداوند متعال درحالتى كه هيچ برابر كرده نشد باو چيزى وشك كرده نشد در وجود او وانكار كرده نشد دين او وجحود نشد ايجاد و تكوين او ، مثل شهادت كسى كه صادق‌بشود نيّت‌او وصافي باشد باطن او وخالص گردد يقين او وسنگين شود ميزان اعمال او .

وشهادت ميدهم باينكه محمّد مصطفى صلوات الله و سلامه عليه وآله بنده اواست ورسول برگزيده ازمخلوقات اوواختيار كرده شده از براى كشف حقايق توحيد او ، و مخصوص شده بكرامتهاى نفيسه او ، و،بر گزيده شده برسالات كريمه او ، و روشن كرده شده باوعلامتهاى هدايت ، و جلا داده شد بنور او سوادى و سياهي ضلالت .

اى گروه مردمان بدرستى دنيا فريب ميدهد اميد دارنده اورا وآرام گيرنده اورا و بخل نميكند بكسى كه بخيل باشد در محبّت او وغلبه مينمايد بركسيكه غلبه كند براو .

وقسم بخدا که نبودند هیچ قومی هرگز درطراوت نعمت از زندگانی دنیا پس زوال یافت آن نعمت از ایشان مگر بسبب گناههائی که کسب کردند آن را ازجهة اینکه خداوند عالم نیست صاحب ظلم بربندگان ، واگرمردمان دروقتیکه نازل بشود بایشان عقوبتهاوزایل بشود ازایشان نعمتها پناه ببرند بسوی پروردگار براستی ازنیّتهای خودشان وفرط محبّت ازقلبهاشان ، هراینه بازگرداند حقسبحانه بسوی ایشان هر رمیده ازنعمتها را ، واصلاح میفرماید از برای ایشان هرفاسد از اموراترا ، و بدرستی که من میترسم برشما اینکه باشید درحالت أهل جاهلیّت ، وبتحقیق که واقع شدکارهائی که گذشت میل کردید درآن امور ازجادّة شریعت میل کردني ، درحالتی که بودید درآن امور درنزد ما پسندیده، واگر بازگردانیده شود برشما کار شما هرآینهمیباشید از أهل سعادت ، و نیست برمن مگر بذل وسع وطاقت ، واگربخواهم بگویم هرآینه میگفتم که عفو فرمود خدای تعالی ازآنچه که گذشت .

و من كلام له عليه السلام و هو المأة و الثامن و السبعون من المختار في باب الخطب

وهو مرويّ في الأصول المعتبرة كالكافي والتوحيد والاحتجاج والارشاد بطرق مختلفة باجمال وتفصيل و اختلاف تطلع عليه بعدالفراغ من شرح ماأورده السيّد (ره) ·

و قد سئله ذعلب اليماني فقال : هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين ؟

فقال عليه السلام : أَفَأَعْبُدُ ما لاٰ أَرٰى ! قال : و كيف تراه ؟ قال عليه السلام :

لاٰ تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشاهِدَةِ الْعِيانِ ، وَ لٰكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقايِقِ

الْإِيمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَامِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَائِنٍ، مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ بِلَا هِمَّةٍ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخِفَاءِ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ، تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

اللغة

(الذعلب) في الأصل الناقة السريعة ثمّ صار علما للانسان كما نقلوا بكراً عن فتى الابل إلى بكر بن وابل و (اليماني) منسوب إلى اليمن اقليم معروف سمّى به لكونه على يمين الكعبة وأصله يمنيّ بتشديد الياء ثمّ جعلوا الألف بدلا عن الياء الثانية فقالوا يماني بالتخفيف في يمنىّ و (جفوت) الرجل أعرضت عنه أو طردته وقد يكون مع بغض وجفا الثوب يجفو إذا غلظ فهو جاف، ومنه جفاء اليد وهو غلظتهم وفظاظتهم و (عنا) يعنو عنواً من باب قعد ذلّ و خضع و الاسم العناء بالفتح و المدّ فهو عان و (وجب) الحايط ونحوه وجبة سقط و وجب القلب وجبا ووجيباً رجف.

الاعراب

قوله: أفأعبد استفهام على سبيل الانكار والابطال وقوله: قريب خبر لمبتداء محذوف وقوله: غير ملامس بنصب غير كما في أكثر النسخ حال من فاعل قريب المستتر وفي بعضها بالرّفع فيكون صفة لقريب، و كذلك قوله غير مباين، ومثلهما جملة لا يوصف تحتمل أن تكون في محلّ النصب على الحال، وفي محلّ الرّفع على الوصف.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السلام من كلماته المعروفة وقد ظهر لك في شرح الخطبة

الثّانية و التسعين أنّه ملتقط من كلام طويل له عليه السلام قدّمنا روايته هناك من توحيد الصّدوق كما ظهر أنّه عليه السلام كلّم بـه مع ذعلب ، فانه لما قال على المنبر غير مرّة: سلوني قبل أن تفقدوني ، قام إليه ذعلب و كان رجلا ذرب اللّسان بليغا في الخطب شجاع القلب فقال : لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لاخجلنّه اليوم لكم في مسألتي إيّاه فقال له (هل رأيت ربّك يا أميرالمؤمنين) وكان هذا السؤال منه من باب التعنّت والتقرير بقصدالتعجيزعن الجواب لا الاستفهام الحقيقي كمايدلّ عليه أوّل كلامه الّذی حكيناه .

(فقال عليه السلام أفأعبد مالا أرى) إنكار لعبادة مـالا يدرك ، لأنّ العبادة متضمّنة للسؤال والمخاطبة والمكالمةوطلب الرحمة والمغفرة وغيرذلك من الخضوع والخشوع والتضرّع والتملّق والاستكانة وهذه كلّها تستدعی حضور المعبود وإدراكه ورؤيته .

و لما توهّم السائل من كلامه عليه السلام أنّ مراده بـه رؤية البصر أعاد السؤال و(قال و كيف تراه) على سبيل الاستفهام التوبيخي يعني أنّ رؤيته غير ممكنة فكيف ادّعيتها .

فأجابه و(قال عليه السلام لاتدركه العيون بمشاهدة العيان) يعنى أنّ رؤيته ليست بالعين وبمشاهدة القوّة البصرية الجسمانية، فانّ هذه غير جايزة كما عرفت تحقيقه فی شرح الخطبة التاسعة والأربعين، وهوصريح في بطلان مذهب الأشاعرة والمشبهة والكراميّة المجوّزين للرؤية (ولكن تدركه القلوب بحقايق الايمان) أی تدركه العقول الصافية عن ملابسة الأبدان و غواشي الطبايع و الأجرام بحقايق الايمان أی بـأنوار العقليّة الناشئة من الايمان والاذعان الخالص كما مرّ تحقيقه في شرح الخطبة التاسعة والأربعين أيضاً .

وقال الشارح البحرانی: أراد بحقايق الايمان أركانه وهی التصديق بوجودالله ووحدا نيّته وساير صفاته واعتبارات أسمائه الحسنی .

وقال العلامة المجلسی ره في مرآت العقول :حقايق الايمان العقايد الّتی هی حقايق أی عقايد عقلية ثابتة يقينيّة لايتطرّق إليها الزوال والتغـير أی أركان

الايمان أى الانواروالآثارالّتى حصلت في القلب من الايمان اوالتصديقات والاذعانات الّتي تحقّ أن تسمّى ايمانا .

أوالمراد بحقايق الايمان ماينتمى إليه تلك العقايد من البراهين العقليّة، فانّ الحقيقة مايصير إليه حقّ الأمر و وجوبه ذكره المطرزى فى الغريبين انتهى .

اقول: هذه المعانى كلّها صحيحة محتملة لكن الأظهر هو المعنى الثانى المطابق لما ذكرناه .

ويؤيّده ما في الاحتجاج عن أبى عبدالله عليه السلام أنه سأله زنديق كيف يعبد الله الخلق ولم يروه؟ قال عليه السلام : رأته القلوب بنور الايمان و أثبتته العقول بيقظها إثبات العيان، وأبصرته الأبصار بمارأت من حسن التركيب و احكام التأليف ، ثمّ الرّسل وآياتها والكتب ومحكماتها واقتصرت العلماء على مارأت من عظمته دون رؤيته قال: أليس هو قادر أن يظهر لهم حتّى يروه فيعرفوه فيعبد على يقين ؟ قال عليه السلام: ليس للمحال جواب ،هذا.

ولمانبّه على كونه سبحانه مدركا بالعقول عقّبه بذكر جملة من صفات كماله التى هي جهات ادراكه فقال (قريب من الأشياء غير ملامس) يعنى أنّ قربه منها بالاحاطة والقيوميّة لابالالتصاق و الملامسة الّتى هى من عوارض الجسميّة (بعيد منها غير مباين) يعنى أنّ بعده منها بنفس ذاته المقدّسة لابعنوان التعاند والمضادّة، و قد مرّ تحقيق ذلك مع سابقه في شرح الفصل السادس من الخطبة الأولى عند شرح قوله عليه السلام : مع كلّ شيء لابمقارنة وغير كلّ شيء لا بمزايلة .

(متكلّم لابروية) يعنى أنّ تكلّمه تعالى ليس بالفكر والتروّى كساير آحاد الناس فانّ كلامهم تابع للتروّى و الافكار يتفكّرون أوّلا فى نظم الألفاظ و ترتيبها ودلالتها على المعانى المقصودة ثمّ يتكلّمون والله سبحانه منزّه عن ذلك .

قال الشارح البحراني: وكلامه تعالى يعود إلى علمه بصور الأوامر والنواهى وساير أنواع الكلام عند قوم وإلى المعنى النفسانى عند الأشعرى وإلى خلقه الكلام في جسم النبىّ عند المعتزلة .

أقول: وستعرف تحقيق معنى كلامه وتكلّمه سبحانه فانتظر.

(مريد بلاهمّة) أى ليست إرادته كإرادتنا مسبوقة بالعزم والهمّة.

قال الشارح المعتزلى قوله: بلاهمّة، أى بلاعزم، و العزم عبارة عن إرادة متقدّمة للفعل تفعل توطيناً للنفس على الفعل وتمهيداً للارادة المقارنة له، و إنما يصحّ ذلك على الجسم الّذى يتردّد فيما يدعوه إليه الدّواعى، فأمّا العالم لذاته فلا يصحّ ذلك فيه.

(صانع لابجارحة) أى ليست صنعته بالاعضاء و الجوارح الّتى هى من لواحق الجسميّة وإنماه أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (لطيف لايوصف بالخفاء) قال الشارح البحرانىّ اللطيف يطلق و يراد به رقيق القوام و يراد به صغير الجسم المستلزمين للخفاء وعديم اللّون من الأجسام والمحكم من الصنعة، وهو تعالى منزّه عن اطلاقه بأحد هذه المعانى لاستلزام الجسميّة والامكان فيبقى إطلاقها عليه باعتبارين:

أحدهما تصرّفه فى الذّوات والصفات تصرّفاً خفيّاً يفعل الأسباب المعدّة لها لافاضة كمالاتها.

الثانى جلالة ذاته وتنزيهها عن قبول الادراك البصرى، يعنى لاستحالة رؤيته شابه الأجسام اللطيفة فاطلق عليه لفظ اللّطيف بهذا الاعتبار.

أقول: وهنا اعتبار ثالث ذكره الشارح المعتزلى وغيره، وهو أنه لطيف بعباده كما فى الكتاب العزيز أى يفعل الألطاف المقربة لهم من الطاعة المبعدة لهم عن المعصية، أو لطيف بهم بمعنى أنه يرحمهم ويرفق بهم.

واعتبار رابع وهو علمه بالأشياء اللطيف رواه في الكافى مرفوعا عن أبى جعفر الثانى عليه السلام قال: و كذلك سمّيناه لطيفا لعلمه بالشىء اللّطيف مثل البعوضة و أخفى من ذلك وموضع النشوء منها والعقل و الشهوة للسفاد والحدب على نسلها و اقام بعضها على بعض و نقلها الطعام و الشراب إلى أولادها في الجبال و المفاوز والأودية والقفار فعلمنا أنّ خالقها لطيف بلا كيف، وإنما الكيفيّة للمخلوق المكيّف.

ورواه أيضاً فيه مع اعتبار خامس عن الفتح بن يزيد الجرجانى عن أبى الحسن

عليه السلام في حديث طويل سأل فيه عنه عليه السلام عن تفسير معنى الواحد و وحدانيّته تعالى إلى أن قال قلت: جعلت فداك فرّجت عنى فرّج الله عنك فقولك اللّطيف الخبير فسّره لى كما فسّرت الواحد فانّى أعلم أنّ لطفه على خلاف لطف خلقه للفصل غير أنى أُحبّ أن تشرح لي ذلك فقال عليه السلام : يافتح إنما قلنا اللّطيف للخلق اللّطيف لعلمه بالشيء اللّطيف أولاترى وفّقك الله وثبّتك إلى أثر صنعه فى النّبات اللّطيف وغير اللّطيف ومن الخلق اللّطيف ومن الحيوان الصّغار ومن البعوض والجرجس وما هو أصغر منهامالايكاد تستبينه العيون بل لايكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثي والحدث المولود من القديم، فلمّا رأينا صغرذلك فى لطفه واهتدائه للسّفاد والهرب من الموت والجمع لمايصلحه وما في لجج البحار وما في لحاء الأشجار والمفاوز والقفار وافهام بعضها عن بعض منطقها ومايفهم به أولادها عنها ونقلها للغذاء إليها ثمّ تأليف ألوانها حمرة مع صفرة وبياض مع حمرة وأنه مالاتكاد عيوننا تستبينه لدمامة خلقها لاتراه عيوننا ولا تلمسه أيدينا علمنا أنّ خالق هذا الخلق لطيف بخلق ما سمّيناه بلا علاج ولا أداة ولاآلة، وأنّ كلّ صانع شيء فمن شيء صنع والله خالق اللّطيف الجليل خلق وصنع لامن شيء

فقد قرّر عليه السلام أنّ اطلاق اسم اللّطيف عليه سبحانه بوجهين .

أحدهما للخلق اللّطيف يعنى لخلقه الأشياء اللّطيفة والاعتبار الأوّل الّذى حكيناه عن البحرانى يعود إلى ذلك أوقريب منه .

وثانيهما لعلمه بالأشياء اللّطيفة (كبير لايوصف بالجفاء) يعنى أنّه موصوف بالكبرياء والعظمة لجلالة شأنه وعظمة سلطانه،ومنزّه عمّاعليه سايرالكبراء والأعاظم من المخلوقين كالملوك والسلاطين من الفظاظة و غلظ الطبيعة والجفاء لمن تحت ولايتهم من الرّعية

وقال الشارح المعتزلي : لماكان لفظ الكبير إذا استعمل في الجسم أفاد تباعد افكاره ثمّ وصف البارى بأنه كبير ، أراد أن ينزّهه عمّا تدلّ لفظة كبير عليه إذا استعمل في الأجسام،انتهى ــ والأظهر ماقلناه.

(بصير لا يوصف بالحاسة) أما أنه بصير فقد مرّ تحقيقه في شرح الفصل السادس من الخطبة الأولى ، وأمّا تنزّهه عن الحواسّ فلأنّها من صفات الجسم (رحيم لايوصف بالرقة) لماكان الرحمة في الخلق عبارة عن رقّة القلب والانفعال النفساني وهمامن أوصاف الممكن فحيثمايطلق عليه لفظ الرحيم يراد به ماهو لازم الرحمة من الانعام والافضال ، و كذلك ساير الأوصاف الّتي لايصحّ اتّصافه تعالى بها باعتبار مباديها يوصف بها باعتبار غاياتها كالغضب في قوله : غضب الله عليهم ، فيراد به الانتقام و العقوبة لاستلزامه له ، و المكرفي قوله : ومكر الله و الله خير الماكرين فيراد به جزائه سبحانه لمكرهم بالجزاء السوء .

(تعنو الوجوه لعظمته) أى تذلّ و تخضع لأنه الإله المطلق لكلّ موجود وممكن والعظيم الذي كلّ مقهور تحت مشيّته وإرادته و داخر تحت جلاله وجبروته وعظمته (وتجب القلوب من مخافته) أى ترجف وتضطرب من هيبته عند ملاحظتها لعظمة سلطانه وعلوّ شأنه .

تنبيه

قد وعدناك تحقيق الكلام في معنى متكلّميّته تعالى وأنّ كلامه سبحانه حادث أو قديم فنقول:

قد تواترت الأنباء عن الأنبياء والرّسل ، وأطبقت الشرايع والملل على كونه عزّوجلّ متكلّماً لا خلاف لأحد في ذلك ، وإنما الخلاف في معنى كلامه تعالى وفي قدمه وحدوثه .

فذهب أهل الحق من الامامية وفاقاً للمعتزلة إلى أنّ كلامه تعالى مؤلّف من حروف وأصوات قائمة بجوهر الهواء ، ومعنى كونه متكلّماً أنه موجد للكلام في جسم من الأجسام كالملك والشجر ونحو ذلك ، وعلى مذهبهم فالكلام حادث لأنه مؤلّف من أجزاء مترتّبة متعاقبة في الوجود، و كلّ ماهو كذلك فهوحادث .

وقالت الحنابلة: كلامه تعالى حروف وأصوات يقومان بذاته وأنه قديم ، وقد

بالغ بعضهم حتى قال جهلا بقدم الجلد والغلاف أيضاً فضلا عن المصحف .

والكرامية وافقهم في أنّ كلامه حروف و أصوات و أنها قائمة بذاته تعالى إلاّ أنّهم خالفوهم في القول بقدمها و قالوا بأنها حادثة لتجويزهم قيام الحوادث بذاته تعالى .

وذهبت الاشاعرة إلى أنّ كلامه تعالى ليس من جنس الحروف و الأصوات بل هو معنى قديم قائم بذاته تعالى يسمّى الكلام النفسي وهومدلول الكلام اللّفظي المركب من الحروف .

قال الشارح الجديد للتجريد : واختلاف الأحوال مبنيّ على قياسين متعارضين **احدهما** أنّ كلامه تعالى صفة له و كلّما هوصفة له فهوقديم فكلامه قديم **وثانيهما** أنّ كلامه مؤلّف من أجزاء مترتّبة متعاقبة في الوجود ، وكلّما هو كذلك فهوحادث فكلامه حادث، فاضطرّوا إلى القدح في أحد القياسين ومنع بعض المقدّمات لاستحالة حقيّة المتناقضين.

فالمعتزلة صحّحوا القياس الثاني وقدحوا في صغرى القياس الأوّل والحنابلة صحّحوا القياس الأوّل و منعوا كبرى القياس الثاني ، و الكراميّة صحّحوا القياس الثاني وقدحوا في كبرى القياس الأوّل ، والأشاعرة صحّحوا القياس الأوّل و منعوا من صغرى القياس الثّاني .

اذا عرفت ذلك فنقول : الحقّ الموافق للتحقيق من هذه الأقوال كما قلنا هو القول الأوّل ، لأنّ المتبادر إلى الفهم عند اطلاق لفظ الكلام هو المؤلّف من الحروف والألفاظ دون المعنى ، والتبادر علامة الحقيقة ، واطلاق لفظ المتكلّم عليه سبحانه على ذلك ليس باعتبار قيام الكلام به ، لاستلزامه إثبات الجوارح ، بل باعتبار خلقه الكلام في الأجسام النباتيّة والجماديّة وألسن الملائكة إمّا مجازاً من باب اطلاق اسم المسبّب على السّبب، أوحقيقة كما هوالأظهر لأنّ المتكلّم مشتقّ من التكلّم أومن الكلام بمعناه المصدري كالسّلام ونحوه، والتكلّم والكلام بهذا المعنى بمعنى ايجاد اللّفظ، ولاشكّ أنّ ايجاده قائم بالموجد كما أنّ التأثير قائم بالمؤثّر

فالمتكلّم بصيغة الفاعل عبارة عن منشيء الكلام و موجده ، و إنشاء الكلام وايجاده لاقيام له إلاّ بالفاعل، كما أنّه بصيغة المفعول عبارة عن نفس الكلام المؤلّف ولاقيام له إلاّ بجوهر الهواء .

لايقال: التكلّم بمعنى ايجاد الكلام لم يجيء فى اللّغة

لأنّانقول: ذلك غير مسلّم كيف و التكلّم اللّفظي عندالأشاعرة ليس إلاّ بهذا الاعتبار وهم قدصرّحوا بكون الكلام مشتركاً لفظابين اللّفظى والنفسى كما ستعرفه وعلى هذا فيكون إطلاق المتكلّم عليه بمعنى موجد الكلام حقيقة لامجازا .

قال صدر المتألّهين في كتاب المبدء والمعاد: المتكلّم عبارة عن محدث الكلام في جسم من الأجسام كالهواء وغيرها ، فانّا إذا تكلّمنا أحدثنا الكلام في بعض الأجسام التّى لنا قدرة على تحريكها، فالمتكلّم ماقام به التكلّم لاما قام به الكلام كماتوهّم، والتكلّم بمعنى ما به يحصل الكلام فينا ملكة قائمة بذواتنا بها نتمكّن من إفادة مخزوناتنا العلميّة على غيرنا ، وفي الواجب تعالى عين ذاته من حيث انّه يخلق الأصوات والحروف في أيّ موضع كان من الأجسام لافادة ما في قضائه السابق على من يشاء من عباده.

وما أثبته المتكلّمون من الكلام النفسى فان كان له معنى محصّل فيرجع إلى خطرات الأوهام،أويحتمل ما يوجد من الكلام ، و لاشكّ في برائته تعالى عنه وعن ساير مايتخيّله العوام .

و استدل الحنابلة على أنّ كلامه مؤلّف من الحروف والأصوات بأنّ كلامه مسموع ولا مسموع إلاّ الحروف و الصّوت فكلامه ليس إلاّالحروف و الصّوت أما الصّغرى فلقوله تعالى: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتّى يسمع كلام الله، وأمّا الكبرى فظاهرة ، ثمّ أثبتوا كونه قديماً بأنه لوكان حادثا لكان إمّا قائما بذاته أوبغيره أولا في محلّ والأقسام الثلاثة كلّها باطلة أمّا الأوّل فلاستلزامه كون الذات محلاًّ للحوادث و هو حينئذ كماستعرفه، و أمّا الثاني فلامتناع ان يقوم صفة الشيء بغيره ، و أمّا الثالث فلاستحالة قيام العرض في الوجود بلا محلّ فثبت أنّه

صفة قديمة .

والجواب أنّ كونه حرفا وصوتا يستلزم حدوثه بالضرورة و تعليل قدمه بأنّ حدوثه مستلزم لأحد الأقسام الثلاثة الباطلة فيه ان منع بطلان القسم الثاني لم لايجوز أن يقوم بغيره وان اشتق له منه خلقه ولا امتناع في ذلك حسبما عرفت .

واما الكرامية فبطلان مذهبهم بعد بطلان جواز حلول الحوادث على الذات واضح، وجهة بطلانه أنّ وجوب الوجود ينافي ذلك، لأنّ حدوث الحوادث فيه يدلّ على تغيّره وانفعاله وذلك ينا في الوجوب الذّاتي ، و لأنّ المقتضي لذلك الحادث إن كان ذاته لم يكن حادثا وإن كان غيره يلزم الافتقار ، ولأنّ الحادث إن كان صفة نقص استحال اتّصاف الذات بها وإن كان صفة كمال امتنع خلوّه عنها والمفروض أنها حادثة أي موجودة بعد العدم فحيث كانت معدومة كان الذات خالية عنها .

واما الاشاعره فبيّنوا مرادهم من الكلام النفساني أولا واستدّلوا على اثباته ثانياً واثبتوا كونه قديماً ثالثاً، ثمّ قالوا إنه واحد مع أنه أمر ونهي وخبر واستخبار وغير ها .

قال الامدي : ليس المراد من إطلاق لفظ الكلام إلاّ المعني القائم بالنفس ، وهو مايجده الانسان من نفسه إذا أمر غيره أونهاه أوأخبره أواستخبر منه، وهذه المعاني هي الّتي يدّل عليها بالعبارات وينبّه عليها بالاشارات .

وقال عمر النسفي و هو من أعاظم الأشاعرة في عقايده : و هو أي الله سبحانه متكلّم بكلام هو صفة له أزليّة ليس من جنس الحروف والأصوات ، والله متكلّم بها آمر ناهٍ مخبر والقرآن كلام الله غير مخلوق ، و هو مكتوب في مصاحفنا محفوظ في قلوبنا مقروّ بألسنتنا مسموع بآذاننا غير حال فيها .

وقال التفتازاني في شرحه ما محصّله: إنّ الاجماع والتواتر قد قام على كونه تعالى متكلّما بكلام هو صفة له ، ضرورة امتناع اثبات المشتقّ من غير قيام مأخذ الاشتقاق به، و هذه الصفة معنى قائم بالذات و قديمة ، ضرورة امتناع قيام الحوادث بذات الله سبحانه، وليس من جنس الحروف والأصوات، ضرورة حدوثها لأنّ التكلّم

ببعضها مشروط بانقضاء الآخر بل عبّر عنها بهاويسمّى المعبّربه بالقرآن المركّب من الحروف وهي صفة واحدة تتكثّر إلى الأمر و النهي والخبر باختلاف التعلّقات كالعلم والقدرة و ساير الصفات ، فهذه الصفة الواحدة باعتبار تعلّقها بشيء على وجه مخصوص يكون خبراً ، و باعتبار تعلّقها بشيء آخر على وجه آخر يكون أمراً و هكذا .

والقرآن الّذى هو كلام الله سبحانه القائم بذاته غير حادث و مكتوب في مصاحفنا بأشكال الكتابة و صور الحروف الدّالة عليه محفوظ في قلوبنا بألفاظ المخيلة، مقروّبألسنتنا بحروفه الملفوظة المسموعة، مسموع بآذاننا بهذه أيضاً .

ومع ذلك كلّه ليس حالا في المصاحف ولا في القلوب والألسنة والأذهان، بل معنى قديم قائم بذات الله سبحانه يلفظ و يسمع بالنظم الدالّ عليه ويحفظ بالنظم المخيل ويكتب بالنقوش و صور و أشكال موضوعة للحروف الدالّة عليه كما يقال النار جوهر مجرّد يذكر باللّفظ و تكتب بالقلم و لا يلزم منه كون حقيقة النار صوتاً وحرفاً .

وتحقيقه انّ للشيء وجوداً فى الأعيان، ووجوداً في الأذهان ووجوداً في العبارة ووجوداً في الكتابة فالكتابة تدلّ على العبارة وهي على ما في الأذهان وهو على ما فى الأعيان

فحيث يوصف القرآن بما هو من لوازم القديم كما في قولنا : القرآن غير مخلوق ، فالمراد حقيقته الموجودة في الخارج ، و حيث يوصف بما هو من صفات المخلوقات و المحدثات يراد به الألفاظ المنطوقة المسموعة كما فى قولنا قرأت نصف القرآن أوالمخيّلة كما في قولنا حفظت القرآن أوالأشكال المنقوشة كما فى قولنا يحرم للمحدث مسّ القرآن .

و لما كان دليل الأحكام الشرعيّة هو اللّفظ دون المعنى القديم عرّفه أئمة الأصول بالمكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر وجعلوه اسماً للنظم والمعنى جميعاً أى للنظم من حيث الدّلالة على المعنى لالمجرّد المعنى .

ثمّ قال في آخر كلامه: والتحقيق انّ كلام الله اسم مشترك بين الكلام النّفسى

القديم ومعنى الاضافة كونه صفة له وبين اللفظى الحادث ومعنى الاضافة أنه مخلوق الله تعالى ليس من تأليفات المخلوقين فلايصح نفى كونه كلام الله.

وما في عبارة بعض المشايخ من أنه مجاز فليس معناه أنه غير موضوع للنظم المؤلف، بل معناه أن الكلام في التحقيق وبالذات اسم للمعنى القائم بالنفس وتسمية اللفظ به و وضعه لذلك إنما هو باعتبار دلالته على معنى، انتهى ما أهمنا نقله من محصل كلامه بعد رد أوله إلى آخره، و هذا القدر كاف في بيان مراد هم من الكلام النفسى.

واستدلوا على إثباته بقول الأخطل:

إن الكلام لفى الفؤاد و إنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقول القائل: في نفسي كلام أريد أن أذكره لك.

وبأن الألفاظ الذى تتكلم بها مدلولات قائمة بالنفس، و هذه المدلولات هي الكلام النفسانى وهو أمر غير العلم مدلول الخبر إذا اخبر بشيء إذ ربما يخبر الرجل عمالا يعلمه بل يعلم خلافه أويشك فيه، فالخبر عن الشيء غير العلم به و غير الارادة أيضاً عندنا أمر لأنه قد يأمر بما لايريده كالمختبر لعبده هل يطيعه أم لاو كالمعتذر من ضرب عبده بعصيانه فانه قد يأمره وهو يريد أن لايفعل المأمور به ليظهر عذره عند من يلومه، فان مقصود المتكلم في هذين الأمرين ليس الاتيان بالمأمور بل مجرد الاختبار و الاعتذار و غير الكراهة أيضاً إذا نهى لأنه قد ينهى الرجل عمالا يكرهه بل يريده في صورتى الاختبار والاعتذار.

واعترض على دليلهم الأول بمنع كون البيت من الأخطل، و على تسليمه فليس حجة لأنه مبنى على اعتقاده ثبوت الكلام النفسى تقليداً أو على أنه لما كان ما في الضمير مدلولا عليه بالكلام فاطلق عليه من باب اطلاق اسم الدال على المدلول وحصره فيه تنبيها على أنه آلة يتوصل بها إليه فكانه المستحق لاسم تلك الآلة.

وعلى دليلهم الثانى بمنع ماذكروه من أن مدلول الخبر غير العلم معللا بأنه قد يخبر عما لايعلمه، إذلقائل إن يقول: إن المعني النفسي الذى يدعون أنه غير العلم

هو ادراك مدلول الخبر أعنى حصوله فى الذّهن مطلقاً يقينيّا كان أو مشكوكا فلا يكون مغايراً للعلم وبعبارة اخرى انّ هذا إنما يدلّ على مغايرته للعلم اليقينى لا للعلم المطلق، ضرورة أن كلّ عاقل تصدّى للاخبار يحصل في ذهنه صورة ما اخبر به ومنع انه مغاير للارادة والكراهة عند الأمر أو النهى، إذما تشبّثوا به من صورتى الاختبار والاعتذار فيه إنّ الموجود في هاتين الصّورتين صيغة الأمر والنهى لاحقيقتها إذ لا طلب فيهما أصلا ولا إرادة ولا كراهه قطعا، وبالجملة فما يدّعونه غير معقول لأنه ليس له تعالى صفة زايدة على الذات أصلا ولو كان عين الذات فمرجعه الى العلم أو الارادة أو الكراهة أو ساير الصفات .

توضيح ذلك أنه اذا صدر عن المتكلّم خبر فهناك ثلاثة أشياء **احدها** العبارة الصادرة **والثانى** علمه بثبوت النسبة أو انتفائها بين طرفى القضيّة **والثالث** ثبوت تلك النسبة أو انتفائها في الواقع، والأخيران ليسا كلاماً حقيقيّا اتفاقا، فتعيّن الأوّل وإذا صدر عنه أمر أو نهى فهناك شيآن **احدهما** لفظ صادر عنه **والثانى** إرادة أو كراهة قائمة بنفسه متعلّقة بالمأمور به أو بالمنهيّ عنه وليستا أيضاً كلاماً حقيقيّا اتّفاقـا فتعيّن الأوّل.

و استدلّوا على قدمه بمثل ما استدلّ به الحنابلة من الدّليل الّذى قدّمناه والجواب الجواب .

و استدلّوا على اتّحاده بأنه اذا ثبت الكلام النفسى كان كساير الصفات مثل العلم و القدرة فكما أنّ العلم صفة واحدة تتعلّق بمعلومات متعدّدة و كذا القدرة كذلك الكلام صفة واحدة تنقسم إلى الأمر والنهى والخبر والاستفهام والنداء و هذا بحسب التعلّق فذلك الكلام باعتبار تعلّقه بشيء على وجه مخصوص يكون خبراً ، وباعتبار تعلّقه بشيء آخر أو على وجه آخر يكون أمراً و كذا البواقي .

و فيه انّ وحدتـه متفرّعة على ثبوت أصله و حيث عرفت فساد الأصل ففساد الفرع ظاهر .

قال العلاّمة الحلّي قدّس الله روحه : المعقول من الكلام على ما تقدّم أنّه

الحروف والأصوات المسموعة وهذه الحروف المسموعة إنّما تتمّ كلاماً مفهوماً إذا كان الانتظام على أحد الوجوه الّتي يحصل لها الافهام ، و ذلك بأن يكون خبراً أو أمراً أو نهياً أو استفهاماً أو تنبيهاً و هو الشامل للتمنّي والترجّي والتعجّب والقسم والنداء ، ولا وجود له إلاّ في هذه الجزئيات .

و الّذين اثبتوا قدم الكلام اختلفوا فذهب بعضهم إلى أنّ كلامه تعالى واحد مغاير لهذه المعاني ، و ذهب آخرون إلى تعدّده ، و الّذين أثبتوا وحدته خالفوا جميع العقلاء في اثبات شيء لايتصوّرونه هم ولاخصومهم ، ومن أثبت لله وصفا لايعقله لا يتصوّره هو و لا غيره كيف يجوز أن يجعل إماما يقتدى بـه و يناط بكلامه الأحكام .

تكملة

قد اشرنا إلى أنّ هذا الكلام مرويّ عنه عليه السلام في غير واحد من الأصول المعتبرة بطرق مختلفة مع اختلاف في متنه ، و ينبغي أن نروي مافيها على ما جرى عليه عادتنا في هذا الشرح فأقول :

روى ثقة الاسلام محمّد بن يعقوب الكلينيّ قدّس الله روحه في باب جوامع التوحيد عن محمّد بن أبي عبدالله رفعه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له ذعلب ذو لسان بليغ في الخطب شجاع القلب فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك ؟ فقال عليه السلام : ويلك يا ذعلب ما كنت أعبد ربّاً لم أره ، فقال : يا أمير المؤمنين كيف رأيته ؟ فقال : و يلك يا ذعلب لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقايق الايمان ، ويلك يا ذعلب إنّ ربّي لطيف اللطافة لا يوصف باللّطف ، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم ، كبير الكبرياء لايوصف بالكبر ، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ ، قبل كلّ شيء لايقال شيء قبله ، وبعد كلّ شيء لايقال له بعد ، شاء الأشياء لا بهمّة ، درّاك لا بخديعة ، في الأشياء كلّها غير متمازج

بها ولا باين منها، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجلّ لا باستهلال رؤية، ناء لا بمسافة قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بحركة، مريد لا بهمامة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة، لاتحويه الأماكن، و لا تضمنه الأوقات، ولا تحدّه الصفات، ولاتأخذه السنات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشميره المشاعر عرف أن لامشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لاجوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لاضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لاقرين له، ضادّ النّور بالظلمة، واليبس بالبلل، والخشن باللّين، والصرد بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها، مفرّق بين متدانياتها، دالّة بتفريقها على مفرّقها، و بتأليفها على مؤلّفها، و ذلك قوله تعالى: و من كلّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون، ففرّق بين قبل و بعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد له، شاهدة بغرايزها أن لا غريزة لمغرزها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لاحجاب بينه و بين خلقه، كان ربّاً إذلا مربوب، وإلها إذلا مألوه، و عالما إذلا معلوم، وسميعاً إذ لامسموع.

و في الاحتجاج روى أهل السير أنّ رجلا جاء إلى أمير المؤمنين عليه‌السلام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله أرأيته حين عبدته؟ فقال أمير المؤمنين: لم أك بالذي أعبد من لم أره فقال له: كيف رأيته يا أمير المؤمنين؟ فقال له: ويحك لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته العقول بحقايق الايمان، معروف بالدّلالات منعوت بالعلامات، لايقاس بالناس، ولا يدرك بالحواسّ.

فانصرف الرّجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وفي الارشاد للمفيد روى أهل السيرة وعلماء النقلة أنّ رجلا جاء ـ وساق الحديث إلى قوله حيث يجعل رسالته ـ نحو ما رويناه عن الاحتجاج.

وفي الكافي في باب إبطال الرؤية عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن أبي الحسن الموصلي عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال:

جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته ؟ قال : فقال : ويلك ما كنت أعبد ربّا لم أره، قال : و كيف رأيته ؟ قال : ويلك لاتدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقايق الايمان .

الترجمة

از جمله كلام بلاغت نظام آن مقتداى أنام عليه الصّلاة و السّلام است كه فرموده است آن را در حالتيكه سؤال كرد از آن بزرگوار ذعلب يماني پس گفت آيا ديدۀ پروردگار خودرا اى أمير مؤمنان ؟ پس فرمود آنحضرت : آيا عبادت ميكنم چيزيرا كه نمى‌بينم ؟ گفت ذعلب: چطور ميبيني اورا ؟ فرمود :

درك نميتواند بكند او را چشمها با مشاهده معاينه ولكن درك ميكند اورا قلبها با نورهاى ايمان ، نزديك است پروردگار عالمين از أشياء در حالتيكه چسبان نيست بآنها ، دوراست أز آنها درحالتيكه جدا نيست ، صاحب تكلّم است نه بافكر ورويه ، اراده كننده است بدون عزم وهمّت صاحب صنعت است نه با اعضا و جوارح ، لطيف است كه متّصف نيست به پنهاني ، بزرگ است كه متّصف نميشود باغلظت وخشونت طبيعت ، بيننده است متّصف نميشود باحاسۀ بصر، رحيم است موصوف نميشود بارقّت قلب ، ذليل ميشود رويهاى مخلوقات از براى عظمت او ، ومضطرب ميشود قلبهاى خلق از ترس او .

ومن خطبة له عليه السلام فى ذمّ أصحابه وهى المأة والتاسعة والسبعون من المختار فى باب الخطب

أَحْمَدُ اللهَ عَلىٰ ما قَضىٰ مِنْ أَمْرٍ ، وَ قَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ، وَ عَلَى ابْتِلائي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتي إذا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ ، وَ إذا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ ، إِنْ

أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ، وَإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ، وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ، لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ، مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ، وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ، أَلْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي - وَلَيَأْتِيَنِّي - لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ، لِلَّهِ أَنْتُمْ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ، أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ وَبَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ، إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضاً فَتَرْضَوْنَهُ، وَلَا سَخَطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ، قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ، وَفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ، وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ، وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ.

اللغة

(أمهله) اى رفق به وأخّره وفي بعض النسخ أهملتم أى تركتم و (خرتم) بالخاء المعجمة والراء المهملة من الخور بمعنى الضعف أومن خوار الثور وهو صياحه قال تعالى: عجلا جسداً له خوار، وعن بعض النسخ جرتم بالجيم من جار أى عدل

عن الحقّ و (طعنتم) في بعض النسخ بالظاء المعجمة ارتحلتم و فارقتم و (أجبتم) بالجيم و الباء المعجمة على البناء على المعلوم من أجاب إجابة ، وفي نسخة الشارح المعتزلي اجئتم بالهمزة الساكنة بعد الجيم المكسورة و البناء على المجهول أى الجئتم قال تعالى : فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة .

و (النكوص) الرجوع إلى ماوراء قال تعالى : فلما ترآءت الفئتان نكص على عقبيه و (شحذت) النصل والسكين حدّتهما و (الجفاة) جمع الجافي و هو الغليظ من الناس و (الطغام) بالطاء المهملة و الغين المعجمة أراذل الناس وأوغادهم الواحد و الجمع سواء و (التريكة) بيضة النعامة يتركها في مجثمها و (درس) الكتاب قرأ و (ساغ) الشراب دخل في الحلق بسهولة قال الشاعر :

فساغ لي الشراب و كنت قبلا أكاد أغصّ بالماء الفرات

و (مججته) من فمي أى رميت به .

الاعراب

يحتمل أن يكون مافي قوله : على ماقضا ، مصدريّة وموصولة فيكون العايد محذوفا .

و قوله : لا أبا لغيركم قال الشارح البحراني: أصله لا أب والالف زايدة إمّا لاستثقال توالى أربع فتحات ، أولا نّهم قصدوا الاضافة وأتوا باللاّم للتأكيد .

أقول : ويؤيّد الثاني ما حكاه نجم الأئمة عن سيبويه من زيادة اللاّم في لاأبالك

و قال الشارح المعتزلي : الأفصح لا أب بحذف الألف ، و أمّا قولهم لا أبالك باثباته فدون الأوّل في الفصاحة ، كأنّهم قصدوا الاضافة وأقحموا اللاّم مزيدة مؤكدة

كما قالوا : ياتيم تيم عدىّ (١) و هو غريب لأنّ حكم لا أن تعمل في النكرة فقط وحكم الألف أن تثبت مع الاضافة والاضافة تعرف فاجتمع حكمان متنافيان فصارمن الشواذ وقال أبوالبقاء يجوزفيهاوجهان آخران : **أحدهما** أنه أشبع فتحة الباء فنشأت الالف والاسم باق على تنكيره و **الثانى** أن يكون أبا لغة من قال لها أبا في جميع أحوالها ، مثل عصا ومنه : إنّ أباها وأبا أباها .

وقوله: الموت أوالذّل لكم، في أكثر النسخ برفعهما وفي بعضها بالنّصب أمّا الرفع فعلى الابتداء ولكم خبر والجملة دعائيّة لامحلّ لهامن الاعراب، وأمّا النصب فبتقدير أرجو وأطلب فتكون دعائية أيضاً، وتحتمل الاستفهام أى أتنتظرون .

وقوله: فوالله لئن جاء يومى وليأتينّى ليفرقنّ آه، جملة ليفرقنّ جواب للقسم واستغنى بها عن جواب الشرط، وجملة وليأتينّى معترضة بين القسم والشرط وجوابيهما المذكور والمحذوف وتعرف نكتة الاعتراض في بيان المعنى وجملة: وأنا لصحبتكم قال، منصوبة المحلّ على الحال، وبكم متعلّق بغير كثير قدّم عليه للتوسّع .

وقوله: لله أنتم، قال الشارح المعتزلى: لله في موضع رفع لأنّه خبر عن المبتدا

---

(١) قال نجم الائمة المنادى المفرد اذا تكرّر لفظه وولى الاسم الثانى اسم مجرور بالاضافة فالثانى واجب النصب ، ولك فى الاوّل الضمّ والنصب قال :

يا تيم تيم عدىّ لا أبالكم   لا يلقينكم فى سوءة عمر

و قال :

يا زيد زيد اليعملات الذبل   تطاول اللّيل عليك فانزل

أما الضم فى الأوّل فواضح لأنه منادى مفرد معرفة ، والثانى عطف بيان وهوالبدل على مايأتى فى بابه ، وأما نصب الأوّل فقال سيبويه تيم الثانى مقحم بين المضاف والمضاف اليه ، وهوتأكيد لفظى لتيم الأوّل و قد مرّ فى توابع المنادى المبنى أنّ التأكيد اللفظى فى الاغلب حكمه حكم الأوّل ، وحركته حركته اعرابية كانت أو بنائية فكما أنّ الأوّل محذوف التنوين للاضافة فكذلك الثانى ، مع أنه ليس بمضاف ، وشبهه سيبويه باللام المقحمة بين المضاف والمضاف اليه فى لاابالك لتأكيد اللام المقدّرة (منه)

الذى هو أنتم، ومثله لله درّ فلان، ولله بلاد فلان، ولله أبوك ، واللاّم ههنا فيها معنى التعجّب، والمراد بقوله لله أنتم لله سعيكم أولله عملكم كما قالوا: لله درّك، أى عملك فحذف المضاف وأقام الضمير المنفصل المضاف اليه مقامه قال الشارح: ولايجيء هذه اللاّم بمعنى التعجّب في غير لفظ الله كما أنّ تاء القسم لم تأت إلاّ في اسم الله، انتهى

وقال نجم الأئمة الرّضي: قولهم إنّ لام القسم يستعمل في مقام التعجّب يعنون الأمر العظيم الّذى يستحقّ أن يتعجّب منه فلايقال لله لقد قام زيد، بل يستعمل في الأمور العظام نحو لله لتبعثنّ ، و قيل إنّ اللاّم في لايلاف قريش ، وللفقراء الّذين أحصروا،للتعجّب، و الأولى أن يقال إنّها للاختصاص إذلم يثبت لام التعجّب الاّ في القسم انتهي كلامه رفع مقامه .

أقول: المستفادمن نصّ كلام الشارح أنّ لام التعجّب مختصّة بالدّخول على لفظ الجلالة، ومن ظاهر كلام الرّضي أنّها ملازمة للقسم، و يشكل ذلك في نحولله درّه ولله أبوك ولله أنتم و ما ضاهاها، لأنهم اتّفقوا على أنّها في هذه الأمثلة للتعجّب مع أنّه لا معنى للقسم بل لاتصوير له فيها إذلو كانت للقسم لاحتاجت إلى الجـواب وليس فليس .

وقد صرّح الرضيّ نفسه في مبحث التميز من شرح مختصر ابن الحاجب بأنّ معنى لله درّه فارساً، عجبا من زيد فارساً وهو يعطى أنّها فيه للتعجّب فقط لاللتعجّب والقسم على أنها لوجعلت للقسم لايكون لله خبراً مقدّما ودرّه مبتدء ولايكون للدّرّ عامل رفع كما هوظاهر لايخفى .

وبعد اللّتيا واللّتي فالتحقيق أن يقال : إنّ اللاّم قد تكون للتعجّب مجرّدة عن القسم و لايلزم دخولها على لفظ الجلالة كما زعمه الشارح المعتزلي بل قد تدخل عليه كما في لله درّه فارساً ولله أنت وقوله :

شباب و شيب و افتقار وثروة فلله هذا الدّهر كيف تردّدا

وقد تدخل على غيره كما في لايلاف قريش أى اعجبوا لايلاف قريش كما حكاه في الكشّاف عن بعضهم وفى قوله :

فيا لك من ليل كأنّ نجومه بكلّ مغار القتل شدّت بيذبل

و قد تكون للتعجّب و القسم معاً ، و هذه مختصّة بالدّخول على لفظ الجلالة كما في لله لا يؤخّر الأجل ،وقوله تعالى : لله لتبعثن وقول الشاعر :

لله يبقى على الأيّام ذوحيد بمشمخر به الظبيان والآس

فقد ظهر من ذلك أنّ لام القسم ملازم للتعجّب ولام التعجّب غير ملازم للقسم كما زعمه الرّضى ولا للدّخول على لفظ الجلالة كما زعمه الشارح المعتزلي هذا .

وأما تحقيق معنى التعجّب في هذه الموارد فهو ما أشار إليه الرّضي فيما حكى عنه بقوله : وأمّا معنى قولهم لله درّك ، فالدّر في الأصل ما يدرّ أى ينزل من الضرع من اللّبن ومن الغيم من المطر وهو هنا كناية عن فعل الممدوح والصادر عنه ، وإنما نسب فعله إليه قصداً للتعجّب منه لأنّ الله تعالى منشيء العجائب ، فكلّ شيء عظيم يريدون التعجّب منه ينسبونه إليه تعالى و يضيفونه إليه نحو قولهم : لله أنت ، و لله أبوك ، فمعنى لله درّه ما أعجبْ فعله .

وقال عزالدّين الزنجاني في محكيّ كلامه من شرح الهادى : لله درّه كلام معناه التعجّب ، والعرب إذا أعظموا الشيء غاية الاعظام أضافوه إلى الله تعالى ايذانا بأنّ هذا الشيء لا يقدر على ايجاده إلاّ الله تعالى و بأنّ هذا جدير بأن يتعجّب منه لأنّه صادر عن فاعل قادر مصدر للأشياء العجيبة هذا .

و قوله عليه السلام : أما دين يجمعكم، قال الشارح المعتزلي ارتفاع دين على أنه فاعل فعل مقدّر أى ما يجمعكم دين يجمعكم ، اللّفظ الثاني مفسّر للأوّل كما قدرناه بعد إذا في قوله : إذا السّماء انشقّت ، ويجوز أن يكون حمية مبتدء والخبر محذوف تقديره أما لكم حمية، انتهى .

أقول : لزوم تقدير الفعل بعد أما إنما هو مسلم إن جعل أما مركبة حرف عرض بمنزلة لولا ، لاختصاصها بالدّخول على الفعل كما أنّ اذا مختصّة بالدّخول عليه ، ولذلك احتيج الى تقديره في الآية الشريفة ، وأما إذا جعلنا الهمزة للاستفهام على سبيل الانكار التوبيخى أو على سبيل التقرير وما حرف نفى فلاحاجة إلى تقدير

الفعل لأنّ ماعلى ذلك ماء حجازية بمعنى ليس ودين اسمها ويجمعكم خبرها .

والظاهر من قول الشارح : أي مايجمعكم أنه لايجعلها حرف عرض وحينئذ فتقديره للفعل باطل ، ثمّ إنّ تجويزه كون حمية مبتدء و الخبر محذوفاً فيه أنّ الأصل عدم الحذف مع وجود الجملة الصّالحة للخبريّة ، وإن أراد بالتجويز مجرّد الصحّة بالقواعد الأدبيّة فلا بأس به .

وقوله : أوليس عجباً استفهام تقريري، وعلى في قوله ﷺ : على غيرمعونة ، بمعنى مع كما في قوله تعالى : وآتى المال على حبّه ، وإنّ ربّك لذو مغفرةللناس على ظلمهم ، وإلى في قوله : إلى المعونة ، متعلّق بقوله ادعوكم ، وجملة : و انتم تريكة الاسلام آه ، معترضة بينهما فليس لها محلّ من الاعراب ، و يحتمل كونها في محلّ النّصب على الحالية من مفعول أدعوكم ولكن الأوّل أظهر .

والضميرفي قوله : إنه للشأن ، وجواب لوفي قوله لوكان الأعمي يلحظ أوالنائم يستيقظ محذوف بدلالةالكلام كما في قوله تعالى : ولو أنّ قرآنا سيّرت بهالجبال أوقطّعت به الأرض أوكلّم به الموتى ، أي لكان هذا القرآن .

وقوله ﷺ : وأقرب بقوم من الجهل بالله، فعل تعجّب والبآء زايدة كما في أحسن بزيد قال سيبويه افعل صورته أمر ومعناه الماضي من افعل أي صار ذافعل كألحم أي صار ذا لحم ، و الباء بعده زايدة في الفاعل لازمة ، وقد يحذف إن كان المتعجّب منه أن وصلتها نحوأحسن أن يقوم أي أن يقوم على ماهوالقياس .

و ضعّف قوله بأنّ الأمر بمعنى الماضى مما لم يعهد بل الماضي يجيء بمعنى الأمرمثل اتّقى امرؤربّه ، وبأنّ افعل بمعنى صار ذافعل قليل ولوكان منه لجازألحم بزيدوأشحم به ، وبأنّ زيادة الباء في الفاعل قليل والمطرد زيادتها في المفعول .

وقال الفراء وتبعه الزمخشري وغيره ان احسن امرلكل احدبأن يجعل زيداً حسناً ، و انما يجعله كذلك بأن يصفه بالحسن فكأنه قيل : صفه بالحسن كيف شئت فانّ فيه منه كلّ مايمكن أن يكون في شخص كما قال الشاعر :

و قد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قائلا فقل

و هذا معنى مناسب للمتعجّب بخلاف تقدير سيبويه و أيضاً همزة الجعل أكثر من همزة صار كذا و ان لم يكن شيء منهما قياساً مطرداً ، وعلى ذلك فهمزة أحسن به للجعل كهمزة ما أحسن والباء مزيدة في المفعول وهو كثير مطرد هذا .

وإنما لم يجمع لفظ أقرب مع كون المقصود بالخطاب غير مفرد ، لأنّ فعل التعجّب لا يتصرّف فيه فلا يقال أحسنا وأحسنوا و أحسني وإن خوطب به مثنّى أو مجموع أومؤنث ، وسهل ذلك انمحاء معنى الأمر فيه اريد به محض انشاء التعجّب ولم يبق فيه معنى الخطاب حتّى يثنّى أويجمع أويؤنّث.

ثمّ إنّه يجب أن يكون المتعجّب منه مختصّاً فلا يقال ما أحسن رجلا ، لعدم الفائدة فان خصّصته بوصف نحورجلا رأيناه في موضع كذا جاز ، ولذلك أتى بالجملة الوصفية أعنى قوله قائدهم معاوية بعد قوله بقوم ، لئلاّ يخلو عن الفائدة ، فالجملة على ذلك في محلّ الجرّ على الصفة فافهم ذلك كلّه واغتنم .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السلام كما نبّه عليه السيّد (ره) وارد في ذمّ أصحابه و التوبيخ لهم ، و الأشبه أنه عليه السلام قاله بعد التّحكيم وانقضاء أمرالحكمين تقريعاً لأصحابه على القعود عن قتال معاوية ، فافتتح كلامه بحمدالله تعالى وثنائه على ما جرى عليه سيرته في أغلب كلماته الواردة في مقام الخطابة فقال :

(الحمدلله على ما قضا من أمر و قدر من فعل) يحتمل أن يريد بقوله قضا و قدر معنى واحداً و كذلك الأمر والفعل فيكونان مترادفين كالفعلين ، و أن يريد بالقضاء الحكم الالهى بوجود الأشياء ، و بعبارة اخرى هوعالم الأمر و لذا فسّره بقوله : من أمر ، وبالقدر ما قدره من الخلق والايجاد وبعبارة اخرى هوعالم الخلق ولذا بيّنه بقوله: من فعل ، فيكون المعنى الثناءلله على قضائـه و قدره أى على أمره وفعله أوعلى ماقضاه وقدره على مقتضياته من الأوامر و الأحكام ، وعلى مقدراته من الصنايع والأفعال وقد مضى تفصيل الكلام مشبعاً في معنى القضاءوالقدر في شرح الفصل

التاسع من الخطبة الأولى .

و أقول هنا : إنّ قوله عليه السلام هذا مؤيّد لما ذهب إليه اتباع الاشراقيّين من أنّ القضاء عبارة عن وجود الصور العقلية لجميع الموجودات فايضة عنه تعالى على سبيل الابداع دفعة بلازمان ، لكونها عندهم من جملة العالم ومن أفعال الله تعالى المباينة وذاتها لذاته ، خلافاً لاتباع المشّائين كالشيخ الرئيس ومن يحذو حذوه فانه عندهم عبارة عن صور علمية لازمة لذاته بلا جعل وتأثير وتأثّر ، وليست من أجزاء العالم ، إذ ليست لها جهة عدمية ولا إمكانات واقعية .

وأمّا القدر فهو عبارة عن وجود صور الموجودات في العالم السماوى على الوجه الجزئي مطابقة لما في موادّها الخارجية الشخصيّة مستندة إلى أسبابها وعللها لازمة لأوقاتها المعيّنة وأمكنتها المشخّصة هذا .

و على ما استظهرناه من ورود هذا الكلام عنه عليه السلام بعد التحكيم فيجوز أن يراد بما قضاه وقدره خصوصما وقع من أمر الحكمين وإفضاء الأمر إلى معاوية، فانّ كل ما يقع في العالم فلا يكون إلاّ بقضاء من الله وقدر ، فيكون مساق هذا الكلام مساق قوله عليه السلام في الخطبة الخامسة و الثلاثين: الحمدلله وان أتى الدّهر بالخطب الفادح والحدث الجليل .

فان قلت: فما معنى حمده على وقوع هذا الأمر مع أنه ليس نعمة موجبة للثناء

قلت: اللاّزم على العبد الكامل في مقام العبوديّة والبالغ في مقام العرفان أن يحمدالله على بلاءالله سبحانه كما يحمد على نعمائه حسبما عرفت توضيحه في شرح قوله: نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه في الخطبة المأة والاحدى والثلاثين ، و لما كان وقوع ماوقع بليّة له عليه السلام في الحقيقة لاجرم حمدالله سبحانه على ذلك .

ويفيد ذلك أيضاً قوله (وعلى ابتلائى بكم) خصوصاً مايروى في بعض النسخ على ما ابتلانى بكم (أيتّها الفرقة التى إذا أمرت لم تطع و اذا دعوت لم تجب) والاتيان بالموصول لزيادة التقرير أعنى تقرير الغرض المسوق له الكلام ، فانه لما بيّن ابتلائه بهم إجمالا عقّبه بتفصيل جهات الابتلاء ، و هو كونهم مخالفين لـه في

جميع الأحوال متمرّدين عن طاعته عند الأمر بالقتال ، متثاقلين عن إجابته عند الدّعوة إلى الحرب والجدال .

(إن امهلتم) وعن بعض النسخ إن اهملتم أى تركتم على حالكم (خضتم) فى لهو الحديث وفى الضلالة والأهواء الباطلة (وإن حوربتم خرتم) أى ضعفتم وجبنتم أوصحتم ضياح الثور، وعن بعض النسخ جرتم بالجيم أى عدلتم عن الحرب فراراً (وإن اجتمع الناس على إمام) أراد به نفسه (طعنتم) على المجتمعين (وإن اجبتم الى مشاقة) عدوّ أى مقاطعته ومصارمته (نكصتم) على أعقابكم و رجعتم محجمين (لاأبا لغيركم) دعاء بالذّل وفيه نوع تلطّف لهم حيث قال لغيركم ولم يقل لكم (ماتنتظرون) استفهام على سبيل التقريع والتوبيخ أى أىّ شيء تنتظرونه (بنصركم) أى بتأخير نصرتكم لدين الله (و) بتأخير (الجهاد على حقكم) اللاّزم عليكم وهو إعلاء كلمة الله (الموت أو الذّل لكم) قال الشارح المعتزلى : دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين كأنّه شرع داعياً عليهم بالفناء الكلّى و هو الموت ثمّ استدرك فقال أو الذّل، لأنه نظير الموت في المعنى لكنه في الصّورة دونه، ولقد اجيب دعائه عليه السلام بالدعوة الثانية فانّ شيعته ذلّوا بعده في الأيام الاُمويّة .

أقول: وقد مضي له معني آخر في بيان الاعراب وعلى ذلك المعني ففيه اشارة إلى أنّ تأخير الجهاد إما مؤدّ إلى الموت على الفراش أو الذّل العظيم على سبيل منع الخلوّ، وأهل الفتوّة والمروّة لايرضي بشيء منهما، والقتل بالسيف في الجهاد عندهم ألذّ وأشهى كما مرّ بيانه في شرح المختار الماة والثاني والعشرين .

ثمّ اقسم بالقسم البارّ بأنه إذا جاء موته ليكون مفارقته لهم عن قلى وبغض فقال (فوالله لئن جاء يومي) الموعود (وليأتينّي) جملة معترضة أتي بها لدفع ايهام خلاف المقصود .

بيانه ذلك أنّ لفظة إن وإذا الشرطيّتين تشتركان في إفادة الشرط في الاستقبال لكن أصل إن أن يستعمل في مقام عدم الجزم بوقوع الشرط وأصل إذا أن يستعمل في مقام الجزم بوقوعه، ولذلك كان الحكم النادر الوقوع موقعا لان لكونه غير مقطوع

به في الغالب، والحكم الغالب الوقوع موردالاذا وغلب لفظ الماضي معها لدلالته على الوقوع قطعاً نظراً إلى نفس اللفظ وإن نقل ههنا الى معنى الاستقبال قال سبحانه مبيّنا لحال قوم موسى عليه السلام : «فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيّئة يطيّروا بموسى ومن معه» جيء في جانب الحسنة بلفظ الماضي مع إذا لأنّ المراد الحسنة المطلقة التي وقوعها مقطوع به ولذلك عرفت بلام الجنس لأنّ وقوع الجنس والماهية كالواجب لكثرته و وسعته، و في جانب السيئة بلفظ المضارع مع إن لندرتها وقلّتها ولذلك نكرت لدلالة التنكير على التقليل .

اذا عرفت ذلك فنقول: إنّ موته عليه السلام لما كان أمراً محقّقا معلوم الوقوع كان المقام مقتضياً للاتيان باذا، لكنه أتى بان الموهمة لعدم جزمه عليه السلام به.

فاستدرك ذلك أوّلا بالعدول في الشرط عن الاستقبال إلى الماضي حيث قال : جاء يومي ولم يقل يجيء إبرازاً لغير الحاصل في معرض الحاصل و كون ما هو للوقوع كالواقع بقوّة أسبابه المعدّة له مع ما فيه من إظهار الرغبة و الاشتياق الى حصول الشرط، فانّ الطالب إذا عظمت رغبته في حصول أمر يكثر تصوّره إياه فربما يخيل ذلك الأمر إليه حاصلا فيعتبر عنه بلفظ الماضي .

واستدركه ثانيا بقوله: وليأتينّي ، فنبّه عليه السلام بهذين الاستدراكين على أنّه جازم بمجيء يومه الموعود قاطع به وأنّ مجيئه قريب الوقوع وهو مشتاق اليه وأشدّ حبّاً له من الطفل بثدي أمّه كما صرّح به في غير واحدة من كلماته، وهذا من لطايف البلاغة ومحسّناتها البديعة الّتي لا يلتفت إليها إلاّ مثله عليه السلام هذا .

وقوله (ليفرّقن بيني وبينكم وأنا بصحبتكم قال) يعني إذا جاء مما تى يكون فارقاً بيننا والحال أني مبغض لكم مستنكف عن مصاحبتكم (وبكم غير كثير) أى غير كثير بسببكم قوّة وعدة لأنّ نسبتكم إليّ كالحجر في جنب الانسان لا أعوان صدق عند مبارزة الشجعان، ولا إخوان ثقة يوم الكريهة و مناضلة الأقران

(لله أنتم) أى لله درّكم وهو دار وفى مقام التعجّب و المدح تلطفا قال العلاّمة المجلسي ره: ولعلّه للتعجّب على سبيل الذمّ .

أقول : إن أراد انفهام الذمّ منه بقرينة المقام فلا بأس و إلاّ فهو خلاف ما اصطلحوا عليه من استعمالها في مقام المدح حسبما عرفته تفصيلا في شرح الاعراب.

و قوله (أمادين يجمعكم و لا حميّة تشحذكم) أي تحدد كم في معني الطلب والترغيب على الاجتماع على الدّين و ملازمة الحميّة سواء جعلنا أما حرف عرض وتحضيض أو الهمزة للاستفهام التوبيخي أوالتقريري وماحرف نفي .

أمّا على الأول فواضح لأنّ معني التحضيض في المضارع هو الحضّ على الفعل والطلب له فهو فيه بمعني الأمر وقلّما يستعمل فيه إلاّ في موضع التوبيخ واللّوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب .

و أمّا على جعل الهمزة للانكار التوبيخى فكذلك لاقتضائه وقوع ما بعدها و كون فاعله ملوماً ولوم المخاطبين وتوبيخهم على عدم الدّين وترك الحميّة مستلزم لطلب الدّين والحميّة منهم .

وأمّا على جعلها للتقرير فلأنّ معني التقرير هو حمل المخاطب على الاقرار بأمر قد استقرّ عنده ثبوته أو نفيه، والمراد هنا التقرير بما بعد النفي أي تقرير المخاطبين وحملهم على الاعتراف بالدّين الجامع والحميّة الشاحذة و حملهم على الاعتراف بذلك في معنى طلبه منهم وحملهم عليهم حتى لايكونوا كاذبين

وإلى ذلك ينظر ماقاله العلاّمة التفتازاني: من أنّ العرض مولد من الاستفهام أي ليس باباً على حدة ، فالهمزة فيه همزة الاستفهام دخلت على النفي وامتنع حملها على حقيقة الاستفهام لأنه يعرف عدم النزول مثلا فالاستفهام عنه يكون طلباً للحاصل فتولد منه بقرينة الحال عرض النزول على المخاطب وطلبه، وهي في التحقيق همزة الانكار، أي لاينبغي لك أن لاتنزل(١) وإنكار النفي إثبات .

وفيه أيضاً ومن مجيء الهمزة للانكار أليس الله بكاف، أي الله كاف عبده، لأنّ إنكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات، وهذا المعني مراد من قال: إنّ الهمزة للتقرير بما بعد النفي النفي لا بالنفي، وهكذا ألم نشرح لك صدرك، وألم يجدك يتيماً، وما

---

(١) اى ألا تنزل بنا.م

أشبه ذلك ، فقد يقال : إنّ الهمزة للانكار وقد يقال إنها للتقرير وكلاهما حسن انتهى .

ومن ذلك علم أنّ الهمزة في قوله (أوليس عجباً) أيضاً تحتمل الانكار والتقرير كالجملة السابقة إلاّ أنّ بينهما فرقا ، و هو أنّ الانكار في السابق للتوبيخ وهنا للابطال، ومقتضاه أن يكون مابعده غير واقع و مدعيه كاذباً فيكون مفاده إنكار عدم العجب وأنّ من ادّعى عدمه فهو كاذب ويلزمه ثبوت العجب لأنّ نفي النفي إثبات كما مرّ في نحو: أليس الله بكاف عبده، وأمّا على كونها للتقرير فلا فرق بينهما لأنها هنا أيضا للتقرير بما بعدالنفي أى حملهم على الاقرار بثبوت العجب.

وعلى أىّ تقدير فالمقصود من الكلام بقرينة الحال والمقام حثّهم على رفع ما أوجب التعجّب عن قبلهم وهو تفرّقهم عنه و اختلافهم عليه .

كما أشار إلى تفصيله بقوله (إنّ معاوية يدعو الجفاة الطغام) أى الأراذل والأوغاد من الناس (فيتّبعونه) ويجيبون دعوته (على غير معونة ولاعطاء) قال الشارح المعتزلي: الفرق بينهما انّ المعونة إلى أنجد شيء يسير من المال يرسم لهم لترميم أسلحتهم و إصلاح دوابهم و يكون ذلك خارجا عن العطاء المفروض شهراً فشهراً والعطاء المفروض شهراً فشهراً يكون شيئاً له مقدار يصرف في أثمان الأقوات ومعونة العيال و قضاء الدّيون

فان قلت: كيف يجتمع قوله فيتّبعونه على غير معونة ولاعطاء بماهو المعروف من بذل معاوية وأنه يمدّ جيشه بالأموال والرغايب

قلت: قد أجاب عنه الشارح المعتزلي بأنّ معاوية لم يكن يعطى جنده على وجه المعونة والعطاء ، وإنما كان يعطي رؤساء القبايل من اليمن وساكني الشام الأموال الجليلة تستعبدهم بها ويدعو أولئك الرؤساء أتباعهم من العرب فيطيعونه، فمنهم من يطيعهم حمية و منهم من يطيعهم ديناً للطلب بدم عثمان ، ولم يكن يصل إلى هولاء الأتباع من أموال معاوية قليل ولا كثير، وأما أمير المؤمنين فانه كان يقسم بين الرؤساء والاتباع على وجه العطاء والرزق لايرى شريف على مشروف فضلا

وإلى ذلك أشار بقوله (وأنا أدعوكم وأنتم تريكة الاسلام وبقيّة) المسلمين من (النّاس) لايخفى ما في الاتيان بهذه الجملة من النكتة اللّطيفة وهو الالهاب لهم والتهييج على المتابعة واستعار لهم لفظ التريكة لكونهم خلف الاسلام وبقيّته كالتريكة التي يتركها النعامة . أى أدعوكم مع كونكم خلف الاسلام وبقيّة السّلف وأولى النّاس بالقيام على مراسمه وبسلوك نهج الاسلاف (إلى المعونة أوطائفة من العطاء فتفرّقون عنّي) وتقاعدون (وتختلفون عليّ) ولاتجتمعون.

وعمدة أسباب التفرّق والتقاعد هو ما أشرنا إليه هنا إجمالا وقدّمناه في شرح الخطبة الرابعة والثلاثين تفصيلا من تسويته عليه السلام في العطاء بين الشريف والوضيع والرّئيس والمرؤوس و الموالي والعبيد ، فكان الرؤساء من ذلك واجدين في أنفسهم فيخذلونه باطناً وينصرونه ظاهراً، وإذا أحسّ الاتباع بتخاذل الرّؤساء تخاذلوا أيضاً فلم يكن يجد عليه السلام لما أعطى الاتباع من الرّزق ثمرة ، لأنّ قتال الأتباع لايتصوّر وقوعه مع تخاذل الرّؤساء فكان يذهب مايعطيهم ضياعاً، هذا .

و قد تحصّل من قوله عليه السلام أوليس عجباً ، إلى قوله : تختلفون على أنّ منشأ تعجّبه عليه السلام أمور :

أوّلها أنّ داعيهم معاوية إمام القاسطين وداعي هؤلاء أمير المؤمنين إمام المتّقين والأوّل يدعوهم إلى درك الجحيم والثّاني يدعوهم إلى نضرة النعيم .

وثانيها أنّ المدعوّ هناك الأوغاد الطغام مع خلوّهم غالباً عن الغيرة والحميّة وههنا تريكة الاسلام وبقيّة أهل التقوى والمروّة .

وثالثها متابعة الأوّلين على إمامهم من غير معونة ولا عطاء ومخالفة الآخرين لامامهم مع المعونة والعطاء .

ثمّ أشار إلى مخالفتهم له عليه السلام في جميع الأحوال فقال (إنه لايخرج إليكم من أمرى رضا فترضونـه و لا سخط فتجتمعون عليه) أى لايخرج إليكم من أمرى شيء من شأنه أن يرضى به كالمعونـة و العطاء فترضونه أو من شأنه أن يسخط منه كالحرب و الجهاد لكراهة الموت و حبّ البقاء فتجتمعون عليه، بل لابدّ لكم من

المخالفة والتفرّق على الحالين أى لاتقبلون من أمرى وما أقول لكم شيئاً سواء كان فيه الرّضا أو السخط .

ثمّ قال (و إنّ أحبّ ما أنالاق إليّ الموت) أى أحبّ الأشياء إليّ لقاء الموت قال الشارح المعتزلي : وهذه الحال الّتي ذكرها أبوالطيّب فقال :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا
تمنّيتها لما تمنّيت أن أرى صديقاً فأعيا أو عدوّاً مراجياً

ثمّ أشار عليه السلام إلى جهة محبّته للقاء الموت و كراهته لصحبتهم ، وهوتثاقلهم من إجابة الحقّ وعدم قبولهم لمواعظه ونصايحه ، وذلك معنى قوله : (قد دارستكم الكتاب) أى قرأته عليكم للتعليم و قرأتم عليّ للتعلّم (و فاتحتكم الحجاج) أى حاكمتكم بالمحاجّة و المجادلة (وعرفتكم ما أنكرتم) أى عرفتكم ماكانت منكرة مجهولة عندكم من طريق الصّلاح و السّداد وما فيه انتظام أمركم في المعاش والمعاد (وسوّغتكم ما مججتم) أى أعطيتكم من الأرزاق والأموال ماكنتم محرومين عنها فاستعار لفظ التسويغ للاعطاء ، والجامع سهولة التناول كما استعار لفظ المجّ و هو اللّفظ من الفم للحرمان، والجامع امتناع الانتفاع .

و قوله (لو كان الأعمى يلحظ أو النائم يستيقظ) أى لوكان الأعمى يلحظ لأبصرتم ، ولوكان النائم يستيقظ لانتبهتم ، وهوتعريض عليهم بأنّ لهم أعيناً لايبصرون بها ، وآذانالايسمعون بها ، وقلوباً لايفقهون بها ، فهم صمّ بكم عمى وهم لايعقلون

ثمّ تعجّب من حال أهل الشام و متابعتهم على معاوية فقال (و أقرب بقوم) قد مرّ لطف هذه اللّفظة وافادتها للمبالغة في التعجّب في بيان الاعراب أى ما أشدّ قرب قوم (من الجهل بالله) وبشرايعه وبأحكامه (قائدهم معاوية) المنافق بن الكافر (و مؤدّبهم) و مشيرهم (ابن النابغة) الغادر الفاجر ، و أراد به عمرو بن العاص اللّعين وطوى عن ذكر اسمه تحقيراً وتعريضاً على خسّته ودنائته ،وقدحاً في نسبه على ما عرفته تفصيلا في شرح المختار الثالث والثمانين .

الترجمة

ازجمله کلام بلاغت نظام آن امام أنام است علیه الصّلاة والسّلام در مذمّت أصحاب خود میفرماید :

حمد وثنا میکنم معبود بحق را بر آنچه قضا فرمود ازهر أمر و تقدیر کرد ازهرفعل ، وبرامتحان شدن من بشما ای گروهی که چون أمرمی کنم مرا اطاعت نمینمائید ، و اگر دعوت بکنم اجابت نمیکنید ، واگرمهمل گذاشته شوید یامهلت داده شده باشید غوص میکنید در لغو و باطل ، و اگر محاربه کرده شوید ضعیف میباشید یا صدا میکنید مثل صدای گاو ، واگر جمعیت نمایند مردم برامامي طعنه میزنید یا اینکه مفارقت مینمائید ، واگر خوانده شوید یا ملجأً شوید بسوی مشقّت یعني محاربه بازمیگردید

بی‌پدر باشد غیرشماچه انتظار میکشید با تأخیر یاری کردن ومجاهده نمودن برحق خودتان ، مرگ یا ذلّت باد ازبرای شما ، پس سوگند بخدا اگربیاید روز وفات من والبته خواهد آمدهر آینه جدائی میأندازد میان‌من ومیان شمادرحالتیکه من دشمن گیرنده باشم صحبت شمارا ، و درحالتیکه من بسبب شما صاحب کثرت قوّت وزیادتي شوکت نمیباشم ، ازبرای خدا است خیرشما آیانیست دینی که جمع نماید شمارا ، آیانیست حمیّت غیرتي که باعث حدّت شما بشود ، آیا نیست عجیب اینکه معاویه دعوت میکند جفا کاران وفرومایگان را پس متابعت میکنند بر او بدون اینکه جیره ومواجبي بآنهابدهد ، ومن دعوت میکنم شمارا درحالتی که شما پس مانده اسلام و بقیه مردمان هستید بسوی معونت یا طائفه از عطاء پس متفرّق میشوید واختلاف میورزید برمن .

بدرستیکه خارج نمیشود بسوی شما از امر من چیزیکه متضمّن رضا وخوشنودیست پس خوشنود بشوید از آن ، یا چیزی که متضمّن سخط و خشم است پس اجتماع نمائید بر آن ، وبدرستي که دوست‌ترین‌چیزی که من ملاقات کننده‌ام بسوی من مرگ است ، بتحقیق که من درس گفتم شما را کتاب خدارا و محاکمه

كردم باشما با اجتماع وشناساندم شمارا چيزى را كه نميدانستيد ، وگوارا ساختم ازبراى شما چيزى‌راكه از دهان انداخته بوديد اگر نابينا ميديد يا اينكه خواب كننده بيدار ميشد، چه قدر نزديك است قومى از جهالت بخدا كه پيشواى ايشان معاويه است و أدب دهندهٔ ايشان پسر زن زنا كار كه عبارت است از عمرو بن عاص بي دين .

و من كلام له عليه السلام و هو المأة والثمانون من المختار في باب الخطب

وهومروى في البحاروفي شرح المعتزلي وفي شرح المختارالرابع والأربعين جميعا من كتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثقفى باختلاف تطلع عليه .

قال السيّد ره وقدأرسل رجلاً من أصحابه يعلم له علم قومٍ من جند الكوفة قدهموا باللّحاق بالخوارج وكانوا على خوف منه عليه السلام فلما عاد إليه الرّجل قال عليه السلام له :

ءأمِنُوا فَقطَنُوا أمّ جَبنُوا فظَعَنُوا ؟ فقال الرجل بل ظعنوا يا أميرالمؤمنين فقال عليه السلام :

بُعْداً لَهُمْ كَما بَعُدَتْ ثَمُودُ أما لَوْ أشرِعَتِ الأسِنَّةُ إلَيْهِمْ وَصُبَّتِ السُّيوفُ عَلى هاماتِهِمْ لَقَدْ نَدِمُوا عَلى ما كانَ مِنْهُمْ، إنّ الشَّيْطانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفَلَّهُمْ وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّيءٌ مِنْهُمْ، وَمُخَلٍّ عَنْهُمْ فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدى وَارْتِكاسِهِمْ فِي الضَّلالِ وَالْعَمى وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَجِماحِهِمْ فِي التِّيهِ

اللغة

(يعلم له) مضارع علم و(قطن) بالمكان من باب قعد أقام به وتوطّنه فهو قاطن و (ظعن) ظعناً من باب منع ارتحل والاسم ظعن بفتحتين (وبعد) بالضمّ بعداً ضدّ قرب فهو بعيد وبالكسر من باب تعب هلك و(ثمود) قوم صالح النبيّ عليه السلام وسمّوا باسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح، وقيل: سمّيت القبيلة بذلك لقلّة مائها من الثمد هو الماء القليل وكانت مساكنها بين الحجاز والشام إلى وادي القرى و (أشرعت) الرمح إلى زيد سددته وصوّبته نحوه و (الهامات) جمع الهامة رأس كلّ شيء قال الشاعر:

تذر الجماجم ضاحياً هاماتها بله الأكف كأنّها لم تخلق

(قد استفلّهم) في أكثر النسخ بالفاء أي وجدهم فلّاً لاخير فيهم أو مفلولين منهزمين، وفي بعضها بالقاف أي حملهم قال سبحانه: أقلّت سحابا ثقالا، أو اتّخذهم قليلا وسهل عليهم أمرهم، وفي بعضها استفزّهم أي استخفّهم، و في بعضها استقبلهم أي قبلهم.

و (الركس) قال الجوهري هو ردّ الشيء مقلوباً، وارتكس فلان في أمر كان قد نجا منه و قال الفيومي: ركست الشيء ركساً من باب قتل قلبته و رددت أوّله على آخره، وأركسته بالألف رددته على رأسه و (جمح) الفرس من باب منع اعتز فارسه وغلبه فهو جموح.

الاعراب

بعداً لهم منصوب على المصدر، وثمود بدون التنوين غير مصروف إذا اريد به القبيلة، ومع التنوين على الانصراف وإرادة الحيّ، أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر قاله الزمخشري في الكشاف في تفسير قوله تعالى «وإلى ثمود أخاهم صالحا» وبهما قرء أيضا في الآية، والباء في قوله: بخروجهم، زايدة كما زيدت في كفى بالله

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام كما أشار إليه السيّد قاله عليه السلام (و قد أرسل رجلا من

أصحابه) وهو عبدالله بن قعين (يعلم له علم قوم) وفي بعض النسخ علم أحوال قوم أى أرسله ليعلم حالهم فيخبره به و هم خريت بن راشد أحد بني ناجية مع جماعة من أصحابه وكانوا (من جند الكوفة) شهدوا معه عليه السلام صفين حسبما عرفته في شرح المختار الرابع والأربعين وتعرفه هنا أيضا تفصيلا

(همّوا) بعد انقضاء صفين و بعد تحكيم الحكمين (باللّحاق بالخوارج وكانوا على خوف منه عليه السلام فلما عاد) أى رجع اليه عليه السلام (الرجل قال عليه السلام له: أأمنوا) وفي بعض النسخ باسقاط همزة الاستفهام كما في قوله تعالى : سواء عليهم أنذرتهم ، على قراءة ابن محيص قال: انّه بهمزة واحدة على لفظ الخبر و همزة الاستفهام مرادة ولكن حذفها تخفيفا لدلالة: أم لم تنذرهم، عليه لأنّ أم يعادل الهمزة،وقرء الأكثرون على لفظ الاستفهام .

وقوله (فقطنوا) أي أقاموا (أم جبنوا فظعنوا) أى ارتحلوا (فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام : بعداً لهم) أى هلكا لهم أو أبعد هم الله من رحمته بعداً والمعنيان متلازمان (كما بعدت ثمود) بكسر العين في أكثر النسخ و كذا في المصاحف.

ثمّ أخبر عن مستقبل حالهم بأنهم يندمون على تفريطهم فقال (أما لو اشرعت الأسنّة إليهم وصبّت السيوف على هاماتهم) استعار لفظ الصبّ الّذى هو حقيقة في صبّ الماء لكثرة وقع السيوف على الرؤوس ، و الجامع سرعة الوقوع ، يعنى أنهم لو عاينوا القتال والهجوم عليهم بالقتل و الاستيصال (لقد ندموا) حينئذ (على ما كان منهم) من التقصير والخطاء

ثمّ نبّه على أنّ ما صدر عنهم من الظعن واللّحاق بالخوارج إنما هو من عمل الشيطان يقول للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك و هو قوله عليه السلام (إنّ الشيطان اليوم قد استفلّهم) أى وجدهم بمعزل من الخير فزيّن لهم اللّحوق بأوليائه (وهو غداً متبرىء منهم ومخل عنهم) اى تارك لهم كما شأنه مع ساير أوليائه قال تعالى «وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانّي جار لكم فلما

ترائت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريء منكم إنّي أرى مالاترون إنّي أخاف الله والله شديد العقاب »

(فحسبهم بخروجهم من الهدى) أى يكفيهم خروجهم منه عذابا ووبالا (وارتكاسهم في الضّلال والعمى) أى رجوعهم إلى الضلال القديم والجهل الّذى كانوا عليه بعد خروجهم منه ونجاتهم عنه بهدايته عليه السلام (وصدّهم) أى إعراضهم (عن الحقّ) اللاّزم عليهم و هو طاعة إمامهم المفترض طاعته (وجماحهم في التيه) و الضّلال أو مفازة المعصية، هذا

و أما قصّة هؤلاء القوم الّذين همّوا باللّحاق بالخوارج فقد مضى طرف منها في شرح الكلام الرابع والأربعين لارتباطه به، وأورد هنا باقتضاء المقام مالم يتقدّم ذكره فأقول :

روى العلاّمة المجلسى ره في كتاب البحار و الشارح المعتزلي جميعا من كتاب الغارات لابراهيم الثقفي بتلخيص منّي عن الحارث بن كعب الأزدى عن عمّه عبدالله بن قعين قال : كان الخريت بن راشد أحد بنى ناجية قد شهد مع عليّ عليه السلام صفين، فجاء اليه بعد انقضاء صفين و بعد تحكيم الحكمين في ثلاثين من أصحابه يمشي بينهم حتّى قام بين يديه فقال: لا والله لا أطيع أمرك ولا اُصلّي خلفك وإنّي غداً لمفارق لك .

فقال عليه السلام : ثكلتك امّك إذا تنقض عهدك وتعصي ربّك و لا تضرّ إلاّ نفسك أخبرني لم تفعل ذلك؟

قال: لأنّك حكمت في الكتاب و ضعفت عن الحقّ اذجدّ الجدّ وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم فأنا عليك رادّ وعليهم ناقم ولكم جميعا مباين

فقال له عليّ عليه السلام: و يحك هلمّ إليّ اُدارسك و اُناظرك في السّنن واُفاتحك اُموراً من الحقّ أنا أعلم بها منك فلعلّك تعرف ما أنت الآن له منكر، و تبصر ما أنت الآن عنه غافل، وبه جاهل .

فقال الخريت: فانا غاد عليك غداً

فقال عليّ عليه السلام اغد ولايستهوينّك الشيطان ولا يقتحمنّ بك رأى السّوء، و لا يستخفنّك الجهلاء الذين لايعلمون، فوالله إن استرشدتني واستنصحتني وقبلت منّي لأهدينك سبيل الرّشاد .

فخرج الخريت من عنده منصرفا إلى أهله .

قال عبدالله بن قعين فعجلت في أثره مسرعا و كان لي من بني عمّه صديق فأردت أن القي ابن عمّه في ذلك فاعلمه بما كان في قوله لأمير المؤمنين عليه السلام وآمر ابن عمّه أن يشتدّ بلسانه عليه و أن يأمره بطاعة أمير المؤمنين عليه السلام و مناصحته ويخبره أنّ ذلك خيرله في عاجل الدّنيا و آجل الآخرة .

قال: فخرجت حتّى أتيت إلى منزله وقد سبقني فقمت عندباب داره فيهارجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على أمير المؤمنين فوالله ما رجع ولاندم على ماقال لأمير المؤمنين عليه السلام ولاردّ عليه ولكنه قال لهم: يا هؤلاء إنّي قد رأيت إن أنا أفارق هذا الرّجل وقد فارقته على أن أرجع إليه من غد ولا أرى إلّاالمفارقة فقال له أكثرأصحابه: لاتفعل حتّى تأتيه فان أتاك بأمر تعرفه قبلت منه وإن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه قال لهم نعم مارأيتم .

قال فاستاذنت عليهم فأذنوا إلىّ فأقبلت علي ابن عمّه وهو مدرك بن الريان الناجى و كان من كبراء العرب فقال له: إنّ لك علىّ حقا لأحسانك وودّك و حقّ المسلم على المسلم انّ ابن عمك كان منه ما قد ذكرك فاخل به فاردد عليه رأيه وعظم عليه ما أتى، واعلم أنّي خائف إن فارق أمير المؤمنين عليه السلام أن يقتلك ونفسه وعشيرته،فقال: جزاك الله خيراً من أخ إن أراد فراق أمير المؤمنين عليه السلام ففي ذلك هلاكه وإن اختار مناصحته والاقامة معه ففي ذلك حظّه و رشده

قال: فأردت الرجوع إلى عليّ عليه السلام لأعلمه الّذى كان ثمّ اطمأننت إلى قول صاحبي فرجعت إلى منزلى، فبتّ ثمّ أصبحت فلما ارتفع النهار أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فجلست عنده ساعة وأنا اريد أن أحدّثه بالّذى كان على خلوة، فأطلت الجلوس

ولايزداد الناس إلا كثرة، فدنوت منه فجلست ورائه فأصغي إلى برأسه فأخبرته بماسمعته من الخريت وما قلت لابن عمه وماردّ علي

فقال عليه السلام: دعه فان قبل الحق ورجع عرفنا له ذلك وقبلناه منه

فقلت: يا أمير المؤمنين عليه السلام لم لا تأخذه الآن و تستوثق منه ؟

فقال عليه السلام: إنا لوفعلنا هذا بكلّ من يتّهم من الناس ملأنا السجون منهم ولا أراني يسعني الوثوب بالناس والحبس لهم وعقوبتهم حتّى يظهروا الخلاف .

قال : فسكتّ عنه وتنحّيت و جلست مع أصحابي هنيئة فقال عليه السلام لي : ادن منّي، فدنوت فقال لي: سر إلى منزل الرّجل فاعلم مافعل فانّه قل يوم لم يكن يأتيني فيه قبل هذه الساعة، فأتيت إلى منزله فاذاً ليس في منزله منهم ديّار فدرت على أبواب دور أخرى كان فيها طائفة من أصحابه فاذا ليس فيها داع و لا مجيب فأقبلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام

فقال لي حين رآني: أقطنوا فأقاموا أم جبنوا فظعنوا؟ قلت: لابل ظعنوا فقال أبعدهم الله كما بعدت ثمود أما و الله لوا شرعت لهم الأسنّة وصبّت على هاماتهم السيوف لقد ندموا إنّ الشيطان قداستهواهم وأضلّهم وهومتبرّىء منهم ومخلعنهم

فقام إليه زياد بن حفصة فقال يا أمير المؤمنين إنه لولم يكن من مضرّة هؤلاء إلاّ فراقهم إيّانا لم يعظم فقدهم علينا فانّهم قلّ ما يزيدون في عددنا لوأقاموا معنا و قلّما ينقصون من عددنا بخروجهم منّا ، و لكنا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممّن يقدمون عليهم من أهل طاعتك ، فائذن لي في اتّباعهم حتّى أردّهم عليك انشاء الله

فقال عليه السلام له: فاخرج في آثارهم راشداً فلمّا ذهب ليخرج قال عليه السلام له: وهل تدرى أين توجّه القوم؟ قال: لاوالله ولكنّي أخرج فأسأل واتبع الأثر، فقال اخرج رحمك الله حتّى تنزل دير أبي موسى ثمّ لاتبرحه حتّى يأتيك أمرى فانهم انخرجوا ظاهرين بارزين للناس في جماعة فانّ عمّالي ستكتب إليّ بذلك ، و إن كانوا

متفرّقين مستخفين فذلك أخفى لهم وسأكتب إلى من حولى من عمّالى فيهم.

فكتب نسخة واحدة و أخرجها إلى العمّال

من عبدالله علىّ أمير المؤمنين إلى من قرء عليه كتابى هذا من العمّال أمّا بعد فانّ رجالالنا عندهم تبعة خرجوا هراباً نظنّهم خرجوا نحو بلاد البصرة فاسأل عنهم أهل بلادك و اجعل عليهم العيون في كلّ ناحية من أرضك ثمّ اكتب إلىّ بماينتهى إليك عنهم

فخرج زيادبن‌حفصة حتّى أتاداره وجمع أصحابه وأخذمعه منهم مأة وثلاثين رجلا وخرج حتّى أتى دير أبى موسى.

و روى باسناده عن عبدالله بن وال التيمي قال إنّي لعند أمير المؤمنين إذافيج قد جاءه يسعي بكتاب من قرظة كعب الأنصارى وكان أحد عمّاله فيه.

أما بعد فانّي اخبر أمير المؤمنين أن خيلا مرّت من قبل الكوفة متوجّهة و إن رجلا من دهاقين أسفل الفرات قدأسلم و صلّي يقال له زاذان فروخ أقبل من عند اخوال له فلقوه فقالوا أمسلم أنت أم‌كافر قال بل مسلم قالوا فما تقول في عليّ عليه السلام قال: أقول‌فيه خيراً أقول إنّه أمير المؤمنين وسيّدالبشرووصيّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله فقالوا: كفرت يا عدوّ الله ثمّ حملت عليه عصابة منهم فقطّعوه بأسيافهم و أخذوا معه رجلا من أهل الذمّة يهوديّاً، فقالوا له: ما دينك؟ قال يهودي، فقالوا: خلّوا سبيل هذا لاسبيل‌لكم عليه، فأقبل إلينا ذلك الذمّي فأخبرنا الخبر وقد سألت عنهم فلم يخبرني أحد عنهم بشيء فليكتب إليّ أمير المؤمنين عليه السلام فيهم برأيه أنته إليه إنشاءالله.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام أمّا بعد فقد فهمت ما ذكرت من أمر العصابة الّتي مرت بعلمك فقتلت البرّ المسلم وامن عندهم المخالف المشرك، وان اُولئك قوم استهواهم الشيطان فضلّوا كالذين حسبوا ألّايكون فتنة فعموا وصمّوا فاسمع بهم وابصر يوم يحشر أعمالهم فالزم عملك و اقبل على خراجك، فانك كما ذكرت في طاعتك ونصيحتك، والسّلام.

قال : فكتب عليه السلام إلى زياد بن حفصة مع عبدالله بن وال التيمي كتاباً نسخته .

أما بعد فقد كنت أمرتك أن تنزل دير أبي موسى حتّى يأتيك أمري دونك إنّي لم أكن علمت أين توجّه القوم وقد بلغني أنهم أخذوا نحو قرية من قرى السواد فاتّبع آثارهم وسل عنهم فانهم قد قتلوا رجلا من أهل السواد مسلماً مصلّياً فاذا أنت لحقت بهم فارددهم إليّ فان أبوا فناجزناهم واستعن بالله عليهم فانهم قد فارقوا الحقّ وسفكوا الدّم الحرام وأخافوا السّبيل ، و السّلام .

قال عبدالله بن وال فأخذت الكتاب منه عليه السلام وأنا يومئذ شاب حدث فمضيت غير بعيد ثمّ رجعت إليه فقلت يا أمير المؤمنين ألا أمضي مع زياد بن حفصة إلى عدوّك إذا دفعت عليه كتابك ؟ فأذن و دعا لي ثمّ مضيت إلى زياد بالكتاب، فقال لي زياد: يا ابن أخي والله مالي عنك من غنى وإني اُحبّ أن تكون معي في وجهي هذا ، فقلت : إنّي قد استأذنت أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك فأذن لي فسرّ بذلك.

ثمّ خرجنا حتّى أتينا الموضع الذي كانوا فيه فلحقناهم وهم نزول بالمداين وقد أقاموا بها يوماً وليلة وقد استراحوا وعلفوا دوابهم وخيولهم وأتيناهم وقد تقطعنا وتعبنا ونصبنا ، فلما رأونا وثبوا على خيولهم فاستووا عليها فجئنا حتّى انتهينا إليهم .

فنادى الخرّيت بن راشد أخبرونا ماتريدون ؟

فقال له زياد و كان مجرباً رفيقاً ، قد ترى ما بنا من النصب واللّغوب والّذي جئنا له لا يصلح فيه الكلام علانية ولكن تنزلون و ننزل ثمّ نخلو جميعاً فنذاكر أمرنا و ننظر فيه فان رأيت ماجئنا له حظاً لنفسك قبلته وإن رأيت فيما اسمع منك أمراً أرجو فيه العافية لنا ولك لم ارد عليك .

فقال الخرّيت انزل ، فنزلنا و نزل و تفرّقنا وتحلقنا عشرة وتسعة و ثمانية وسبعة تضع كلّ حلقة طعامها بين أيديها فتأكل ثمّ تقوم إلى الماء فتشرب ، و قال لنا زياد علفوا خيولكم فعلفنا عليها مخاليها (١) ووقف زياد في خمسة فوارس أحدهم

---

(١) مخاليها جمع مخلات (م)

عبدالله بن وال بيننا وبين القوم وانطلق القوم فتنحّوا فنزلوا وأقبل إلينا زياد .

فلما رأى تفرّقنا قال سبحان الله أنتم أصحاب حرب والله لوأنّ هؤلاء جاؤكم على هذه الحالة ما أرادوا من عزتكم أفضل من حالكم التي أنتم عليها فعجّلوا قوموا إلى خيولكم .

فأسرعنا فمنّا من يتوضّأ ومنّا من يشرب ومنّا من يسقي فرسه حتّى إذا فرغنا من ذلك أتينا زياداً فقال زياد : ليأخذ كلّ رجل منكم بعنان فرسه فاذا دنوت منهم و كلمت صاحبهم فان تابعني على ما أريد و إلاّ فاذا دعوتكم فاستووا على متون خيولكم ثمّ اقبلوا معاً غير متفرّقين .

ثمّ استقدم أمامنا و أنا معه و دعى صاحبهم الخرّيت فقال له : اعتزل ننظر في أمرنا فأقبل إليه في خمسة نفر فقلت لزياد : أدعو لك ثلاثة نفر من أصحابك حتى تلقاهم في عددهم فقال : ادع من أحببت ، فدعوت له ثلاثة فكنّا خمسة .

فقال له زياد : ماالّذي نقمت على أمير المؤمنين عليه السلام وعلينا حتّى فارقتنا؟ .

فقال : لم أرض صاحبكم إماماً و لم أرض بسيرتكم سيرة فرأيت أن أعتزل و أكون مع من يدعو إلى الشورى بين النّاس ، فاذا اجتمع الناس على رجل هو لجميع الأمّة رضى كنت مع النّاس .

فقال زياد : ويحك وهل يجتمع الناس على رجل يداني علياً عالما بالله وبكتاب الله وسنّة رسوله مع قرابته وسابقته في الاسلام؟.

فقال الخرّيت هو ما أقول لك .

قال : ففيم قتلتم الرّجل المسلم ؟

فقال الخرّيت ما أنا قتلته قتلته طائفة من أصحابي ، قال : فادفعهم إلينا قال : ما إلى ذلك من سبيل، قال : أوهكذا أنت فاعل؟ قال :هوماتسمع .

قال : فدعونا أصحابنا و دعى الخرّيت أصحابه ثمّ اقتتلنا فوالله ما رأيت قتالا مثله منذ خلقني الله لقد تطاعنّا بالرّماح حتّى لم يبق في أيدينا رمح ، ثمّ اضطربنا بالسيوف حتّى اثخنت وعقرت عامة خيلنا وخيلهم و كثرت الجراح فيمابينناوبينهم

وقتل منّا رجلان مولى لزياد كانت معه رايته يدعى سويداً ، ورجل آخر يدعى واقد ابن بكر، وصرع منهم خمسة نفروحال اللّيل بينناوبينهم وقد والله كرهونا و كرهناهم وهزمونا وهزمناهم وقد جرح زياد وجرحت .

ثمّ إنابتنافي جانب وتنحّوا فمكثوا ساعة من اللّيل ثمّ مضوا فذهبوا ، وأصبحنا فوجدناهم قد ذهبوا فوالله ما كرهنا ذلك فمضينا حتّى أتينا البصرة وبلغنا أنهم أتوا الأهواز فنزلوا في جانب منها و تلاحق بهم ناس من أصحابهم نحومأتين كانوا معهم بالكوفة لم يكن لهم من القوّة ما ينهضون معهم حين نهضوا ، فاتبعوهم من بعد لحوقهم بالأهواز فأقاموا معهم .

و كتب زياد إلى عليّ عليه السلام أما بعد فانّا لقينا عدوّ الله النّاجي وأصحابه بالمداين فدعوناهم إلى الهدى والحقّ والكلمة السّواء فتولّوا عن الحقّ وأخذتهم العزّة بالاثم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل فقصدونا ، وصمدنا صمدهم فاقتتلنا قتالا شديداً ما بين قائم الظهر إلى أن دلكت (۱) الشمس ، واستشهد منّا رجلان صالحان واصيب منهم خمسة نفر وخلوا لنا المعركة وقد فشت فينا وفيهم الجراح ، ثمّ إنّ القوم لما ادركوا اللّيل خرجوا من تحته متنكّرين إلى أرض الأهواز و قد بلغني أنهم نزلوا من الأهواز جانبا ونحن بالبصرة نداوى جراحنا وننتظر أمرك رحمك الله و السّلام .

فلما أتاه الكتاب قرأه على النّاس ، فقام إليه معقل بن قيس الرّياحي إلى آخر ماقدّمنا ذكره في شرح المختار الرابع والأربعين فليراجع هناك .

التّرجمة

ازجمله كلام آن بزرگواراست درحالتى كه فرستاده بود مردى را ازأصحاب خود تا بداند خبر طايفهٔ از لشگر كوفه را كه قصد كرده بودند آن طايفه ملحق شدن خوارج را ، وبودند آن گروه ترسان وهراسان ازآن حضرت ، چون بازگشت

---

(۱) دلكت دلوكاًغربت أواصفرت (ق)

آن مرد بسوی آن حضرت فرمود اورا آیا ایمن شدند پس اقامت کردند یا اینکه ترسیدند پس کوچ کردند ؟ پس گفت آنمرد کوچ کردند ای أمیرمؤمنان پس فرمود :

هلاك کند خداوند ایشان را هلاك کردني چنانچه هلاك شدند قوم ثمود ، آگاه باش که اگر راست کرده شود نیزها بسوی ایشان وریخته گردد شمشیرها برفرقهای آن مردودان ، هر آینه البته پشیمان خواهند شد بر آن چیزی که از ایشان سرزد ، بدرستیکه شیطان ملعون امرورایشان را بي‌خیرومنفعت یافت جلوه داد کوچ کردن را درنظرایشان ، واو فردا بی‌زاری خواهد جست از ایشان وتارك ایشان خواهد گشت ، پس بس‌است خارج بودن ایشان ازطریق‌هدایت ، وباز گشتن ایشان‌درضلالت وکوری، واعراض‌ایشان ازحق ، وسر کشی‌ایشان دربیابان حیراني وسر گرداني .

و من خطبة له عليه السلام و هی المأة والواحدة و الثمانون من المختار فی باب الخطب

وشرحها فی فصول :

الفصل الاول

روی عن نوف البکالي قال : خطبنا بهذه الخطبة بالکوفة أمیرالمؤمنین عليه السلام و هو قائم علی حجارة نصبها له جعدة بن هبیرة المخزومي وعلیه مدرعة من صوف وحمایل سیفه من لیف وفی رجلیه نعلان من لیف وکأنّ جبینه ثفنة بعیر فقال عليه السلام :

أَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي إِلَيْهِ مَصَـآئِرُ الْخَلْقِ ، وَعَواقِبُ الأَمْرِ ، نَحْمَدُهُ عَلىٰ عَظيمِ إِحْسانِهِ ، وَنَيِّرِ بُرْهانِهِ ، وَنَوامي فَضْلِهِ وَامْتِنانِهِ ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضـآءً ، وَلِشُكْرِهِ أَداءً ، وَإِلىٰ ثَوابِهِ مُقَرِّباً ، وَلِحُسْنِ مَزيدِهِ مُوجِباً ، وَنَسْتَعينُ بِهِ اسْتِعانَةَ راجٍ لِفَضْلِهِ ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ، واثِقٍ بِدَفْعِهِ ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمانَ مَنْ رَجاهُ مُوقِناً ، وَأَنابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً ، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً ، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً ، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّداً ، وَلاذَ بِهِ راغِباً مُجْتَهِداً ، لَمْ يُولَدْ سُبْحانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشارِكاً ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هالِكاً ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلا زَمانٌ ، وَلَمْ يَتَعاوَرْهُ زِيادَةٌ وَلا نُقْصانٌ ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِما أَرانا مِنْ عَلاماتِ التَّدْبيرِ الْمُتْقَنِ ، وَالْقَضاءِ الْمُبْرَمِ .

فَمِنْ شَواهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمٰواتِ مُوَطَّداتٍ بِلا عَمَدٍ ، قائِماتٍ بِلا سَنَدٍ ، دَعاهُنَّ فَأَجَبْنَ طائِعاتٍ مُذْعِناتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكِّئاتٍ وَلا مُبْطِئاتٍ ، وَلَوْلا إِقْرارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ ، وَإِذْعانُهُنَّ بِالطَّواعِيَةِ ، لَما جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ ، وَلا مَسْكَناً لِمَلائِكَتِهِ ، وَلا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ ، جَعَلَ نُجُومَها أَعْلاماً يَسْتَدِلُّ بِها الْحَيْرانُ في مُخْتَلِفِ فِجاجِ الأَقْطارِ ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِها ادْلِهْمامُ سُجُفِ اللَّيْلِ

الْمُظْلِمِ، وَلاَ اسْتَطاعَتْ جَلاَبِيبُ سَوادِ الْحَنادِسِ أَنْ تَرُدَّ ما شاعَ في السَّمٰواتِ مِنْ تَلأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ.

فَسُبْحانَ مَنْ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ سَوادُ غَسَقٍ داجٍ، وَلاَ لَيْلٍ ساجٍ في بِقاعِ الأَرَضينَ الْمُتَطَأْطِئاتِ، وَلاَ في يَفاعِ السُّفْعِ الْمُتَجاوِراتِ، وَما يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ في أُفُقِ السَّماءِ، وَما تَلاَشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمامِ، وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُها عَنْ مَسْقَطِها عَواصِفُ الأَنْواءِ وَانْهِطالُ السَّماءِ، وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّها، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّها، وَما يَكْفِى الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِها، وَما تَحْمِلُ الأُنْثىٰ في بَطْنِها.

وَالْحَمْدُ للهِ الْكائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ، أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَماءٌ، أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جانٌّ، أَوْ إِنْسٌ، لاَ يُدْرَكُ بِوَهْمٍ، وَلاَ يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، وَلاَ يَشْغَلُهُ سائِلٌ، وَلاَ يَنْقُصُهُ نائِلٌ، وَلاَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ، وَلاَ يُحَدُّ بِأَيْنٍ، وَلاَ يُوصَفُ بِالأَزْواجِ، وَلاَ يَخْلُقُ بِعِلاَجٍ، وَلاَ يُدْرَكُ بِالْحَواسِّ، وَلاَ يُقاسُ بِالنّاسِ، الَّذي كَلَّمَ مُوسىٰ تَكْليماً، وَأَراهُ مِنْ آياتِهِ عَظيماً، بِلاَ جَوارِحَ وَلاَ أَدَواتٍ، وَلاَ نُطْقٍ وَلاَ لَهَواتٍ.

بَلْ إِنْ كُنْتَ صادِقاً أَيُّها الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرَئيلَ وَميكائيلَ وَجُنُودَ الْمَلاَئِكَةِ الْمُقَرَّبينَ في حُجُراتِ الْقُدْسِ مُرْجَحِنّينَ،

مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ، وَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُوا الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ، فَلَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

اللغة

(البكالي) بكسر الباء قال في القاموس : وبنو بكال ككتاب بطن من حمير منهم نوف بن فضالة التابعي وكأمير حيّ من همدان ، وعن الجوهرى أنّه بفتح الباء، وعن قطب الراوندي في شرح النهج أنّ بكال وبكيل شيء واحد وهو اسم حيّ من همدان وبكيل أكثر ، والصواب كما قاله الشارح المعتزلي ما في القاموس .

و (ثفنة) البعير بالكسر ركبته و ما مسّ الأرض من كركرته و سعد اناته وأصول أفخاذه ، وثفنت يده من باب فرح غلظت و (العمد) جمع عماد على خلاف القياس قال سبحانه : في عمد ممدّدة و (تلكأ) عليه اعتلّ و عنه أبطأ و (الطواعية) و زان ثمانية الطاعة و (المختلف) الاختلاف و التردّد أو موضعه أو من المخالفة و (الفجّ) الطريق الواسع بين الجبلين و (القطر) الجانب والناحية و (السجف) بالفتح والكسر الستر والجمع سجوف وأسجاف و (الحنادس) جمع الحندس وزان زبرج اللّيل شديد الظلمة و (اليفاع) واليفع محرّكة التلّ و (السفع) بالضمّ جمع سفعة وهو من الألوان ما اشرب حمرة و (المسقط) اسم مكان كمقعد ومجلس .

و (الأنواء) جمع نوء وهو سقوط النجم من منازل القمر الثمانية و العشرين في المغرب من الفجر وطلوع رقيبه من المشرق مقابلا له من ساعته وستعرف زيادة تحقيق له في بيان المعنى و (اللّهوات) واللّهيات جمع اللّهاة وهي اللّحمة المشرفة على الحلق أو بين منقطع اصل اللّسان و منقطع القلب من أعلى الفم و (ارجحنّ) يرجحنّ كاقشعرّ مال واهتزّ وعن الجزرى أرجحنّ الشيء إذا مال من ثقله وتحرّك .

الاعراب

من في قوله : والعمل الصالح من خلقه ، ابتدائية نشوية ، وقوله : في مختلف فجاج آه ، متعلّق بالحيران أو بقوله : يستدلّ ، قوله : لم يمنع ضوء نورها ادلهمام ، في أكثر النسخ برفع ادلهمام على أنّه فاعل يمنع ونصب ضوء على أنّه مفعوله ، و في بعض النسخ بالعكس قال الشارح المعتزلي: وهذا أحسن وستعرف وجه الحسن في بيان المعنى .

وأو في قوله: أوعرش وما بعدها بمعني الواو، وقوله: لايحدّ بأين قال الشارح المعتزلى : لفظة أين في الأصل مبنيّة على الفتح فاذا نكرتها صارت اسماً متمكّنا من الاعراب ، وإن شئت قلت بأنّه عليه السلام تكلّم بالاصطلاح الحكمي والأين عندهم حصول الجسم في المكان وهو أحدا لمقولات العشر وقوله: في حجرات القدس، إمّا متعلّق بالمقرّبين أو بمرجحنين، والأوّل أقرب لفظاً والثاني معني، والاضافة في قوله: أمدحدّه، بيانيّة وقوله: بالفناء متعلّق بقوله: ينقضى

المعنى

قال السيّد ره (روى عن نوف) بن فضالة (البكالى) الحميرى انّه (قال خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة) الظاهر أنّ المراد بجامع الكوفة (وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومى) وهو ابن اخت أمير المؤمنين عليه السلام وأمّه أمّ هاني بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم وأبوه كما قاله السيّد ره: هبيرة وهو ابن أبي وهب بن عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم، وكان فارساً شجاعاً فقيها والى خراسان من جانب أمير المؤمنين عليه السلام، و من شعره الّذى يباهى فيه بنسبه قوله :

أبى من بنى مخزوم إن كنت سائلا ... ومن هاشم أمّى لخير قبيل
فمن ذا الّذى باهي علىّ بخاله ... كخالى علىّ ذي الندى و عقيل

(وعليه عليه السلام مدرعة) أى جبّة تدرّع بها (من صوف و حمائل سيفه من ليف) النخل

(وفي رجليه نعلان من ليف) أيضاً و كفى بذلك زهداً (وكأنّ جبينه) من طول السجود (ثفنة بعير) و كفى به عناء وعبادة

وقد ورثه منه عليه السلام ابن ابنه عليّ بن الحسين زين العابدين و سيّد الساجدين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه أجمعين حتّى اشتهر ولقّب بالسجّاد ذى الثفنات قال دعبل الخزاعى في قصيدته المعروفة :

ديار عليّ و الحسين و جعفر وحمزة والسجّاد ذى الثفنات

(فقال الحمدلله الذى إليه مصائر الخلق و عواقب الأمر) أى إليه مرجع الخلايق في المبدء والمآب وعواقب امرهم يوم الحساب كما قال تعالى: إنّ إلينا إيابهم ثمّ إنّ علينا حسابهم، وقال: وإلى الله المصير

إنما أتى عليه السلام بلفظ الجمع مع أنّ المصدر يصح إطلاقه على القليل والكثير باعتبار كونه أى الجمع المضاف نصّاً في العموم مفيداً لكون جميع رجوعات المخلوقات إليه سبحانه في جميع حالاتهم لافتقار الممكن الى الواجب و حاجته اليه في الوجود و البقاء والفناء فهو أوّل الأوّلين و آخر الآخرين و إليه المصير والمنقلب.

(نحمده على عظيم احسانه) الذى أحسن إلينا به وهو معرفته وتوحيده إذلا إحسان أعظم من ذلك، و قول الشارح المعتزلى : إنه اُصول نعمه كالحياة و القدرة والشهوة و نحوها ، و كذا قول الشارح البحرانى إنه الخلق و الايجاد على وفق الحكمة والمنفعة فليسا بشيء

ويؤيّد ما قلناه تعقيبه بقوله (ونيّر برهانه) فانّ المراد به الأدلّة الواضحة الّتى أقامها في الآفاق والأنفس ومن طريق العقل والنقل للدّلالة على ذاته وصفات جماله وجلاله (ونوامى فضله وامتنانه) أراد بها نعمه النامية الزاكية الّتي أفضل بها على عباده وامتنّ بها عليهم باقتضاء ربوبيّته وحفظا لبقاء النوع .

وقوله (حمداً يكون لحقه قضاء و لشكره أداء) من باب المبالغة في كمال ثنائه سبحانه كما في قولهم حمداً ملاء السماوات والأرض، وإلاّ فالحمد الّذى يقضي حقّه

و يؤدّى شكره على ماهو أهل له و مستحقّه فهو خارج عن وسع البشر كما عرفت تحقيق ذلك في شرح الفصل الأوّل من المختار الأوّل و شرح المختار السابع والسبعين أيضاً

(وإلى ثوابه مقرّبا) لأنّه سبحانه وعدالثواب للشاكر و قال: فاشكروني أشكر كم، من باب المشاكلة أى اُثيبكم على شكر كم(١)ومعلوم أنه سبحانه منجز لوعده ومن أوفي بعهده من الله (ولحسن مزيده موجباً) لأنه أخبرعن ايجاب الشكر لزيادة النعمة ووعد به و قال: لئن شكرتم لأزيدنّكم، و معلوم أنه صادق في وعده لايخلف الميعاد.

(ونستعين به استعانة) صادرة عن صميم القلب و كمال الرجا والوثوق باعانته و لذلك وصفها بكونها مثل استعانة (راج لفضله مؤمّل لنفعه واثق بدفعه) فان المستعين المتّصف بهذه الأوصاف لاتكون استعانته إلاّ على وجه الكمال إذ رجاه للفضل وأمله لايصال المنافع ووثوقه بدفع المضارّ إنما هوفرع المعرفة بفضله وإحسانه وبقدرته وقهره على كلّ شيء، وبأنه لارادّ لحكمه ولادافع لقضائه وأنّ بيده خزائن الملك والملكوت، و معلوم أنّ من عرف الله تعالى بذلك يكون طلبه للاعانة آكد و أشد، و هذه الأوصاف الثلاثة في الحقيقة مظنّة للاعانة باعتبار صفات العظمة والكمال في المستعان.

ثمّ وصفها بوصفين آخرين هما مظنّة للاعانة باعتبار وصف الذلّ والاستكانة في المستعين وهو قوله (معترف له بالطوّل مذعن له بالعمل والقول) فانّ من اعترف لطوله وإفضاله وأذعن أى خضع وذلّ وانقاد على ربوبيّته وأسرع إلى طاعته قولا وعملا فحقيق على الاعانة وجدير بالافضال.

ثمّ أردف ذلك بالاعتراف بالايمان الكامل فقال (ونؤمن به) ايمانا كاملا مستجمعاً لصفات الكمال وانما يكون كذلك إذا كان مثل (ايمان من رجاه) للمطالب العالية (موقنا) بأنه أهله لقدرته على إنجاح المامول وقضاء المسئول (وأناب إليه مؤمنا)

---

(١) في هذه الجملات من الاشتباه مالا يخفى «المصحح»

علماً منه بأنّ مرجع العبد إلى سيّده ومعوّله إلى مولاه (وخنع) أى خضع (له مذعنا) بأنّ نفسه ذليل أسير في ربق الافتقار والامكان وأنّ ربّه جليل متّصف بالعزّة والعظمة و السلطان (وأخلص له موحداً) اى أخلص له العبوديّة حال كونه معتقداً بوحدانيّته علما منه بأنّ من كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربّه أحداً (وعظّمه ممجّدا) أى عظّمه بصفات العزّ والكبرياء والجلال حال التمجيد له بأوصاف القدرة والعظمة والكمال (ولاذبه) أى لجأ إليه (راغبا مجتهداً) أى راغبا في الالجاء مجدّاً في الرغبة والالتجاء علماً منه بأنّه الملاذ والملجاء، هذا

ولما حمدالله سبحانه واستعان منه وامن به أخذ في تنزيهه وتقديسه باعتبارات سلبيّة وإضافية هي غاية وصف الواصفين ومنتهى درك الموحّدين فقال

(لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً) أى ليس له والد حتّى يكون له شريك في العزّ والملك لجريان العادة بكون والد العزيز عزيزاً غالباً (و لم يلد فيكون موروثا هالكا) أى ليس له ولد حتّى يهلك ويرثه ولده كما هو الغالب عادة من موت الوالد قبل الولد و وراثة الولد عنه و برهان تنزّهه سبحانه عنهما أنهما من لواحق الحيوانية المستلزمة للجسميّة فهو يفيد لنفي تولّده سبحانه عن شيء ونفى تولّد شيء عنه بالمعنى المعروف فى الحيوان.

ويدلّ على تنزّهه سبحانه عن ذلك مطلقا مارواه في البحار والصافي من كتاب التوحيد للصّدوق بسنده عن وهب بن وهب القرشي قال: حدّثنى الصادق جعفر بن محمّد عن أبيه الباقر عن أبيه عليه السلام أنّ أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علىّ عليهما السلام يسألونه عن الصّمد، فكتب إليهم :

بسم الله الرّحمن الرّحيم أمّا بعد فلاتخوضوا فى القرآن ولاتجادلوا فيه و لا تتكلّموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدّى رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده في النار، وأنه سبحانه قد فسّر الصمد فقال الله أحد الله الصمد ثمّ فسّره فقال لم يلد ولم يولد و لم يكن له كفواً أحد، لم يلد لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وساير الأشياء الكثيفة الّتى تخرج من المخلوقين ولاشيء لطيف كالنفس

ولاينشعب منه البدوات كالسنة والنوم والخطرة والهم و الحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسآمة والجوع والشبع تعالى أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف، أو لطيف، ولم يولد لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار، ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين، والسمع من الاذن، والشم من الانف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتميز من القلب، وكالنار من الحجر، لا بل هو الله الصمد الذى لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها ومنشيء الأشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيته ويبقي ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذى لم يلد ولم يولد عالم الغيب و الشهادة الكبير المتعال، و لم يكن له كفواً أحد

(ولم يتقدمه وقت ولا زمان) قال الشارح المعتزلي: الوقت هو الزمان و إنما خالف بين اللفظين وأتى بحرف العطف تفنناً، و قال الشارح البحراني: الوقت جزء الزمان، وقال العلامة المجلسي ره: و يمكن حمل أحدهما على الموجود و الآخر على الموهوم، وعلى أي تقدير فهو خالقهما ومبدعهما و مقدم عليهما فكيف يتصور تقدمهما عليه تعالى.

(ولم يتعاوره) أى لم يختلف و لم يتناوب عليه (زيادة ولا نقصان) لاستلزامهما التغير المستلزم للامكان المنزه قدسه عز وجل عنه.

فان قلت: كان اللازم أن يقال زيادة و نقصان لأن التعاور يقتضي الضدين معاً كما أن الاختلاف كذلك تقول: لم يختلف زيد و عمرو و لا تقول لم يختلف زيد ولا عمرو.

قلت: أجاب عنه الشارح المعتزلي بأن مراتب الزيادة لما كانت مختلفة جاز أن يقال: لايعتوره الزيادة، و كذلك القول في جانب النقصان و جرى كل واحد من النوعين مجرى أشياء متنافية يختلف على الموضع الموصوف بها.

(بل ظهر للعقول) و تجلّى للبصائر (بما أرانا من علامات التدبير المتقن) المحكم (و) آيات (القضاء المبرم) في الأنفس و الآفاق في أصناف الموجودات و أنواع المصنوعات المبدعة على أحسن نظام و أتقن انتظام على ما عرفت تفصيلا وتحقيقا في شرح المختار التاسع والأربعين .

ونزيد عليه ايضاحاً و تاكيداً ماقاله الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر فى حديثه المعروف: يا مفضّل أوّل العبر والأدلّة على البارى جلّ قدسه تهيئه هذا العالم وتأليف أجزائه و نظمها على ما هى عليه، فانّك إذا تأمّلت العالم بفكرك و ميّزته بعقلك وجدته كالبيت المبنى المعدّ فيه جميع مايحتاج إليه عباده،فالسّماء مرفوعة كالسّقف و الأرض ممدودة كالبساط ، والنجوم منضودة كالمصابيح ، و الجواهر مخزونة كالذخاير، و كلّ شيء فيها لشأنه معدّ، والانسان كالمملك ذلك البيت و المخوّل جميع ما فيه، وضروب النبات مهيّأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة فى مصالحه ومنافعه، ففي هذا دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملايمة وأنّ الخالق له واحد، وهو الّذى ألفه ونظمه بعضاً إلى بعض جلّ قدسه وتعالى جدّه و كرم وجهه ولا إله غيره، تعالى عمّا يقول الجاحدون و جلّ و عظم عما ينتحله الملحدون، هذا .

ولما ذكر اجمالا أنّه تعالى تجلّي للعقول بما أظهر من آيات القدرة وعلامات التدّبر أراد أن يشير إلى بعض تلك الآيات تفصيلا وهو خلق السماوات .

فقال (فمن شواهد خلقه) أى آيات الابداع و علامات التدبّر المحكم أوما يشهد من الخلق بوجوده سبحانه وتدبيره وعلمه أوما حضر من خلقه أى ظهر وجوده بحيث لايمكن لاحد إنكاره من آيات تدبيره تعالى (خلق السماوات) و تخصيصها من بين ساير الشواهد بالبيان لكونها من أعظم شواهد القدرة ، و أظهر دلايل الرّبوبيّة، وأوضح علائم التدبير حيث خلقت (موطدات) أى محكمات الخلقة مثبتات في محالها على وفق النظام و الحكمة (بلاعمد) ترونها ولادسار ينتظمها (قائمات) في الجوّ (بلاسند) يكون عليه استنادها وبه اعتمادها (دعاهنّ) سبحانه فقال لها وللأرض ائتيا

طوعاً أو كرهاً (فأجبن طائعات) كما قال حكاية عنها وعن الأرض: قالتا أتينا طائعين

و لفظ الدّعا والاجابة في كلام الامام عليه السلام إمّا محمولان على حقايقهما نظراً إلى أنّ للسّماوات أرواحاً مدبّرة عاقلة كما هو قول بعض الحكماء والمتكلّمين أو نظراً إلى أنّه تعالى خاطبها وأقدرها على الجواب .

وإمّا محمولان على المجاز والاستعارة تشبيهاً لتأثير قدرته تعالى فيها وتأثّرها عنها بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله: كن فيكون، و هذا هو الأظهر

و يؤيّده ماحكي عن ابن عباس في تفسير الآية المتقدّمة أعني قوله : أتينا طائعين، أنه قال أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم، و أتت الأرض بما فيها من الأنهار والأشجار والثمار، وليس هناك أمر بقول حقيقة ولاجواب لذلك القول بل أخبر سبحانه عن اختراعه للسماوات والأرض وإنشائه لهما من غير تعذّر ولا كلفة ولامشقّة بمنزلة مايقال افعل فيفعل من غير تلبّث و لا توقّف و لاتأنّ وهو كقوله: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

ومن ذلك علم أنّ قوله: (مذعنات غير متلكّئات ولامبطئات) أراد به انقيادهنّ من غير توقّف ولا إبطاء في الاصابة وخضوعهنّ في رقّ الامكان والحاجة واعترافهنّ بلسان الذّل والافتقار بوجوب وجود مبدعها وعظمة سلطان مبدئها .

(ولولا) اعترافهنّ و (اقرارهنّ له بالربوبيّة) و القدرة والعظمة و لأنفسهنّ بالامكان والذلّ و الحاجة (واذعانهنّ بالطواعية) و الامتثال لبارئهنّ (لما جعلهنّ موضعا لعرشه)

قال الشارح البحراني إقرارهنّ بالرّبوبيّة راجع إلى شهادة لسان الحال الممكن بالحاجة إلى الرّب والانقياد لحكم قدرته، وظاهر أنه لولا امكانها وانفعالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرش ولم يكن أهلا لسكنى الملائكة وصعود الكلم الطيّب المشار اليه بقوله (ولا مسكنا لملائكته) ولعلّ المراد بهم المقرّبون أو الأكثر لأنّ منهم من يسكن الهواء والأرض والماء (ولامصعداً للكلم الطيّب) وهو شهادة أن لاإله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله (والعمل الصالح) الصادر (من خلقه) و هو

الخيرات والحسنات من الفرايض والمندوبات .

والمراد لصعود هما صعود الكتبة بصحايف الأعمال إليها وإليه الاشارة بقوله سبحانه وتعالى: إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصّالح يرفعه، هذا

و قد تقدّم في تذييلات الفصل الثامن من الخطبة الأولى و في شرح الفصل الرابع من الخطبة التسعين فصل واف في عجائب خلقة السماء وما أبدعه الله سبحانه فيها من دلائل القدرة وآيات التدبير والحكمة فانظر ماذاترى، و لشرافتها و كون مادّتها أقبل خص عليه السلام هنا طاعتها بالذكر وإن كانت الأرض مشاركة لها في الطاعة مذكورة معها في الآية .

و لما ذكر خلق السماوات و كونها من شواهد الرّبوبيّة و أدلّة التوحيد استطرد إلى ذكر النجوم والكواكب لما فيها من بدايع التدبير و عجايب التقدير، وقد مرّ في الفصل الثامن من فصول المختار الأوّل و الفصل الرابع من المختار التسعين وشرحيهما منه عليه السلام ومنّا جملة وافيه من الكلام عليها وأشارهنا إلى بعض منافعها فقال:

(جعل نجومها أعلاما يستدلّ بها الحيران) أى جعلها علامات يهتدى بها المتحيّرون كما قال عزّ من قائل: وعلامات وبالنّجم هُم يهتدون (في مختلف فجاج الأقطار) أى يستدلّ بها الحيارى في اختلاف فجاج الأقطار وتردّدها، أو في محلّ اختلافها أو في حال مخالفة الفجاج الموجودة في أقطار الأرض و نواحيها و ذهاب كلّ منها إلى جهة غير مايذهب إليه الآخر

(لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم) أى شدّة ظلمة ستر اللّيل ذى الظلمة لم تكن مانعة من إضائة النجوم، وعلى رواية ادلهمام بالنصب فالمعنى أنّ ضوءنورها لم يمنع من ظلمة الليل.

(ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس) أى أثواب سوادالليال المظلمة شديدة الظلمة لم تكن مستطيعة من (أن تردّ ماشاع) وظهر (في السماوات من تلألؤ نور

القمر) ولمعانه .

قال الشارح المعتزلي بعد روايته عن البعض نصب لفظ الادلهمام: و هـذه الرواية أحسن في صناعة الكتابة لمكان الازدواج أى لا القمر والكواكب تمنع الليلة من الظلمة، ولا الليل يمنع الكواكب والقمر من الاضاءة

أقول: ومحصّل مقصود الامام عليه السلام إنّ الله سبحانه لما قدّر بلطيف حكمته أن يجعل الليل سباتا وراحة للخلق جعلها مظلمة لأنّ كثيراً من الناس لولا ظلمتها لم يكن لهم هدء ولاقرار حرصاً على الكسب و الجمع والادخار مع عظم حاجتهم إلى الهدؤ والراحة لسكون أبدانهم وجموم حواسّهم وانبعاث القوّة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء

ولماكان شدّة ظلمتها و كونها داحية مدلهمة مانعة عن جميع الأعمال و ربما كان الناس محتاجين إلى العمل فيها لضيق الوقت عليهم في تقضى الأعمال بالنهار أوشدّة الحرّ وإفراطه المانع من الزرع والحرث وقطع الفيا في والأسفار جعل ببديع صنعه فيها كواكب مضيئة وقمراً منيراً وليهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر والطرق المجهولة، ويقام بالأعمال من الزرع والغرس والحرث وغيرها عند مسيس الحاجة، وجعل نورها ناقصاً من نور الشمس كيلا يمنع من الهدؤ والراحة .

(فسبحان من) جعل النور والظلام على تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه و سبحان من هو بكلّ شيء محيط حتّى لايعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض و لا في السماء و (لا يخفى عليه سواد غسق داج) أى ظلمة مظلمة والعطف للمبالغة من قبيل شعرشاعر (ولاليل ساج) أى ساكن و في الاسناد توسّع باعتبار سكون الناس وهدؤهم فيها(في بقاع الأرضين المتطاطئات) المنخفضات (ولا في يفاع السفع المتجاورات) أى في مرتفع الجبال المتجاورة

وانما عبر عن الجبال بالسفع لأنّ لونها غالبا مشرب حمرة، ولايخفى ما فيما بين لفظ البقاع واليفاع من جناس الخط وهو من محاسن البديع حسبما عرفته في ديباجة الشرح .

(و) لايخفي عليه عزّوجلّ أيضاً (مايتجلجل) ويصوت (به الرّعد في افق السماء) وأراد بتجلجله تسبيحه المشار إليه في قوله تعالى: ويسبّح الرّعد بحمده

قال الطبرسي : تسبيح الرّعد دلالته على تنزيه الله تعالى و وجوب حمده فكأنه هو المسبّح، وقيل: إنّ الرّعد هو الملك الّذى يسوق السحاب و يزجره بصوته فهو يسبّح الله ويحمده.

وقال الرازى: في قوله تعالى ويسبّح الرعد بحمده أقوال :

الاول أنّ الرّعد اسم ملك من الملائكة و الصّوت المسموع هو صوت ذلك الملك بالتسبيح و التهليل عن ابن عباس ، انّ اليهود سألت النبيّ ﷺ عن الرّعد ماهو فقال : ملك من الملائكة موكّل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا: فما الصّوت الّذى نسمع؟ قال: زجره السحاب، وعن الحسن أنّه خلق من خلق الله ليس بملك

فعلى هذا القول الرّعد هو الملك الموكّل بالسحاب وصوته تسبيح الله تعالى وذلك الصّوت أيضاً يسمى بالرّعد و يؤكّد هذا ماروى عن ابن عباس كان اذا سمع الرّعد قال: سبحان الّذى سبّحت له، و عن النبيّ ﷺ قال : إنّ الله ينشىء السحاب الثقال فينطق أحسن المنطق ويضحك أحسن الضحك، فنطقه الرّعد وضحكه البرق

واعلم أنّ هذا القول غير مستبعد، و ذلك لأنّ عند أهل السنّة البنية ليست شرطا لحصول الحياة، فلا يبعد من الله تعالى أن يخلق الحياة والعلم والقدرة والنطق في أجزاء السحاب، فيكون هذا الصوت المسموع فعلاله .

و كيف يستبعد ذلك ؟ و نحن نرى أنّ السمندر يتولّد في النار ، و الضفادع تتولّد في الماء البارد ، والدودة العظيمة ربما تتولّد في الثلوج العظيمة .

و أيضاً فاذا لم يبعد تسبيح الجبال في زمن داود ﵇ و لا تسبيح الحصى في زمان محمّد ﷺ فكيف يستبعد تسبيح السحاب .

و على هذا القول فهذا الشيء المسمّى بالرّعد ملك أو ليس بملك فيه قولان :

أحدهما أنّه ليس بملك لأنّه عطف عليه الملائكة فقال: و الملائكة من خيفته.

والثاني أنّه لايبعد أن يكون من جنس الملائكة وإنما حسن إفراده بالذكر على سبيل التشريف كما في قوله : وملائكته ورسله وجبرئيل وميكائيل ، وفي قوله: وإذ أخذنا من النّبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح.

القول الثاني أنّ الرّعد اسم لهذا الصوت المخصوص و مع ذلك فانّ الرّعد يسبّح الله سبحانه ، لأنّ التسبيح والتقديس وما يجرى مجراها ليس إلاّ وجود لفظ يدلّ على حصول التنزيه و التقديس لله سبحانه وتعالى ، فلما كان هذا الصّوت دليلا على وجود موجود متعال عن النقص والامكان كان ذلك في الحقيقة تسبيحاً وهو معنى قوله : وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده.

والقول الثالث أنّ المراد من كون الرّعد مسبّحاً أنّ من يسمع الرّعد فانّه يسبّح الله تعالى ، فلهذا المعنى اُضيف هذا التسبيح إليه.

(و) لايعزب عنه (ماتلاشت) واضمحلّت عنه (بروق الغمام) يعني أنّه سبحانه عالم بالأقطار التي يضمحلّ عنها البرق بعد ماكانت مضيئة بـه ، و تخصيص ماتلاشت عنه بالذكر مع اشتراك غير المتلاشية عنه معه في إحاطة علمه سبحانه به كالأوّل ، لأنّ علمه بماليس بمضيّ بالبرق أعجب وأغرب ، وأمّاماهو مضىّ به ولم يضمحل عنه فيمكن إدراك غيره سبحانه له من اُولي الأبصار الصحيحة، هذا.

وأعجب من ذلك ما في نفس البرق من عظيم القدرة ودلالته على عظمة بارئه.

قال الفخر الرازي : واعلم أنّ أمر الصاعقة عجيب جدّاً ، وذلك لأنّها نار تتولّد من السحاب و إذا نزلت من السحاب فربما غاصت في البحر و أحرقت الحيتان في قعر البحر و الحكماء بالغوا في وصف قوّتها ، و وجه الاستدلال أنّ النار حارّة يابسة وطبيعتها ضدّ طبيعة السحاب ، فوجب أن تكون طبيعتها في الحرارة واليبوسة أضعف من طبيعة النيران الحادثة عندنا، لكنه ليس الأمر كذلك ، فانها أقوى نيران هذا العالم ، فثبت أنّ اختصاصها بمزيد تلك القوّة لابدّ وأن يكون بسبب تخصيص الفاعل.

المختار (و) لا يغيب عنه (ماتسقط من ورقـة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء وانهطال السماء) أي الرياح الشديدة المنسوبة إلى الأنواء وانصباب الأمطار .

والنّوء سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين الّتي عرفتها تفصيلا في شرح الفصل الرابع من فصول المختار التسعين في المغرب (١) مع الفجر و طلوع رقيبه من المشرق من ساعته مقابلا له في كلّ ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً ، و هكذا كلّ نجم منها إلى انقضاء السنة إلاّ الجبهة فانّ لها أربعة عشر يوماً .

وفي البحار من معاني الأخبار مسنداً عن الباقر عليه السلام قال : ثلاثة من عمل الجاهلية : الفخر بالانساب ، والطعن في الأحساب ، والاستسقاء بالأنواء .

قال الصّدوق (ره) أخبرني محمّد بن هارون الزنجاني عن عليّ بن عبدالعزيز عن أبي عبيد أنّه قال : سمعت عدّة من أهل العلم يقولون: إنّ الأنواء ثمانية و عشرون نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة كلّها من الصّيف والشتاء والرّبيع والخريف ، يسقط منها في كلّ ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر و يطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته ، و كلاهما معلوم مسمّى وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلّها مع انقضاء السنة ، ثمّ يرجع الأمر إلى النجم الأوّل مع استيناف السنة المقبلة وكانت في الجاهلية إذا سقط منها نجم و طلع آخر قالوا : لابدّ أن يكون عند ذلك رياح ومطر ، فينسبون كلّ غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم الذي يسقط حينئذ فيقولون مطرنا بنوء الثريّا و الدّبران و السماك ، وماكان من هذه النجوم فعلى هذا فهذه هي الأنواء واحدها نوء و إنما سمّي نوء لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق بالطلوع وهو ينوء نوءً ، وذلك النهوض هو النوء فسمّي النجم به وكذلك كلّ ناهض ينتقل بابطاء فانّه ينوء عند نهوضه ، قال الله تبارك و تعالى : لتنوء بالعصبة أولي القوّة .

و فيه عن الجزري في النهاية قال: قد تكرّر ذكر النوء والأنواء في الحديث ومنه الحديث: مطرنا بنوء كذا قال : و إنما غلّظ النبيّ صلّى الله عليه وآله في أمر الأنواء ، لأنّ

---

(١) متعلق بسقوط (منه).

العرب كانت تنسب المطر إليها، فأما من جعل المطر من فعل الله وأراد بقوله مطرنا بنوء كذا أى في وقت كذا وهو هذا النوء الفلانى فانّ ذلك جايز، أى إنّ الله تعالى قد أجرى العادة أن يأتى المطر في هذه الأوقات، انتهى.

وقال ابن العربى من انتظر المطر منها على أنها فاعلة من دون الله أو يجعل الله شريكاً فيها فهو كافر. ومن انتظرمنها على اجراء العادة فلا شىء عليه هذا

ومن ذلك كلّه علم أنّ إضافته عليه السلام العواصف إلى الأنواء من جهة أنّ العرب تضيف الآثار العلويّة من الرّياح والأمطار وكذلك الحرّ والبرد إليها

(ويعلم مسقط القطرة ومقرّها) أى محلّ سقوطها و موضع قرارها (ومسحب الذّرة و مجرّها) أى محلّ سحب صغار النمل و جرّها (و ما يكفى البعوضة من قوتها)

قال الدّميرى في حياة الحيوان: البعوضة واحدة البعوض والبعوض على خلقة الفيل إلاّ أنّه أكثر أعضاء من الفيل، فانّ للفيل أربع أرجل و خرطوماً و ذنباً، وله مع هذه الأعضاء رجلان زايدتان وأربعة أجنحة، وخرطوم الفيل مصمت وخرطومه مجوّف نافذ للجوف فإذا طعن به جسد الانسان استقى الدّم وقذف به جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ولذلك اشتدّ عضّها وقويت على خرق الجلود الغلاظ، و مما ألهمه الله أنّه اذا جلس على عضو من أعضاء الانسان لايزال يتوخّى بخرطومه المسام الّتى يخرج منها العرق لأنها أرقّ بشرة من جلد الانسان فاذا وجدها وضع خرطومه فيها، و فيه من الشره أن يمصّ الدّم إلى أن ينشقّ و يموت أو إلى أن يعجز عن الطيران وذلك سبب هلاكه.

قال: و البعوضة على صغر جرمها قد أودع الله في مقدم دماغها قوّة الحفظ وفي وسطه قوّة الفكر، وفي مؤخّره قوّة الذكر، وخلق لها حاسّة البصر، وحاسّة اللّمس، وحاسّة الشم، وخلق لها منفذاً للغذاء، ومخرجاً للفضلة، وخلق لها جوفاً وأمعاء وعظاماً، فسبحان من قدّر فهدى، ولم يخلق شيئاً من المخلوقات سدى.

(و) يعلم (ما تحمل الأنثى) من البعوضة ومن غيرها (في بطنها) كما قال

عزّ من قائل: ويعلم ما في الأرحام.

ثمّ عاد إلى حمدالله سبحانه باعتبار تقدّم وجوده على ساير مخلوقاته فقال (والحمدلله الكائن) أي الموجود (قبل أن يكون كرسيّ أوعرش أوسماء أو أرض أو جانّ أو انس) لايخفى مافي هذه العبارة من حسن التأدية.

و المراد بالجانّ إما إبليس أو أبوالجنّ، وبهما فسّر قوله تعالى: و الجآنّ خلقناه من قبل من نار السّموم، قال الرازى في تفسير هذه الآية: اختلفوا فى أنّ الجانّ من هو قال عطا عن ابن عباس: يريد إبليس وهوقول الحسن ومقاتل وقتادة وقال ابن عباس في رواية اخرى: الجانّ هوأبوالجنّ وهوقول الأكثرين وسمّي جانّاً لتواريه عن الأعين كما سمّي الجنّ جنّا لهذا السّبب والجنين متوار في بطن اُمّه ومعنى الجانّ في اللّغة الساتر من جنّ الشيء إذا استر فالجانّ المذكور هنا يحتمل أن يكون جانا لانه يستر نفسه عن بني آدم، أو يكون الفاعل يراد به المفعول كما في ماء دافق وعيشة راضية.

و في البحار من العلل والعيون عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: سأل الشاميّ أميرالمؤمنين عليه السلام عن اسم أبى الجنّ فقال شومان وهوالّذى خلق من مارج.

قال الطبرسي: من مارج من نار أى نار مختلط أحمر و أسود و أبيض عن مجاهد وقيل المارج الصافي من لهب النار الّذي لا دخان فيه.

و قال البيضاوي في تفسير قوله: من نارالسموم، من نار شديد الحرّ النافذ في المسام ولايمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيط كما لايمتنع خلقها في الجواهر المجرّدة فضلا عن الاجساد المؤلّفة الّتي الغالب فيها الجزء النارى فانها أقبل لها من الّتي الغالب فيها الجزء الارضي، و قوله: من نار، باعتبار الغالب كقوله: خلقكم من تراب.

ثمّ نزهه تعالى باعتبارات سلبيّة

احدها أنّه (لا يدرك بوهم) كما نقل عن الباقر عليه السلام من قوله: كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم.

(و) **الثاني** أنه (لا يقدّر بفهم) أى لا يحدّ بفهم العقول ، والمراد به وبسابقه تنزيهه سبحانه عن إدراك العقول و الأوهام لذاته و قصورها عن الوصول إلى حقيقته ، و قد مرّ برهان ذلك في شرح الفصل الثاني من الخطبة الأولى وغيره أيضاً .

و اقول هنا إنّ الجملة الثّانية يحتمل أن تكون تأكيداً للجملة الأولى ، ويحتمل أن تكون تأسيسا .

اما التأسيس فعلى أن يراد بالجملة الأولى عدم إمكان إدراك القوّة الوهميّة له وهى قوّة جسمانيّة للانسان محلّها آخر التجويف الأوسط من الدّماغ من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلّقة بالمحسوسات كشجاعة زيد وسخاوته ، وهذه القوّة هي الّتي تحكم في الشاة بأنّ الذئب مهروب عنه وأنّ الولد معطوف عليه ، وهي حاكمة على القوى الجسمانية كلّها مستخدمة إياها استخدام العقل للقوى العقليّة ، و يراد بالجملة الثانية عدم امكان تقديره و تحديده بالقوّة العقلية .

أمّا عدم إمكان إدراك الأوهام له فلأنّ مدركاتها منحصرة على عالم المحسوسات والأجسام والجسمانيات ، والله سبحانه متعال عن ذلك .

وأمّا عدم إمكان تحديد العقول فلأنّه (١) لاجزء له وما لاجزء له لاحدّ له حتّى يمكن تحديده .

و أيضا فهو سبحانه غاية الغايات فليس بذاته حدّ و نهاية حتّى يكون له حدّ معيّن وقدر معلوم يمكن تقديره وتحديده كما لساير الممكنات ، قال عزّ من قائل: وماقدروا الله حقّ قدره .

و قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له مروية عن التوحيد لما شبهه العادلون بالخلق المبعض المحدود في صفاته ذي الأقطار والنواحى المختلفة في طبقاته وكان عزّ وجل الموجود بنفسه لابأداته انتفى أن يكون قدّروه حقّ قدره فقال تنزيها لنفسه عن مشاركة الانداد وارتفاعها عن قياس المقدّرين له بالحدود من كفرة العباد: و ما قدروا الله حقّ قدره .

---

(١) والالزم التركيب المستلزم للافتقار وهو من صفات الممكن « منه ره »

فقد علم بذلك أنّه لايقدَّر بالحدود والنهايات الجسمانيّة كما أنه لايقدّر ولا يحدّ بالحدّ العقلي المركّب من الجنس والفصل

واما التاكيد فعلى أن يراد بالوهم في الجملة الأولى المعنى الأعمّ من القوّة الوهميّة المتعلّقة بالمحسوسات جميعاً والقوّة العقليّة المتعلّقة بالمعقولات واطلاق الوهم على ذلك المعنى شايع في الاستعمال واردفى كثير من الأخبار

قال بعض المحققين: اعلم أنّ جوهر الوهم بعينه هو جوهر العقل ومدركاته بعينه هو مدركات العقل، والفرق بينهما بالقصوروالكمال، فما دامت القوّة العقليّة ناقصة كانت ذات علاقة بالموادّ الحسيّة منتكسة النظر إليها لاتدرك المعانى إلاّ متعلّقة بالموادّ مضافة إليها، وربما تذعن لأحكام الحسّ لضعفها وغلبة الحواسّ والمحسوسات عليها، فتحكم على غير المحسوس حكمها على المحسوس، فما دامت في هذا المقام اطلق عليها اسم الوهم، فاذا استقام وقوى صار الوهم عقلا وخلص عن الزيغ والضلال والآفة والوبال، انتهى .

و على ذلك فيكون المقصود بالفهم في الجملة الثانية المعنى الأعمّ أيضاً ، و يكون حاصل المراد بالجملتين عجز الأوهام أى القوّة الوهميّة والعقليّة جميعاً عن إدراك ذاته وتعقّل حقيقته، لأنّ تعقّله إمّا بحصول صورة مساوية لذاته تعالى ، أو بحضور ذاته المقدّسة وشهود حقيقته، والأوّل محال إذلامثل لذاته وكلّ ماله مثل أوصورة مساوية له فهو ذو ماهيّة كلّية وهو تعالى لا ماهيّة له، والثاني محال أيضاً إذ كلّ ماسواه من العقول والنفوس والذّوات والهويّات فوجوده منقهر تحت جلاله وعظمته وسلطانه القهار عين الخفاش في مشهد نور الشمس ، فلا يمكن للعقول لقصورها عن درجة الكمال الواجبى إدراك ذاته على وجه الاكتناه و الاحاطة بنعوت جلاله وصفات جماله .

فاتّضح من ذلك كلّه أنّه سبحانه لايدرك بالأوهام، ولايقدّر بالأفهام جلّ شأنه وعظم سلطانه .

(و) **الثالث** أنّه (لايشغله سائل) عن سائل آخر كما يشغل السائل من المخلوق

عن توجّهه إلى سائل آخر، وذلك لقصور ذواتنا وقدرتنا وعلمنا، وأمّا الله الحيّ القيّوم فلكمال ذاته و عموم قدرته و إحاطته فلا يمنعه سؤال عن سؤال و لا يشغله شأن عن شأن.

ألاترى أنّه يرزق الخلايق جميعاً على قدر استحقاقهم في ساعة واحدة، و كذا يحاسبهم يوم القيامة دفعة كما قال عزّ من قائل في سورة النحل: و ما أمر الساعة إلّا كلمح البصر أو هو أقرب إنّ الله على كلّ شيء قدير، أي كرجع الطرف على الحدقة إلى أسفلها أو هو أقرب لأنه يقع دفعة وقال في سورة القمر: وما أمرنا إلّا واحدة كلمح بالبصر، قال القمّي: يعنى يقول كن فيكون.

(و) **الرابع** أنه (لاينقصه نائل) وعطاء كملوك الدّنيا إذ مقدوراته تعالى غير متناهية فكرمه لايضيق عن سؤال أحد، ويده بالعطاء أعلى من كلّ يد، وهو نظير قوله في الفصل الأوّل من المختار التسعين: لايعزّه المنع و الجمود و لا يكديه الإعطاء والجود، وقد مرّ في شرحه رواية الحديث القدسى وهو قوله سبحانه: ياعبادى لو أنّ أوّلكم و آخركم و انسكم و جنّكم قاموا في صعيد واحد فسألونى فأعطيت كلّ إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى شيئاً إلّا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر أى لاتنقصه شيئاً فانّ المخيط وإن كان يرجع بشيء محسوس قليل، لكنّه لقلّته لايعدّ شيئاً فكأنّه لم ينقص منه شيء.

(و) **الخامس** أنّه (لاينظر بعين) أى ليس إدراكه بحاسّة البصر و إن كان بصيراً لتنزّهه عن المشاعر والحواسّ.

(و) **السادس** أنه (لايحدّ بأين) لأنّ الأين عبارة عن نسبة الجسم إلى المكان وهو سبحانه منزّه عن ذلك لبرائته عن التحيّز

روى في البحار من التوحيد عن أبى عبدالله عليه السلام قال: أتى رسول الله صلّى الله عليه و آله يهودى يقال له شجت فقال: يامحمّد جئت أسألك عن ربّك فان أجبتنى عما أسألك عنه وإلّا رجعت، فقال له: سل عماشئت، فقال: أين ربّك؟ فقال: هو في كلّ مكان وليس هو في شيء من المكان بمحدود، قال: فكيف هو؟ فقال: و كيف أصف ربّى بالكيف

والكيف مخلوق والله لايوصف بخلقه .

وعن أبي عبدالله عليه السلام أيضاً من زعم أنّ الله من شيء فقد جعله محدثاً، و من زعم أنّه في شيء فقد جعله محصوراً، ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولا

قوله عليه السلام : محصوراً أى عاجزاً ممنوعاً عن الخروج عن المكان ، أو محصوراً بذلك الشيء ومحويّا به فيكون له انقطاع وانتهاء فيكون ذاحدود وأجزاء وقوله : محمولا أى محتاجاً إلى مايحمله .

قال الصدوق ره: الدليل على أنّ الله عزّ و جلّ لافي مكان إنّ الأماكن كلّها حادثة وقد قام الدّليل على أنّ الله عزّ وجلّ قديم سابق للأماكن، وليس يجوز أن يحتاج الغنى القديم إلى ماكان غنيّا عنه ، و لا أن يتغيّر عما لم يزل موجوداً عليه فصحّ اليوم أنه لا في مكان كما أنّه لم يزل كذلك

و تصديق ذلك ما حدّثنا به القطان عن ابن زكريا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن أبيه عن سليمان المروزي عن سليمان بن مهران قال: قلت لجعفر ابن محمد عليه السلام : هل يجوز أن نقول إنّ الله عزّ وجلّ في مكان؟ فقال: سبحان الله وتعالى عن ذلك إنه لو كان في مكان لكان محدثا، لأنّ الكائن في مكان محتاج إلى المكان والاحتياج من صفات الحدث لاالقديم .

(و) السابع أنّه (لايوصف بالأزواج) وهي نفى الكميّة المنفصلة عنه أى ليس فيه اثنينية وتعدّد.

وقال العلاّمة المجلسي ره: أى لايوصف بالأمثال أو الأضداد أو بصفات الأزواج أوليس فيه تركب وازدواج أمرين أو بأنّ له صاحبة .

(و) الثامن أنه (لايخلق بعلاج) أى لايحتاج في خلقه للمخلوقات إلى مزاولة و معالجة وآلة و حيلة كساير أرباب الصنايع ، و إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .

(و)**التاسع** أنه (لايدرك بالحواسّ) لاختصاص إدراكها بالأجسام والجسمانيّات والله سبحانه منزّه عن الجسميّة ولواحقها .

روى في البحار من التوحيد عن عبدالله بن جوين العبدى عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه كان يقول : الحمدلله الذي لايحسّ ولايجسّ ولايمسّ ولا يدرك بالحواسّ الخمس ولا يقع عليه الوهم ولا تصفه الألسن وكلّ شيء حسسته الحواسّ أولمسته الأيدى فهو مخلوق .

(و) **العاشر** أنه (لا يقاس بالنّاس) أى لايشبه شيئاً من خلقه في جهة من الجهات كما يزعمه المشبّهة والمجسّمة .

روى في البحار من التوحيد بسنده عن المفضّل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من شبّه الله بخلقه فهو مشرك إنّ الله تبارك وتعالى لايشبه شيئاً و لايشبهه شيء وكلّما وقع في الوهم فهو بخلافه .

قال الصّدوق (ره) الدّليل على أنّ الله سبحانه لايشبه شيئاً من خلقه من جهة من الجهات أنه لا جهة لشيء من أفعاله إلاّ محدثة ، و لا جهة محدثة إلاّ و هى تدلّ على حدوث من هى له ، فلو كان الله جلّ ثناؤه يشبه شيئاً منها لدلّت على حدوثه من حيث دلّت على حدوث من هى له ، إذ المتماثلين في العقول يقتضيان حكماً واحداً من حيث تماثلا منها وقد قام الدّليل على أنّ الله عزّ وجلّ قديم ، و محال أن يكون قديماً من جهة حادثا من أخرى .

ومن الدّليل على أنّ الله تبارك وتعالى قديم أنّه لوكان حادثا لوجب أن يكون له محدث ، لأنّ الفعل لا يكون إلاّ بفاعل ولكان القول في محدثه كالقول فيه و في هذا وجود حادث قبل حادث لا الى أوّل وهومحال ، فيصح أنّه لابدّ من صانع قديم وإذا كان ذلك كذلك فالّذي يوجب قدم ذلك الصانع ويدلّ عليه يوجب قدم صانعنا ويدلّ عليه .

والحاديعشر أنّه متكلّم لا كتكلّم المخلوقين وإليه أشار بقوله (الّذي كلّم

موسى) عليه السلام في شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة (تكليماً) أتى بـه تأكيداً و دفعاً لتوهم السامع التجوّز في كلامه سبحانه ، و قد عرفت تحقيق معنى كلامه و كونـه متكلّماً في شرح المختار المأة و الثّامن والسبعين .

وقوله (وأراه من آياته عظيما) يحتمل أن يراد بها الآيات التسع المشار إليها فيقوله تعالى : و لقدآتينا موسى تسع آيات بيّنات ، قال الصادق عليه السلام : هي الجراد والقمّل والضفادع والدّم والطوفان والبحر والحجر والعصاو يده ، رواه في الصّافي من الخصال عنه عليه السلام ومن العياشي عن الباقر عليه السلام مثله .

و فيه من قرب الاسناد عن الكاظم عليه السلام وقد سأله نفر من اليهود عنها فقال : العصا وإخراجه يده من جيبه بيضاء والجراد والقمّل والضفادع و الدّم و رفع الطور والمنّ والسلوى آية واحدة وفلق البحر قالوا : صدقت

وأن يراد بها الآيات الّتي ظهرت عند التكليم من سماع الصوت من الجهات السّت ومن رؤيته ناراً بيضاء تتقد من شجرة خضراء لاخضروية الشجر تطفى النار ولا النار توقدالشجرة .

قال الباقر عليه السلام فأقبل نحوالنّاريقتبس فاذا شجرة ونار تلتهب عليها فلماذهب نحو النّاريقتبس منها أهوت إليه ففزع وعدا ورجعت النار إلى الشجرة فالتفت إليها وقد رجعت إلى الشجرة ، فرجع الثانية ليقتبس فأهوت إليه فعدا وتركها ثمّ التفت وقد رجعت إلى الشجرة، فرجع إليها الثالثة فأهوت إليه فعدا ولم يعقّب أي لم يرجع فناداه الله عزّ وجلّ أن يا موسى إنّي أنا الله ربّ العالمين قال موسى : فما الدّليل على ذلك ؟ قال عزّ وجلّ : مافي يمينك ياموسى قال : هي عصاي قال : ألقها ياموسى فألقيها فاذا هي حيّة تسعى، ففزع منها وعدا فناداه الله عزّ وجلّ خذها ولاتخف انّك من الآمنين، هذا.

ويؤيّد الاحتمال الثاني أي كون المراد من الآيات الآيات الظّاهرة عندالتكلّم قوله عليه السلام (بلا جوارح ولاأدوات ولانطق ولا لهوات) إذالظاهر تعلّقه بالتكليم وعلى

الاحتمال الاوّل يلزم الفصل بين المتعلّق والمتعلّق بالأجنبيّ .

و المراد بـه أنّ كلامه مع موسى ليس ككلام البشر صادراً عن الحنجرة واللسان واللهوات أى اللحمات في سقف أقصى الفم وعن مخارج الحروف و غيرها بل كلّم معه بأن أوجد الكلام في الشجرة كما هوصريح قوله سبحانه : فلما أتيها نودى من شاطىء الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى هذا .

وفي كلامه دلالة على عدم جوازوصفه بالنطق ولعلّه لصراحة النطق في إخراج الحروف من المخارج ، بخلاف الكلام .

ويستفاد من خطبة له عليه السلام آتية فى الكتاب ومرويّة في الاحتجاج أيضا عدم جواز وصفه باللّفظ أيضاً بخلاف القول حيث قال فيها : يخبر لا بلسان و لهوات ويسمع لابخروق وأدوات يقول ولا يلفظويحفظولايتحفّظ .

ولعلّ السّرفيه أيضاصراحةالتلفظ في اعتماد اللفظ على مقطع الفم واستلزامه للأدوات دون القول .

ثمّ نبّه علىعجزالقوى البشريّة عن وصف كماله تعالى بقوله (بل إن كنت صادقا أيّها المتكلّف) أى المتحمّل للكلفة و المشقّة (لوصفربّك) في وصفه (فصف) بعض خلقه وهو (جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقرّبين) و الأمر للتعجيز كما في قوله تعالى : فأتوا بسورة من مثله .

قال الشّارح البحراني : هى صورة قياس استثنائى متّصل نبّه بـه على عجز من يدّعى وصف ربّه كما هو ، و تقديره إن كنت صادقا في وصفه فصف بعض خلقه و ينتج باستثناء نقيض تاليه أى لكنّك لايمكنك وصف هؤلاء بالحقيقة فلا يمكنك وصفه تعالى ، بيان الملازمة أنّ وصفه تعالى إذا كان ممكنا لك فوصف بعض آثاره أسهل عليك ، وأمابطلان التالي فانّ حقيقة جبرئيل وميكائيل وسائرالملائكةالمقرّبين غير معلومة لأحد من البشر . ومن عجز عنوصف بعض آثاره فهوعن وصفه أعجز .

أقول : ويشهد بما ذكره هنا من عدم امكان وصفالملائكة على ماهى عليه ما تقدّم منه عليه السلام و منافي الفصل الخامس من فصول المختار التسعين و شرحه ، فقد

مضى هناك انموزج من وصف الملائكة يتحيّر فيه العقول ويدهش الافهام ويقشعرّ الجلود فكيف إذا اُريد البلوغ إلى غاية أوصافهم .

وقوله (في حجرات القدس) أى منازل الطهارة عن العلاقات العنصريّة ومقارّ التنزّه عن تعلّقات النفس الأمّارة .

وقوله (مرجحنّين) أى خاضعين تحت سلطانه وعظمته وقال العلاّمة المجلسي (ره) أي مايلين إلى جهة التحت خضوعا لجلال البارى عزّ سلطانه ، ويحتمل أن يكون كناية عن عظمة شأنهم وازانة قدرهم أوعن نزولهم وقتا بعد وقت بأمره تعالى .

حالكونهم (متولّهة عقولهم) أى متحيّرة متشتّتة (أن يحدّوا أحسن الخالقين) أى يدركوا حقيقته بحدّويعرفوا كنه ذاته سبحانه و هو نظير قوله عليه السلام في الفصل التاسع من المختار الأوّل : لا يتوهّمون ربّهم بالتصوير ، و لايجرون عليه صفات المصنوعين ، ولا يحدّونه بالأماكن ، ولايشيرون إليه بالنظاير .

و لما نبّه على عجز العقول عن وصف كماله أردفه بالتنبيه على ما يدرك من جهة الوصف فقال (وانما يدرك بالصفات) ويعرف بالكنه (ذووالهيئات والأدوات) والجوارح والآلات التي يحيط بها الأفهام ، فيدركون ويعرفون من جهتها .

(و) كذا يدرك (من ينقضي إذا بلغ أمد حدّه بالفنا) أى من ينقضي و يفنى إذا بلغ غايته ، فانه تقف الأفهام عليه وتحلّله إلى أجزائه فتطلع على كنهه ، فأمّا الله سبحانه فلتنزّهه عن الهيئات والصّفات الزايدة ووجوب وجوده وعدم امكان تطرّق الفناء والعدم عليه ، فيستحيل الاطلاع على كنه ذاته وحقيقة صفاته .

ثمّ عقّب ذلك التنزيه بالتوحيد وقال : (فلا إله إلاّ هو أضاء بنوره كلّ ظلام وأظلم بظلمته كلّ نور) لايخفى حسن المقابلة والتطبيق بين القرينتين .

و النور و الظلام في القرينة الأولى يحتملان المحسوس وغيره ، فان اُريد به الظلام المحسوس فالمراد إضائته بأنوار الكواكب و النيرين ، و إن اُريد به الظلام المعقول أعنى ظلمة الجهل فالمراد إضائته بأنوار العلم والشرايع .

وأمّا القرينة الثانية والمقصود بها أنّ جميع الأنوار المحسوسة أوالمعقولة مضمحلّة في نورعلمه وظلام بالنسبةإلى نور براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده و كمال جوده هكذا قال الشارح البحراني .

و فيه إنه عليه السلام لم يقل أظلم بنوره كلّ نور بل قال : أظلم بظلمته ، و هو ينافي هذا المعنى فالأنسب أن يراد بالنور والظلمة الوجود والعدم ، ويصحّ ذلك التأويل في القرينة الأولى أيضاً فيكون الاضاءة والاظلام فيهما كنايتين عن الايجاد والاعدام قيل : ويحتمل على بعد أن يكون الضمير في قوله : بظلمته ، راجعاً إلى كلّ نورلتقدّمه رتبة فيرجع خاصل الفقرتين حينئذ إلى أنّ النور هو ما ينسب إليه تعالى فتلك الجهة نور و أما الجهات الراجعة إلى الممكنات فكلّها ظلمة .

الترجمة

ازجمله خطب شريفه آنحضرت است روايت‌شده ازنوف بكالى كه گفته خطبه فرمود مارا باين خطبه أميرمؤمنان سلام الله عليه وآله در كوفه درحالتيكه ايستاده بود آن حضرت برسنگي كه نصب كرده بود آن سنگ را از براى او جعدة بن هبيرة مخزومى پسر خواهر آنحضرت در حالتيكه در تن مبارك او درّاعه از پشم و دوالهاى شمشير او از ليف خرما بود ، و بردوپاى آن حضرت بود نعليني از ليف و گويا پيشاني مبارك او از كثرت سجود مانند زانوى شتر بود پس فرمود آن بزرگوار :

حمد وثناء معبود بحقّى را سزاست كه بسوى او است بازگشتهاى مخلوقات و عواقب امورات ، حمد ميكنيم ما اورا بر بزرگى احسان او و برهان نورانى او وبرافزونيهاى فضل ومنت او چنان حمدى كه بشود ازبراى حقّ اوقضا ، و ازبراى شكراوأداء ، وبسوى ثواب او نزديك كننده ، وزيادتى نيكوئى اورا واجب سازنده وطلب إعانت ميكنيم ازاومثل طلب اعانت كسيكه اميد دارندهٔ فضل‌اوباشد ، آرزو كنندهٔ منفعت او ، اعتماد كننده بدفع او ، اعتراف كننده بافضال وكرم او ، گردن

نهنده براو با کردار و گفتار .

وایمان میآوریم اورا مثل ایمان آوردن کسیکه امیدوار باشد باودرحالتیکه یقین کننده باشد ، وباز گردد بسوی او درحالتیکه ایمان آورنده باشد ، و خضوع خشوع کند اورا درحالتیکه گردن نهنده باشد ، واخلاص ورزد ازبرای اودرحالتی که موحّد باشد ، وتعظیم کند اورا درحالتیکه تمجید کننده شود ، وپناه ببرد باو درحالتیکه رغبت کننده وسعی نماینده باشد .

متولد نشد حق سبحانه وتعالی تا اینکه درعزّت شریك داشته باشد ، و پسر ندارد تااینکه میراث برده شده وهالك گردد ، ومقدّم نشده براو هیچ وقت وزماني ونوبه نوبه فراهم نیامده اورا هیچ زیادتي ونقصاني ، بلکه آشکار شد بعقلها باآنچه نمایان کرد مارا از علامات تدبیر محکم وقضاء متقن .

پس ازجمله شواهد خلق اواست خلقت آسمانها در حالتیکه ثابت ومحکم‌اند بی‌ستونی ، وایستاده‌اند بدون تکیه گاهی دعوت فرمود آنهارا پس اجابت کردند در حالتیکه اطاعت کننده بودند وانقیادنماینده بدون اینکه توقّف داشته باشند یا تأخیر کننده باشند ، و أگر نبود اقرار آنها بربوبیّت او و انقیاد آنها بطاعت او نمیگردانید آنهارا محلّ عرش خود ، و نه مسکن ازبرای فرشتگان ، و نه محلّ صعود کلمات طیّبات وأعمال صالحه ازخلق .

گردانید ستارهای آسمانها را علامتها تا راه بیابد با آنها شخص متحیّر سر گردان درمحل اختلاف راههای أطراف زمین ، مانع نشد ازروشنی نورآن‌ستارها شدّت تاریکی شب تیره ، و متمکّن نشد لباسهای سیاه ظلمتهای با شدّت از اینکه بر گرداند آنچه که شایع وظاهرشده درآسمانها از درخشیدن نور ماه .

پس تنزیه میکنم آنکسی را که پوشیده نمیشود براو سیاهی ظلمت باشدّت ونه سیاهی شب آرمیده دربقعهای زمینها که منخفض وپست‌اند ، و نه در کوههای بلند سیاه رنگ مایل بسرخی که قریب بیکدیگرند، و مخفی نمیشود براو آنچه

که آواز کند بر او رعد درافق آسمان ، و آنچه که متلاشی ونابود میشود از او برقهای أبر وبرآنچه که میافتد ازبرگ درختان که زایل میگرداند آن برگ را ازمحل افتادن تند بادها که حاصل میشود بسبب سقوط نجوم ساقط ازمنازل قمر وبسبب ریخته شدن باران از آسمان ومیداند جای افتادن قطرهای باران وقرارگاه آن را ومحل کشیدن مورچهای کوچك ومکان جر آنرا وچیزی را که کفایت کند پشه را ازخوراك آن وچیزی که حمل نموده است آن را ماده درشکم خود.

ستایش مر خدایراست که موجود بود پیش از این که بوده باشد کرسی یا عرش یا آسمان یازمین یاجان یا انسان درك نمیشود آن پروردگار با وهم وگمان و أندازه کرده نمیشود بافهم عقلها، و مشغول نمیگرداند اورا سائلی ازسائل دیگر ، وکم نمیگرداند بحر کرم اورا هیچ عطائی ، ونگاه نمیکند باچشم، ومحدود نمیگردد بامکان ، وموصوف نمیشود باجفتها ، ونمیآفریند بمعالجه ومباشرت ، وادراك نمیشود باحواس ظاهره وباطنه ، وقیاس کرده نمیشود بخلق آنچنان پروردگاری که سخن گفت با جناب موسی عليه‌السلام سخن گفتنی ، ونمایانید اورا أزعلامتهای قدرت خود چیز بزرگی بی أعضا و جوارحی وبدون نطق و گوشت پارهائی که درآخردهن است وبا آن نطق حاصل میشود .

بلکه أگرراست گوینده باشی تو ای مشقت کشنده در وصف پروردگارخود پس وصف کن جبرئیل ومیکائیل ولشکرهای فرشتگان راکه مقرب درگاه اویند درمنزلهای قدس و طهارت خاضع و مایلند بزیرأز خضوع درحالتیکه متحیر است عقلهای ایشان دراینکه حدی قرار بدهند بهترین آفریننده گان را ، وجزاین نیست که ادراك میشود باصفتها صاحبان صورتها وآلتها وآنکسی که منقضی میشود بفنا و نیستی زمانی که برسد بغایت حد خود ، پس نیست هیچ معبود بحقی غیراو که روشن فرمود با نورخود هرتاریکی ، وتاریك گردانید با تاریکی خود هرروشنی را.

الفصل الثاني

أُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذي أَلْبَسَكُمُ الرِّياشَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعاشَ، وَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقاءِ سُلَّماً، أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلاً، لَكانَ ذَلِكَ سُلَيْمانُ بْنُ داوُدَ عليه السلام الَّذي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ، فَلَمّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَناءِ بِنِبالِ الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيارُ مِنْهُ خالِيَةً، وَالْمَساكِنُ مُعَطَّلَةً، وَوَرِثَها قَوْمٌ آخَرُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السّالِفَةِ لَعِبْرَةً، أَيْنَ الْعَمالِقَةُ وَأَبْناءُ الْعَمالِقَةِ؟ أَيْنَ الْفَراعِنَةُ وَأَبْناءُ الْفَراعِنَةِ؟ أَيْنَ أَصْحابُ مَدائِنِ الرَّسِّ؟ الَّذينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وَأَطْفَؤُا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبّارِينَ، وَأَيْنَ الَّذينَ سارُوا بِالْجُيُوشِ، وَهَزَمُوا الْأُلُوفَ، وَعَسْكَرُوا الْعَساكِرَ، وَمَدَّنُوا الْمَدائِنَ.

اللغة

(الرياش) والريش ما ظهر من اللباس، وقيل: الرياش جمع الريش وهو اللباس الفاخر و(المعاش) والمعيشة مكتسب الانسان الّذى يعيش به و(السلّم) كسكّر ما يرتقى عليه و(القسىّ) جمع القوس(١) و(النبل) السّهام العربيّة لا واحد لها من لفظها

(١) واصلها قووس على فعول كضرب وضروب الآ انهم قدموا اللاّم فقالوا قسو على فلوع قلبت الواو ياء وكسروا القاف كما كسروا عين عصى فصارت قسى، ابن أبي الحديد.

و (العمالقة) والعماليق أولاد عمليق وزان قنديل أوعملاق كقرطاس وهو من ولد نوح عليه السلام حسبما تعرف و (الفراعنة) جمع فرعون و (الرّسّ)بتشديد السّين نهر عظيم بين آذربيجان وارمينية وهو المعروف الآن بالأرس مبدؤه من مدينة طراز وينتهي إلى شهر الكرّ فيختلطان ويصبّان في البحر ، وقال في القاموس : بئر كانت لبقيّة من ثمود كذّبوا نبيّهم ورسّوه في بئر و (.مدّن) المداين تمديناً مصّرها .

الاعراب

الباء في قوله بنبال الموت زايدة في المفعول ، و المداين مفعول لقوله مدّنوا لا فيه كما هو واضح .

المعنى

اعلم أنه لماافتتح الخطبة بتحميدالله سبحانه وتمجيده وذكر جملة من صفات جلاله ونعوت جماله و أشار إلى عجائب قدرته وبدايع حكمته في ملكه و ملكوته في الفصل السابق منها ، أتبعه بهذا الفصل تذكرة وموعظة للمخاطبين ، فأوصى بما لايزال يوصى به وقال :

(أُوصيكم عبادالله بتقوى‌الله) الّتي هي الزاد وبها المعاد زاد مبلّغ ومعاد منجح وهى أن لايراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك .

وانما عقّب بالموصول أعني قوله (الّذى ألبسكم الرياش وأسبغ عليكم المعاش) تأكيداً للغرض المسوق لـه الكلام ، وتنبيها على أنّه سبحانه مع عظيم احسانـه ومزيد فضله وانعامه حيث أنعم عليكم باللباس والرياش وأكمل عليكم المعاش الّذين هما سببا حياتكم وبهما بقاء نوعكم ، كيف يسوغ كفران نعمته بالعصيان ، ومقابلة عطوفته بالخطيئة ، بل اللاّزم مكافاة نعمائه بالتقوى ، وعطاياه بالحسنى .

ثمّ لماكان رأس كلّ خطيئة هو حبّ الدّنيا وكان عمدة أسباب الغفلة والضّلالة الركون اليها وطول الأمل فيها نبّه على فنائها وزوالها بقوله (و لوأنّ أحداً يجد

إلى البقاء سلّما) و وسيلة (أو لدفع الموت سبيلا) و سبباً (لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام) لأنّه (الّذى) اختصّ من ساير الخلق لكمال السّلطنة والملك العظيم حيث (سخّر له ملك الجنّ والانس) و الوحش و الطير فهم يوزعون حسبما تعرفه تفصيلا عن قريب (مع النبوّة وعظيم الزلفة) والقربى إلى الحقّ سبحانه .

ومعلوم أنّ النّبوة والتقرّب والمنزلة من الوسائل إلى البقاء لاستجابة الدّعاء معهما فهما مظنّتان للتوصّل إليه في الباطن كما أنّ الملك و السلطنة مظنّة لأن تكون وسيلة إليه في الظاهر لكنّه مع نبوّته و عظم سلطانه وقدرته على ما لم يقدر عليه غيره لم يجد وسيلة إلى البقاء ، فليس لأحد بعده أن يطمع في و جدانه

أما انه عليه السلام لم يجد وسيلة إلى ذلك (ف)لأنه (لما استوفي طعمته) أى رزقه المقدّر (واستكمل مدّته) المقرّرة (رمته قسيّ الفناء بنبال الموت) إسناد الرّمي إلى القسيّ من المجاز العقلي والنسبة إلى الآلة، قال الشارح البحراني: ولفظ القسيّ والنبال استعارة لمرامى الأمراض وأسبابها الّتي هي نبال الموت (و أصبحت الدّيار منه خالية والمساكن معطّلة و ورثها قوم آخرون)

روى في البحار من العلل والعيون عن أحمد بن زياد الهمداني عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن عليّ بن معبد عن الحسين بن خالد عن أبى الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليهما السلام عن أبيه موسى بن جعفر «عن أبيه جعفر خ» بن محمّد عليهم السّلام قال

إنّ سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه : إنّ الله تبارك و تعالى قد وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى سخّر لي الرّيح والانس والجنّ والطير والوحوش و علّمني منطق الطير و آتاني كلّ شيء و مع جميع ما اُوتيت من الملك ماتمّ لي سرور يوم إلى اللّيل ، و قد أحببت أن أدخل قصرى في غد فأصعد أعلاه وأنظر إلى ممالكي فلا تأذنوا لأحد عليّ لئلاّ يرد على ما ينقص على يومى ، قالوا : نعم .

فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره و وقف متكئاً على عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما اُوتى فرحاً بما اُعطى، إذ نظر إلى

شابّ حسن الوجه و اللّباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره ، فلما بصر بـه سليمان عليه السلام قال : من أدخلك إلى هذا القصر ؟ وقد أردت أن أخلو فيه اليوم فباذن من دخلت ؟ فقال الشاب : أدخلني هذا القصر ربّه وباذنه دخلت ، فقال عليه السلام : ربّه أحقّ به منّي فمن أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، قال : و فيما جئت ؟ قال : جئت لأقبض روحك قال : امض لما امرت به فهذا يوم سروري وأبي الله عزّ وجلّ أن يكون لي سروري دون لقائه ، فقبض ملك الموت روحه وهو متكىء على عصاه .

فبقي سليمان متكئاً على عصاه وهو ميّت ماشاء الله والنّاس ينظرون إليه وهم يقدّرون أنّه حيّ ، فافتتنوا فيه واختلفوا فمنهم من قال : إنّ سليمان قد بقي متكئا على عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب إنّه لربّنا الذي يجب علينا أن نعبده ، و قال قوم : إنّ سليمان ساحر إنّه يرينا أنه واقف و متكىء على عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك ، فقال المؤمنون : إنّ سليمان هو عبدالله ونبيّه يدبّر الله بماشاء .

فلما اختلفوا بعث الله عزّ وجلّ الارضة فدبت في عصاه ، فلما أكلت جوفها انكسرت العصاوخرّ سليمان من قصره على وجهه فشكر الجنّ للارضة صنيعها فلأجل ذلك لاتوجد الارضة في مكان إلاّوعندها ماء وطين ، وذلك قول الله عزّ وجلّ : فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلاّ دابّة الأرض تأكل منسأته ، يعني عصاه فلمّا خرّ تبيّنت الجنّ أن لوكانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين .

ثمّ نبّه عليه السلام على الاعتبار بأحوال القرون الخالية و الامم الماضية فقال : (وانّ لكم في القرون السالفة لعبرة) وأشار إلى وجه العبرة على سبيل الاستفهام التقريري قصداً للتذكير والتذكّر بقوله (أين العمالقة وأبناء العمالقة) .

قال الشّارح المعتزلي: العمالقة أولاد لاوزبن ارم بن سالم بن نوح عليه السلام كان الملك باليمن والحجاز و ما تاخم ذلك من الأقاليم فمنهم عملاق بن لاوز، ومنهم طسم بن لاوز أخوه ، و منهم جديس بن لاوز أخوهما ، و كان العزّ والملك بعد عملاق بن لاوز في طسم ، فلما ملكهم عملاق بن طسم بغى وأكثر الفساد في الأرض حتّى كان

يطأ العروس ليلة إهدائها إلى بعلها و إن كانت بكراً افتضّها قبل وصولها إلى البعل ، ففعل ذلك بامرأة من جديس يقال لها غفيرة بنت غفار ، فخرجت إلى قومها وهي تقول:

لا أحد أذلّ من جديس　　　أهكذا يفعل بالعروس

فغضب لها أخوها الأسود بن غفار وتابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم وأهل بيته فصنع الاسود طعاماً ودعى العملاق إليه ثمّ وثب به وبطسم فأتى على رؤسائهم ونجا منهم رباح بن مز فسار إلى ذي جيشان بن تبع الحميرى ملك اليمن ، فاستغاث به على جديس فسار ذوجيشان في حمير فأتى بلاد جو وهي قصبة اليمامة واستأصل جديس كلّها وأخرب اليمامة فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم إلاّ اليسير منهم ثمّ ملك بعد طسم و جديس و بازبن ايم «بن ظ» لاوزبن ارم فسار بولده وأهله ونزل برمل عالج فبغوا في الأرض حينا حتّى أفناهم الله ، ثمّ ملك الأرض بعد وباز عبد صحم بن اثيف بن لاوز فنزلوا بالطايف حينا ثمّ بادوا .

قال الشارح : وممن يعدّ من العمالقة عاد وثمود .

فأمّا عاد فهو ابن عويص بن ارم بن سام بن نوح كان يعبد القمر يقال إنّه كان رأى من صلبه أولاداً و أولاد أولاد أربعة آلاف ، وأنه نكح ألف جارية و كان بلاده الأحقاف المذكورة في القرآن (١) ، وهي من شجر عمّان إلى حضرموت ، ومن أولاده شدّاد ابن عاد صاحب المدينة المذكورة في سورة الفجر .

وأمّا ثمود فهو ابن عابر بن ارم بن سام بن نوح ﷺ ، وكانت دياره بين الشام والحجاز إلى ساحل بحر الحبشة .

(أين الفراعنة وابناء الفراعنة) و هم ملوك مصر فمنهم الوليد بن الريان فرعون يوسف عليه السلام ، ومنهم الوليد بن مصعب فرعون موسى، ومنهم فرعون بن الأعرج الّذي غزا بني إسرائيل و أخرب بيت المقدّس .

---

(١) قال تعالى: واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف، قال في مجمع البحرين: هي جمع حقف وهو الرمل المعوج وقيل رمال مستطيلة بناحية شجر وكانت عاد بين جبال مشرفة على البحر بالشجر من بلاد اليمن (منه ره) .

(أين أصحاب مداين الرّس) و ستعرف انبائهم في التذييل الآتي ، و هم (الّذين) جحدوا ربّ العالمين و (قتلوا النبيّين) مظلومين (وأطفؤا سنن المرسلين) وشرايع الدّين (وأحيوا سنن الجبّارين) وبدع الشياطين (وأين) الملوك (الّذين ساروا بالجيوش وهزموا الألوف) وفتحوا الأمصار (وعسكروا العساكر) وجمعوهم (و مدّنوا المداين) وبنوها .

وينبغي تذييل هذا الفصل من الخطبة بامرين:

الاول

في نوادر أخبار ملك سليمان بن داود عليهما السلام المشار إليه في هذا الفصل

قال تعالى في سورة النمل : و لقد آتينا داود و سليمان فضلا و قالا الحمد لله الّذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين ، وورث سليمان داود وقال يا أيّها النّاس علّمنا منطق الطير و أوتينا من كلّ شيء إنّ هذا لهو الفضل المبين .

و في سورة سبأ : و لسليمان الريح غدوّها شهر ورواحها شهر و أسلنا له عين القطر ومن الجنّ من يعمل بين يديه باذن ربّه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السّعير ، يعملون له مايشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور .

قوله سبحانه : « وورث سليمان داود » قال الصّادق عليه السلام في رواية اكمال الدين إنّ داود عليه السلام أراد أن يستخلف سليمان لأنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليه يأمره بذلك فلما أخبر بني إسرائيل ضجّوا من ذلك وقالوا : يستخلف علينا حدثاً وفينا من هو أكبر منه ، فدعى أسباط بني إسرائيل فقال لهم : قد بلغني مقالتكم فأروني عصيّكم فأيّ عصا أثمرت فصاحبها ولي الأمر بعدي ، فقالوا : رضينا ، وقال : ليكتب كلّ واحد منكم اسمه على عصاه ، فكتبوا ثمّ جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثمّ ادخلت بيتاً واغلق الباب وحرسه رؤوس أسباط بني إسرائيل : فلما أصبح صلّى بهم الغداة ثمّ

أقبل فقتح لهم الباب فأخرج عصيّهم وقد و رفت عصا سليمان وقد أثمرت ، فسلّموا ذلك لداود عليه السلام .

و في البحار من محاسن البرقي عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : استخلف داود سليمان وهو ابن ثلاثة عشر سنة ، ومكث في ملكه أربعين سنة .

و **قوله** : « علّمنا منطق الطير » قيل : إنّ النّطق عبارة وهو مختصّ بالانسان إلاّ أنّ سليمان لما فهم معنى صوت الطير سمّاه منطقا مجازاً ، وقال عليّ بن عيسى إن الطّير كانت تكلّم سليمان عليه السلام معجزة له كما أخبر عن الهدهد ، و منطق الطير صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة بخلاف منطق الناس الّذي يتفاهمون به المعاني على صيغ مختلفة ، ولذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها ولم يفهم هي عنا ، لأنّ أفهامها مقصورة على تلك الأُمور المخصوصة ، و لمّا جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها .

قوله : « واُوتينا من كلّ شيء » أي من كلّ شيء تؤتى الأنبياء و الملوك ، وقيل : من كلّ شيء يطلبه طالب لحاجته اليه وانتفاعه به .

وقوله : « و لسليمان الرّيح غدوّها شهر و رواحها شهر » قال الطبرسي أي وسخّرنا لسليمان الريح مسير غدوّ تلك الريح المسخّرة مسير شهر ومسير رواحها مسير شهر ، والمعنى أنها كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للرّاكب قال قتادة : كانت تغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار ويروح مسيرة شهر إلى آخر النهار ، وقال الحسن : كانت تغدو من دمشق فيقبل باصطخر من أرض اصفهان وبينهما مسيرة شهر للمستريح ، وتروح من اصطخر فتبيت بكابل و بينهما مسيرة شهر تحمله الرّيح مع جنوده أعطاه الله الرّيح بدلا من الصافنات الجياد

« وأسلنا له عين القطر » أي أذبناله عين النحاس وأظهرناها له .

« ومن الجنّ من يعمل بين يديه باذن ربّه » المعنى وسخّرناله من الجنّ من بحضرته و امام عينه ما يأمرهم به من الأعمال كما يعمل الآدمي بين يدي الآدمي بأمر ربّه تعالى ، وكان يكلّفهم الأعمال الشاقّة ، وفيه دلالة على أنّه قدكان من الجنّ

من هو غير مسخّر له .

« ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير » أى من يعدل من هؤلاء الجنّ الّذين سخّرناهم لسليمان عما أمرناهم به من طاعة سليمان نذقه من عذاب النار في الآخرة عن أكثر المفسرين ، و قيل : نذقه العذاب في الدّنيا و أنّ الله سبحانه وكّل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم من طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقته .

« يعملون له مايشاء من محاريب » وهى البيوت الشريفة الشريعة قيل : وهى القصور والمساجد يتعبّد فيها عن قتادة والجبائي ، قال : وكان مما عملوا بيت المقدّس و قد كان الله عزّ وجلّ سلّط على بني اسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير في يوم واحد فأمرهم داود أن يغتسلوا ويبرزوا الى الصّعيد بالذّرارى والأهلين ويتضرّعوا إلى الله تعالى لعلّه يرحمهم ، و ذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد ، و ارتفع داود عليه السلام فوق الصّخرة فخرّ ساجداً يبتهل إلى الله سبحانه وسجد وامعه ، فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون .

فلما أن شفع الله داود في بني اسرائيل جمعهم داود بعد ثلاث وقال لهم : إنّ الله تعالى قد منّ عليكم و رحمكم فجدّدوا شكراً بأن تتّخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه مسجداً ففعلوا ، وأخذوا في بناء بيت المقدس فكان داود عليه السلام ينقل الحجارة لهم على عاتقه ، وكذلك خيار بني اسرائيل حتّى رفعوه قامة ولداود عليه السلام يومئذ سبع وعشرون ومأة سنة ، فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أنّ تمام بنائه يكون على يد ابنه سليمان .

فلما صار داود ابن أربعين ومأة سنة توفّاه الله تعالى واستخلف سليمان فأحبّ إتمام بيت المقدس فجمع الجنّ والشياطين فقسم عليهم الأعمال يخصّ كلّ طائفة منهم بعمل ، فأرسل الجنّ والشياطين في تحصيل الرخام والمها الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة من الرخام والصفاح وجعلها اثناعشر ربضا و أنزل كلّ ربض منها سبطاً من الأسباط .

فلما فرغ من بناء المدينة ابتدء في بناء المسجد فوجّه الشياطين فرقا فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها ، وفرقة يقلعون الجواهر والأحجار من أماكنها ، وفرقة يأتونه بالمسك والعنبر وساير الطيب، وفرقة يأتونه بالدّر من البحار فاوتى من ذلك بشيء لا يحصيه إلاّ الله تعالى ثمّ احضر الصناع و أمرهم بنحت تلك الأحجار حتّى يصيروها ألواحاً ومعالجة تلك الجواهر واللآلي .

وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المها الصافي وسقفه بألواح الجواهر وفضض سقوفه وحيطانه باللآلي واليواقيت والجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج ، فلم يكن في الأرض بيت أبهى منه و لا أنور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر .

فلما فرغ منه جمع إليه خيار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه لله تعالى و اتّخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً .

فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتّى غزا بخت نصر بني اسرائيل فخرب المدينة و هدمها و نقض المسجد و أخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذّهب والدّر واليواقيت والجواهر ، فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق .

قال سعيد بن المسيّب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتّى قال في دعائه بصلوات أبي داود ﷺ إلاّ فتحت الأبواب ففرغ له عشرة آلاف من قرآء بني اسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار ولا يأتي ساعة من ليل ونهار إلاّ ويعبد الله فيها .

« وتماثيل » يعني صوراً من نحاس وشبه وزجاج كانت الجنّ تعملها ، ثمّ اختلفوا فقال بعضهم كانت صوراً للحيوانات ، و قال آخرون كانوا يعملون صور السّباع والبهايم على كرسيّه ليكون أهيب له .

فذكروا أنّهم صوّروا أسدين أسفل كرسيّه ونسرين فوق عمودى كرسيّه فكان إذا أراد أن يصعد الكرسي بسط الأسدان ذراعيهما ، و إذا علا على الكرسي نشر النسران أجنحتهما فظلّلاه من الشّمس ، ويقال : إنّ ذلك كان ممالايعرفه أحد

من النّاس .

فلما حاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان حين غلب على بني إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان ، فرفع الأسد ذراعيه فضرب ساقه فقدّها فوقع مغشيّاً عليه فماجسر أحد بعده أن يصعد ذلك الكرسي .

قال الحسن ولم يكن يومئذ التصاوير محرمة وهي محظورة في شريعة نبيّنا صلى الله عليه وآله ، فانه قال : لعن الله المصوّرين ، و يجوز أن يكره ذلك في زمن دون زمن ، وقد بيّن الله سبحانه أنّ المسيح عليه السلام كان يصوّر بأمر الله من الطين كهيئة الطّير وقال ابن عبّاس كانوا يعملون صور الأنبياء والعبّاد في المساجد ليقتدى بهم .

وروى عن الصّادق عليه السلام انه قال : والله ماهي تماثيل النساء والرجال ولكنها الشجر وما أشبهه

« وجفان كالجواب » أي صحاف كالحياض الّتي يجبى فيها الماء أي يجمع و كان سليمان عليه السلام يصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان ، فانه لم يمكنه أن يطعمهم في مثل قصاع الناس لكثرتهم ، وقيل : انه كان يجمع على كلّ جفنة ألف رجل يأكلون من بين يديه .

« وقدورراسيات » أي ثابتات لايزلن عن أمكنتهنّ لعظمهنّ ، عن قتادة وكانت باليمن و قيل كانت عظيمة كالجبال يحملونها مع أنفسهم و كان سليمان عليه السلام يطعم جنده .

وفي البحار عن صاحب الكامل قال . لما توفّي داود ملك بعده ابنه سليمان عليه السلام على بني إسرائيل وكان عمره ثلاث عشر سنة ، وأتاه مع الملك النبوّة و سخّر له الجنّ و الانس و الشياطين و الطير و الريح ، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام الانس والجنّ متى يجلس فيه ، قيل : أنه سخر له الريح والجنّ والشياطين والطير و غير ذلك بعد أن زال ملكه و أعاده الله إليه و كان أبيض جسيماً كثير الشعر يلبس البياض ، وكان يأكل من كسبه ، وكان كثير الغزو، و كان إذا أراد الغزو أمر فعمل بساط من خشب يسع عسكره فيركبون عليه هم ودوابهم

وما يحتاجون إليه ، ثم أمر الريح فسار في غدوته مسيرة شهر وفي روحته كذلك ، و كان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة سرية و أعطاه الله أخيراً أنه لايتكلم أحد بشيء إلا حملته الريح فيعلم مايقول .

وفيه من كتاب قصص الأنبياء بالاسناد عن أبي حمزة عن الأصبغ بن نباته قال: خرج سليمان بن داود من بيت المقدس مع ثلاثمائة ألف كرسي عن يمينه عليها الانس وثلاثمائة ألف كرسي عن يساره عليها الجن ، وأمر الطير فأظلتهم وأما الريح فحملتهم حتى وردت بهم المداين ، ثم رجع وبات في اصطخر ، ثم غدا فانتهى إلى جزيرة بركاوان ، ثم أمر الريح فخفضتهم حتى كادت أقدامهم يصيبها الماء ، فقال بعضهم لبعض : هل رأيتم ملكاً أعظم من هذا ؟ فنادى ملك : لثواب تسبيحة واحدة أعظم مما رأيتم .

وفيه منه عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان ملك سليمان ما بين الشامات إلى بلاد اصطخر .

وفيه عن الطبرسي قال : قال محمد بن كعب بلغنا أن سليمان بن داود عليه السلام كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به ، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكك انه لايتكلم أحد من الخلايق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرتك .

وقال مقاتل : نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخ في فرسخ ذهباً في ابريسم و كان يوضع فيه منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه و حوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة ، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب ، والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلها الطير بأجنحتها حتى لاتقع عليهم الشمس ، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ، ومن الرواح إلى الصباح .

وفيه من تفسير الثعلبي قال : و روى أنّ سليمان عليه السلام لما ملك بعد أبيه أمر باتخاذ كرسيّ ليجلس عليه للقضاء وأمر بأن يعمل بديعاً مهولا بحيث أن لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وتهيب .

قال : فعمل له كرسي من أنياب الفيلة وفصّصوه بالياقوت واللّؤلؤ و الزّبرجد وأنواع الجواهر وحفظوه بأربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزّمرّد الأخضر على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب و على رأس الآخرين نسران من ذهب بعضها مقابلا لبعض ، وجعلوا من جنبي الكرسي أسدين من الذهب على رأس كلّ واحد منهما عمود من الزّمرّد الأخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر و اتّخذوا عناقيدها من الياقوت الأحمر بحيث يظلّ عريش الكروم النخل والكرسي .

قال. و كان سليمان عليه السلام إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كلّه بما فيه دوران الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتهما وتبسط الأسدان أيديهما فتضربان الأرض بأذنابهما ، فكذلك كلّ درجة يصعدها سليمان عليه السلام .

فاذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللّذان على النخلتين تاج سليمان فوضعاه على رأس سليمان ثمّ يستدير الكرسي بما فيه و يدور معه النسران و الطاووسان والأسدان ما يلات برؤوسها إلى سليمان ينضحن عليه من أجوافها المسك والعنبر .

ثمّ تناولت حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة فيفتحها سليمان و يقرئها على الناس و يدعوهم إلى فصل القضاء ، و يجلس عظماء بني إسرائيل على كراسيّ من الذهب المفصّصة بالجوهر وهي ألف كرسيّ عن يمينه ، وتجيء عظماء وتجلس على كراسيّ الفضّة على يساره وهي ألف كرسيّ حافّين جميعاً بهثم يحفّ بهم الطير فتظلّهم وتتقدّم إليه الناس للقضاء .

فاذا دعى البيّنات والشهود لإقامة الشهادات دار الكرسيّ بما فيه مع جميع ما

حوله دوران الرحا المسرعة و يبسط الأسدان أيديهما و يضربان الأرض بأذنابهما وينشر النسران و الطاووسان أجنحتهما فيفزع منه الشهود ويدخلهم من ذلك رعب ولايشهدون إلاّبالحقّ .

وفي البحار من كتاب تنبيه الخاطر روى أنّ سليمان بن داود عليه السلام مرّ في موكبه والطير تظلّه والجنّ والانس عن يمينه وعن شماله بعابد من عبّاد بني إسرائيل فقال : والله يا ابن داود لقد أتاك الله ملكا عظيماً ، فسمعه سليمان فقال : للتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما اعطى ابن داود و إنّ ما أعطى ابن داود تذهب و أنّ التسبيحة تبقى .

و كان سليمان إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء و الأشراف حتّى يجيء إلى المساكين ويقعد معهم ويقول مسكين مع المساكين .

و من ارشاد القلوب كان سليمان مع ما هو فيه من الملك يلبس الشعر واذا جنّه اللّيل شدّيديه إلى عنقه فلا يزال قائماً حتّى يصبح باكياً و كان قوته من سفايف الخوص يعملها بيده وإنما سأل الملك ليقهر ملوك الكفر .

الثاني

فی بیان مداین الرس وقصة اصحابها

قال تعالى في سورة الفرقان « و عاداً وثمود وأصحاب الرّس » وفي سورة قٓ « كذّبت قبلهم قوم نوح و أصحاب الرّس » (١) قال الطبرسيّ : أي وأهلكنا عاداً وثمود وأصحاب الرّس ، وهوبئر رسّوا فيها نبيّهم أى ألقوه فيها عن عكرمة

وقيل انهم كانوا أصحاب مواش ولهم بئر يقعدون عليها وكانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً عليه السلام فكذّبوه فانهار البئر و انخسف بهم الأرض فهلكوا عن وهب .

---

(١) الرّس البئر التى لم تطو بالحجارة ولا غيرها (مجمع البيان) .

وقيل الرّس قرية باليمامة يقال لها فلج قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله عن قتادة.

وقيل كان لهم نبيّ يسمّى حنظلة فقتلوه فاهلكوا عن سعيد بن جبير والكلبي.

و قيل هم أصحاب رسّ والرّس بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار فنسبوا إليها عن كعب ومقاتل.

وقيل أصحاب الرّس كان نساؤهم سحّاقات عن أبي عبدالله عليه السلام.

وفي البحار من تفسير عليّ بن ابراهيم أصحاب الرّس هم الّذين هلكوا لأنّهم استغنوا الرّجال بالرّجال والنّساء بالنّساء.

و من معاني الأخبار معنى أصحاب الرّس أنّهم نسبوا إلى نهر يقال له: الرّس من بلاد المشرق.

و قد قيل: إنّ الرّس هو البئر و إنّ أصحابه رسّوا نبيّهم بعد سليمان بن داود عليه السلام وكانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبرة يقال لها شاه درخت كان غرسها يافث ابن نوح فانبتت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وكان نساؤهم يشتغلن بالنساء عن الرّجال فعذّبهم الله عزّ وجلّ بريح عاصف شديد الحمرة و جعل الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقد و أظلّتهم سحابة سوداء مظلمة فانكفت عليهم كالقبّة جمرة تلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرّصاص في النار.

ومن العرايس للثعلبي قال: قال الله عزّ وجلّ « وعاداً وثمود وأصحاب الرّس » و قال « كذّبت قبلهم قوم نوح و أصحاب الرّس » اختلف أهل التفسير و أصحار الأقاصيص فيهم.

فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض و كلّ أخبر بطائفة من حديث: أصحاب الرّس بقيّة ثمود وقوم صالح وهم أصحاب البئر الّتي ذكرها الله تعالى في قوله « وبئر معطّلة و قصر مشيد » و كانوا بفليج اليمامة نزولا على تلك البئر و كلّ ركيّة لم تطو بالحجارة و الآجر فهو بئر و كان لهم نبيّ يقال له حنظلة بن صفوان، و كان بأرضهم جبل يقال له فتح مصعدا في السماء ميلا، وكانت العنقاء تنتابه وهي كأعظم مايكون من الطير وفيها من كلّ

لون وسمّوها العنقآء لطول عنقها و كانت تكون في ذلك الجبل تنقض على الطير تأكلها ، فجاعت ذات يوم فاعوزها الطّير فانقضت على صبيّ فذهبت به ، ثمّ إنها انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمّتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين ، فشكوا إلى نبيّهم فقال : اللّهمّ خذها و اقطع نسلها و سلّط عليها آية يذهب بها ، فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم يرلها أثر فضربتها العرب مثلا في أشعارها وحكمها وأمثالها ثم إنّ أصحاب الرّس قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله تعالى

و **قال** بعض العلماء : بلغني أنه كان رسّان

اما احدهما فكان أهله بدد وأصحاب غنم ومواش فبعث الله إليهم نبيّاً فقتلوه ثمّ بعث إليهم رسولا آخر وعضده بوليّ فقتلوا الرّسول وجاهدهم الوليّ حتّى أفحمهم و كانوا يقولون إلهنا في البحر و كانوا على شفيرة و كان يخرج إليهم شيطان في كلّ شهر خرجة فيذبحون و يتّخذونه عيداً فقال لهم الوليّ أرأيتم إن خرج إلهكم الّذى تدعونه إليّ وأطاعني أتجيبونني إلى ما دعوتكم إليه ؟ فقالوا : بلى ، و أعطوه على ذلك العهود والمواثيق .

فانتظر حتّى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا أربعة أحوات و له عنق مستعلية وعلى رأسه مثل التاج ، فلمّا نظروا إليه خرّوا له سجّداً وخرج الوليّ إليه فقال ائتني طوعاً أو كرها بسم الله الكريم ، فنزل عند ذلك عن أحواته فقال له الوليّ ائتني عليهنّ لئلاّ يكون من القوم في أمري شكّ فاتى الحوت واتين به حتّى افضين به الى البر يجرّونه .

فكذّبوه بعد ما رأوا ذلك ونقضوا العهد فأرسل الله تعالى إليهم ريحاً فقذفهم في البحر و مواشيهم جميعاً وما كانوا يملكون من ذهب وفضّة ، فأتى الوليّ الصالح إلى البحر حتّى أخذ التبر والفضّة والأواني فقسّم على أصحابه بالسويّة على الصّغير منهم والكبير وانقطع هذا النسل .

و **اما الاخر** فهم قوم كان لهم نهر يدعى الرّس ينسبون إليه و كان فيهم أنبياء كثيرة قلّ يوم يقوم نبيّ إلاّ قتل وذلك النهر بمنقطع آذربيجان بينها وبين أرمنيّة

فاذا قطعته مدبراً دخلت في حدّ ارمنيّة وإذا قطعته مقبلا دخلت في حدّ آذربيجان يعبدون النيران و كانوا يعبدون الجوارى «الفذاري»فاذا تمّت لإحديهن ثلاثون سنة قتلوهاواستبدلوا غيرهاو كان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ،و كان يرتفع في كلّ يوم وليلة حتّى يبلغ أنصاف الجبال الّتي حوله ، و كان لاينصب في برّ ولا بحر إذا خرج من حدّهم يقف ويدور ثمّ يرجع إليهم.

فبعث الله تعالى ثلاثين نبيّا في شهر واحد فقتلوهم جميعاً ، فبعث الله عزّ وجلّ نبيّاً وأيّده بنصره وبعث معه وليّا فجاهدهم في الله حقّ جهاده .

فبعث الله تعالى إليه ميكائيل حين نابذوه و كان ذلك في أوان وقوع الحبّ في الزرع ، و كانوا إذ ذاك أحوج ما كانوا من الماء ، ففجر نهرهم في البحر فانصبّت ما في أسفله و أتى عيونه من فوق فسدّها و بعث إليه خمسمأة ألف من الملائكة أعوانا له ففرّقوا مابقى فى وسط النهر .

ثمّ أمرالله جبرئيل فنزل فلم يدع في أرضهم عينا ولانهراً إلاّ أيبسه بإذن الله عزّ وجلّ وأمر ملك الموت فانطلق إلى المواشي فأماتهم ربضة واحدة ، وأمر الرياح الأربع الجنوب والشمال والدّبور والصّبا فضمت ما كان لهم من متاع وألقى الله عزّوجلّ عليهم السّبات، ثمّ خفت الرياح الأربع المتاع أجمع فنهبته في رؤوس الجبال وبطون الأودية.

فأمّا ما كان من علي أوتبر أوآنية فانّ الله تعالى أمر الأرض فابتلعته فأصبحوا ولا شاء عندهم ولا بقرة ولامال يعودون ولا ماء يشربونه ولا طعام يأكلونه ، فآمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم إلى غار في جبل له طريق الى خلفه فنجوا و كانوا أحداً و عشرين رجلا و أربع نسوة و صبيّين و كان عدّة الباقين من الرّجال و النساء والذراري ستّمأة ألف فماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية .

ثمّ عاد القوم إلى منازلهم فوجدوها قدصار أعلاها أسفلها فدعا القوم عندذلك مخلصين أن يجيبهم «ينجيهم» بزرع وماء وماشية ويجعله قليلا لئلاّ يطغوا ، فأجابهم الله تعالى إلى ذلك لما علم من صدق نيّاتهم و علم منهم الصّدق و آلوا أن لايبعث رسولا ممن قاربهم إلاّ أعانوه وعضدوه ، وعلم الله منهم الصّدق فأطلق الله لهم نهرهم

وزادهم على ماسألوا ، فأقام اُولئك في طاعة الله عزّ وجلّ ظاهراً و باطنا حتّى مضوا وانقرضوا.

وحدث بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله في الظاهر ونافقوه في الباطن فأملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادراً ، ثمّ كثرت معاصيهم وخالفوا أولياء الله تعالى فبعث الله عزّ وجلّ عدوّهم ممن فارقهم و خالفهم فأسرع فيهم القتل و بقيت منهم شر ذمة فسلّط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد وبقى نهرهم ومنازلهم مأتي عام لايسكنها أحد ثمّ أتى الله بقرن بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين سنين ثمّ أحدثوا فاحشة جعل الرجل بنته واخته وزوجته فينيلها جاره و أخاه و صديقه يلتمس بذلك البرّ و الصّلة .

ثمّ ارتفعوا من ذلك إلى نوع آخر ترك الرّجال النساء حتّى شبقن واستغنوا بالرّجال فجائت النساء شيطانهنّ في صورة و هي الدّلهات بنت ابليس و هي اخت الشيصاء وكانت في بيضة واحدة فشهت إلى النساء ركوب بعضهنّ بعضا وعلمهنّ كيف يصنعن فأصل ركوب النساء بعضهنّ بعضا من الدّلهات ، فسلّط الله على ذلك القرن صاعقة في أوّل اللّيل وخسفا في آخر اللّيل ، وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت مساكنهم ولا احسب منازلهم اليوم تسكن .

وفي البحار من كتابي العيون و العلل عن الهمداني عن عليّ عن أبيه عن الهروي عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن الحسين بن عليّ عليهما السلام قال :

أتى عليّ بن أبي طالب عليه السلام قبل مقتله بثلاثة أيام رجل من أشراف تميم يقال له عمرو فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرّس في أيّ عصر كانوا و أين كانت منازلهم و من كان ملكهم ؟ و هل بعث الله عزّ وجلّ إليهم رسولا أم لا ؟ وبماذا اهلكوا ؟ فانّي أجد في كتاب الله تعالى ذكرهم ولا أجد خبرهم .

فقال له علي عليه السلام لقد سألت عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولايحدثك به أحد بعدي إلاّ عنّي ، وما في كتاب الله عزّ وجلّ آية إلاّ وأنا أعرف تفسيرها وفي أيّ مكان نزلت من سهل أوجبل وفي أيّ وقت من ليل أونهار وإنّ ههنا لعلماً جمّاً -

و أشار إلى صدره ـ ولكن طلابه يسير وعن قليل يندمون لوفقدوني .

كان من قصّتهم يا أخاتميم أنهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها روشاب «دوشاب» كانت انبعت لنوح عليه السلام بعد الطوفان، وإنما سمّوا أصحاب الرّس لأنهم رسّوا انبيّهم في الأرض وذلك بعد سليمان بن داود عليه السلام .

و كانت لهم اثنتا عشرة قرية على شاطيء نهر يقال له الرّس من بلاد المشرق وبهم سمّي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزرمنه ولا أعذب منه و لا قرى أكثر و لا أعمر منها تسمّى إحديهنّ أبان ، و الثانية ، آذر ، و الثّالثة دى ، والرّابعة بهمن ، والخامسة اسفندار ، والسادسة فروردين ، والسابعة اردى بهشت ، و الثامنة خرداد ، و التاسعة مرداد ، و العاشرة تير ، و الحاديعشرة مهر ، والثاني عشرة شهريور .

و كانت أعظم مداينهم اسفندار و هي الّتي ينزلها ملكهم ، وكان تركوزبن غابوربن يارش بن شازن بن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم وبها العين والصنوبرة وقد غرسوا في كلّ قرية منها حبّة من طلع تلك الصّنوبرة ، وأجروا إليها نهراً من العين التي عند الصنوبرة .

فنبتت الحبّة و صارت شجرة عظيمة وحرّموا ماء العين و الأنهار فلا يشربون منها ولا أنعامهم ، ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هوحياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرّس الّذي عليه قراهم .

و قد جعلوا في كلّ شهر من السنة في كلّ قرية عيداً يجتمع إليه أهلها ، فيضربون علي الشجرة التى بها كلّة (١) من حرير فيها من أنواع الصّور ثمّ يأتون بشاة و بقر فيذبحونهما قربانا للشجرة و يشعلون فيها النيران بالحطب فاذا سطع دخان تلك الذبايح و قتارها في الهواء و حال بينهم وبين النظر إلى السّماء خرّوا سجّداً يبكون ويتضرّعون إليها أن ترضى عنهم .

(١) الكلّة بالكسر الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقّى فيه من البقّ (بحار) .

فكان الشيطان يجيء فيحرّك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصّبي أن قد رضيت عنكم فطيبوا نفساً وقرّوا عيناً فيرفعون رؤوسهم عند ذلك ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف ويأخذون الدستبند فيكون على ذلك يومهم وليلتهم ثمّ ينصرفون .

و انما سمّت العجم شهورها بأبان ماه و آذر ماه و غيرهما اشتقاقاً من أسماء تلك القرى لقول أهلها بعضهم لبعض هذا عيد شهر كذا وعيد شهر كذا .

حتّى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليها صغيرهم و كبيرهم فضربوا عند الصنوبرة و العين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصور وجعلوا له اثنى عشر باباً كل باب لأهل قرية منهم ويسجدون للصنوبرة خارجا من السرادق ويقرّبون لها الذّبايح أضعاف ما قرّبوا للشجرة الّتي في قراهم .

فيجيء ابليس عند ذلك فيحرّك الصنوبرة تحريكاً شديداً ويتكلّم من جوفها كلاماً جهوريّاً و يعدهم ويمنّيهم بأكثر ما وعدتهم ومنتهم الشياطين كلّها فيرفعون رؤوسهم من السجود وبهم من الفرح والنشاط مالا يفيقون ولا يتكلّمون من الشرب و العزف .

فيكونون على ذلك اثنى عشر يوماً و لياليها بعدد أعيادهم ساير السّنة ثمّ ينصرفون .

فلما طال كفرهم بالله عزّ وجلّ وعبادتهم غيره بعث الله عزّ وجلّ إليهم نبيّاً من بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب ، فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم إلى عبادة الله عزّ وجلّ و معرفة ربوبيّته فلا يتّبعونه ، فلما رأى شدّة تماديهم في الغيّ والضلال وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرّشد والنجاح وحضر عيد قريتهم العظمى قال : يا ربّ إنّ عبادك أبوا إلا تكذيبي و الكفر بك وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضرّ فأيبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك .

فأصبح القوم و قد يبس شجرهم كلّها فهالهم ذلك و فظع بهم وصاروا فرقتين فرقة قالت : سحر آلهتكم هذا الرجل الّذي زعم أنه رسول ربّ السماء والأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى الله ، وفرقة قالت : لا بل غضبت آلهتكم حين

رأت هذا الرّجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم إلى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهائها لكى تغضبوا لها فتنتصروا منه .

فأجمع رأيهم على قتله فاتّخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الأفواه ثمّ أرسلوها في قرار العين إلى أعلا الماء واحدة فوق الأخرى مثل البرانج «اليراعخ» ونزحوا ما فيها من الماء ثمّ حفروا في قرارها بئراً ضيّقة المدخل عميقة وأرسلوا فيها نبيّهم وألقموا فاها صخرة عظيمة ثمّ أخرجوا الأنابيب من الماء وقالوا نرجوا الآن أن ترضى عنّا آلهتنا إذا رأت أنا قد قتلنا من كان يقع فيها و يصدّ عن عبادتها و دفنّاه تحت كبيرها يتشفى منه فيعود لنا نورها ونضرتها كما كان .

فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيّهم ﷺ و هو يقول سيدي قد ترى ضيق مكاني وشدّة كربي فارحم ضعف ركني وقلّة حيلتي وعجّل بقبض روحي و لا تؤخّر إجابة دعوتي حتّى مات عليه السلام .

فقال الله جلّ جلاله لجبرئيل : ياجبرئيل أيظنّ عبادى هؤلاء الّذين غرّهم حلمي وامنوا مكرى وعبدوا غيرى وقتلوا رسولي أن يقوموا بغضبي ويخرجوا من سلطاني كيف و أنا المنتقم ممّن عصاني و لم يخش عقابي واني حلفت بعزّتي لأجعلنّهم عبرة ونكالا للعالمين .

فلم يرعهم في يوم عيدهم ذلك إلّا ريح عاصفة شديدة الحمرة فتحيّروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم إلى بعض ، ثمّ صارت الأرض تحتهم حجر كبريت يتوقّد وأظلّتهم سحابة سوداء فألقت عليهم كالقبّة جمرا يتلهّب «يلتهب خ» فذابت أبدانهم كما يذوب الرّصاص في النّار ، فنعوذ بالله تعالى ذكره من غضبه ونزول نقمته ولاحول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم .

الترجمة

فصل دويم از اين خطبه در وصيّت بتقوى وپرهيزكاريست مى‌فرمايد :

وصيّت مى كنم شمارا أى بندگان خدا بپرهيزكارى خداوندى كه پوشانيده

بشما لباس فاخر ، و واسع گردانیده بر شما أسباب معیشت را ؛ پس اگر احدی می‌یافت بسوی بقا نردبانی یا ازبرای دفع مرگ وسیله وراهی هرآینه بودی آن شخص سلیمان بن داود عليه السلام که مسخّر شد ازبرای او پادشاهی جنّ وانسان بامنصب پیغمبری وبزرگی قرب ومنزلت ، پس زمانی که استیفانمود طعمه خودرا واستکمال کرد مدّت عمرخودراانداخت اورا کمانهای فنا بتیرهای مرگ . وگردید شهرها از وجود او خالی ومسکنها از او معطل ووارث گردید آنهارا قوم دیگر ، وبدرستی که مرشمارا درروزگارهای سابقه هرآینه عبرتی است .

کجایندطایفه عمالقه وپسران عمالقه کجایند فراعنه وپسران فراعنه کجایند أصحاب مدینهای رسّ که کشتند پیغمبران را وخاموش کردند روشنائی طریقهای مرسلین را و زنده کردند طریقهای گردن کشان را و کجایند آنکسانی که سیر کردند بالشکرها و غلبه کردند با هزاران قشون و جمع آوردند لشگرها و بنا کردند شهرهارا .

الفصل الثالث منها

قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَها ، وَأَخَذَها بِجَمِيعِ أَدَبِها ، مِنَ الْإِقْبالِ عَلَيْها ، وَالْمَعْرِفَةِ بِها ، وَالتَّفَرُّغِ لَها ، وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضالَّتُهُ الَّتي يَطْلُبُها ، وَحاجَتُهُ الَّتي يَسْئَلُ عَنْها ، فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذا اغْتَرَبَ الْإِسْلامُ ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرانِهِ ، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقايا حُجَّتِهِ ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلائِفِ أَنْبِيائِهِ .

ثُمَّ قال عليه السلام :

أيُّها النّاسُ إنّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَواعِظَ الَّتي وَعَظَ بِها الأَنْبِياءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ ما أَدَّتِ الأَوْصِياءُ إِلى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطي فَلَمْ تَسْتَقيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّواجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا، لِلّهِ أَنْتُمْ أَتَتَوَقَّعُونَ إِماماً غَيْري يَطَأُ بِكُمُ الطَّريقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبيلَ، أَلا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنيا ما كانَ مُقْبِلاً، وَأَقْبَلَ مِنْها ما كانَ مُدْبِراً، وَأَزْمَعَ التَّرْحالَ عِبادُ اللهِ الأَخْيارُ، وَباعُوا قَليلاً مِنَ الدُّنيا لا يَبْقى، بِكَثيرٍ مِنَ الآخِرَةِ لا يَفْنى.

ما ضَرَّ إِخْوانَنا الَّذينَ سُفِكَتْ دِماؤُهُمْ وَهُمْ بِصِفّينَ أَلّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْياءً، يُسيغُونَ الْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ، قَدْ وَاللهِ لَقُوا اللهَ فَوَفّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دارَ الأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ، أَيْنَ إِخْواني الَّذينَ رَكِبُوا الطَّريقَ وَمَضَوْا عَلى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهانِ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظَراؤُهُمْ مِنْ إِخْوانِهِمُ الَّذينَ تَعاقَدُوا عَلى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلى الْفَجَرَةِ.

قال: ثُمّ ضرب يده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء ثُمّ قال عليه السلام:

أَوْهِ عَلى إِخْواني الَّذينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ، وَأَماتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهادِ فَأَجابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقائِدِ فَاتَّبَعُوهُ، ثم نادى بأعلى صوته: الْجِهادَ الْجِهادَ عِبادَ

اللهِ ألاٰ و إنّي مُعسكِرٌ في يَوْمي هٰذا فَمَنْ أرادَ الرَّواحَ إلىَ اللهِ فَلْيَخرُجْ .

قال نوف و عقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد (ره) في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلافٍ، ولغيرهم على أعدادٍ اخر وهو يريد الرّجعة إلىٰ صفّين، فما دارت الجمعة حتّى ضَرَبه الملعون ابن ملجم لعنه الله فتراجعت العساكر فكنّا كأغنـام فقدت راعيها تختطفها الذئاب مِنْ كلّ مكانٍ .

اللغة

(الجنّة) بالضم نوع من السلاح (عسيب الذّنب) قال الشارح المعتزلي أصله وقال الفيرزآبادي : العسيب عظم الذنب أومنبت الشعر منه و (جران) البعير صدره أو مقدم عنقه و (الحدا) سوق الابل و الغنالها و (الترحال) مبالغة في الرحلة و (الغصص) جمع الغصّة وهى مايعترض في الحلق و (الرنق) بالفتح والتحريك الكدر من الماء ، وفي بعض النسخ بالكسر ولا بأس به قال في القاموس : رنق الماء كفرح ونصر رنقاً ورنقا ورنوقا كدر فهو رنق كعدل و كتف وجبل .

و (ابن التيهان) قال الشارح بالياء المنقوطة باثنتين تحتها المشدّدة المكسورة وقبلها تاء منقوطة باثنتين فوقها ، وقال العلاّمة المجلسي(ره) : والمضبوط في أكثر النسخ بالياء الساكنة وفتح التاء و كسرها معاً ، وفى القاموس وتيّهان مشدّدة الياء ويكسر وتيهان بالسكون .

و (اوه) على إخوانى بسكون الواو و كسر الهاء كلمة توجّع و فيها لغات اخر قال في القاموس : اوه كجير وحيث وأين واه و إوه بكسر الهاء والواو المشدّدة واو بحذف الهاء واوّه بفتح الواو المشدّدة واووه بضمّ الواو واه بكسر الهاء منوّنة

واو بكسر الواو منوّنة و غير منوّنة وأوتاه بفتح الهمزة والواو و المثنّاة الفوقيّة و اوياه بتشديد المثناة التحتية كلمة يقال عند الشكاية أو التوجّع اه اوهاً واه تاوها وتاوّه قالها(١) .

و (تختطفها) من الاختطاف وهوأخذ الشيء بسرعة وفي بعض النسخ تتخطفها

الاعراب

قوله : بقيّة خبر لمبتدء محذوف ، وقوله : لله أنتم ، قد مضى تحقيق الكلام فيه في شرح المختار المأة و التاسع والسبعين ، و ما في قوله ماضرّ إخواننا ، نافية ويحتمل الاستفهام على سبيل الانكار ، واخواننا بالنصب مفعول ضرّ وفاعله ألّا يكونوا وجملة يسيغون في محلّ النّصب صفة للاحياء ، والجهاد الجهاد بالنصب على الاغراء

المعنى

اعلم أنّ السيّد (ره) قد سلك في هذا الفصل من الخطبة مسلك الالتقاط و أسقط صدر الكلام فالتبس الأمرفي قوله : (قد لبس للحكمة جنّتها) حيث اشتبه المرجع لفاعل لبس و لم يدر أنّ الموصوف بتلك الجملة و مايتلوها من هو ، فمن ذلك فسّره كلّ على زعمه واعتقاده .

قال العلاّمة المجلسيّ (ره) إنّه إشارة إلى القائم عليه السلام ونقله الشارح المعتزلي عن الشيعة الاماميّة .

وقال الصّوفيّة إنه عليه السلام يعني بهوليّ الله في الأرض وعندهم لايخلو الدّنيا من الأبدال والأولياء .

وقالت الفلاسفة : إنّ مراده عليه السلام به العارف .

وقالت المعتزلة : انه يريدبه العالم بالعدل والتوحيد وزعموا أنّ الله لايخلى الأمة من جماعة من المؤمنين العلماء بالتوحيد و العدل و انّ الاجماع إنما يكون

---

(١) أي قال آوه (منه)

حجّة باعتبار قول اُولئك ، لكنه لما تعذّرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر اجماع الجميع وانما الأصل قول اُولئك .

قال الشّارح المعتزلي بعد نقل هذه الأقوال : وليس يبعد أن يريد عليه السلام به القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله في آخر الوقت إذا خلقه الله تعالى و إن لم يكن الآن موجوداً ، فليس في الكلام ما يدلّ على وجوده الآن ، وقد وقع اتّفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أنّ الدّنيا والتكليف لاينقضي إلاّ عليه ، انتهى .

أقول: أما ما ذكره من كون المراد به القائم عليه السلام فهو كما ذكره غير بعيد لظهور اتّصافه عليه السلام بهذه الأوصاف و كونه مظهراً لها ، وأما ما زعمه كساير المعتزلة من أنّه عليه السلام غير موجود الآن وانمايخلقه الله في آخر الزمان فهو زعم فاسد ووهم باطل ، لقيام البراهين العقلية والنقلية على أنّ الأرض لو تبقى بغيرحجّة لا نخسفت وساخت ، وعلى أنّه لابد من وجوده في كلّ عصر وزمان ، وأنه إما ظاهرمشهورأو غايب مستور ، وأنّ القائم من آل محمد عليهم السلام مخلوق من غابرالزمان وموجود الآن و هو غايب مستور لمصالح مقتضية لغيبته و الانتفاع بوجوده الشريف حال الغيبة كالانتفاع بالشمس المجلّلة للعالم المحجوبة بالسحاب .

و بعد قيام الأدلّة المحكمة على ذلك كلّه فلا يعبأ بالاستبعادات الوهمية للمنكرين، والاستدلالات السخيفةالهيّنة للمبطلين على ماشيراليها في كتبأصحابنا الاماميّة المؤلّفة في الغيبة مع أجوبتها المتقنة ، و قد مضى طرف من الكلام على هذا المرام في شرح الفصل الأوّل من المختار المأة و الثّامن و الثّلاثين فليراجع ثمة ، هذا .

و الحكمة اسم لمجامع الخير كلّه قال أبوالبقاهى في عرف العلماء استعمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظريّة و اكتساب الملكة التامّة على الأفعال الفاضلة قدر طاقتها .

وقال بعضهم : هي معرفة الحقايق على ما هى عليه بقدر الاستطاعة وهي العلم النافع المعبّرعنها بمعرفة مالهاومعرفة ماعليها .

وقال ابن دريد : كلّ ما يؤدّى إلي ما يلزمه أو يمنع من قبيح ، و قيل : ما يتضمّن صلاح النشأتين .

وقال في البحار : العلوم الحقّة النافعة مع العمل بمقتضاها ، قال : و قد يطلق على العلوم الفايضة من جنابه تعالى على العبد بعد العمل بماعلم .

أقول : والمعاني متقاربة واليها يرجع تفاسيره المختلفة ، فقد يفسّر بأنه معرفة الله وطاعته ، وقد يفسّر بأنه العلم الذي يرفع الانسان عن فعل القبيح ، وفسّر في قوله تعالى «بالحكمة والموعظة الحسنة» بالنبوّة وفي قوله : «ويعلّمه الكتاب والحكمة» بالفقه و المعرفة ، وفي قوله : « ويعلّمهم الكتاب و الحكمة »بالقرآن والشريعة ، وفي قوله: «يؤتى الحكمة من يشاء من عباده ومن يؤتي الحكمة فقد اُوتى خيراً كثيراً وما يذكّر إلاّ اُولوا الألباب » بتحقيق العلم وإتقان العمل

وفي الصافي من الكافي وتفسير العياشي عن الصّادق عليه السلام في تفسير هذه الآية قال : طاعة الله ومعرفة الامام .

وعنه عليه السلام معرفة الامام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار .

وعن العياشي عنه عليه السلام :الحكمة المعرفة والفقه في الدّين ومن فقه منكم فهو حكيم .

وعن مصباح الشريعة عنه عليه السلام الحكمة ضياء المعرفة وميراث التقوى وثمرة الصدق ولو قلت ما أنعم الله على عباده بنعمة أنعم و أعظم وأرفع و أجزل و أبهى من الحكمة لقلت، قال الله « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اُوتى خيراً كثيراً وما يذّكّر إلاّ اُولوا الألباب » أى لايعلم ما أودعت وهيئت في الحكمة إلاّ من استخلصته لنفسي و خصصته بها و الحكمة هى الكتاب و صفة الحكيم الثبات عند أوائل الاُمور والوقوف عند عواقبها وهو هادى خلق الله إلى الله .

وعن الخصال عن النبيّ صلى الله عليه وآله رأس الحكمة مخافة الله .

و عنه و عن الكافي عنه صلى الله عليه وآله أنه كان ذات يوم فى بعض أسفاره اذ لقاه ركب فقالوا : السّلام عليك يارسول الله ، فالتفت إليهم وقال : ما أنتم ؟ فقالوا : مؤمنون ،

قال : فما حقيقة ايمانكم ؟ قالوا : الرّضا بقضاء الله و التسليم لأمر الله و التفويض إلى الله ، فقال رسول الله ﷺ: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء فان كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون ، و لا تجمعوا ما لا تأكلون ، و اتّقوا الله الّذي إليه ترجعون .

إذا عرفت ذلك فأقول : قوله : قد لبس للحكمة جنّتها الظاهر أنـه أراد بجنّة الحكمة مخافة الله كما أنّ النبيّ جعلها رأسها في رواية الخصال المتقدّمة ، فاستعار لفظ الجنّة لها باعتبار أنّ مخافته سبحانه و وجود وصف التّقوى الموجب لقمع النفس عن الشهوات و قلعها عن العلايق و الامنيات مانع عن كون الحكمة غرضا عن الهام الهوى و عن وقوع الحكيم في الهلاكة والرّدى ، كما أنّ الجنّة و هو ما يستتر به السّلاح كالدّرع ونحوه مانعة للابسها عن اصابة سهام الأعداء .

فيكون محصّل المعنى أنّ ذلك الحكيم قد اتّصف بمخافة الله سبحانه وخشيته التي هي بمنزلة الجنّة للحكمة لأجل حفظ حكمته و كونها وقاية لها عما يصادمها كما أنّ الجنّة تحفظ الانسان عن صدمات الأعداء .

و بما ذكرنا يظهر ما في كلام الشارح البحراني ، فانّه قال : لفظ الجنّة مستعار في الاستعداد للحكمة بالزهد و العبادة الحقيقين والمواظبة على العمل بأوامر الله ، و وجه الاستعارة أنّ بذلك الاستعداد يأمن إصابة سهام الهوى و ثوران دواعي الشهوات القائدة إلى النار كما يأمن لابس الجنّة من أذى الضرب و الجرح ، انتهى

فانّ مفاده كما ترى هو أنّ لفظ الجنّة مستعار للاستعداد الحاصل من الزهد والعبادة والمواظبة على التكاليف الشرعيّة .

فيتوجّه عليه حينئذ أوّلا أنّ الاستعداد المذكور لا يكون جنّة للحكمة على ماذكره، إنّما يكون جنّة للانسان من الوقوع في النار ، وظاهر كلام الامام يفيد تلبسه بجنّة الحكمة لأجل الحكمة لا لأجل نفسه .

و ثانياً أنّ الاستعداد و التهيّوء للشيء قبل وجود الشيء ، فلو جعل الجنّة استعارة للاستعداد للحكمة لكان مفاد كلامه عليه السلام عدم اتّصاف الرّجل الموصوف

بالحكمة فعلا .

و بعبارة اخرى يدلّ على تلبسه و اتّصافه بالاستعداد فقط لا بالحكمة نفسها مع أنّ الغرض من الكلام الوارد في مقام المدح إفادة اتّصافه بها و كونها حاصلا له بالفعل لا بالقوّة ، إذ كمال المدح إنما هوفي ذلك .

ويدلّ على ذلك أيضاً أي على الاتّصاف بالفعل صريح قوله (وأخذها بجميع أدبها) أي أخذ الحكمة على وجه الكمال و قام بآدابها (من الاقبال عليها و المعرفة بها والتفرّغ لها) يعني أنّه لماعلم أنه لاخصلة أعظم وأشرف وأرفع وأبهى من الحكمة وعرف أنه من يؤتها فقد اُوتى خيراً كثيراً أقبل الكلّية عليها وقصر همّته ونهمته فيها وعرف شرفها وقدرها و نفاستها وتفرّغ لها وتخلّى عن جميع العلايق الدنيوية التي تضادّها وتنحّى عن كلّ ماسواها .

(فهي عند نفسه ضالّته الّتي يطلبها وحاجته الّتي يسأل عنها) ذلك مثل قوله عليه السلام في أواخر الكتاب : الحكمة ضالّة المؤمن .

فان قلت : قوله يطلبها ويسأل عنها صريحان في عدم حصولها له فعلا فينافي ما استظهرت آنفا من كلامه عليه السلام السابق .

قلت : لا منافاة بينهما لأنه عليه السلام استعارلها لفظ الضالّة و جملة يطلبها وصف للمستعار منه لا للمستعار له، إذ من شأن الضلالة أن تطلب فهي استعارة مرشّحة لا استعارة مجرّدة ، و الجامع شدّة الشوق وفرط الرغبة والمحبّة لا الطلب كما زعمه الشارح البحراني حيث قال استعار لها لفظ الضالّة لمكان انشاده لها وطلبه كماتطلب الضالّة من الابل ، نعم قوله عليه السلام : يسأل عنها ظهوره فيما أفاده الشارح ، لكن تأويله على وجه يوافق ما ذكرناه سهل فتأمل ، هذا .

ولا يخفى عليك أنّ جعل الكلام من باب الاستعارة إنّما هو جرياً على مذاق الشارح البحراني ، و إلاّ فقد علمت في ديباجة الشرح أنه من باب التشبيه البليغ حيث ذكر المشبّه والمشبّه به وحذف الأداة فيكون الوصف بالطلب ترشيحا للتشبيه لا للاستعارة .

(فهو مغترب) يعني هذا الشخص يخفى نفسه ويختار العزلة ، و هو إشارة إلى غيبة القائم عليه السلام (إذا اغترب الاسلام) أى إذا ظهر الجور والفساد وصار الاسلام غريباً ضعيفاً بسبب اغتراب الصلاح والسداد كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : بدء الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدء .

ثمّ شبّه الاسلام بالبعير البارك في قلّة النفع والضعف على سبيل الاستعارة بالكناية فأثبت له لوازم المشبّه به و قال : (و ضرب بعسيب ذنبه) لأنّ البعير إذا أعيى وتأذّى ضرب بذنبه (و ألصق الأرض بجرانه) أى مقدّم عنقه فلا يكون له تصرّف ولا نهوض ، وقلّ أن يكون له نفع حال بروكه ، هذا .

ولما وصفه عليه السلام بلبسه لجنّة الحكمة وايثاره العزلة والغيبة عرّفه بأنه (بقيّة من بقايا حجّته) على عباده و (خليفة من خلائف أنبيائه) في بلاده ، وهذان الوصفان يقويان الظنّ بكون نظره عليه السلام بما أورده في هذا الفصل إلى القائم المنتظر عليه السلام وآبائه الطاهرين عليهم السلام .

قال الشارح المعتزلي : فان قلت : أليس لفظ الحجّة والخليفة مشعراً بما يقوله الامامية أى كون المراد بها الامام القائم عليه السلام .

قلت : لا لأنّ أهل التصوّف يسمّون صاحبهم حجّة وخليفة و كذلك الفلاسفة و أصحابنا لا يمتنعون من إطلاق هذه الألفاظ على العلماء المؤمنين في كلّ عصر لأنّهم حجج الله أى إجماعهم حجّة و قد استخلفهم الله في أرضه ليحكموا بحكمه .

أقول : فيه أوّلا منع صحّة اطلاق حجّة الله وخليفته على غير الأنبياء و الأوصياء إذ العصمة منحصرة فيهم فيختصّ الحجيّة و الخلافة بهم لمكان العصمة الّتي فيهم ، وأما غيرهم فليس بمعصوم بالاتّفاق فلا يكون قوله وفعله حجّة ، وحجّية إجماع العلماء أيضاً باعتبار دخول قول المعصوم في جملة أقوالهم لا من حيث إنّ كلاّ من العلماء من حيث إنّه عالم قوله حجّة .

وثانيا على فرض التنزّل والتسليم لصحّة اطلاقه على غيرهم ان أمير المؤمنين عليه السلام ليس بمعتزلي المذهب ولا صوفي المذاق ولا فلسفي المسلك، فلا يحمل لفظ الحجّة والخليفة في كلامه عليه السلام على اصطلاحاتهم وإنما يحمل على المعنى الغالب إرادته من هذه اللفظة في كلماتهم عليهم السلام، وغير خفيّ على المتتبّع بأحاديثهم و كثير الانس بأخبارهم أنّهم كثيراً ما يطلقون لفظ الحجج ويريدون به الأئمة الاثنيعشر، و قد يطلقونه ويريدن به ساير المعصومين من الأنبياء والأوصياء ويطلقون لفظ الحجّة أيضاً احيانا بالقراين على العقل والقرآن، ولم نر إلى الآن أن يطلق هذا اللفظ في كلامهم على العارف أو العالم غير المعصوم أو أحد الأبدال المصطلح في لسان الفلاسفة والمعتزلة والمتصوّفة.

وعلى ذلك فحيث ما اطلق لفظ حجّة الله في كلامهم خالياً عن القراين فلابدّ من حمله على المعنى الكثير الدوران في ألسنتهم وهو الامام، لأنّ الظنّ يلحق الشيء بالأعمّ الأغلب.

و من هذا كلّه ظهر ما في كلام الشارح البحراني أيضاً فانّه بعد ما جعل قوله عليه السلام قد لبس للحكمة جنّتها إشارة إلى العارف مطلقاً ونفى ظهور كونه إشارة إلى الامام المنتظر عليه السلام قال في شرح هذا المقام: قوله: بقيّة من بقايا حججه، أى على خلقه إذ العلماء والعارفون حجج الله في الأرض على عباده، وظاهر كونه خليفة من خلفاء أنبيائه لقوله صلّى الله عليه وآله العلماء ورثة الأنبياء، انتهى.

ويرد عليه مضافاً إلى ما مرّ أنّ استدلاله على خلافة العلماء و العرفاء بقوله: العلماء ورثة الأنبياء واستظهاره من ذلك كون المراد بالخليفة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام هؤلاء لا وجه له.

أمّا أوّلا فلأنّ الدّليل أخصّ من الدّعوى لافادته وراثة العلماء فقط دون العرفاء مع أنّ المدّعى أعمّ.

وثانياً إنّ قوله عليه السلام العلماء ورثة الأنبياء لم يرد به الوراثة الحقيقية قطعاً وإنما هو من باب التشبيه والمجاز يعني أنّ علومهم انتقل إليهم كما أنّ أموال المورث ينتقل

إلى الوارث فكانوا بمنزلة الورثة .

وعلى ذلك فأقول : إنّ وراثة العلماء للأنبياء وخلافتهم عنهم على سبيل المجاز و الاستعارة ، ووراثة الامام المنتظر عليه السلام وخلافته على سبيل الحقيقة ، فلابدّ من حمل لفظ الخليفة في كلامه عليه السلام عليه لا على العالم ، لأنّ اللّفظ إذا دار بين أن يراد منه معناه الحقيقي ومعناه المجازي فالأصل الحقيقة كما برهن في علم الاصول .

(ثمّ) أخذ عليه السلام في نصح المخاطبين وموعظتهم وتذكيرهم وتوبيخهم و (قال عليه السلام أيّها النّاس إنّي قد بثثت) أى نشرت و فرّقت (لكم المواعظ الّتي وعظ بها الأنبياء اُممهم) وهي المواعظ الجاذبة لهم إلى الله ومعرفته وطاعته و القائدة إلى النهج القويم و الصّراط المستقيم (و أدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم) من الأسرار الالهيّة والتكاليف الشرعيّة .

قال الشارح المعتزلي : والأوصياء الذين يأتمنهم الأنبياء على الأسرار الالهيّة وقد يمكن أن لايكونوا خلفاء بمعنى الإمارة والولاية ، فانّ مرتبتهم أعلى من مراتب الخلفاء ، انتهى .

أقول : غرض الشارح من هذا الكلام اصلاح مذهبه الفاسد ، فانّ كلامه عليه السلام لما كان ظاهراً في وصايته المساوقة للخلافة والولاية كما هو مذهب الشيعة الاماميّة أراد الشارح صرفه عن ظاهره وأوّله بمايوافق مذهب الاعتزال .

ومحصّل تأويله أنّ الوصاية عبارة عن الائتمان على الأسرار الالهيّة وهو غير ملازم للخلافة والولاية ، فلا يكون في الكلام دلالة على خلافته عليه السلام و كونه أولى بالتصرّف ، وانما يدلّ على كونه وصيّاً مؤتمنا على الأسرار فقط .

وفيه أوّلا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله إذا ائتمن الوصيّ على الأسرار و الأحكام و علّمه إيّاها ،

فإمّا أن يكون غرضه من ذلك أداء وصيّة تلك الأسرار و الأحكام إلى اُمّته و إبلاغها اليهم .

أو يكون غرضه منه كونه فقط عالما بها ومكلّفاً في نفسه على العمل بتلك

الأحكام والقيام بوظايف هذه الأسرار من دون أن يكون مأذونا في الأداء إليهم .

وظاهر كلامه عليه السلام بل صريحه كون وصايته على الوجه الأوّل و إلاّ لماجاز أن يؤدّي ما أوصى به إلى المكلّفين فحيث أدّاه إليهم علم منه كونه مأذوناً في الأداء ومكلّفاً به ، وحيث كان مكلّفاً به وجب عليهم إطاعته وإلاّلكان الأداء عبثاً ، و لا ريب أنّ الوصيّ بهذا المعنى أى المؤتمن على الأسرار والأحكام والمكلّف على أدائها إلى الأمة و الواجب على الأمة قبول قوله وطاعته ملازم بل مرادف للخليفة والأمير و الوليّ .

نعم الوصاية على الوجه الثاني غير ملازم للخلافة والولاية إلاّ أنّه غير مراد في كلامه عليه السلام قطعاً لما ذكرنا .

وثانيا أنّ ما ذكره من أنّ الوصيّ أعلى مرتبة من الخليفة أى الأمير والوليّ فغير مفهوم المراد .

لأنه إن أراد بالخلافة والأمارة والولاية المعنى الّذي يقول به الشيعة ويصفون أئمّتهم به أعنى النيابة عن الرّسول صلّى الله عليه وآله والسلطنة الالهيّة والأولوية بالتصرّف فلانسلّم أنّ الوصاية وهي الائتمان بالاسرار أعلى رتبة منها بل الأمر بالعكس ، لأنّ الوصاية بالمعنى المذكور من شئونات الولاية المطلقة ، والأولياء مضافا إلى كونهم مؤتمنين على الأسرار اُولو الأمر والنّهى وأولى بالتصرّف في أموال المؤمنين وأنفسهم .

وإن أراد بها المعنى اللّغوي أعنى الامارة على السرايا مثلا والولاية أى كونه واليا على قوم أو بلد ونحوه فكون رتبة الوصاية أعلى من ذلك مسلّم وغني عن البيان لأنّ الاطلاع والائتمان على الأسرار الالهيّة لانسبة لهما قطعاً إلى أمارة جيش و ولاية قوم إلاّ أنّ الاماميّة حيث يطلقون هذه الألفاظ في مقام وصف الأئمة عليهم السلام لا يريدون بها تلك المعاني قطعاً ، فلا داعي إلى ما تكلّفه الشارح ولا حاجة إليه فافهم جيّداً ، هذا .

وقد مضى في شرح الفصل الخامس من المختار الثاني عند شرح قوله عليه السلام: و لهم خصايص حقّ الولاية وفيهم الوصيّة والوراثة ، ما له مزيد نفع في هذا المقام فليراجع ثمّة .

وقوله (وأدّبتكم بسوطي) الظاهر أنّه كناية عن تأديبه لهم بالأقوال الغير الليّنة (فلم تستقيموا) على نهج الحقّ (وحدوتكم بالزّواجر) أى بالنواهى والابعادات (فلم تستوسقوا) أى لم تجتمعوا على التمكين والطاعة (لله أنتم) أى تعجّباً منكم (أتتوقّعون إماماً غيري) استفهام على سبيل التقرير لغرض التقريع أوعلى سبيل الانكار والتوبيخ .

فان قلت : إنّ الاستفهام الّذي هو للانكار التوبيخي يقتضي أن يكون ما بعده واقعاً مع أنهم لم يكونوا متوقّعين لامام غيره إذ قد علموا أنه لا إمام وراه .

قلت : نعم انهم كانوا عالمين بذلك إلاّ أنهم لما لم يقوموا بمقتضى علمهم ولم يمحضوا الطاعة له عليه السلام نزّلهم منزلة الجاهل المتوقّع لامام آخر ، فأنكر ذلك عليهم ولا مهم عليه .

وقوله عليه السلام (يطأ بكم الطريق) أى يذهب بكم في طريق النجاة (و يرشدكم السبيل) أى يهديكم إلى مستقيم الصّراط (ألا إنّه قد أدبر من الدّنيا ما كان مقبلا) وهو الصّلاح و الرشاد الذي كان في أيام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو في أيّام خلافته عليه السلام فيكون إشارة إلى قرب ارتحاله من دار الفناء (وأقبل منها ما كان مدبراً) وهو الضلال و الفساد الّذي حصل باستيلاء معاوية على البلاد (و أزمع الترحال) أى عزم على الرحلة إلى دار القرار (عباد الله الأخيار وباعوا) أى استبدلوا (قليلا من الدّنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى) .

لا يخفى ما في هذه العبارة من اللّطافة وحسن التعبير في التنفير عن الدّنيا و الترغيب إلى الأخرى ، حيث وصف الأولى مع قلّتها بالفناء ، و وصف الثانية مع كثرتها بالبقاء ، ومعلوم أنّ العقلاء لا يرضون الأولى بالثانية بدلا .

وأكّد هذا المعنى بقوله (ماضرّ إخواننا) المؤمنين (الّذين سفكت دماؤهم بصفّين ألاّ يكونوا اليوم أحياء) مثل حياتنا (يسيغون الغصص) ويتجرّعون الهموم من توارد الآلام (ويشربون الرنق) أى الكدر من كثرة مشاهدة المنكرات .

ولما نفى تضرّرهم بعدم الحياة نبّه على ما حصل لهم من عظيم المنفعة بالممات

فقال و لـ(قد والله لقوا الله فوفّاهم أجورهم) بغيرحساب (وأحلّهم في دار الأمن) مفتّحة لهم الأبواب (بعد خوفهم) من سوء المآل وفتن أهل الضلال.

ثمّ استفهم توجّعاً وتحسّراً عن السّلف الصالحين وقال (أين إخوانى الّذين ركبوا الطريق) أى جادّة الشريعة (ومضوا على الحقّ) أى المعرفة والولاية.

ثمّ استفهم عن بعض من مضى بعينه وسمّاه بخصوصه لكونه من أعيان الصحابة وأكابرهم فقال (أين عمار) وهو ابن ياسر المعروف وأبوه عربيّ قحطانيّ وأمّه أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ولدت عماراً فاعتقه أبوحذيفة فمن هناك كان عمّار مولى لبني مخزوم.

قال الشارح المعتزلي: وللحلف والولاء الّذين بين بني مخزوم و بين عمّار وأبيه ياسر كان اجتماع بني مخزوم على عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب حتّى انفتق له فتق في بطنه زعموا و كسروا ضلعا من أضلاعه، فاجتمعت بنو مخزوم فقالوا: والله لئن مات لاقتلنا به أحداً غير عثمان.

قال أبوعمرو بن عبدالبرّ: كان عمّار بن ياسر ممّن عذّب في الله ثمّ أعطاهم ما أرادوا بلسانه مع اطمينان قلبه فنزل فيه «إلاّ من اُكره وقلبه مطمئنٌّ بالايمان» وهذا ممّا أجمع عليه أهل التفسير و هاجر إلى أرض الحبشة و صلّى القبلتين و هو من المهاجرين الأوّلين و شهد بدراً و المشاهد كلّها وأبلى بلاء حسناً ثمّ شهد اليمامة فأبلى فيها أيضاً ويومئذ قطعت اُذنه.

وقال ابن عبّاس في قوله تعالى «أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس» أنه عمار بن ياسر «كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» أبوجهل ابن هشام.

وروى أبوعمرو عن عايشة أنها قالت: ما من أحد من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله أشاء أن أقول فيه لقلت إلاّ عمّار بن ياسر، فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: إنّه ملىء ايمانا إلى أخمص قدميه.

قال أبوعمرو ومن حديث خالد بن الوليد أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: من أبغض

عماراً أبغضه الله .

قال : و من حديث علي بن ابيطالب عليه السلام إنّ عماراً جاء يستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله يوما فعرف صوته فقال : مرحبا بالطيب المطيب ، يعني عماراً .

قال: ومن حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله اشتاقت الجنة إلى أربعة : علي عليه السلام وعمار ، وسلمان ، وبلال .

قال أبوعمرو : وفضايل عمار كثير يطول ذكرها .

أقول : وقدمضى جملة من فضائله ومجاهداته بصفين وكيفية شهادته رضي الله تعالى عنه هنالك في تذييل المختار الخامس و الستين وكان سنه يوم قتل نيفاو تسعين .

(وأين ابن التيهان) واسمه مالك واسم أبيه مالك ايضاً ، وقال أبونعيم : أبوالهيثم بن التيهان اسمه مالك واسم التيهان عمرو بن الحارث كان «رض» أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدراً والأكثر على أنه أدرك صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وقتل بها ، وقيل: توفى في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال أبوعمرو : وهذا القول لم يتابع عليه قائله ، وقيل : توفى سنة عشرين أو إحدى وعشرين .

(و أين ذو الشهادتين) وهو خزيمة بن ثابت الأنصاري يكنى أبا عمارة شهد بدراً ومابعدها من المشاهد وشهد صفين مع علي عليه السلام فلما قتل عمار بن ياسر قاتل «ره» حتى قتل حسبما عرفته في تذييل المختار الخامس والستين .

وانما لقب بذو الشهادتين لما رواه الصدوق في الفقيه بسنده عن عبدالله بن أحمد الذهلي قال : حدثنا عمارة بن خزيمة بن ثابت أن عمه حدثه و هو من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أن النبي صلى الله عليه وآله ابتاع فرسا من أعرابي فأسرع النبي صلى الله عليه وآله المشي ليقضيه ثمن فرسه فأبطأ الأعرابي ، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس وهم لايشعرون أن النبي عليه السلام ابتاعه ، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على الثمن فنادى الأعرابي فقال : إن كنت مبتاعا لهذا الفرس فابتعه وإلا بعته ، فقام النبي صلى الله عليه وآله حين سمع الأعرابي فقال : أوليس قد ابتعته منك ، فطفق الناس يلوذون بالنبي صلى الله عليه وآله وبالأعرابي وهما يتشاجران، فقال الأعرابي: هلم شهيداً يشهد أني قد بايعتك، ومن جاء من المسلمين قال للاعرابي إن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن ليقول إلا حقا حتى

جاء خزيمة بن ثابت فاستمع لمراجعة النبي ﷺ و الأعرابي فقال خزيمة إنّي أشهدأنك قدبايعته ، فأقبل النّبي ﷺ على خزيمة فقال: بم تشهد ؟ قال : بتصديقك يارسول الله فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بن ثابت شهادتين وسمّاه ذو الشهادتين

وروى هذه القصّة في الكافي بنحو آخر عن عليّ بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى عن معاوية بن وهب قال :كان البلاط حيث يصلّى على الجنايز سوقا على عهد رسول الله ﷺ يسمّى البطحاء يباع فيها الحليب والسّمن والأقط وأنّ أعرابيا أتى بفرس له فأوثقه فاشتراه منه رسول الله ﷺ ، ثمّ دخل ليأتيه بالثمن فقام ناس من المنافقين فقالوا : بكم بعت فرسك ؟ قال : بكذا و كذا ، قالوا : بئس مابعت،فرسك خيرمن ذلك وأنّ رسول الله ﷺ خرج إليه بالثمن وافياطيّبا، فقال الأعرابي: مابعتك والله ، فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله بلى والله لقد بعتني ، وارتفعت الأصوات فقال الناس : رسول الله ﷺ يقاول الأعرابي ، فاجتمع ناس كثير فقال أبوعبدالله (١) ومع النبيّ ﷺ إذ أقبل خزيمة بن ثابت الأنصاري ففرج الناس بيده حتّى انتهى إلى النبيّ ﷺ فقال : اشهد يا رسول الله لقد اشتريته منه ، فقال الأعرابي : أتشهد ولم تحضرنا ، وقال له النبيّ ﷺ: أشهدتنا ؟ فقال له : لا يا رسول الله ولكنّي علمت أنّك قداشتريت أفأ ُصدّقك بماجئت به من عندالله ولا أ ُصدّقك على هذا الأعرابي الخبيث ؟! قال :فعجب له رسول الله ﷺ فقال له : يا خزيمة شهادتك شهادة رجلين .

(وأين نظراؤهم) وأشباههم (من إخوانهم الّذين تعاقدوا) وتعاهدوا (على المنيّة)وجدّوافي المقاتلة حتّى قتلوا بصفّين كابن بديل وهاشم بن عتبة وغيرهما ممّن تقدّم ذكره في تذييل المختار الخامس والستّين (وا ُبرد برؤوسهم إلى الفجرة) أي ا ُرسلت رؤوسهم مع البريد للبشارة بها إلى الفسقة الطغام من ا ُمراء الشام .

(١) هكذا فى نسخة الكافي و الظاهر انه وقع فيه تحريف و سقط لابدّ من الرجوع الى نسخة صحيحة إن ساعدنا التوفيق إنشاءالله تعالى « منه ره » .

أقول : في الكافي المطبوع أخيراً ص ٤٠٠ و ٤٠١ ج ٧ الحديث هكذا: فقال أبوعبدالله (ع) ومع النبي «ص» أصحابه « الخ » وزاد في أوله : عن يونس ، بعد قوله : عن محمد بن عيسى، وذكر في آخره : وقال ، بدل قوله : فقال له . وفي الوافي قال : كا علي عن العبيدي عن يونس عن ابن وهب ، ثم ذكر الحديث . « المصحّح »

(قال) الراوي (ثمّ ضرب عليه السلام يده إلى لحيته فأطال البكاء) من تقلّب الزمان وفقد الاخوان وتراكم الهموم والأحزان (ثمّ قال) توجّعا وتحسّراً .

(اوه على إخواني الّذين تلوا القرآن فأحكموه) أي أحسنوا تلاوته ومبانيه وفهموا مقاصده و معانيه و عملوا بمقتضاه ومؤدّاه (وتدبّروا الفرض فأقاموه) أي تفكروا في علل الواجبات وأسرار العبادات فواظبوا عليها وقاموا بوظايفها تحصيلا للغرض الأقصى منها وهو الزلفى إلى الله والقربى إلى رضوان الله الّذي هو أشرف اللّذات وأعلى الدرجات و (أحيوا السنّة)

يحتمل أن يكون المراد بها المستحبّات فيكون ذكرها بعد القرآن والفرض نظير ما روى عن النبيّ صلّى الله عليه وآله إنما العلم ثلاثة : آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنّة قائمة وما خلاهنّ فهو فضل .

أي العلم النافع آية محكمة أي واضحة الدّلالة أو غير منسوخة فانّ المتشابه و المنسوخ لا ينتفع بهما غالباً ، و فريضة عادلة أي الواجبات المصونة من الافراط و التفريط، وسنّة قائمة أي المندوبات الباقية غير المنسوخة ، و على هذا الاحتمال فالمراد باحياء السنّة الاتيان بها والمراقبة عليها .

إلاّ أنّ الأظهر بقرينة المقابلة بينه وبين قوله : (وأماتوا البدعة) أن يراد بالسنّة مقابل البدعة ، يعني السنة الّتي سنّها رسول الله صلّى الله عليه وآله والشريعة الّتي شرعها .

روى في البحار من معاني الأخبار مرفوعاً قال : جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن السنّة والبدعة وعن الجماعة وعن الفرقة ، فقال أمير المؤمنين السنّة ما سنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ، والبدعة ما أحدث من بعده ، والجماعة أهل الحقّ و إن كانوا قليلا ، و الفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً .

وعلى هذا فالمراد باحياء السنّة أخذ أحكام الشرع والعمل عليها .

روى في البحار من المحاسن عن أبي جعفر عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله من تمسّك بسنّتي في اختلاف امّتي كان له أجر مأة شهيد .

والمراد باماتة البدعة إبطالها وتركها والاعراض عنها وعن أهلها .

روى في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم قال في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « والّذين كسبوا السيئات جزآء سيئة بمثلها وترهقهم ذلّة ما لهم من الله من عاصم » هؤلاء أهل البدع و الشبهات والشهوات يسوّد الله وجوههم ثمّ يلقونه .

وفيه من ثواب الأعمال عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من مشى إلى صاحب بدعة فوقّره فقد مشي في هدم الاسلام .

(دعواللجهاد فأجابوا) ونهضوا إليه (ووثقوا)أي اطمأنوا واتّكلوا(بالقائد) أراد به نفسهالشريف لكونه قائداً لهم إلى سبيل الحقّ (فاتّبعوه) .

(ثمّ) إنّه عليه السلام لما رغّب المخاطبين ورهّب ووعظهم وذكّر وبشّرهم وأنذر وتوجّع منمفارقة أصحابه وتحسّر تخلّص إلى أصل غرضه .

و (نادى بأعلا صوته : الجهاد الجهاد عبادالله) أي اسرعوا إليه و انهضوا به (ألاواني معسكر في يومي هذا) أي جامع للعساكر في المعسكر (فمن أراد الرواح إلىالله) أيالذهاب إلىالفوزبرضوانه أوإلى لقائه تعالى بالشهادة (فليخرج)

(قال نوف : و عقد للحسين عليه السلام) راية (في عشرة آلاف ولقيس بن سعد) ابن عبادة (فيعشرة آلاف) و كان سعد أبوقيس رئيس الخزرج و لم يبايع أبابكر ومات على عدم البيعة والمشهور أنّهم قتلوه لذلك وأحالوا قتله علىالجنّ وافتروا شعراً من لسان الجنّ كما مرّ في المقدّمة الثالثة من مقدّمات الخطبة الثالثة و في التنبيه الأوّل من شرح المختار السابع والستّين .

وقال الشّارح المعتزلي : سعد هوالّذي حاولإقامته في الخلافة بعد رسولالله صلى الله عليه وآله ولم يبايع أبابكر حين بويع وخرج إلى حوران فمات بها ، قيل قتلتهالجنّ لأنه بال قايماًفي الصحراء ليلا ورووا بيتيشعرقيل إنهما سمعا ليلة قتله ولم يرقائلهما

نحن قتلنا سيّد الخزرج سعد بنعبادة ورميناه بسهمين فلم يخط فؤاده

ويقول قوم : إنّ أمير الشام يومئذ كمن له من رماه ليلا و هو خارج إلى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعته ، وقد قال بعض المتأخّرين :

يقولون سعد شكّت الجنّ قلبه ألا ربّما صحّحت ذنبك بالعذر
و ما ذنب سعد أنّه بال قائما ولكنّ سعداً لم يبايع أبابكر
وقد صبرت من لذّة العيش أنفس وما صبرت عن لذّة النّهي والأمر

وكان قيس من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله و كبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان طوالا جواداً شجاعاً شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام حروبه كلّها ، وكان مخلصاً في اعتقاده ثابت الرأى في التشيّع والمحبّة .

و قدمرّ في التنبيه الثاني من شرح المختار السابع والستّين مايفصح عن جلالة شأنه ورفعة مقامه وأحببت أن أوردهنا رواية مفيدة لخلوص عقيدته على وجه الكمال مع تضمّنها لاعجاز غريب لأمير المؤمنين عليه السلام .

فأقول : روى في البحار من كتاب إرشاد القلوب عن جابر بن عبدالله الأنصاري وعبدالله بن عباس قالا : كنّا جلوساً عند أبي بكر في ولايته وقد أضحى النهار و إذاً بخالد بن الوليد المخزومي قد وافي في جيش قام غباره و كثر صهيل أهل خيله ، وإذا بقطب رحى ملوىّ في عنقه قد فتل فتلا فأقبل حتّى نزل عن جواده و دخل المسجد ووقف بين يدي أبي بكر فرمقه الناس بأعينهم فهالهم منظره .

ثمّ قال: اعدل يا ابن أبي قحافة حيث جعلك الناس في هذا الموضع الّذي لست له أنت بأهل ، و ما ارتفعت إلى هذا المكان إلاّ كما يرتفع الطافى من السّمك على الماء ، وانما يطفو ويعلو حين لاحراك به ، مالك وسياسة الجيوش وتقديم العساكر وأنت بحيث أنت من دنائة الحسب ومنقوص النسب وضعف القوى وقلّة التحصيل لا تحمي ذماراً ولاتضرم ناراً فلا جزى الله أخا ثقيف وولد صهّاك خيراً .

إنّي رجعت متكفأ من الطايف إلى جدة فى طلب المرتدّين فرأيت عليّ بن أبيطالب عليه السلام ومعه عتاة من الدّين حماليق شزرات أعينهم من حسدك وبدرت حنقاً عليك وقرحت آماقهم لمكانك ، منهم ابن ياسر والمقداد وابن جنادة أخو غفار وابن العوام وغلامان أعرف أحدهما بوجهه ، وغلام أسمر لعلّه من ولد عقيل أخيه .

فتبيّن لى المنكر فى وجوههم والحسد فى احمرار أعينهم ، وقد توشّح عليّ

بدرع رسول الله ﷺ ولبس ردائه السحاب ولقد اسرج له دابته العقاب ، ولقد نزل عليّ على عين ماء اسمها روية ، فلما رآني اشمأز وبربر وأطرق موحشا يقبض على لحيته .

فبادرته بالسلام استكفاء واتقاء ووحشة ، فاستغنمت سعة المناخ وسهولة المنزل فنزلت ومن معي بحيث نزلوا اتقاء عن مراوغته ، فبدأني ابن ياسر بقبيح لفظه ومحض عداوته فقر عني هزؤا بما تقدمت به إلي بسوء رأيك .

فالتفت إلي أصلع الرأس وقد ازدحم الكلام في حلقه كهمهمة الأسد أو كقعقعة الرعد فقال لي بغضب منه : أو كنت فاعلا ياباسليمان ؟

فقلت له : إي والله لو أقام على رأيه لضربت الذي فيه عيناك ، فأغضبه قولي إذ صدقته وأخرجه إلى طبعه الذي أعرفه به عند الغضب .

فقال : ياابن اللخناء مثلك من يقدر على مثلي أو يجسر أو يدير اسمي في لهواته التي لا عهد لها بكلمة حكمة ، ويلك إني لست من قتلاك ولا من قتلا صاحبك واني لأعرف بمنيتي منك بنفسك .

ثم ضرب بيده إلى ترقوتي فنكسني عن فرسي وجعل يسوقني دعا الى رحى للحارث بن كلدة الثقفي ، فعمد إلى القطب الغليظ فمد عنقي بكلتا يديه و أداره في عنقي ينفتل له كالعلك المسخن .

وأصحابي هؤلاء وقوف ، ما أغنوا عني سطوته ، ولا كفوا عني شرته فلاجزاهم الله عني خيراً ، فانهم لما نظروا اليه كأنما نظروا إلى ملك موتهم ، فوالذي رفع السماء بلا اعماد لقد اجتمع على فك هذا القطب مأة « ألف خ » رجل أو يزيدون من أشد العرب فما قدروا على فكه فدلني عجز الناس عن فكه أنه سحر منه أو قوة ملك قد ركبت فيه، ففكه الآن عني إن كنت فاكه ، وخذلي بحقي إن كنت آخذه، وإلا لحقت بدار عزي ومستقر مكرمتي ، قد ألبسني ابن أبي طالب من العار ما صرت به ضحكة لأهل الديار .

فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال : ما ترى إلى مايخرج من هذا الرجل كأن

ولايتي ثقل على كاهله أوشجى في صدره .

فالتفت إليه عمر فقال: فيه دعابة لاتدعها حتّى تورده فلاتصدره «وجهل خ» وحسد قد استحكما في خلده فجريا منه مجرى الدّماء لا يدعانه حتّى يهنا منزلته ويورطاه ورطة الهلكة .

ثمّ قال أبو بكر لمن بحضرته : ادعوا لي قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، فليس لفكّ هذا القطب غيره .

قال : وكان قيس سيّاف النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان رجلا طويلا طوله ثمانية عشر شبراً في عرض خمسة أشبار وكان أشدّ النّاس في زمانه بعد أمير المؤمنين عليه السلام .

فحضر قيس فقال له : يا قيس إنك من شدّة البدن بحيث أنت ففكّ هذا القطب من عنق أخيك خالد .

فقال قيس : ولم لا يفكّه خالد عن عنقه ؟

قال : لا يقدر عليه .

قال : فما لا يقدر عليه أبو سليمان وهو نجم عسكركم وسيفكم على أعدائكم كيف أقدر عليه أنا .

قال عمر : دعنا من هزؤك وهزلك وخذ فيما حضرت له .

فقال: لمسألة تسألونها طوعاً أو كرهاً تجبروني عليه .

فقال له : إن كان طوعاً وإلاّ فكرهاً .

قال قيس : يا ابن صحّاك خذل الله من يكرهه مثلك إنّ بطنك لعظيمة و إنّ كرشك لكبيرة ، فلو فعلت أنت ذلك ماكان منك .

فخجل عمر من قيس بن سعد فجعل ينكث أسنانه بأنامله .

فقال أبو بكر : وما بذلك منه ، اقصد لما سئلت .

فقال قيس : والله لو أقدر على ذلك لما فعلت ، فدونكم وحدّادي المدينة فانّهم أقدر على ذلك منّي ، فأتوا بجماعة من الحدّادين فقالوا : لا ينفتح حتّى نحميه بالنّار .

فالتفت أبو بكر إلى قيس مغضباً ، فقال : والله مابك من ضعف من فكّه ولكنّك لا تفعل فعلا يعيبك فيه إمامك وحبيبك أبو الحسن ، وليس هذا بأعجب من أنّ أباك رام الخلافة ليبتغى الاسلام عوجاً فحدّ الله شوكته وأذهب نخوته وأعزّ الاسلام لوليّه وأقام دينه بأهل طاعته ، وأنت الآن في حال كيذ وشقاق .

قال : فاستشاط قيس بن سعد غضباً وامتلأ غيظاً ، فقال : ياابن أبي قحافة إنّ لك جوابا حميا بلسان طلق وقلب جرىّ ، لولا البيعة التّي لك في عنقي سمعته منّي والله لان بايعتك يدي لم يبايعك قلبي ولا لساني ولا حجّة لي في عليّ بعد يوم الغدير ولا كانت بيعتي لك إلاّ كالّتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا ، أقول قولي هذا غير هائب منك ، ولا خائف من معرتك ، ولوسمعت هذا القول منك بدأة لما فتح لك منّي صالحا .

إن كان أبي رام الخلافة فحقيق أن يرومها بعد من ذكرته ، لأنه رجل لايقعقع بالشنآن ولا يغمز جانبه كغمز التينة ضخم صنديد وسمك منيف وعزباذخ اشوس ، بخلافك أيّها النعجة العرجاء والديك النافش لاعن صميم ولا حسب كريم وأيم الله لان عاودتنى فى أبي لألجمنّك بلجام من القول يمجّ فوك منه دماً ، دعنا نخوض فى عمايتك ونتردّى فى غوايتك على معرفة منّا بترك الحقّ واتّباع الباطل .

و أما قولك إنّ عليّاً إمامي ما انكر إمامته ولا أعدل عن ولايته و كيف انقض وقد أعطيت الله عهداً بامامته وولايته يسألنى عنه فأنا إن ألقى الله بنقض بيعتك أحبّ إليّ من انقض عهده وعهد رسوله وعهد وصيّه وخليله .

وما أنت إلاّ أمير قومك إن شاؤوا تركوك وإن شاؤوا عزلوك ، فتب إلى الله مما اجترمته وتنصّل إليه مما ارتكبته ، سلّم الأمر إلى من هو أولى منك بنفسك ، فقد ركبت عظيما بولايتك دونه وجلوسك فى موضعه وتسميتك باسمه ، وكأنك بالقليل من دنياك وقد انقشع عنك كما ينقشع السحاب و تعلم أيّ الفريقين شرّ مكانا وأضعف جنداً

و أمّا تعييرك إيّاى بانّه مولاى هو والله مولاى و مولاك ومولى المؤمنين أجمعين آه آه أنّى لي بثبات قدم أو تمكّن وطأً حتّى الفظك لفظ المنجنيق الحجرة ولعلّ ذلك يكون قريباً وتكتفي بالعيان عن الخبر .

ثمّ قام ونفض ثوبه ومضى ، وندم أبوبكر عمّا أسرع إليه من القول إلى قيس ، الحديث .

قال نوف (و) عقد (لأبي أيّوب الأنصاري) أيضاً (في عشرة آلاف) وأبوأيّوب هو خالد بن زيد بن كعب الخزرجي من بني النجار شهد العقبة وبدراً وساير المشاهد ، وعليه نزل رسول الله صلّى الله عليه وآله حين قدم المدينة وشهد مع أمير المؤمنين مشاهده كلّها وكان على مقدمته يوم النهروان .

(و) عقد (لغيرهم على اعداد اخر وهو عليه السّلام يريد الرّجعة إلى صفين فمادارت الجمعة حتّى ضربه الملعون) أشقى الأولين و الآخرين شقيق عاقر ناقة صالح (ابن ملجم) المرادي (لعنه الله) حسبما عرفت تفصيل ضربته في شرح المختار التاسع والستّين .

(فتراجعت العساكر) من المعسكر إلى الكوفة قال الرّاوي (فكنّا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كلّ مكان) كما قال الفرزدق :

فلا غرو للأشراف إن ظفرت لها ذئاب الأعادى من فصيح وأعجم
فحربة وحشيّ سقت حمزة الرّدى و قتل عليّ من حسام مصمّم

والمراد من اختطاف الذئاب إمّا النهب والقتل والاذلال أو الاغواء والاضلال قال الشارح المعتزلي : يقال : إنّ هذه الخطبة آخر خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السّلام قائماً .

الترجمة

فصل سيّم از اين خطبه اشارتست بصفات امام زمان عليه السّلام ميفرمايد كه

بتحقيق كه پوشيده است آن بزرگوار از براى حفظ حكمت سپر وزره آنرا وأخذ كرده حكمت را با جميع آدابهاى آن كه عبارتند از اقبال كردن بر آن

وشناختن قدرومنزلت آن وفارغ شدن‌ازبرای آن ، پس آن حکمت درپیش آنحضرت بمنزله گم شدهٔ اواست که طلب مینماید آنرا ، وحاجت‌اوست که سؤال میکند از آن ، پس آنحضرت اختیار غربت وغیبت کننده است زمانی که غریب شود اسلام ، وبزند اطراف دم خودرا وبچسباند بزمین سینه خودرا ، آنحضرت بقیه‌ایست ازباقی ماندگان حجّت خدا ، وخلیفه‌ایست ازخلیفهای پیغمبران حقتعالی .

پس فرمود آن حضرت : ای مردمان بدرستی که من منتشر کردم ازبرای‌شما موعظهائی که موعظه فرمودند با آنها پیغمبران امتهای خودشان را ، ورساندم بسوی شما چیزیرا که رساند وصیهای پیغمبران بکسانی که بودند بعداز ایشان ، وادب دادم بشما با تازیانه خودم پس مستقیم نشدید ، وراندم شمارا بدلائل مانعه از راه ناصواب پس منتظم نگشتید ، تعجّب میکنم ازشما آیا توقع میکنید امامی را غیر ازمن که ببرد شمارا بجادهٔ حق ، وارشاد نماید شمارا براه راست .

آگاه باشید بدرستیکه ادبار کرده است ازدنیا چیزیکه اقبال نموده بود ، واقبال کرده‌است ازآن چیزیکه ادبار کرده بود ، و عزم برحلت کردند بندگان پسندیدهٔ خدا وعوض کردند قلیل ازدنیارا که باقی‌نخواهد ماند بکثیر ازآخرت که فانی نخواهد شد ، ضرر نرساند برادران مارا که‌ریخته شد خونهای ایشان در جنگ صفین اینکه نشدند امروز زنده که گوارا کنند غصه‌هارا و بیاشامند آب کدورت آمیز اندوه را بتحقیق قسم بذات حق که ملاقات کردند پروردگار را پس‌بتمام‌و کمال رسانیدبایشان‌اجرهای‌ایشان را ، و فرودآورد ایشان را درسرای امن وامان بعدازخوف وهراس ایشان .

کجایند برادران من که سوارشدند برراه صدق ، وگذشتند برطریق حق ، کجا است عمار یاسر کجا است ابي الهيثم بن التيهان کجا است خزيمة بن ثابت ذوالشهادتین و کجایند امثال ایشان از برادران مؤمنین ایشان که عهد بسته بودند باهمدیگر برمردن درراه دین ، وفرستاده شد سرهای ایشان باقاصد بسوی فاجران

پس‌ازآن زد آن‌حضرت دست خودرا بمحاسن‌شریف خود ، پس‌بسیار گریست بعدازآن‌فرمود:

آه بر برادران من که تلاوت کردند قرآن را پس محکم ساختند آنرا، وتفکر کردند در واجبات پس برپا داشتند آن را، وزنده کردند سنّت پیغمبر را و کشتند بدعت را، خوانده شدند ازبرای جهاد پس اجابت کردند، واعتماد نمودند به‌پیشوا پس متابعت کردند اورا.

بعدازآن ندا فرمود آن حضرت بآوازبلندوفرمود: بشتابید بسوی جهاد وقتال ای بندکان خدا، آگاه باشید که اردودرست کننده‌ام در همین روزپس هر که اراده کند توجّه نمودن بسوی پروردکار خود بس بایدکه خارج بشودبأردو گاه.

گفت نوف بکالي: و عقد فرمود حضرت أمیر مؤمنان از براي پسرخود امام حسین علیه السلام در ده هزار نفر، و معین فرمود از برای قیس بن سعد بن عبادة در ده هزار، و از برای أبو أیوب انصاري در ده هزار، و ازبرای سایرین برشمارهای دیگر واراده داشت که بر گردد بسوی صفین پس برنگردیدروزجمعه همان هفته تا آنکه‌ضربت زد آن بزرکوار را ملعون ابن ملجم مرادي، خدا لعنت کند اورا پس بر گشتند لشگریان پس شدیم ما بمنزلهٔ گوسفندانی که گم کرده باشند شبان خودرا درحالتی که بربایند آنهارا گرگان ازهرمکان.

و من خطبة له علیه السلام و هی المأة و الثانیة و الثمانون من المختار فی باب الخطب

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ، خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ،

لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطائِها، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرّائِها، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثالَها، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَها، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصاحِّها وَأَسْقامِها، وَحَلالِها وَحَرامِها، وَما أَعَدَّ سُبْحانَهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعُصاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنارٍ، وَكَرامَةٍ وَهَوانٍ، أَحْمَدُهُ إِلىٰ نَفْسِهِ كَما اسْتَحْمَدَ إِلىٰ خَلْقِهِ، جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتاباً.

منها: في ذكر القرآن فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زاجِرٌ، وَصامِتٌ ناطِقٌ، حُجَّةُ اللهِ عَلىٰ خَلْقِهِ، أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثاقَهُ، وَارْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ، أَتَمَّ نُورَهُ، وَأَكْرَمَ بِهِ دِينَهُ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ ﷺ وَقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكامِ الْهُدىٰ بِهِ، فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحانَهُ ما عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَماً بادِياً، وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ، فَرِضاهُ فِيما بَقِيَ واحِدٌ، وَسَخَطُهُ فِيما بَقِيَ واحِدٌ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَ عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلىٰ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّما تَسِيرُونَ في أَثَرٍ بَيِّنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قالَهُ الرِّجالُ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَدْ

كَفاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْياكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلى الشُّكْرِ، وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ، وَأَوْصاكُمْ بِالتَّقْوى وَجَعَلَها مُنْتَهى رِضاهُ، وَحاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَاتَّقُوا اللهَ الَّذي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ، وَنَواصيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ في قَبْضَتِهِ، إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ، قَدْ وَكَّلَ بِكُمْ حَفَظَةً كِراماً، لا يُسْقِطُونَ حَقّاً، وَلا يُثْبِتُونَ باطِلاً.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ، وَيُخَلِّدُهُ فيما اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلُهُ مَنْزِلَةَ الْكَرامَةِ عِنْدَهُ في دارٍ اصْطَنَعَها لِنَفْسِهِ، ظِلُّها عَرْشُهُ، وَنُورُها بَهْجَتُهُ، وَزُوّارُها مَلائِكَتُهُ، وَرُفَقاؤُها رُسُلُهُ، فَبادِرُوا الْمَعادَ، وَسابِقُوا الْآجالَ، فَإِنَّ النّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ، وَيَرْهَقُهُمُ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ في مِثْلِ ما سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبيلٍ عَلى سَفَرٍ مِنْ دارٍ لَيْسَتْ بِدارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْها بِالْاِرْتِحالِ، وَأُمِرْتُمْ فيها بِالزّادِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهٰذَا الْجِلْدِ الرَّقيقِ صَبْرٌ عَلَى النّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوها في مَصائِبِ الدُّنْيا أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصيبُهُ، وَالْعَثْرَةِ تُدْميهِ، وَالرَّمْضاءِ تُحْرِقُهُ، فَكَيْفَ إِذا

كانَ بينَ طابقَيْنِ مِنْ نارٍ، ضَجيعَ حَجَرٍ، وَ قَرينَ شَيطانٍ، أعلِمْتُمْ أنَّ مالِكاً إذا غضِبَ على النّارِ حطَمَ بعضُها بعضاً لغضبِه، وَ إذا زَجَرَها توَثّبَتْ بينَ أبوابِها جزَعاً مِنْ زَجرَتِه، أيُّها اليَفَنُ الكَبيرُ الّذي قدْ لَهَزَهُ القَتيرُ، كَيفَ أنتَ إذا التحَمَتْ أطواقُ النّارِ بِعظامِ الأعناقِ، وَ نشِبَتِ الجَوامِعُ حتّى أكلَتْ لُحومَ السّواعِدِ.

فَاللهَ اللهَ مَعشَرَ العِبادِ وَأنتُمْ سالِمُونَ فِي الصِّحّةِ قَبلَ السُّقمِ، وَ فِي الفُسحَةِ قَبلَ الضّيقِ، فَاسعَوْا في فِكاكِ رِقابِكُمْ مِنْ قَبلِ أنْ تُغلَقَ رَهائِنُها، أسهِرُوا عُيونَكُمْ، وَ أضمِرُوا بُطونَكُمْ، وَ استَعمِلوا أقدامَكُمْ وَ أنفِقُوا أموالَكُمْ، وَ خُذُوا مِنْ أجسادِكُمْ ما تَجُودُوا بِها عَلى أنفُسِكُمْ وَلا تَبخَلوا بِها عَنها، فَقَدْ قالَ اللهُ سُبحانَهُ ـ إنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أقدامَكُمْ ـ وقال: ـ مَنْ ذَا الّذي يُقرِضُ اللهَ قَرضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أجرٌ كَريمٌ ـ فَلَمْ يَستَنصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَستَقرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، استَنصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السّمواتِ وَالأرضِ وَ هُوَ العَزيزُ الحَكيمُ، وَ استَقرَضَكُمْ وَلَهُ خَزائِنُ السّمواتِ وَ الأرضِ وَ هُوَ الغَنيُّ الحَميدُ، وَ إنّما أرادَ أنْ يَبلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحسَنُ عَمَلاً، فَبادِرُوا بِأعمالِكُمْ، تَكونُوا مَعَ جيرانِ اللهِ في دارِه، رافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأزارَهُمْ

مَلائِكَتَهُ، وأَكْرَمَ أَسْماعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نارٍ أَبَداً، وَصانَ أَجْسادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَ نَصَباً ـ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ـ أَقُولُ ما تَسْمَعُونَ، وَاللهُ الْمُسْتَعانُ عَلىٰ نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبُنا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

اللغة

(نصب) نصبا من باب تعب أعيا و عيش ناصب وذومنصبة فيه كدّ وجهد ونصبه الهمّ أتعبه و (هجمت) عليه هجوماً من باب قعد دخلت على غفلة منه، و هجمت على القوم جعلت يهجم عليهم يتعدّي ولا يتعدّى و (المصاح) جمع مصحّة مفعلة من الصحّة كمضار جمع مضرّة، والصّوم مصحّة بفتح الصاد و كسرها أى فيه صحّة أو يصحّ بـه و (سخط) سخطاً من باب تعب غضب.

و (رجع قول) قال الشارح البحراني أى المردد منه، ولعلّه وهم لأنّ الترديد معنى الترجيع مصدر باب التفعيل ومنه ترجيع الصّوت وهو تحريكه، وترجيع الأذان وهو تكرير فصوله، وفي القاموس الرجيع من الكلام المردود إلى صاحبه والروث وكلّ مردود ولم يذكر في معاني رجع الترديد، فالظاهر أنه بمعنى النفع من قولهم ليس لـه منه رجع أى نفع وفائدة قال في القاموس: الرجع النفع ورجع كلامي فيه أفاد.

و (يوشك) أن يكون كذا بكسر الشين من أفعال المقاربة مضارع أو شك يفيد الدنوّ من الشيء، وقال الفارابي الايشاك الاسراع، وقال النحاة استعمال المضارع أكثر من الماضي و استعمال اسم الفاعل قليل و قد استعملوا ماضيا ثلاثيا فقالوا وشك مثل قرب وشكا، وفي القاموس وشك الأمر ككرم سرع كوشك وأوشك أسرع السير كواشك ويوشك الأمر أن يكون وأن يكون الأمر ولا تفتح شينه أو لغة رديئة

و (رهقت) الشيء رهقاً من باب تعب قربت منه ، قال أبوزيد : طلبت الشيء حتّى رهقته وكدت آخذه أو أخذته ، وقال : رهقته أدركته ورهقه الدّين غشيه و (الطابق) وزان هاجروصاحب ورويامعاً الآجر الكبير ، وظرف يطبخ فيه معرب تابه والجمع طوابيق و (اليفن) محرّكة الشيخ الكبير و (لغب) لغبا من باب قتل وتعب لغوبا أعيا وتعب .

الاعراب

الباء في قوله عليه السلام : بمعتبر ، للمصاحبة او التعدية ، ومن في قوله : من تصرّف بيانية ، وحلالها بالجرّ عطف على تصرّف أوعلى أسقامها ، وقوله : وما أعدّالله ، إما عطف على معتبر أوعلى عيوبها ، والى في قوله: أحمده إلى نفسه ، لانتهاءالغاية كما في نحوالأمر إليك أىمنته إليك قال ابن هشام : ويقولون أحمد إليك الله ، أىانهى حمده إليك آه ، و في قوله كما استحمد إلى خلقه ، لانتهاء الغاية أيضاً أو بمعنى من كما في قول الشاعر :

تقول وقد عاليت بالكور فوقها أيسقى فلا يروى إلىّ ابن احمرا

أى منّى، ومن في قوله: فعظموا منه زايدة أى عظموه ، وما في قوله : ماعظم مصدرية ، وحاجته بالنصب عطف على منتهى .

وقوله : من ألسنتكم الذكر ، قال الشارح المعتزلي من متعلّقة بمحذوف دلّ عليه المصدر المتأخر ، تقديره : وافترض عليكم الذكر من ألسنتكم .

أقول : وكأنّه نظر إلى أنّ المصدر في تقدير أن والفعل ، وان موصول حرفي لايتقدّم معموله عليه فلا يجوز تعلّقه بنفس المصدر المذكور إلاّ أنه يتوجّه عليه أنّ الظرف والجارّ و المجرور يتّسع فيه ما لايتّسع في غيره كما صرّح به المحقّقون من علماء الأدبية ، ومثله قوله تعالى « فلمّا بلغ معه السّعى » فيصحّ فيهما تعلّقهما بالمصدر المذكور ولا حاجة إلى التقدير .

وقوله : ضجيع حجر حال من اسم كان ، وعلى القول بأنّ كان الناقصة وأخواتها

لا تعمل في الحال كما نسب إلى المحقّقين من علماء الأدبيّة فلابدّ من جعل كان تامة بمعنى وجد ، وعلى ذلك فيكون قوله : بين طابقين ظرفا لغواً متعلّقاً بكان .

وقوله : فالله الله ، نصب على الاغراء أى اتقوا الله ، وهذا الفعل المحذوف هو متعلّق قوله في الصحة أى اتّقوه سبحانه في حال الصحّة ، وقوله : قبل السقم إمّا بدل من قوله في الصحة أوحال مؤكدة من الصحّة ، وقوله : خذوا من أجسادكم ، حرف من نشوية ، و جملة : وافق بهم رسله استيناف بيانيّ فكأنه سئل عن ثمرة الكون مع جيران الله فأجاب بأنّ ثمرته مرافقة الرّسل وزيارة الملائكة وغيرهما .

وقوله : ونعم الوكيل ، عطف إمّا على جملة هو حسبنا ، فيكون المخصوص محذوفا ، وإمّا على حسبنا أى هو نعم الوكيل ، فيكون المخصوص هو الضمير المتقدّم و على التقديرين و هو من عطف الانشاء على الاخبار ولا بأس به كما صرّح به ابن هشام وغيره .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة مسوقة للثناء على الله سبحانه ووصف الكتاب العزيز وموعظة المخاطبين ووعدهم بالجنّة ووعيدهم من النار وافتتحها بما هو أحقّ بالافتتاح .

فقال (الحمد لله) أى الثناء والذكر الجميل حقّ له سبحانه ومختصّ به لاختصاص أوصاف الجمال ونعوت الكمال بذاته و أشار إلى جملة من تلك الصّفات فقال (المعروف من غير رؤية) أى معروف بالآيات ، موصوف بالعلامات ، مشهود بما أبدعه من عجايب القدرة وشواهد العظمة في الأرضين والسّماوات ، وليست معروفيّته كمعروفيّة الأجسام و الجسمانيّات ، وذوى الكيفيّات والهيئآت بأن يعرف برؤية العيون بمشاهدة العيان لكونه تعالى شأنه منزّهاً عن المقابلة والجهة والمكان ، وغيرها من لواحق الامكان ، وانما تعرفه القلوب بحقايق الايمان على ماعرفت ذلك كلّه تفصيلا وتحقيقا في شرح المختار التاسع والأربعين والمختار المأة والثّامن والسّبعين .

و (الخالق من غير منصبة) يعني أنه خالق للمخلوقات بلا آلات و أدوات فلا يلحقه ضعف وتعب واعياء ونصب .

وانما (خلق الخلايق بـ) نفس (قدرته) الباهرة ومشيّته القاهرة المضمرة بين الكاف والنون ، فأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (واستعبد الأرباب بعزّته) أى طلب العبوديّة من السادات والملوك بقهره وغلبته (وساد العظماء بجوده) إذ كلّ عظيم فهو بمقتضا امكانه داخر عند وجوده مفتقر إلى إفاضته وجوده .

(وهو الّذي أسكن الدّنيا خلقه) وبثّ فيها من كلّ دابّة (وبعث إلى الجنّ و الانس رسله) بمقتضى اللّطف و الحكمة وواتر إليهم أنبيائه (ليكشفوا لهم عن غطائها) ويرفعوا عنها سترها وحجابها ويسفروا عن وجهها نقابها (وليحذروهم) منها و (من ضرّائها) وليرغبوهم في الآخرة وفي سرّائها (وليضربوا لهم أمثالها) .

لأنّ أكثر الأفهام لما كانت قاصرة عن إدراك ماهيّات الأشياء إلاّ في موادّ محسوسة جرت عادة الله سبحانه وعادة رسله وأنبيائه في تبليغ الأحكام وبيان التكاليف والكشف عن ماهيّات الأشياء على ضرب الأمثال تقريباً للأفهام حسبما عرفت توضيح ذلك في شرح الفصل الثالث من المختار المأة والاثنين والسبعين .

ولما كان عمدة الغرض من بعث الرّسل والأنبياء هو جذب الناس إلى طرف الحقّ، وكان حصول ذلك الغرض موقوفا على التنفير عن الدّنيا و الترغيب إلى الأخرى لاجرم أكثروا لها من الأمثال المنفرة ، فشبّهوها في وقاحتها وقباحتها بالعجوز الهتماء الشمطآء، وفي سرعة الفناء والانقضاء بالظلّ الزائل والضوء الآفل، وفي حسن صورتها وقبيح باطنها بالحيّة اللّين مسّها والقاتل سمّها إلى غير هذه من الأمثال المضروبة لها في الكتاب العزيز والأخبار و كلمات الأنبياء والأولياء الأخيار ، وقد مضت جملة من تلك الأمثال في شرح الفصل الثاني من المختار الثاني والثمانين .

(وليبصّروهم عيوبها) حتّى يشاهدوا معايبها ويروا معاطبها ويعلموا أنّها وإن كانت يونق منظرها إلاّ أنها يوبق مخبرها مع تضمّنها لقرب الزيال وازف الانتقال علز القلق وألم المضض وغصص الجرض .

(وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرّف مصاحّها واسقامها) أى ليدخلوا عليهم على حين غفلة منهم بما يوجب عبرتهم من تقلّباتها وتصرّفاتها على أهلها بالصحّة والسقم واللّذة والألم، فعن قليل ترى المرحوم مغبوطاً، والمغبوط مرحوماً وترى أهلها يمسون ويصبحون على أحوال شتّى ، فصحيح مشعوف بها مشغول بزخارفها ، ومريض مبتلاء ، وميّت يبكى ، وآخر يعزّ ى ، وعائد يعود، وآخر بنفسه يجود ، فانّ في ذلك تذكرة وذكرى وعبرة لأولى النهى إذ على أثر الماضي يمضى الباقي ، وسبيل السلف يسلك الخلف .

وقوله (وحلالها وحرامها) قال الشارح المعتزلي يقول عليه السلام ليدخلوا (١) عليهم بما في تصاريف الدّنيا من الصحّة والسقم وما أحلّ وما حرّم على طريق الابتلاء به .

وقال الشارح البحراني بعد ما وافق الشارح المعتزلي في هذا المعنى : ويحتمل أن يكون عطفاً على أسقامها باعتبار أنّ الحلال والحرام من تصاريف الدّنيا ، وبيانه أنّ كثيراً من المحرّمات لنبيّ كانت حلالا من نبيّ قبله وبالعكس ، وذلك تابع لمصالح الخلق بمقتضى تصاريف أوقاتهم وأحوالهم الّتي هى تصاريف الدّنيا . انتهى

أقول : وأنت خبير بأنّ هذين المعنيين وإن كانا يصحّحان كون الحلال (٢) والحرام مما هجم به الأنبياء وكونهما (٣) من تصاريف الدّنيا إلاّ أنهما على هذين لا يكونان مما يوجب العبرة كما لا يخفى وقد جعلهما بيانا لقولـه معتبر فلابدّ أن يكون المعنى دخولهم على الأمم وتذكيرهم بتصاريف الحلال والحرام على وجه يوجب الاعتبار مثل أن يذكروهم :

بأنّ الاكتساب من الحلال يوجب في الدّنيا زيادة المال وبركة له ، وفي الآخرة يصون من غضب الرّب ، والافتحام في الحرام يورث في الدّنيا تلف المال وذهابه ، وفي الآخرة يعقّب الحسرة والندامة والعطب .

---

(١) فيكون حلالها على هذا الاحتمال عطفا على تصرّف (منه) .

(٢) هذا ناظر الى الاحتمال الأول الّذى وافق عليه الشارحان (منه) .

(٣) هذا ناظر الى الاحتمال الثانى الذى تفرّد به الشارح البحرانى (منه ره) .

وبأنّ الحلال ربما ينبدّل بالحرام بالظلم والآثام كما قال عزّ من قائل : « فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا عليهم طيّبات اُحلّت لهم » وبأنّ الحرام قد يتبدّل بالحلال اذا اقتضت الضّرورة كحالة الاضطرار والمخمصة ونحو ذلك مما يوجب الاعتبار بهما ويبعث على القناعة بالحلال والكفّ عن الحرام .

وأبلغ التذكر والعبرة بتصاريف الحلال والحرام ما نطق به القرآن قال سبحانه « ولقد علمتم الّذين اعتدوا منكم في السّبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتّقين » (وماأعدّ) الله (سبحانه للمطيعين منهم) أى من الجنّ والانس (والعصاة من جنّة ونار) نشر على ترتيب اللّف أى جنّة للمطيعين ونار للعاصين (وكرامة) ورضوان للأوّلين وذلّة (وهوان) للآخرين .

(أحمده إلى نفسه) أى أحمده سبحانه متقرّبا أو متوجّها به إليه تعالى أو منهيا حمدى إلى نفسه أى يكون حمدي منتهياً إليه ومخصوصاً به عزّ وجلّ (كما استحمد إلى خلقه) أى يكون حمدى إيّاه في الكيفيّة والكميّة على الوجه الّذي طلب الحمد موجّها طلبه إلى خلقه أو على الوجه الّذي طلبه منهم والمآل واحد ، والمراد بيان فضل الحمد وكونه على وجه الكمال وخلوصه عن شوب الشرك والريا

وقوله (جعل لكلّ شيء قدراً) كقوله تعالى : قد جعل الله لكلّ شيء قدراً أى مقداراً معيّناً من الكيفيّة والكميّة ينتهى إليه، وحدّاً محدوداً يقف عنده ذلّه (ولكلّ قدر أجلا) أى لكلّ شيء مقدّر وقتا مخصوصاً يكون فيه انقضاؤه وفناؤه اذا بلغه (ولكلّ أجل كتابا) أى رقوما تعرفها الملائكة وتعلم بها انقضاء أجل من ينقضى أجله .

وقال الشارح البحراني : المراد بالكتاب العلم الالهي المعبّر عنه بالكتاب المبين واللّوح المحفوظ المحيط بكلّ شيء ، وفيه رقم كلّ شيء ، انتهى والأظهر ما قلناه .

قال السيّد(ره) (**منها**) أي بعض فصول هذه الخطبة الشريفة **(في ذكر القرآن)** وبعض أوصافه .

(فالقرآن آمر زاجر) وصفه بهما من باب التوسع والمجاز لأنّ الآمر والناهي هو الله سبحانه إلاّ أنّ القرآن لما كان متضمّنا لأمره ونهيه اطلق عليه لفظ الآمر والناهي من باب اطلاق اسم السبب على المسبّب كما قاله الشارح البحراني ، أو من باب سيف قاتل، وإنما القاتل الضارب كما قاله الشارح المعتزلي يعني تسمية الآلة باسم ذي الآلة .

أقول : لمّا كان القرآن مظهراً لآمريّته وزاجريّته سبحانه يكفي هذا المقدار من العلاقة والارتباط في صحّة التجوّز ، ولا حاجة الى تمحّل إدخالها في إحدى العلائق المعروفة ، وقد عرفت تحقيق ذلك في ديباجة الشرح .

(وصامت ناطق) وصفه بالصّمت لأنّه كلام مؤلّف من حروف وأصوات صامتة لأنّ العرض يستحيل أن يكون ناطقا ، لأنّ النطق إنما يحصل بالأداة واللّهوات والكلام والحروف يستحيل أن يكون ذا أداة تنطق بالكلام .

ويحتمل أن يكون وصفه به من باب المجاز إن قلنا إنّ الصّمت عبارة عن عدم النطق عمّن من شأنه أن يكون ناطقاً بأن يكون النسبة بينهما مقابلة العدم والملكة ، وعلى هذا فيكون وصفه به من باب الاستعارة تشبيها له بالحيوان الغير الناطق .

وأما وصفه بالنطق فهو من باب الاستعارة التبعيّة أو المكنيّة مثل قولهم نطقت المال بكذا و الحال ناطقة بكذا ، وقد عرفت شرحه في ديباجة الشرح في المسألة السابعة من مسائل المجاز، وفي التقسيم الثاني من تقسيمات الاستعارة فليراجع ثمّة .

(حجّة الله على خلقه) لأنّ الله سبحانه يحتجّ على العباد بما أتاهم وعرّفهم به وبالقرآن عرف الأحكام وأبان مسائل الحلال والحرام وأزال العذر به عن نفسه في عقاب العاصين أن يقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين .

وأيضاً فهو معجزة للنبوّة وحجّة في صدقها «كذا» النبيّ صلّى الله عليه وآله وقد بعث رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم

ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة ، ولئلاّ يكون للناس على الله حجّة بعد الرّسل .

(أخذ عليهم ميثاقه) أي أخذ الميثاق والعهد من المكلّفين على العمل به وبأحكامه ، والمراد به ما ورد في بعض الآيات وصدر عن لسان النبوّة من الحثّ والترغيب عليه والأمر باجلاله وإعظامه والقيام بمعالمه وأحكامه .

قال الشارح المعتزلي : ومن الناس من يقول : المراد بذلك قصّة الذرّية قبل خلق آدم عليه السلام كما ورد في الأخبار وفسّر قوم عليه الآية انتهى ، والأولى ماقلناه .

(وارتهن عليه أنفسهم) لما كان ذمم المكلّفين مشغولة بما تضمّنه القرآن من التكاليف والأحكام وكان اللاّزم عليهم الخروج عن عهدة التكليف وتحصيل براءة الذّمة شبّههم بالعين المرهونة لدين المرتهن ، فانّ فكّ رهانتها موقوف على أداء حقّ صاحب الدّين فكذا فكّ رهانـة هؤلاء موقوف على عملهم بالتكاليف الشرعيّة والأوامر المطلوبة .

وهو نظير قول النبيّ صلّى الله عليه وآله في الخطبة الّتي خطب بها في فضيلة شهر رمضان أيّها الناس إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم ، وظهوركم ثقيلة من ذنوبكم فخففوا عنها بطول سجودكم .

(أتمّ نوره) أي جعل نوره تامّا كاملا .

أمّا كونه نوراً فلأنه نور عقليّ ينكشف به أحوال المبدء والمعاد يهتدى به في ظلمات برّ الأجسام وبحر النفوس قال الله عزّ وجلّ « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام ويخرجهم من الظلمات إلى النّور »

وأمّا تماميّته فلكونه أكمل أسباب الهداية أما في بدو الاسلام فلكونه أقوى المعجزات الموجبة لخروج النّاس من ظلمة الكفر إلى نور الاسلام ، وأمّا بعده فلبقائه بين الأمة إلى يوم القيامة واهتدائهم به إلى معالم الدّين و مناهج الشرع المبين يوماً فيوماً .

(و) بذلك الاعتبار أيضاً (أكرم به دينه) أى جعله مكرماً معزّزاً به (وقبض نبيّه صلى الله عليه وآله وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به) يجوز أن يكون الأحكام بكسر الهمزة أى فرغ من جعل الهداية بالقرآن محكمة أى متقنة مثبتة في قلوب المؤمنين لكنّ المضبوط فيما رأيته من النسخ بفتحها ، فيكون المراد فراغته صلى الله عليه وآله من أحكام الهداية أى من التكاليف الّتي يتوقّف الهداية به عليها ، مثل قرائته وتعليمه وتفسير معانيه وتوضيح مبانيه ، والالزام على العمل باحكامه ونحو ذلك مما يحصل به الاهتداء .

وكيف كان فالمراد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يمض من الدّنيا إلاّ بعد هداية الناس بالقرآن إلى معالم الاسلام .

روى في الكافي عن عبدالعزيز بن مسلم عن الرّضا عليه السلام أنّه قال : إنّ الله لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله حتّى أكمل له الدّين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلّ شيء بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملا فقال عزّ وجلّ : « مافرّطنا في الكتاب من شيء » وأنزل في حجّة الوداع وهى آخر عمره صلى الله عليه وآله وسلّم :«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» وأمر الامامة من تمام الدّين ولم يمض حتّى بيّن لأمّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحقّ وأقام لهم عليّاً عليه السلام إماماً وماترك شيئاً يحتاج إليه الأمة إلاّ بيّنه ، فمن زعم أنّ الله لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر .

وقد مرّ تمام تلك الرواية في شرح الفصل الخامس من المختار الثالث .

(فعظّموا منه سبحانه ما عظم من نفسه) أى عظّموه عزّ وجلّ مثل تعظيمه لنفسه ، والمراد به وصفه بصفات الجلال والاعظام وأوصاف الكمال والاكرام الّتي نطق بها الكتاب ، وأفصحت عنها السنّة النبويّة .

وعلّل عليه السلام وجوب تعظيمه بقوله : (فانّه لم يخف عنكم شيئاً من دينه) وعلّة ذلك باعتبار أنّ الشرعيات مصالح المكلّفين وإذا فعل الحكيم سبحانه بهم ما فيه

صلاحهم فقد أحسن إليهم ، ومن جملة الشرعيات ماهو مقرب إلى الثواب مبعد من العقاب ، وهذا أبلغ مايكون من الاحسان والمحسن يجب تعظيمه وشكره بقدر الامكان لاسيّما إذا كان إحسانه بالنعم العظام والعطايا الجسام .

(و) أكّد عدم إخفائه شيئاً من دينه بأنه (لم يترك شيئا رضيه) وأدّى إلى ثوابه (أو كرهه) وقرب من عقابه (إلاّ) وعرّفه وبيّنه (وجعل له علما باديا) أي علامة ظاهرة (وآية محكمة) واضحة (تزجر) وتنهى (عنه) لكونه مكروها (أو)تامر و (تدعو إليه) لكونه مرضيّا .

ولما ذكر أنّ الله سبحانه قبض نبيّه صلّى الله عليه وآله بعد ما فرغ من بيان الأحكام وأنّه لم يخف شيئا من مراسم الدّين ومعالم الاسلام فرّع عليه قوله : (فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيمابقي واحد) يعني أنّ مرضيّه فيما بقي واحد وسخطه فيمابقي من الأحكام بين الأمة بعد مضيّ النّبي صلّى الله عليه وآله واحد ، وكذلك مسخوطه فيهاواحد .

وهذا هو مذهب أهل الصواب من المخطئة القائلين بأنّ لله سبحانه في كلّ واقعة حكما معيّنا واحداً وأنّ المصيب إليه من المجتهدين واحد وغيره خاطىء .

خلافاًلأهل الخطاء من المصوّبة القائلين بتعدّد الأحكام وكثرتها واختلافها على اختلاف آراءالمجتهدين ، وقدعرفت تفصيل الكلام في تحقيق التخطئة والتصويب في شرح المختار الثامن عشر المسوق في ذمّ اختلاف العلماء في الفتوى ، وهناك فوايد نفيسة نافعة لتوضيح المقام .

ولماذكرأنّ حكم الله سبحانه واحد بالنسبة إلى الأشخاص نبّه على اتّحاده بالنسبة إلى الأزمان فقال (واعلموا أنّه لن يرض عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم، ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممّن كان قبلكم) يعني أنّ ماكان محرّما على السالفين الحاضرين في زمان رسول الله صلّى الله عليه وآله فهو محرّم على الغابرين العامين «الغائبين ظ»، وماكان واجباعلى الأوّلين فواجب على الآخرين، لأنّ شرع محمّد صلّى الله عليه وآله مستمرّ إلى يوم القيامة وحكمه على الواحد حكم على الجماعة ، فلايجوز تغيير الأحكام الثابتة بالكتاب

والسنّة بالآراء والمقائيس واستحسانات العقليّة .

وهذا الكلام نظير ما تقدّم منه عليه السلام في الفصل الثّاني من المختار المأة والخامس والسّبعين من قوله : واعلموا عباداللّه أنّ المؤمن يستحلّ العام ما استحلّ عاما أوّل ويحرّم العام ما حرّم عاما أوّل وإنّ ما أحدث النّاس لايحلّ لكم شيئا ممّا حرّم عليكم ولكنّ الحلال ما أحلّ اللّه والحرام ما حرّم اللّه ، وقد مضى منافي شرح هذا الكلام ما يوجب زيادة البصيرة في المقام هذا .

وقد اضطرب أنظارالشارح البحراني والمعتزلي في شرح هذه الفقرة والفقرة السابقة عليه وقصرت يدهما عن تناول المراد كما يظهرذلك لمن راجع إلىشرحيهما

ثمّ إنّه بيّن اشتراك المخاطبين مع السابقين الأوّلين في التكاليف والأحكام و أنّه تعالى لايرضى منهم إلاّ بماكان رضيه عنهم و لا يسخط عليهم إلاّ بما سخط به عن الأولين أكّد ذلك بقوله (وانما تسيرون في اثر بيّن وتتكلّمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم) وهوجملة خبريّة في معنى الانشاء .

يعني اذا كان تكايفكم متّحداً مع السابقين فلابدّ لكم أن تسلكوا منهجهم و تحذوا حذوهم وتسيروا في آثارهم البينة الرّشد وتعملوا بما علموه من الأحكام الواضحة من الكتاب و السنّة ، و أن تتكلّموا بقول نافع قد قالوه قبلكم وتنطقوا بكلام يعود منفعته وفايدته إليكم وإلى غيركم.

وهو كلّ كلام يفضى إلى الحقّ و يهدى إلى الصراط المستقيم والنهج القويم ، وتخصيصه بكلمة التوحيد أى لاإله إلاّ اللّه كما ذهب اليه الشارح المعتزلي لادليل عليه مع اقتضاء الأصل عدمه فمحصّل المراد بالجملتين أمرالمخاطبين بموافقةالسلف الصالحين فعلا وقولا .

(قد كفاكم مؤنة دنياكم) قال الشارح البحراني : وتلك الكفاية إمّا بخلقها وايجادها ، وإمّا برزقه بكلّ ما كتب في اللّوح المحفوظ .

أقول : الظاهر هو الثّاني وهونظير قوله عليه السلام المتقدّم في الفصل الأوّل من المختار التسعين : عياله الخلق ضمن أرزاقهم و قدّر أقواتهم ، وقد تقدّم في شرحه

فوايد نافعة ههنا .

وأقول مضافا إلى ما سبق قال الامام سيّدالعابدين وزين السّاجدين عليه السلام في دعائه التاسع والعشرين من الصحيفة الكاملة :

واجعل ماصرحت به من عدتك في وحيك واتبعته من قسمك في كتابك قاطعا لاهتمامنا بالرزق الذي تكفّلت به، و حسما للاشتغال بما ضمنت الكفاية له ، فقلت وقولك الحقّ الأصدق وأقسمت وقسمك الأبرّ الأوفي «وفي السّماء رزقكم وماتوعدون» ثمّ قلت: «فورب السّماء والأرض إنّه لحقّ مثل ما أنّكم تنطقون» .

قوله : « وفي السّماء رزقكم » أي أسباب رزقكم بأن يرسل سبحانه الرّياح فتثير السحاب فيبسطه في السّماء فينزل الغيث و المطر فيخرج به من الأرض أنواع الأقوات والملابس والمعايش .

وقيل: وفي السّماء تقدير رزقكم أي ماقسمته لكم مكتوب في أمّ الكتاب الّذي هو في السّماء .

وفي حديث أهل البيت عليهم السلام : أرزاق الخلايق في السّماء الرّابعة تنزل بقدر وتبسط بقدر .

وقال الصّادق عليه السلام الرّزق المطر ينزل من السّماء فيخرج به أقوات العالم

وقوله : « وماتوعدون » قال الصّادق عليه السلام هو أخبار القيامة والرّجعة والأخبار الّتي في السّماء ، وقيل : هو الجنّة فوق السّماء السابعة وتحت العرش ، ثمّ أقسم سبحانه بأنّ ما ذكره من أمر الرزق الموعود لحقّ مثل ما أنكم تنطقون ، قال الزمخشري وهذا كقول النّاس إنّ هذا الحقّ كما أنك ترى وتسمع ومثل ما أنك ههنا ، قيل إنّه لمّا نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلك بنو آدم اغضبوا الرّب حتّى أقسم لهم على أرزاقهم

و نقل في الكشاف عن الاصمعي قال أقبلت من جامع البصرة وطلع أعرابيّ على قعود فقال : من الرّجل ؟ قلت : من بني اصمع ، قال : من أين اقبلت ؟ قلت : من موضع يتلى فيه كلام الرّحمان ، قال : اتل عليّ ، فتلوت : والذاريات ، فلمّا بلغت

قوله « وفي السّماء رزقكم وما توعدون » قال : حسبك ، فقام إلى ناقته فنحرها ووضعها على من أقبل وأدبر ، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولّى.

فلمّا حججت مع الرّشيد طفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق ، فاذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفرّ فسلّم عليّ واستقرء السّورة فلمّا بلغت الآية صاح وقال : قد وجدنا ماوعد ربّنا حقّا ، ثمّ قال : وهل غير ذلك ؟ فقرأت « فوربّ السّماء والأرض انّه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون » فصاح وقال : يا سبحان الله من ذا الّذي أغضب الجليل حتّى حلف لم يصدّقوه بقوله حتّى ألجأوه إلى اليمين ، قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه .

(وحثكم على الشكر) لطفا بكم ورأفة لكم ورحمة عليكم ، لأنّ شكره سبحانه موجب لزيادة نعمته كما أنّ كفرانها موجب لنقصانها قال عزّ من قائل : « لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد » .

(وافترض من ألسنتكم الذكر) أي أوجب عليكم أن تذكروه سبحانه بألسنتكم كما قال « فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون » وقال « واذكر ربّك في نفسك تضرّعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال » وقد مضى تفصيل الكلام في ذكره تعالى والأدلّة الواردة في فضله والحثّ والترغيب عليه في التنبيه الثاني من شرح الفصل السادس من فصول المختار الثاني والثمانين .

(وأوصاكم بالتقوى) في قوله « ولقد وصّينا الّذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتّقوا الله » وغيرها من الآيات الّتي تقدّمت في شرح المختار الرّابع والعشرين .

(وجعلها منتهى رضاه) فانّها لما كانت موصلة إلى الله سبحانه مؤدّية إلى رضوانه موجبة لمحبّته ورضاه صحّ بهذا الاعتبار جعلها منتهى رضاه من خلقه كما قال عزّ وجلّ « إنّ الله يحبّ المتّقين » وقال « للّذين اتقوا عند ربّهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهّرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد » .

(و) جعلها (حاجته من خلقه) استعار لفظ الحاجة لتأكّد الطلب أي طلبه

المؤكّد فانّه سبحانه لما بالغ في الحثّ والحضّ عليها وتكرّر منه تعالى طلبها والأمر بها في غير واحدة من الآيات شبّهها بالحاجة الّتي يفتقر إليها المحتاج ويبالغ في تحصيلها والوصول إليها والجامع المطلوبيّة المتأكّدة .

ولمّا نبّه على كونها سبباً للوصول إلى رضوانه وغاية المطلوب من خلقه عقّبه بالأمر بها فقال (فاتقوا الله الّذي أنتم بعينه) أى بعلمه فاطلق العين وأريد العلم مجازاً من باب تسمية المسبّب باسم السبب ، أو اللاّزم باسم الملزوم إذ رؤية الشيء سبب للعلم به ومستلزم له .

وفي الاتيان بالموصول تأكيد الغرض المسوق له الكلام ، فانه لما أمر بالتقوى وكانت التقوى حسبما قاله الصادق عليه السلام عبارة عن أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك ، أتى بالجملة الموصولة الوصفيّة تنبيها على أنّ الله عالم بكم خبير بأحوالكم بصير بأعمالكم سميع لأقوالكم ، ومن كان هذا شأنه فلابدّ أن يتّقى منه حقّ تقاته إذ لا يعزب عنه شيء من المعاصي ولا يخفي عليه شيء من الخطايا كما يخفى على ساير الموالي بالنسبة من عبيدهم .

وأكّده اخرى بقوله (ونواصيكم بيده) يعني أنه قاهر لكم قادر عليكم متمكّن من التصرّف فيكم كيف شاء وأىّ نحو أراد لا رادّ لحكمه ولا دافع لسخطه ونواصيكم بيد قدرته ، لا يفوته من طلب ولا ينجو منه من هرب .

وأكّده ثالثة بقوله (وتقلّبكم في قبضته) أى تصرّفكم في حركاتكم وسكناتكم تحت ملكه وقدرته واختياره .

وقوله (إن أسررتم علمه وإن أعلنتم كتبه) هو أيضاً في معنى التأكيد وان غير الاسلوب على اقتضاء التفنّن ، يعني أنّه عالم بالسرائر خبير بالضمائر سواء عليه ما ظهر منكم وما بطن لا يحجب عنه شيء ممّا يسرّ وما يعلن كما قال عزّ من قائل : «سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالّيل وسارب بالنهار» هذا

ويدلّ قوله : إن أعلنتم كتبه بمفهومه على أنّه لا يكتب مالا يعلن وإن كان يعلمه ، فيفيد عدم المؤاخذة على نيّة المعصية بمجرّدها ، وقد مضى تحقيق الكلام

فيه في شرح الفصل الخامس من المختار الثالث فليتذكّر .

وبذلك ظهر ما في قول الشّارح المعتزلي حيث قال : إنّ قوله عليه السلام إن أسررتم آه ليس يدلّ على أنّ الكتابة غير العلم ، بل هما شيء واحد ولكنّ اللّفظ مختلف انتهى فتدبّر .

وعقّب قوله : كتبه بقوله (قد وكل بكم حفظة كراماً) من باب الاحتراس فانه لما كان بظاهره متوهّما لكونه تعالى شأنه بنفسه كاتباً أتا بهذه الجملة دفعالذلك التوهّم ، وتنبيها على أنّ الموكّل بذلك الملائكة الحافظون لأعمال العباد .

قال تعالى « وانّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين » وهم طائفتان ملائكةاليمين للحسنات وملائكة الشمال للسيئات قال عزّ وجلّ « إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد » هذا .

وفي وصف الحفظة بالكرام (١) وتعظيمهم بالثناء تفخيم لما وكّلوا به وأنه عندالله تعالى من جلائل الأمور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام ، وفيه من التهويل من المعاصي ما لايخفى .

ولهذه النكتة أيضاً وصفهم ثانيا بقوله (لايسقطون حقّاً ولا يثبتون باطلا) أى لايسقط من قلمهم ماهو ثابت له أوعليه ، ولا يكتبون مالا أصل له ، ومن المعلوم أنّ المكلّف إذا التفت إلى ذلك وتنبّه على شدّة محافظة الحفظة عليه وعلى أنّهم لا يتركون شيئاً مما هو له أوعليه كان ذلك أقوى داعيا له على الانزجاج عن المعاصي والاقلاع عن السيئات .

قال الصّادق عليه السلام : استعبدهم الله أى الكرام الكاتبين بذلك ، وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبة وعن معصيته

---

(١) والمستفاد من رواية علل الشرايع عن الصادق (ع) أنّ الملائكة الحفظة غير الكرام البررة قال (ع) في حديث المعراج انما سمّيت سدرة المنتهى لأنّ أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة الى محلّ السدرة والحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون مايرفع إليهم من أعمال العباد

أشدّ انقباضا ، وكم من عبدهم بمعصيته فذكر مكانهم فارعوى ، وكيف فيقول ربّي يراني وحفظتي عليّ بذلك تشهد ، هذا .

ولما امر بالتقوى وأردفه بذكر ما يحذر من تركها عقّبه بذكر مايرغب في الملازمة عليها فقال (واعلموا أنّ من يتّق الله يجعل له مخرجا من الفتن) الموجبة للضلالة (ونوراً من الظلم) أى من ظلمات الجهالة ، وهو اقتباس من الآية الشريفة في سورة الطلاق قال سبحانه : « ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

روى في الصّافي عن القمّي عن الصّادق عليه السلام قال: في دنياه ، ومن المجمع عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنـه قرأها فقال : مخرجاً من شبهات الدّنيا ومن غمرات الموت وشدايد يوم القيامة وعنه صلّى الله عليه وآله إنّي لأعلم آية لوأخذ بها النّاس كفتهم « ومن يتّق الله » الآية،فمازال يقولها ويعيدها .

(ويخلده فيما اشتهت نفسه) وهوأيضاً اقتباس من الآية في سورة الأنبياء قال تعالى « وهم فيها اشتهت أنفسهم خالدون لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقيهم الملائكة هذا يومكم الّذي كنتم توعدون » .

(وينزله منزل الكرامة عنده) أى في منزل أهله معزّزون مكرّمون عنده سبحانه (في داراصطنعها لنفسه) أى اتّخذها صنعه وخالصته واختصّها بكرامته كما قال سبحانه لموسى بن عمران : «واصطنعتك لنفسي » قيل: هو تمثيل لما أعطاه الله من التقريب والتكريم .

قال الشارح البحراني : والدّارالّتي اصطنعها لنفسه كناية عن الجنّة ونسبها إلى نفسه تعظيماً لهاوترغيباً فيها ، وظاهر حسن تلك النسبة فانّ الجنّة المحسوسة أشرف دار رتّبت لأشرف المخلوقات ، و أما المعقولة فيعود إلى درجات الوصول والاستغراق في المعارف الالهيّة الّتي بها السعادة والبهجة واللّذة التامّة ، وهي جلمع الاعتبار العقلي لمنازل أولياء الله وخاصّته ومقامات ملائكته ورسله ، ومن المتعارف أنّ الملك العظيم اذا صرف عنايته الى بناء داريسكنها هووخاصّته أن يقال انـه تختصّ

بالملك وانّه بناها .

وقوله : (ظلّهاعرشه) يدلّ على أنّ الجنّة فوق السّماوات وتحت العرش واليه ذهب الاكثر .

قال الرّازي في تفسير قوله عزّ وجلّ : «وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها السّموات والأرض » : وههنا سؤالات « إلى أن قال »

السؤال الثّالث أنتم تقولون إنّ الجنّة في السّماء فكيف يكون عرضها كعرض السّماء .

والجواب أنّ المراد من قولنا أنها في السّماء أنّها فوق السّماوات وتحت العرش قال في صفة الفردوس : سقفها عرش الرحمن ، وقال : وسئل أنس بن مالك عن الجنّة في الأرض أم في السّماء ؟ قال : فأىّ أرض وسماء تسع الجنّة ، قيل : فأين هي ؟ قال فوق السماوات السبع وتحت العرش .

وقال العلاّمة المجلسي (ره) في البحار بعد ذكر الآيات والأخبار في وصف الجنّة ونعيمها :

اعلم أنّ الايمان بالجنّة والنار على ما وردتا في الآيات والأخبار من غير تأويل من ضروريات الدّين ومنكرهما أو مأوّلهما بما اوّلت به الفلاسفة خارج من الدّين.

وأما كونهما مخلوقتان الآن فقد ذهب إليه جمهور المسلمين إلاّ شرذمة من المعتزلة، فانهم يقولون : سيخلقان يوم القيامة ، والآيات والأخبار المتواترة دافعة لقولهم مزيفة لمذهبهم والظاهر أنه لم يذهب إلى هذا القول السخيف أحد من الامامية إلاّ ما ينسب إلى السيد الرّضيّ رضي الله عنه

وأما مكانهما فقد عرفت أنّ الأخبار تدلّ على أنّ الجنّة فوت السماوات السبع والنار في الأرض السابعة ، ونقل عن شارح المقاصد أنه قال : لم يرد نقل صريح في تعيين مكان الجنّة والنار ، والأكثرون على أنّ الجنّة فوق السماوات السبع و تحت العرش تشبثاً بقوله تعالى « عند سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى » وقوله ﷺ : سقف الجنة عرش الرّحمن، والنار تحت الأرضين السبع ، والحقّ تفويض ذلك إلى علم

العليم الخبير انتهى .

وذهب بعضهم إلى أنّها في السّماء الرابعة نسبه الطبرسيّ في مجمع البيان إلى صحيح الخبر ، والله أعلم .

(ونورها بهجته) قال الطريحي والبهجة الحسن ومنه رجل ذو بهجة، والبهجة السّرور ومنه الدّعاء : وبهجة لاتشبه بهجات الدّنيا ، أي مسرّة لاتشبه مسرّات الدّنيا ، وفيه : سبحان ذي البهجة والجمال ، يعني الجليل تعالى انتهى .

أقول : فعلى المعنى الأوّل فالمراد أنّ نور الجنّة أي منوّرها جماله سبحانه عظمه الّتي تضمحلّ الأنوار دونها ، فأهل الجنّة مستغرقة في شهود جماله، و نفوسهم مشرقة باشراق أنوار كماله كما قال عزّ من قائل « الله نور السّموات و الأرض » أي منوّرهما ، فانّ كلّ شيء استنار منهما واستضاء فبقدرته وجوده وافضاله .

روى في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم القمّيّ عن أبيه عن ابن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ لله كرامة في عباده المؤمنين في كلّ يوم جمعة فاذا كان يوم الجمعة بعث الله إلى المؤمن ملكا معه حلّة فينتهي إلى باب الجنّة فيقول : استاذنوا لي على فلان ؛ فيقال هذا رسول ربّك على الباب فيقول لأزواجه أيّ شيء ترين عليّ أحسن، فيقلن يا سيّدنا والّذي أباحك الجنّة ما رأينا عليك شيئاً أحسن من هذا بعث إليك ربّك فيتزّر بواحدة ويتعطّف بالأخرى فلا يمرّ بشيء إلاّ أضاء له حتى ينتهي إلى الموعد فاذا اجتمعوا تجلّى لهم الرّبّ تبارك وتعالى فاذا نظروا إليه خرّوا سجّداً ، فيقول عبادي ارفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم سجود ولا يوم عبادة قد رفعت عنكم المؤنة ، فيقولون : يا ربّ وأيّ شيء أفضل مما أعطيتنا ، أعطيتنا الجنّة ، فيقول لكم مثل ما في أيديكم سبعين ضعفاً ، فيرجع المؤمن في كلّ جمعة سبعين ضعفاً مثل ما في يديه وهو قوله « ولدينا مزيد » وهو يوم الجمعة إنّ ليلها ليلة غرّاء ويومها يوم أزهر فأكثروا فيها من التسبيح والتكبير والتهليل والثناء على الله والصّلاة على محمّد وآله .

قال فيمرّ المؤمن فلا يمرّ بشيء إلاّ أضاء له حتّى ينتهي إلى أزواجه، فيقلن والّذي أباحنا الجنّة ياسيّدنا ما رأيناك قط أحسن منك الساعة فيقول: إنّي قد نظرت بنور ربّي الحديث.

قال العلاّمة المجلسي (ره) قوله ـ تجلّى لهم الرّب ـ أي بأنوار جلاله وآثار رحمته وافضاله ـ فاذا نظروا إليه ـ أي إلى ماظهر لهم من ذلك

وعلى المعنى الثاني فالمراد أنّ نور الجنّة وأهلها ابتهاج الله سبحانه بها وبهم أما وصفه سبحانه بالابتهاج والبهجة فلما قال الحكماء والمتكلّمون المثبتون له تعالى اللّذة العقليّة من أنّ أجل مبتهج هو المبدء الأوّل بذاته لأنّ الابتهاج واللّذة عبارة عن إدراك الكمال فمن أدرك كمالا في ذاته ابتهج به والتذّ، وكماله تعالى أجلّ الكمالات و إدراكه أقوى الادراكات فوجب أن يكون لذّاته أقوى اللّذات.

قال صدر المتألّهين: أجلّ مبتهج بذاته هو الحقّ الأوّل، لأنه أشدّ إدراكا لاعظم مدرك له الشرف الأكمل والنور الأنور والجلال الأرفع، وهو الخير المحض وبعده في الخيريّة والوجود والادراك هو الجواهر العقليّة والأرواح النوريّة والملائكة القدسيّة المبتهجون به تعالى، وبعد مرتبتهم مرتبة النفوس البشريّة والسعداء من أصحاب اليمين على مراتب ايمانهم بالله.

وأما المقرّبون من النفوس البشريّة وهم أصحاب المعارج الروحانيّة فحالهم في الآخرة كحال الملائكة المقرّبين في العشق والابتهاج به تعالى.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ ابتهاج الله بمخلوقاته راجع إلى ابتهاجه بذاته، لأنه لما ثبت أنه أشدّ مبتهج بذاته لماله من الشرف والكمال كان ذاته أحبّ الأشياء إليه، وكلّ من أحبّ شيئاً أحبّ جميع أفعاله وآثاره لاجل ذلك المحبوب، وكلّ ما هو أقرب إليه فهو أحبّ اليه وابتهاجه به أكمل.

فثبت بذلك أنّ الله سبحانه مبتهج بالجنّة وأهلها لأنها دار كرامته ورحمته وأقرب المجعولات إليه، وكذلك أهلها لأنهم مقرّبو حضرته ومحبوبون إليه ومكرّمون لديه كما أنهم مبتهجون به سبحانه ومحبّون إيّاه.

وأما أنّ بهجته تعالى نورلها أي لأهلها فلكون محبّته وابتهاجه سببا لاستنارة نفوسهم بما يفاض عليهم من الأنوار الملكوتيّة الّتي تغشى أبصار البصاير و يستغرق في الابتهاج بها الأولياء المقرّبون ، وعلى ذلك فتسمية البهجة بالنور من باب تسمية السبب باسم المسبّب ، هذا .

وانما خصّ بهجته بالذكر لأنها حسبما عرفت ملازمة للمحبّة ، ومحبّته تعالى لهم ورضوانه عنهم أعظم الخيرات وأفضل الكمالات .

روى في البحار عن العياشي عن ثوير عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : إذا صار أهل الجنّة في الجنّة ودخل وليّ الله إلى جنانه ومساكنه ، واتكى كلّ مؤمن منهم أريكته حفّته خدّامه وتهدّلت عليه الثمار وتفجّرت حوله العيون وجرت من تحته الأنهار وبسطت له الزّرابي ، وصففت له النمارق وأتته الخدّام بما شائت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك قال : ويخرج عليهم الحورالعين من الجنان فيمكثون بذلك ماشاءالله ، ثم إنّ الجبّار يشرف عليهم فيقول لهم : أوليائي وأهل طاعتي وسكان جنّتي في جواري ألاهل انبئكم بخير مما أنتم فيه؟ فيقولون : ربّنا وأيّ شيء خير مما نحن فيه ؟ نحن فيما اشتهت أنفسنا ولذّت أعيننا من النعم في جوار الكريم ، قال : فيعود عليهم بالقول ، فيقولون : ربّنا نعم ، فأتنا بخير مما نحن فيه ، فيقول لهم تبارك وتعالى : رضاي عنكم ومحبّتي لكم خير وأعظم مما أنتم فيه ، فيقولون : نعم يا ربّنا رضاك عنّا ومحبّتك لنا خير لنا وأطيب لأنفسنا ، ثمّ قرء عليّ بن الحسين عليه السلام هذه الآية « وعدالله المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيّبة في جنّات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هوالفوزالعظيم » .

(وزوّارها ملائكته) يعني أنّ الملائكة يزورون ساكنيها تعظيماً لهم وتشريفا وتكريماً حسبما عرفت الاشارة إليه في الرواية الّتي رويناها من روضة الكافي في شرح الفصل التاسع من المختار الأوّل .

(ورفقاؤها رسله) كما قال عزّ من قائل « ومن يطع الله والرّسول فأولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبيّين والصّديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً »

رغب الله تعالى و كذا أمير المؤمنين أهل الطاعة والتّقوى بهذا الوعد وما أحسنه من وعد وهو كونهم رفيق النّبيين الّذينهم في أعلاعلّيين والصدّيقين الّذين صدقوا في أقوالهم وأفعالهم ، والشهداء المقتول أنفسهم وأبدانهم بالجهاد الأكبر والأصغر والصالحين الّذين صلحت حالهم واستقامت طريقتهم .

روى في الصّافي من الكافي عن الصادق عليه السلام : المؤمن مؤمنان : مؤمن وفي لله بشروطه الّتي اشترطها عليه فذلك مع النّبيين والصدّيقين والشهداء والصّالحين وحسن اولئك رفيقا ، وذلك ممّن يشفع ولا يشفع له ، وذلك ممّن لايصيبه أهوال الدّنيا ولاأهوال الآخرة، ومؤمن زلّت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفته الريح انكفى ، وذلك ممّن يصيبه أهوال الدّنيا وأهوال الآخرة ويشفع له وهوعلى خير .

وفيه من الكافي و العياشي عن الصّادق عليه السلام لقد ذكركم الله في كتابه فقال : « اُولئك مع الّذين أنعم الله » الآية ، فرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الآية النبيّون و نحن في هذا الموضع الصدّيقون والشهداء وأنتم الصّالحون فتسمّوا بالصّلاح كما سمّاكم الله ، هذا .

ولجزالة هذا الوعد أعنى مرافقة النّبيين عقّب الله تعالى قوله « وحسن أولئك رفيقاً » بقوله « ذلك الفضل من الله و كفى بالله عليما » وقد مضى بعض الكلام في وصف الجنّة ونعيمها في شرح الفصل الثالث من المختار الثامن والمأة ، رزقنا الله نيلها بمنّه وجوده .

ثمّ إنه عليه السلام لما أمر بالتقوى ونبّه على فضلها وعظم مايترتّب عليها من الثمرات الدّنيويّة والاُخرويّة رتّب عليه قوله (فبادروا المعاد وسابقوا الآجال) أى سارعوا إلى المعاد بالمغفرة والتّقوى لأنّها خير الزّاد واستبقوا إلى الآجال بالخيرات وصالح الأعمال .

والمراد بالمعاد هو العود إلى الفطرة الاُولى بعد الانتقال منها والنزول إلى الدّنيا فالاشارة إلى الابتداء بقوله تعالى « فطرة الله الّتي فطر الناس عليها » « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً » والاشارة إلى الانتهاء « كلّ شيء هالك إلاّ وجهه »

« وكلّ من عليها فان ويبقى وجه ربّك ذي الجلال والاكرام » فالبدو والرّجوع متقابلان قال تعالى « كما بدءنا أوّل خلق نعيده » فالعدم الخاصّ الأوّل للانسان هو الجنّة الّتي كان فيها أبونا آدم عليه السلام وأمّنا حوّا ، والوجود بعد العدم هو الهبوط منها إلى الدّنيا « اهبطوا منها جميعاً » والعدم الثاني من هذا الوجود هو الفناء في التّوحيد ، والأوّل هو النزول والهبوط ، والثاني هو العروج والصّعود ، والبداية النزول عن الكمال إلى النقص ، والنهاية المعاد من النقصان إلى الكمال واليه الاشارة بقوله « ارجعي إلى ربّك راضية مرضيّة فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي » هذا .

ولما أمر عليه السلام بالمبادرة إلى المعاد والمسابقة إلى الآجال علّله بقوله (فانّ الناس يوشك أن ينقطع بهم الأمل ويرهقهم الأجل) يعني أنه تقريب انقطاع آمالهم الخادعة ومفاجاة آجالهم المستورة (و) أن (يسدّ عنهم باب) الانابة و (التوبة) ومن كان هذا شأنه فلابدّ أن يتّقى ربّه وينصح نفسه ويقدّم توبته ويغلب شهوتـه ويستغفر من خطيئته ويستقيل من معصيته ، فانّ أجله مستور عنه وأمله خادع له ، والشيطان موكّل به يزيّن له المعصية ليركبها ويمنّيه التوبة ليسوّفها حتّى يهجم منيته عليه أغفل ما يكون عليها .

(فقد أصبحتم في مثل ما سأل إليه الرّجعة من كان قبلكم) أى أصبحتم في حال الحياة والصحّة وسلامة المشاعر والقوى والبنية وساير الأسباب الّتي يتمنّى من كان قبلكم الرجعة إليها لتدارك مافات واصلاح الزلاّت والهفوات ، وقال : ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت ، ولكنّهم قد حيل بينهم وبين مايشتهون وقيل كلاّ إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون .

فالآن والخناق مهمل ، والروح مرسل ، في راحة الأجساد ، وباحة الاحتشاد وانتظار التوبة ، وانفساح الحوبة ، لابدّ من اغتنام الفرصة والانابة من الخطيئة قبل الضنك والضيق ، والرّوع والزهوق ، وقبل أن يروع من الرّجعة ويعظم الحسرة

(وأنتم بنوسبيل على سفرمن دار ليست بداركم) شبّههم بأبناء السبيل تنبيهاً على أنّ كونهم في هذه الدّار بالعرض وأنّ وطنهم الأصلي هوالدّارالآخرة وأنهم مسافرون إليها .

(و) قوله (قد اُوذنتم منها بالارتحال واُمرتم فيها بالزاد) قد تقدّم في شرح المختار الثالث والستّين وغيره توضيح معنى الفقرة الاُولى ، ومرّغير مرّة أنّ المراد بالزاد الّذي اُمروا بأخذها هو التقوى قال عزّ وجلّ « وتزوّدوا فانّ خير الزّاد التقوى »

والغرض من هاتين الفقرتين وسابقتهما التنفير عن الدّنيا والترغيب إلى الاُخرى وتنبيه المخاطبين من نوم الغفلة والجهالة وإرشادهم إلى الاستعداد وتهيئة الزاد لسلوك مسالك الآخرة .

وبيان ذلك بلسان الرمز والاشارة أنّ لله تعالى عالمين : عالم الدّنيا وعالم الآخرة ونشأتين : الغيب والشهادة والملك والملكوت ، وأنّ الناس في مبدء تكوّنهم مخلوقون من موادّ العالم الأسفل ولهم الارتقاء بحسب الفطرة الاُولى الّتي فطر الناس عليها إلى جوار الله سبحانه قاله سبحانه برحمته وعنايته ، خلق الأنبياء وبعثهم ليكونوا هداة الخلق إلى معادهم وقوادهم في السفر إليه وسابقوهم إلى منازلهم ، كرؤساء القوافل وأنزل الكتب ليعلّمهم ويبيّن لهم كيفيّة السفر والارتحال وأخذ الزاد والراحلة وتعريف الأحوال عند الوصول إلى منازلهم في الآخرة .

والخلق ماداموا في الدّنيا ولم يصلوا إلى أوطانهم الأصليّة ، فهم في الظلمات على حالات متفاوتة مختلفة ، فمنهم نائمون ، النـاس نيام إذا ماتوا انتبهوا ، الدّنيا منام والعيش فيها كالأحلام ، ومنهم موتى لقوله تعالى « أموات غير أحياء » .

فمن مات عن هذه الحياة المجازية الموسومة باللّعب واللّهو كما قال تعالى « إنما الحيوة الدّنيا لعب ولهو » فقد انتبه عن نوم الغفلة وحيّ بالحياة الأبديّة .

فانّ الموت على ضربين أحدهما الارادى المشار إليه بقوله عليه السلام : موتوا قبل أن تموتوا ، والآخر الطبيعي وإليه الاشارة بقوله تعالى : « أينما تكونوا يدرككم الموت » .

فكلّ من مات بالموت الارادى أى قلع قلبه عن العلايق والامنيّات ونهى نفسه عن الهوى والشهوات فقد حىّ بالحياة السّرمديّة الطبيعيّة .

قال أفلاطن : مت بالارادة تحيى بالطبيعة ، وكلّ من مات بالموت الطبيعي فقد هلك هلاكا أبديّاً عقلا وضلّ ضلالا بعيداً ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا، هذا .

ولما أمر عليه السلام بالتقوى وبشّر بما رتّب عليها من الثواب وحسن المآب أردف ذلك بالانذار والوعيد من أليم السخط والعذاب فقال (واعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار) الّتي قعرها بعيد ، وحرّها شديد ، وشرابها صديد ، وعذابها جديد ، و مقامعها حديد، لايفتر عذابها ، ولا يموت ساكنها ، كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إنّ الله كان عزيزاً حكيما.

روى في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم عن ابن أبي عمير عن أبى بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله خوّفني فانّ قلبي قد قسى ، فقال: يا با محمد استعد للحياة الطويلة ، فانّ جبرئيل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو متبسّم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً فقال : يا محمد قد وضعت منافخ النار ، فقال صلى الله عليه وآله : وما منافخ النار ياجبرئيل ؟ فقال: يامحمد إنّ الله عزّ وجلّ أمر بالنّار فنفخ عليها ألف عام حتّى ابيضّت ، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتّى احمرّت ، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتّى اسودّت ، فهى سوداء مظلمة لو أنّ قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها ، ولو أنّ حلقة واحدة من السلسلة الّتي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدّنيا لذابت الدّنيا من حرّها ، ولو أنّ سربالاً من سرابيل أهل النار علّق بين السماء والأرض لمات أهل الدّنيا من ريحه .

قال عليه السلام فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى جبرئيل ، فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما: ربكما يقرئكما السلام ويقول قد امنتكما أن تذنبا ذنباً أُعذّبكما عليه فقال أبو عبدالله عليه السلام : فما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل متبسّماً بعد ذلك .

ثمّ قال : إنّ أهل النار يعظمون النّار ، وإنّ أهل الجنّة يعظمون الجنّة والنعيم وإنّ جهنّم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً فاذا بلغوا علاها قمعوا بمقامع الحديد ، فهذه حالهم وهو قول الله عزّ وجلّ « كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ اُعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق » ثمّ تبدّل جلودهم غير الجلود الّتي كانت عليهم ، قال أبو عبدالله عليه السلام حسبك ؟ قلت : حسبي حسبي .

(فارحموا نفوسكم) إلى مصير هذه النّار الّتي علمت وصفها وعرفت حال أهلها (فانّكم قد جرّبتموها في مصائب الدّنيا) ولم تصبروا على أهون مصائبها وأحقر آلامها (أفرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه والرّمضاء) أي الأرض الشديدة الحرارة (تحرقه فكيف) حاله وتحمّله (إذا كان بين طابقين من نار) يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون

(ضجيع حجر) اُشير إليه في قوله:« وقودها الناس والحجارة» قال ابن عبّاس وابن مسعود : إنّها حجارة الكبريت لأنّها أحرّ شيء إذا احميت وقيل إنهم يعذّبون بالحجارة المحمية بالنّار .

(وقرين شيطان) وهو المشار إليه في قوله سبحانه « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، وقال قرينه ربّنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد » قال ابن عباس وغيره : أي شيطانه الّذي أغواه وإنما سمّي قرينه لأنه يقرن به في العذاب .

وفي البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى « وإذا النفوس زوّجت » قال عليه السلام أما أهل الجنّة فزوّجوا الخيرات الحسان وأما أهل النار فمع كلّ إنسان منهم شيطان يعني قرنت نفوس الكافرين والمنافقين بالشياطين فهم قرناؤهم .

(أعلمتم أنّ مالكاً) وهو اسم مقدّم خزنة النار والملائكة الموكّلين لأمرها قال تعالى « عليها ملائكة غلاظ شداد » روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال : والّذي نفسي

بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنّم بألف عام فهم كلّ يوم يزدادون قوّة إلى قوّتهم .

وفي البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن الصّادق عليه السلام في خبر المعراج قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : فصعد جبرئيل وصعدت حتّى دخلت سماء الدّنيا فما لقيني ملك إلاّ وهو ضاحك مستبشر حتّى لقيني ملك من الملائكة لم أر أعظم خلقا منه كريه المنظر ظاهر الغضب فقال لي مثل ما قالوا من الدّعا إلاّ أنّه لم يضحك ولم أر فيه الاستبشار ما رأيت ممّن ضحك من الملائكة فقلت : من هذا يا جبرئيل ؟ فانّي قد فزعت منه ، فقال : يجوز أن تفزع منه فكلّنا نفزع منه إنّ هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يزل منذ ولاه الله جهنّم يزداد كلّ يوم غضبا وغيظاً على أعداء الله وأهل معصيته فينتقم الله به منهم ولو ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك لضحك إليك ، ولكنّه لا يضحك فسلّمت عليه فردّ السلام عليّ وبشّرني بالجنّة .

فقلت لجبرئيل وجبرئيل بالمكان الّذي وصفه الله « مطاع ثمّ أمين »: ألا تأمره أن يريني النار ؟ فقال له جبرئيل : يا مالك أر محمّداً صلى الله عليه وآله النار ، فكشف منها غطائها وفتح بابا منها فخرج منها لهب ساطع في السّماء وفارت وارتفعت حتّى ظننت ليتناولني ممارأيت ، فقلت : يا جبرئيل قل له : فليرد عليها غطائها، فأمرها فقال لها : أرجعي فرجعت إلى مكانها الّذي خرجت منه، الحديث ، فقد علم به زيادة قوّته وشدّة غيظه وغضبه .

(إذا غضب على النار حطم بعضها بعضاً لغضبه) أي أكله أو كسره ومنه الحطمة اسم من أسماء جهنم قال تعالى « لينبذنّ في الحطمة » أي ليطرحنّ فيها قال مقاتل وهي تحطم العظام وتأكل اللحوم حتّى تهجم على القلوب ولتفخيم أمرها قال تعالى «وما أدريك ما الحطمة نار الله الموقدة » المؤجّجة أضافها سبحانه إلى نفسه ليعلم أنها ليست كنيران الدّنيا .

(واذا زجرها توثّبت بين أبوابها جزعـاً من زجرته) ولمّا حذّر من أهوال الجحيم وأفزعهم بذكر وصف مالك خازنها حذّرهم بأسلوب آخر وأيّهم بقوله :

(أيّها اليفن) أى الشيخ (الكبير الّذي قد لهزه) أى خالطه (القتير) والمشيب ، وتخصيصه بالخطاب من بين ساير المخاطبين لكونه أولى بالحذر والاقلاع عن المعصية والخطاء لاشراف عمره على الزوال والانقضاء وقرب تورّطه في ورطات الاخرى .

(كيف أنت) استفهام على سبيل التقرير تقريعاً على المعصية (إذا التحمت) أى التصقت وانضمّت (أطواق النار بعظام الأعناق) كما قال تعالى « فسوف يعلمون إذ الاغلال في أعناقهم والسّلاسل يسحبون في الحميم ثمّ في النّار يسجرون » .

(ونشبت الجوامع) أى علقت الأغلال الجامعة بين الأيدي والأعناق (حتّى أكلت لحوم السّواعد) قال تعالى في سورة الرّحمن « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام » قال الطبرسيّ أى تأخذهم الزّبانية فيجتمع بين نواصيهم وأقدامهم بالغلّ ، وفي سورة الفرقان « وإذا ألقوا منها مكاناً ضيّقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً لا تدعوا اليوم ثبوراً واحدا وادعوا ثبوراً كثيراً » قال الطبرسيّ مقرّنين أى مصفّدين قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال .

(فالله الله) أى اتّقوه سبحانه يا (معشر العباد وأنتم سالمون في الصحّة قبل السقم) أى في زمان صحّتكم قبل أن ينزل بكم السّقم (وفي الفسحة قبل الضيق) إى فى سعة الأعمار قبل أن تبدل بالضيق (فاسعوا في فكاك رقابكم) من النّار بالتوبة والتقوى (من قبل أن تغلق رهائنها)أصل غلق الرّهن عبارة عن بقائه في يد المرتهن لايقدر راهنه على انتزاعه .

قال ابن الاثير وكان من فعل الجاهليّة أنّ الراهن إذا لم يؤدّ ما عليه في الوقت المعيّن ملك المرتهن الرّهن فأبطله الاسلام .

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ ذمم المكلّفين لكونها مشغولة بالتكاليف الشرعيّة المطلوبة منهم فكأنّها رهن عليها ، وكما أنّ انتزاع الرّهن من يد المرتهن والتمكّن من التّصرف فيه موقوف على أداء الدّين ، فكذلك تخليص الرّقاب موقوف على

الخروج من عهدة التكاليف ، فمن أجل ذلك أمر عليه السلام بالسّعي في فكاكها واستخلاصها وعلى ذلك فالاضافة في رهائنها من قبيل إضافة المشبّه به إلى المشبّه وذكر الغلق ترشيح للتشبيه .

ولما أمر بالسّعي في الفكاك إجمالاً أشار إلى مابه يحصل الفكّ تفصيلاً ولكمال الاتّصال بين الجملتين ترك العاطف فقال:

(أسهروا عيونكم) أى بالتهجّد وصلاة اللّيل وساير النوافل وقد تقدّم بعض الأخبار في فضلها في شرح الفصل السادس من المختار الثاني والثمانين .

وأقول هنا مضافا إلى ماسبق : روى الصّدوق في ثواب الأعمال عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : شرف المؤمن صلاة اللّيل وعزّ المؤمن كفّه عن النّاس .

وفيه عن معاوية بن عمار عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: عليكم بصلاة اللّيل فانها سنّة نبيّكم ودأب الصالحين قبلكم ومطردة الداء عن أجسادكم .

وبهذا الاسناد قال : قال أبو عبدالله عليه السلام صلاة اللّيل تبيض الوجه وصلاة اللّيل تطيب الرّيح ، وصلاة اللّيل تجلب الرّزق .

وفيه عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : حدّثني أبي عن جدّي عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال : قيام اللّيل مصحّة للبدن ، ورضاء الرّبّ ، وتمسّك بأخلاق النبيّين ، وتعرّض لرحمة الله تعالى .

وعن إبراهيم بن عمر رفعه إلى أبي عبدالله في قول الله عزّ وجلّ « إنّ الحسنات يذهبن السيئآت » قال : صلاة المؤمن باللّيل تذهب بما عمل من ذنب بالنهار .

وفيه عن أبيه قال : حدّثني سعد بن عبدالله عن سلمة بن الخطاب عن محمّد بن الليث عن جعفر بن إسماعيل عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام أنّ رجلا سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن قيام اللّيل بالقرآن ، فقال له عليه السلام ابشر :

من صلّى من اللّيل عشر ليله لله مخلصاً ابتغاء ثواب الله «يقول الله» عزّ وجلّ لملائكته اكتبوا لعبدي هذا من الحسنات عدد ما انبت من النباتات في النيل «اللّيل خ» من حبّة

وورقة وشجرة وعدد كلّ قصبة وخوطة (١) ومرعى .

ومن صلّى تسع ليله أعطاه الله عشر دعوات مستجابات وأعطاه كتابه بيمينه يوم القيامة .

ومن صلّى ثمن ليله أعطاه الله عزّ وجلّ أجر شهيد صابر صادق النيّة وشفع فى أهل بيته .

ومن صلّى سبع ليله خرج من قبره يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر حتّى يمرّ على الصراط مع الآمنين .

ومن صلّى سدس ليله كتب مع الأوّابين وغفر له ماتقدّم من ذنبه وماتأخّر.

ومن صلّى خمس ليله زاحم إبراهيم خليل الله في قبّته .

ومن صلّى ربع ليله كان أوّل الفايزين حتّى يمرّ على الصّراط كالرّيح العاصف ويدخل الجنّة بغير حساب .

ومن صلّى ثلث ليله لم يلق ملكاً لم يبق ملك خ» إلّا غبطه بمنزلته من الله عزّ وجلّ وقيل له ادخل من أىّ أبواب الجنّة الثّمانية شئت .

ومن صلّى نصف ليله فلو اعطى ملاء الأرض ذهباً سبعين ألف مرّة لم يعدل أجره ، وكان له بذلك أفضل من سبعين رقبة يعتقها من ولد إسماعيل .

ومن صلّى ثلثى ليله كان له من الحسنات قدر رمل عالج أدناها حسنة أثقل من جبل أُحد عشر مرّات .

ومن صلّى ليلة تامّة تالياً لكتاب الله عزّ وجلّ ذكره راكعاً وساجداً وذاكراً اعطى من الثواب أدناها أن يخرج من الذّنوب كما ولدته أُمّه ويكتب له عدد ما خلق الله من الحسنات ومثلها درجات ، ويبثّ النور في قبره وينزع الاثم والحسد من قلبه ، ويجار من عذاب القبر ويعطى براءة من النار ويبعث من الآمنين ويقول الرّب تبارك وتعالى لملائكته : ملائكتي انظروا إلى عبدي أحيى ليله ابتغاء مرضاتي أسكنوه الفردوس وله فيها مأة ألف مدينة في كلّ مدينة جميع ما يشتهى الأنفس

---

(١) الخوط بالضمّ الغصن الناعم أو كلّ قصب (ص) .

وتلذّ الأعين ومالايخطر على بال سوى ما أعددت له من الكرامة والمزيد والقربة .

(وأضمروا بطونكم) أى بالصيام والجوع وقد مضى الأخبار في فضل الصوم في شرح المختار المأة والتاسع (واستعملوا أقدامكم) أى في القيام إلى الصلوات أومطلق القربات كاستعمالها في تشييع الجنايز والسّعى إلى المساجد والمشي إلى المشاهد المشرّفة ونحوها .

روى في ثواب الأعمال باسناده عن الأصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ الله عزّوجلّ ليهمّ أن يعذّب أهل الأرض جميعاً حتّى لا يتحاشى منهم أحداً إذا عملوا بالمعاصي واجترحوا السيئات ، فاذا نظر إلى الشيّب ناقلى أقدامهم إلى الصّلاة والولدان يتعلّمون القرآن رحمهم فأخّر ذلك عنهم .

(وأنفقوا أموالكم) أى في الزكاة والصدقات وصنايع المعروف ، وقد عرفت فضل هذه كلّها في شرح المختار المأة والتاسع أيضاً (وخذوا من أجسادكم فجودوا بها على أنفسكم) وهو كناية عن إتعاب الأبدان وإذابتها بالعبادات والرّياضات وسلوك مسالك الخيرات ، ومعلوم أنّ الأخذ من الأجساد بهذه القربات جود بها على النفوس ولذلك قال: جودوا بها عليها (ولا تبخلوا بها عنها) ثمّ استشهد على مارامه بكلام الحقّ سبحانه وقال :

(فقد قال الله سبحانه) في سورة محمّد صلّى الله عليه وآله (إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم) قال في مجمع البيان أى إن تنصروا دين الله ونبيّ الله بالقتال والجهاد ينصركم على عدوّكم ويثبّت أقدامكم إى يشجعكم ويقوى قلوبكم لتثبتوا ، وقيل: ينصركم في الآخرة ويثبّت أقدامكم عند الحساب وعلى الصراط ، وقيل : ينصركم في الدّنيا والآخرة ويثبّت أقدامكم في الدّارين وهو الوجه .

قال قتاده : حقّ على الله أن ينصر من نصره لقوله : إن تنصروا الله ينصركم وأن يزيد من شكره لقوله : لئن شكرتم لأزيدنّكم ، وأن يذكر من ذكره لقوله: فاذكروني أذكركم .

(وقال) في سورة الحديد (من ذا الّذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم) ونحوه في سورة البقرة إلاّ أنّ فيها بدل قوله : وله أجر كريم : أضعافا كثيرة .

قال في مجمع البيان : ثمّ حث الله سبحانه على الانفاق فقال « من ذالّذى يقرض الله » أى ينفق في سبيل الله وطاعته ، والمراد به الأمر « قرضاً حسناً » والقرض الحسن أن ينفق من حلال ولا يفسده بمنّ ولا أذى ، وقيل : هوأن يكون محتسباً طيّبا به نفسه ، وقيل : هو أن يكون حسن الموقع عندالانفاق فلا يكون خسيساً ، والأولى أن يكون جامعاً لهذه الأمور كلّها فلا تنافي بينها « فيضاعفه له » أى يضاعف له الجزاء من بين سبع إلى سبعين إلى سبعمأة « وله أجر كريم » أى جزاء خالص لايشوبه صفة نقص ، فالكريم الّذي من شأنه أن يعطى الخير الكثير فلما كان ذلك الأجر يعطى النفع العظيم وصف بالكريم والأجر الكريم هوالجنّة .

ولماكان ظاهر النصرة موهماً لكونها من الذلّة ، وظاهر القرض موهما لكونه من القلّة أردف ذلك من باب الاحتراس بقوله (فلم يستنصركم من ذلّ ولم يستقرضكم من قلّ) أى ليس استنصاره واستقراضه من أجل الذلّة والقلّة حسبما زعمته اليهود وقالوا : إنما يستقرض منّا ربّنا عن عوزفانما هوفقير ونحن أغنياء فأنزل الله سبحانه « لقد سمع الله قول الّذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء» بل سمّى نصرة دينه ونبيّه نصرة له و الانفاق في سبيله قرضاً تلطّفا للدّعاء إلى فعلهما وتأكيداً للجزاء عليهما ، فانّ النّصر يوجب المكافاة والقرض يوجب العوض .

وإليه أشار بقوله (استنصركم وله جنود السّموات والأرض وهوالعزيز الحكيم) يعني أنّه عزيز في سلطانه أي قادر قاهر لايتمكّن أحد أن يمنعه من عذاب من يريد عذابه ، ذو قدرة على الانتقام من أعدائه ، وانّه حكيم في أفعاله واضع كلاّ منها في مقام صالح له ولايق به .

(واستقرضكم وله خزائن السّموات والأرض وهوالغنيّ الحميد) يعني غنيّ بنفسه عن غيره غيرمفتقر إلى شيء من مخلوقاته ومحمود في أفعاله و صنايعه وأحكامه

وأوامره .

(وانما أراد) باستقراضه واستنصاره (أن يبلوكم أيّكم أحسن عملا) وقد مرّ في شرح المختار الثاني والستّين معنى بلاءالله سبحانه أى ابتلائه واختباره .

(فبادروا بأعمالكم) إلى آجالكم (تكونوا مع جيران الله في داره) والمراد بهم أولياؤه المتّقون الّذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، واستعار لفظ الجيران لهم باعتبار شمول الألطاف والعنايات الخاصّة الالهيّة لهم كما أنّ الجار ينال الكرامة من جاره والاضافة فيه وفي تاليه للتشريف والتكريم .

(رافق بهم رسله وأزارهم ملائكته) حسبما عرفت ذلك في شرح هذه الخطبة وغيرها (وأكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نار أبداً) كما قال عزّ من قائل « إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون » .

قال الطبرسيّ أى يكونون بحيث لايسمعون صوتها الّذي يحسّ .

روى في الصّافي من المحاسن عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله إنّه قال لعليّ عليه السلام ياعليّ أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم وأنتم الآمنون يوم الفزع الاكبر في ظلّ العرش يوم يفزع الناس ولا تفزعون ، ويحزن النّاس ولا تحزنون ، وفيكم نزلت هذه الآية « إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى » الآية ، وفيكم نزلت « لايحزنهم الفزع الأكبر » الآية .

وفيه من المحاسن عن الصّادق عليه السلام قال : إنّ الله يبعث شيعتنا يوم القيامة على مافيهم من الذّنوب أوغيره مبيضّة وجوههم مستورة عوراتهم آمنة روعتهم قدسهلت لهم الموارد وذهبت عنهم الشدائد ، يركبون نوقا من ياقوت فلا يزالون يدورون خلال الجنّة عليهم شرك من نور يتلألأ توضع لهم الموائد فلا يزالون يطعمون والناس في الحساب ، وهوقول الله تبارك وتعالى « إنّ الّذين سبقت لهم »الآية .

(وصان أجسادهم أن تلقى لغوباونصباً) كما قال سبحانه حكاية عنهم « وقالوا الحمدلله الّذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور الّذي أحلّنا دارالمقامة من

فضله لايمسّنافيها نصب ولايمسّنافيها لغوب » .

قال في مجمع البيان أي أنزلنا دارالخلود يقيمون فيها أبداً لا يموتون ولا يتحوّلون عنها « من فضله » أي ذلك بتفضّله و كرمه «لايمسّنا فيها نصب » لايصيبنا في الجنّة عناء ومشقّة « ولا يمسّنا فيها لغوب » أي ولايصيبنا فيها إعياء ومتعبة في طلب المعاش وغيره .

وفي الصّافي عن القمّي قال : النّصب العناء واللّغوب الكسل والضجر ودار المقامة دار البقاء، وقال صاحب الصافي : النّصب التّعب واللّغوب الكلال إذ لاتكليف فيها و لا كدّ اتبع نفي النصب بنفي مايتبعه مبالغة .

(ذلك) المذكور من النعم العظيمة (فضل الله) أي تفضّل منه سبحانه (يؤتيه من يشاء) من عباده (والله ذو الفضل العظيم) يتفضّل بمالا يقدر عليه غيره ويعطي الكثير بالقليل (أقول ما تسمعون والله المستعان على نفسي وأنفسكم) في حفظها عن متابعة الهوى والشهوات ووقايتها من المعاصي والهفوات (وهو حسبنا ونعم الوكيل) ونعم المعين ونعم النصير .

التَرجمة

ازجمله خطب شريفهٔ آن وصيّ مختار وليّ پروردگار است ميفرمايد:

حمد وثنا مرخداوندير اسزاست كه شناخته شده بدون رؤيت ، وخلق فرموده بدون رنج ومشقت آفريد مخلوقات را بقدرت كاملهٔ خود ، وطلب بندگى نمود از سلاطين وملوك باعزّت قاهره خود ، ومالك واجب الاطاعة شد بربزرگان بابخشش فراوان خود ، واوست آنكسيكه ساكن فرمود دردنيا آفريدگان خودرا ، ومبعوث كرد بسوى جنّ وانس پيغمبران خودرا ، تااينكه كشف كنند مرايشانرا ازپردهاى دنيا ، وبترسانند ايشانرا ازپريشانيهاى دنيا ، وبيان كنند ازبراى ايشان مثلهاى آنرا ، وبنمايند برايشان عيبهاى آن را ، وتا هجوم آور بشوند برايشان باچيزى كه باعث عبرت ايشان بشود ازصحّتهاى آن وبيماريهاى آن ، وحلال آن وحرام آن

وبا آنچه که مهیّا فرموده خداوند تعالی از برای اطاعت کنندگان از ایشان ، ومعصیت کنندگان ایشان از بهشت وجهنّم ، وعزّت وخواري .

حمد میکنم اورا درحالتیکه قصد تقرّب میکنم بسوی او چنان حمدی که طلب کرده ازمخلوقات خود گردانید از برای هرچیزی اندازهٔ معیّني ، واز برای هراندازه مدّت مخصوصي ، واز برای هرمدّت نوشته مشخّصي .

بعضی دیگر ازاین خطبه درذکر قرآن کریم است میفرماید:

پس قرآن امر کننده است ونهی کننده ، وساکت است بحسب ظاهر وناطق است بحسب باطن ، حجّت پروردگار است برخلقان او أخذ فرموده است براو عهد وپیمان ایشانرا ، ورهن کرده است درمقابل او نفسهای ایشان را ، تمام فرمود نور آنرا وگرامي‌داشت با آن دین خودرا ، وقبض فرمود نبيّ خودرا درحالتي که فارغ شده بود بسوی خلق ازاحکام هدایت با آن .

پس تعظیم نمائید ازحقّ سبحانه وتعالی مثل تعظیم کردن او ذات خودرا ، پس بدرستیکه پنهان نداشته است حقتعالی از شما چیزیرا از دین ، وفرو نگذاشته چیزیرا که پسندیده یا ناخوش گرفته مگر اینکه گردانیده از برای آن علامتی ظاهر وآیهٔ محکم که منع نماید ازآن یا دعوت کند بسوی او پس رضای خدا در چیزیکه باقي‌مانده یکی است و سخط وغضب او درچیزیکه باقي مانده یکی است .

وبدانید که حقتعالی هرگز راضی نمیباشد ازشمابچیزیکه دشمن گرفته است آنرا بر کسانی که بودند پیش ازشما ، وهرگز غضب نمیکند برشما بچیزیکه رضا داشته بأو از کسانی که بودند پیش ازشما ، وجز این نیست که باید سیر نمائید در أثرواضح گذشتگان ، وتکلّم نمائید بکلام با منفعت که گویا شدند بآن مردانی که پیش ازشما بودند .

بتحقیق که کفایت کرد خداوند عالم معیشت دنیای شمارا ، وتحریص فرمود شمارا برشکر ، وواجب کرد از زبانهای شما ذکر را ، ووصیّت فرمود شما را

بتقوى وپرهيزكاري ، وگردانيدآنرا منتهى خوشنودي وحاجت خود از خلق ، پس بپرهيزيد ازخدائيكه شما درپيش نظر اوئيد ، وپيشانيهاي شما در يد قدرت اواست وگرديدن شما در قبضۀ اقتدار اواست، هرگاه پنهان داريد چيزيرا درقلب خودتان ميداند آنرا ، واگراظهارنمائيد أعمال خودرا نويسد آنرا ، بتحقيق موكّل فرموده بآن نوشتن ملائكه كه حافظانند باكرامت درحالتيكه اسقاط حق نميكنند وإثبات باطل نمينمايند ، يعني چيز بي‌اصل را نمينويسند .

وبدانيد بدرستيكه هر كس بترسدازخدا وصاحب تقوى باشد قرارميدهد خدا ازبراى اوبيرون آمدني‌ازفتنها ، وروشنى ازظلمتها ، ومخلّد مينمايد اورا درچيزيكه خواهش‌دارد نفس او ، ونازل ميفرمايد اورا درمنزل كرامت درنزد خود درخانه كه اختيارفرموده آنرا ازبراى خود ، چنان خانه كه سقف آن عرش اواست ، ونورآن جمال او است ، وزيارت كنندكان آن ملكهاى اواست ، ورفيقهاى آن پيغمبران او است .

پس بشتابيد بسوى معاد ، وسبقت كنيد بسوى أجلها ازجهت اينكه مردمان نزديكست كه بريده شود از ايشان آرزوها ، ودريابد ايشانرا أجلها ، وبسته شود بروى ايشان دَرِ توبه .

پس بتحقيق كه صباح كرديد درمثل چيزيكه سؤال كردند بر گشتن‌بسوى آنرا اشخاصيكه بودند پيش ازشما ، وشما أبناءالسّبيل هستيد برسفر كردن ازخانه كه نيست خانۀ شما ، بتحقيق كه اعلام كرده شديد بكوچ كردن ازآن ، ومأمور شديد درآن بأخذ كردن توشه .

وبدانيد بدرستيكه نيست مراين پوست لطيف را صبر كردن برآتش سوزان پس رحم نمائيد نفسهاى خودرا پس بدرستيكه شما تجربه نموديد نفوس خودرا در مصائب وصدمات دنيا ، پس ديده‌ايد جزع وفزع يكى ازشمارا ازخارى كه برسد بأو يالغزيدني كه خون آلود سازد اورا ، يا زمين بسيار گرمى كه بسوزاند اورا ، پس

چگونه باشد حال او زمانی که بشود در میان دوتابه یا دو طبقه از آتش که هم‌خوابه سنگ سوزان باشد و همنشین شیطان، آیا دانسته‌اید اینکه مالك خازن جهنّم هروقت غضب نماید بر آتش بشکند بعضی از آتش بعضي دیگررا ، وهر گاه زجر کند آتش را برجهد شرارهٔ آن ازمیان درهای دوزخ ازجهة جزع کردن آن از زجر او .

ای پیر بزرگ سال که آمیخته است بأو پیری وسستی چگونه است حالت تو زمانی که متّصل شود وپیوند گردد طوقهای آتش باستخوانهای گردنها ، وفرو روند غلهای جامعه آتش درأعضاء ، تا اینکه بخورد گوشتهای بازوهارا پس بترسید ازخدا أی بندگان خدا درحالتیکه شماسلامت هستید درزمان صحّت پیش‌ازبیماری ودرفراخي ووسعت پیش‌ازتنگی ، پس سعی نمائید در گشادن وفكّ‌نمودن گردنهای خودتان پیش‌ازاینکه بسته شود گروهای گردنها، بیدار کنید چشمهای‌خودرا باتهجّد وقیام ، وتهی‌سازید شکمهای خودرا با گرسنگی وصیام ، واستعمال نمائید قدمهای خودرا درخیرات ، وانفاق کنید مالهای خودرا درزکاة وصدقات ، وأخذ نمائید از بدنهای خودتان تا بخشش نمائید باآنها برنفسهای خود وبخل نورزید بآنها .

پس بتحقیق که فرموده است حقتعالی در کلام مجید خود «إن تنصروا الله ینصر کم ویثبّت أقدامکم » یعني أگر یاری کنید خدا را یاری میکند خدا شما را وثابت میفرماید قدمهای شمارا درمواضع‌لغزیدن .

وبازفرموده « من ذا الّذي یقرض‌الله قرضاً حسناً فیضاعفه له وله أجر کریم » یعني کیست آنکسی که قرض دهد خدا را قرض دادن نیکو پس زیاده گرداند آنرا ازبرای او ومراوراست أجر باکرامت.

پس یاری نخواست خدای تعالی ازشماازبابت‌ذلّت، وقرض‌طلب‌نکرد ازشما از جهت کمی‌وقلّت ، یاری خواست ازشمادرحالتیکه ازبرای‌اواست لشگرهای آسمانها وزمین وحال آنکه اواست صاحب عزّت وحکمت ، وطلب قرض‌نمود از شمادرحالتی که از برای او است خزانهای آسمانها وزمین وحال آنکه اواست بی‌نیاز وستوده ،

وجزاین نیست که اراده فرموده که امتحان نماید شما را که کدام ازشمانیکوتر است از حیثیّت عمل .

پس مبادرت نمائید بسوی عملهای خودتان تاباشید باهمسایهای خدا درخانه خدا که رفیق ساخته ایشانرا باپیغمبران خود ، وبزیارت ایشان امر نموده فرشتگانرا وگرامی داشته گوشهای ایشانرا ازاینکه بشنوند آوازآتش را هرگز ، ونگهداشته جسدهای ایشانرا از آنکه برسد بمشقّت وکسالت ، این فضل واحسان خداست که عطامی فرماید آنرا بهر کس که میخواهدازبندگان خود ، وخداوندا ست صاحب فضل عظیم ، من میگویم چیزیرا که می شنوید وخداست یاری خواسته شده ، یعنی ازاواستعانت میکنم برنفس خودم وبرنفسهای أمّارهٔ شما ، واوست کفایت کنندهٔ ما وچه خوب وکیل است .

ومن كلام له عليه السلام وهو المأة والثالث والثمانون من المختار فى باب الخطب

قاله للبرج بن مسهر الطّائي وقد قال له بحيث يسمعه : لا حكم إلاّ لله ، وكان من الخوارج :

أُسْكُتْ قَبَّحَكَ اللهُ يا أَثْرَمُ فَوَاللهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ ، خَفِيّاً صَوْتُكَ ، حَتّىٰ إِذا نَعَرَ الْباطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْماعِزِ .

اللغة

(البرج) بضمّ الباء الموحّدة والراء المهملة ثمّ الجيم و (مسهر) بضمّ الميم وكسر الهاء و (قبّحك الله) بالتخفيف والتشديد أى نحّاك وقيل : من قبحت الجوزة كسرتها و (الثرم) بالفتح سقوط الاسنان و (ضؤل) الرّجل بالضمّ ضؤلة نحف

وحقر ، وضؤل رأيه صغر و (الماعز) واحد المعز من الغنم اسم جنس وهو خلاف الضأن.

الاعراب

جملة قبحك الله دعائية لا محل لها من الاعراب وقوله : كنت فيه ضئيلا شخصك :

يجوز أن يكون كان ناقصة اسمها تاء الخطاب وضئيلا خبرها وفيه متعلقاً به مقدماً عليه للتوسع وشخصك بالرفع فاعل ضئيلا قام مقام الضمير الرابط للجر إلى الاسم من أجل اضافته إلى كاف الخطاب الذي هو عين الاسم أو أنه بدل من اسم كان .

ويجوز أن تكون تامة وضئيلا حالا من فاعلها وشخصك فاعل الحال وباضافته إلى كاف الخطاب استغنى أيضاً عن الرابط للحال أو أنه حال من شخصك مقدم على صاحبه وشخصك بدل من فاعل كان ، وهذا مبنيّ على ماهو الأصح من مذهب علماء الأدبية من أنّ العوامل اللفظية كلّها تعمل في الحال إلا كان وأخواتها وإلا فيجوز على تقدير كون كان ناقصة جعل ضئيلا حالا أيضاً فيكون فيه خبرها ويكون ظرفاً مستقراً ، فافهم جيداً .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام حسبما أشار إليه السيّد (قاله للبرج بن مسهر الطائى) على وجه التعريض والتحقير (وقد قال له) البرج بشعار الخوارج (بحيث يسمعه لا حكم إلا لله) أى لا لك ، وفي نسخة الشارح البحراني لاحكم إلا الله أى لا أنت (وكان) البرج ذلك (من الخوارج) من شعرائهم المشهورة .

فقال عليه‌السلام (اسكت قبحك الله) أى نحاك عن الخير أو كسرك (يا أثرم) أى الساقط الثنية دعاه بآفته إهانة وتحقيراً كما هو العادة في تنقيص صاحب العاهات وإهانتهم ، فيقال : يا أعور ويا أعرج ونحو ذلك (فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه) أى في ظهور الحق وقوة الاسلام وزمان العدل (ضئيلا شخصك) أى حقيراً خامل الذكر (خفياً صوتك) كناية عن عدم التفات أحد إلى أقواله وعدم الاستماع والتوجه

إليها (حتّى إذا نعر الباطل) أى صاح .

قال الشارح البحراني استعار لفظ النعير لظهور الباطل ملاحظة لشبهه في قوّته وظهوره بالرجل الضّائل الصائح بكلامه عن جرأة وشجاعة .

(نجمت نجوم قرن الماعز) أى طلعت بلا شرف ولا سابقة ولا شجاعة ولاقدم، بل بغتة وعلى غفلة كما يطلع قرن الماعز ، والغرض من التشبيه توهين المشبّه وتحقيره حيث شبّهه بأمر حقير .

الترجمة

ازجمله كلام آن والامقام است مر برج بن مسهر الطائى را وبتحقيق گفت آن ملعون مر آنحضرت را بحيثى كه ميشنوانيد اورا كه : هيچ حكم نيست مگر خداى را وبود آن ملعون ازجمله خوارج نهروان آنحضرت فرمود :

ساكت باش دور گرداند خدا تورا ازخير أى دندان افتاده ، پس قسم بخدا كه بتحقيق ظاهر شد حق پس بودى تودر آن حقير ونحيف ، شخص توخفى، وپنهان بود آواز توتااينكه نعره زد باطل طلوع كردى وظاهر شدى مثل ظاهر شدن شاخ بز .

هذا آخر المجلد العاشر من هذه الطبعة الجديدة القيمة، وقد وفق لتصحيحه وترتيبه وتهذيبه العبد - الحاج السيد ابراهيم الميانجي - عفى عنه وعن والديه ، فى اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الاول سنة -١٣٨٢-

وسيليه انشاء الله الجزء الحادى عشر واوله :

« المختار المأة والرابع والثمانون »

والحمد لله ربّ العالمين

فهرس الجزء العاشر من شرح نهج البلاغة

العنوان	الصفحة
المختار المأة والواحد والستون	٢
قاله عليه السلام في جواب من قال: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟	٢
لطيفة	
في ذكر كلام للشارح المعتزلي بعد الفراغ من شرح هذا المختار وسؤاله عن استاذه النقيب من مقصود الامام عليه السلام بهذا الكلام وجوابه.	١٠
تكملة	
في نقل المختار على رواية غير السيد «ره»	١٤
الترجمة	١٥
المختار المأة والثاني والستون	
في الثناء على الله سبحانه وتعظيمه وتمجيده بذكر جملة من نعوت جماله وصفات جلاله.	١٦
الترجمة	٢٧
المختار المأة والثالث والستون	
قاله عليه السلام لعثمان حين أرسله الناس اليه وسألوه أن يكلّمه.	٢٩
تكملة	
في كلامه عليه السلام مع عثمان ومحاجّته إياه.	٣٧
الترجمة	٣٩
المختار المأة والرابع والستون	
وشرحه في ضمن فصلين	
الفصل الاول	
في ذكر بدايع خلقة الطاووس.	٤١
ذكر حديث مفضّل عن الصادق عليه السلام في بدايع خلقة الطيور وأسرارها.	٥١
في سفاد الطاووس وانه هل يكون على نحو اللّقاح أم لا؟	٥٥
وصف أجنحة الطاووس وكيفيّة مشيه وضحكه وقنزعته وعنقه والخط الأبيض عند محلّ سمعه وتعديد ألوانه وغيرها مما هو محلّ الاعتبار في حكمة الصانع وقدرته.	٥٥
تتميم في نوادر وصف الطاووس.	٥٩
الترجمة	٦٠

العنوان	الصفحة
الفصل الثاني منها في صفة الجنة .	**٦٤**
تبصرة	
في ذكر بعض الآيات والروايات الواردة في وصف الجنّة ونعيمها .	٦٨
الترجمة	**٧٢**
المختار المأة والخامس والستون.	**٧٣**
يذكر في ضمن فصلين .	
الفصل الاول	
في الاشارة إلى ما به انتظام امور المسلمين .	٧٦
والفصل الثاني	
في الاشارة الى اختلاف شيعته عليه السلام وأصحابه من بعده .	٧٧
تنبيهان :	
الأوّل في قصّة قوم سبا وسيل الجنّتين .	٨٠
الثاني في قصّة تيه بني إسرائيل .	٨٣
الترجمة	**٨٦**
ديباجة المجلّد الخامس حسب تجزأة المصنف «قد» على ما في الطبعة الأولى.	٨٩
المختار المأة والسادس والستون	
في فضل كتاب الله المجيد والاشارة إلى بعض حقوق المسلم على المسلم.	٩٠
ذكر بعض الأخبار الواردة في وجوب مراعاة حرمة المسلم والمحافظة على حقوقه .	٩٣
أمره عليه السلام بالمبادرة على الموت وأخذ الزاد .	٩٥
حقّ البهائم على صاحبها .	٩٦
تكملة	
في ذكر المختار على رواية غير السيّد «ره»	٩٧
الترجمة	**٩٧**
المختار المأة والسابع و الستون	
في اعتذاره عليه السلام من معاقبة الثائرين على عثمان .	٩٨
ذكر هاء السكت وهاء التنبيه .	١٠٠
الترجمة	**١٠٥**
المختار المأة والثامن والستون	
خطبته عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة	١٠٦
الترجمة	**١١١**
المختار المأة والتاسع و الستون	
كلامه عليه السلام مع رسول أهل البصرة.	١١٢
رسالة من عايشة إلى أمير المؤمنين عليه السلام واهتداء الرّسول ببركة وجوده عليه السلام .	١١٤
رسالة من طلحة والزبير إلى أمير المؤمنين عليه السلام واهتداء الرسول بيمن وجوده الشريف .	١١٦

العنوان	الصفحة
الترجمة	**١١٨**
المختار المأة والسبعون	
دعاء دعا به عليه السلام في اليوم الرابع من وقعة صفّين سابع شهر صفر من سنة سبع وثلاثين .	١١٩
في أنّ الدعاء يدفع البلاء وقد ابرم إبراماً .	١٢٠
في اختلاف اللّيل والنهار .	١٢٣
ذكر المختار على رواية غير السيد «ره»	١٢٥
الترجمة	**١٢٦**
المختار المأة والواحد والسبعون	**١٢٧**
هذا المختار يدور على فصول ثلاثة	
الفصل الاول	
في تحميد الله تعالى وتمجيده	١٢٩
الفصل الثاني	
في ذكر ماجرى لـه يوم الشورى بعد مقتل عمر .	١٣١
الفصل الثالث	
في ذكر أصحاب الجمل والتنبيه على ضلالهم .	١٣٢

العنوان	الصفحة
استحلاله عليه السلام قتل جيش البصرة كلّه لو أصابوا من المسلمين رجلا واحداً معتمدين لقتله وكلام الشارحين في ذلك .	١٣٥
تنبيهان : الاول	
في ذكر كلام للشارح المعتزلي في شرح قولـه عليه السلام : اللّهم إنّي أستعديك على قريش « الخ » وأمثال ذلك .	١٤٠
التنبيه الثاني	
في ذكر خروج عايشة وطلحة والزبير إلى البصرة وقتلهم فيها طائفة من المسلمين صبراً وطائفة غدراً وذكر كيفيّة وقعة الجمل إجمالا .	١٤٣
الترجمة	**١٥٤**
المختار المأة والثاني والسبعون	**١٥٦**
ومدار هذه الخطبة على فصول :	
الفصل الاول في نبذ من ممادح الرّسول صلى الله عليه وآله .	١٥٨
الفصل الثاني في الاشارة إلى بعض وظايف الخلافة .	١٥٨
الفصل الثالث في الوصيّة بتقوى الله	

العنوان	الصفحة
والاشارة إلى أحكام البغاة .	١٦١
ذكر الأخبار الواردة في فضيلة الصبر	١٦٤
ذكر أقسام الصبر .	١٦٧
الترجمة	**١٧٠**
المختار المأة والثالث والسبعون	
قاله عليه السلام حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة .	١٧٢
الترجمة	**١٧٦**
المختار المأة والرابع والسبعون	**١٧٧**
ومدار هذا المختار على فصلين	
الفصل الاول	
في ايقاظ الغافلين و تنبيههم عن رقدة الغفلة .	١٧٨
الفصل الثاني	
في الاشارة إلى بعض مناقبه الجميلة ومقاماته الجليلة .	١٨٠
تبصرة	
في إخباره عليه السلام عن الغيوب .	١٨٣
الترجمة	**١٨٧**
المختار المأة والخامس والسبعون	
وشرحه في فصلين :	
الفصل الاول	
في الموعظة والنصيحة وترغيب المخاطبين في الطاعات و تحذيرهم عن السيّئات .	١٨٩
في التنبيه على فضايل كتاب الله الكريم وبيان ممادحه .	١٩٥
في تجسّم القرآن يوم القيامة بصورة إنسان في أحسن صورة .	١٩٩
في أمره عليه السلام بملازمة الأعمال الصالحة	٢٠٤
الترجمة	**٢٠٨**
الفصل الثاني	
في التحذير عن تهزيع الأخلاق الملازم للنفاق .	٢١١
في الأمر باختزان اللّسان وذكر بعض الأخبار الواردة فيه .	٢١٦
في شرح قوله صلى الله عليه وآله لا يستقيم ايمان عبد حتّى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه .	٢١٧
في النهى عن متابعة البدع والتنبيه على بطلان العمل بالرأى والمقاييس.	٢٢٠
ذكر ممادح القرآن وأنّه حبل الله المتين .	٢٢٥
في الظلم وأقسامه وأنّها ثلاثة .	٢٢٨
الاشارة إلى مظلوميّته عليه السلام وأنّ	

العنوان	الصفحة
الظلم الذي وقع في حقّه ليس بحيث يترك ويرفع عنه اليد وايراد بعض ما ورد فيه من الأخبار .	٢٣٣
تحذيره عليه السلام عن التلوّن في الدّين الملازم للنفاق والتفرّق .	٢٣٦
الترجمة	**٢٣٩**
المختار المأة والسادس والسبعون	
في معنى الحكمين و كلامه عليه السلام مع الخوارج .	٢٤٢
الترجمة	**٢٤٤**
المختار المأة والسابع والسبعون	**٢٤٥**
ومدار هذا المختار على فصول أربعة :	
الاول	
في تنزيه الله سبحانه وتمجيده بذكر جملة من أوصاف الجلال وصفات الجمال .	٢٤٧
الفصل الثاني	
في الشهادة بالتوحيد والرسالة .	٢٥٢
الفصل الثالث	
في تنبيه الراكنين إلى الدّنيا وايقاظ الغافلين عن العقبى .	٢٥٣
الفصل الرابع	
في التنبيه على وجوب شكر النعم	٢٥٣
الترجمة	**٢٥٦**
المختار المأة والثامن والسبعون	
قاله عليه السلام في جواب من سأله : هل رأيت ربّك ؟ يذكر فيه جملة من صفات كماله تعالى .	٢٥٧
تنبيه	
في تحقيق الكلام في متكلّميّته تعالى وأنّ كلامه سبحانه حادث أو قديم	٢٦٣
تكملة	
في نقل المختار على رواية غير السيد «ره» .	٢٧٠
الترجمة	**٢٧٢**
المختار المأة والتاسع والسبعون	
في ذمّ أصحابه عليه السلام وتوبيخهم .	٢٧٢
الترجمة	**٢٨٧**
المختار المأة والثمانون	
قاله عليه السلام وقد أرسل عبدالله بن قعين يعلم له علم قوم من جند الكوفة قد هموا باللّحاق بالخوارج فلما رجع وعاد قاله عليه السلام له .	٢٨٨
ذكر تفصيل إرساله عليه السلام عبدالله بن قعين .	٢٩١

العنوان	الصفحة
الترجمة	**٢٩٧**
المختار المأة و الواحد والثمانون	
وشرحه في فصول :	
الفصل الاول	
في حمدالله سبحانه وذكر جملة من أوصاف العظمة و الجلال وتنزيهه تعالى باعتبارات سلبيّة هي غايةوصف الواصفين ومنتهى درك الموحّدين	٢٩٨
ذكر جملة من شواهد خلقه تعالى وآيات قدرته منها خلق السماوات موطدات وجعله نجومها علامات يستدلّ بها الحيران .	٣٠٧
في حقيقة الرّعد وتسبيحه .	٣١١
علمه سبحانه بنزول قطرة وسقوط ورقة ومايكفى البعوضة من قوتها	٣١٣
تنزيهه تعالى باعتبارات سلبيّة .	٣١٥
تكليمه تعالى موسى عليه السلام تكليماً .	٣٢١
تنبيهه على عجز القوى البشريّة عن وصف كماله تعالى .	٣٢٢
الترجمة	**٣٢٤**
الفصل الثاني	
في الوصيّة بتقوى الله والتنبيه على فناء الدّنيا وزوالها .	٣٢٧
مجيء ملك الموت لقبض روح سليمان النبي صلى الله عليه وآله .	٣٢٩
شرح حال العمالقة .	٣٣٠
في ذكر نوادر أخبار ملك سليمان النبي (ع) .	**٣٣٢**
في بناء بيت المقدّس وذكر بقيّة نوادر أخبار ملك سليمان عليه السلام	٣٣٥
في بيان مداين الرس وقصة اصحابها .	**٣٣٩**
الترجمة	**٣٤٦**
الفصل الثالث	
في وصف الحكمة و الاشارة إلى القائم عليه السلام و في شرح حال نفسه الشريفة وشرح حال جملة من أصحابه الّذين سفكت دماؤهم .	٣٤٧
وصف الحكمة وشرحها وأنّ رأسها مخافة الله تعالى .	**٣٥١**
في أنّ لفظ الحجّة والخليفة لا يطلق الاّ على الأنبياء والأوصياء .	**٣٥٥**
في معنى الوصاية .	**٣٥٧**
ذكره عليه السلام أصحابه الّذين سفكت دماؤهم بصفّين .	**٣٥٩**
ذكر عمار وابن التّيهان وذو الشهادتين	**٣٦٠**
قصة إدارته عليه السلام قطب الرّحى في عنق خالد .	**٣٦٥**
الترجمة	٣٦٩

العنوان	الصفحة
المختار المأة والثاني والثمانون	
في حمد الله سبحانه والثناء عليه ووصف الكتاب العزيز وموعظة المخاطبين ووعدهم بالجنّة ووعيدهم من النّار .	٣٧١
في حمد الله سبحانه والثناء عليه .	٣٧٧
في ذكر القرآن وبعض أوصافه .	٣٨١
موعظة المخاطبين وتذكيرهم وتخويفهم	٣٨٣
وصف دار اصطنعها الله تعالى لنفسه وهي الجنّة ووصف نعيمها والترغيب اليها .	٣٩٠
فضل يوم الجمعة ووصف الجنة ونعيمها	٣٩٢
في الترهيب والانذار من أليم السخط وعذاب النّار .	٣٩٨
في فضيلة صلاة الليل والحث على العمل	٤٠٢
الترجمة	**٤٠٧**
المختار المأة والثالث والثمانون	
قاله عليه السلام للبرج الطائى .	٤١١
الترجمة	**٤١٣**